دراسات
في
الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة

عبدالله الأمين

الناشر
دار الحقيقة - بيروت

طبعة ثانية مزيدة
١٩٩١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنـك أنت الوهـاب ﴾ .

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

أرسل الله تعالى سيدنا محمدًا ﷺ برسالة الإسلام . وأنزل عليه القرآن يهدي للتي هي أقوم فيه صلاح المسلمين في الدنيا والآخرة ، وفي كل زمان ومكان وأمرهم بالاحتكام إليه ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ . وتكفل بحفظه من الدس والتشويه فقال : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وكان أن شرح الله صدر سيدنا عثمان لجمعه من الصحف التي رتبها رسول الله ﷺ بيده الشريفة ووثقها بعرضها على الحفاظ ، وأتلف كافة النسخ الأخرى فكان الكتاب السماوي الوحيد الذي وثق بأسلوب علمي لا يرقى إليه الشك ، وجاءت السنة النبوية موضحة مقاصده مفصلة مجمله فكانت جزءًا متممًا أمرنا الله تعالى بالأخذ به فقال : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وثنى على ذلك رسول الله ﷺ بقوله « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » .

ولكن أعداء الإسلام غاظهم أن تستقر الدولة الإسلامية وتتفتح لها قلوب العباد والبلاد فلجأوا إلى التظاهر بالإسلام محاولين تشويه تعاليمه فلم يستطيعوا النفوذ عن طريق الطعن في الآيات أو الزيادة فيها والنقصان ، لذا لجأوا إلى التأويل للانحراف بالمعاني عن مقاصدها . ولكي يعطوا تأويلهم هذا صفة دينية يخدعون بها بسطاء المسلمين ربطوها بأئمة أهل البيت وأعطوهم صفات القداسة والعلم والعصمة . ثم اعطوا الفقيه الذي تولى الإمامة من غير أهل البيت القداسة التي منحوها لأئمة أهل البيت لكي يتمكن من التشريع حسب هواه مبتعدًا عن إجماع المسلمين . وانتقلوا لتشويه السنة ولما وجدوا أن علم الحديث موثق كذلك بالطرق العلمية التي نشأ عنها علم الرجال عرف بواسطته الصحيح من الضعيف من الموضوع قالوا بأن الحديث لا يوثق إذا لم يكن راويه من أهل البيت . وباختلافهم مع أهل السنة والجماعة في أصلي الإسلام القرآن والحديث يكونون قد قطعوا كل صلة تربطهم بأهل السنة والجماعة ونظرًا للأحداث السياسية التي طرأت على العالم في هذا العصر نشأت رغبة للتعرف على تاريخ وعقائد هذه الفرق التي تلعب دورًا هامًّا على

الساحة العربية والإسلامية فكثرت الكتابات فيها بشكل ملحوظ فأحببت أن أدلي بدلوي بين الدلاء أساهم في كشف حقيقة هذه الفرق ودورها وأثرها في الأمة الإسلامية لعل في ذلك عبرة لمن ألقى السمع ورغب الاستفادة من أحداث التاريخ والحمد لله رب العالمين .

ونظرًا لما لاقت الطبعة الأولى من إقبال عزمت على نشر الطبعة الثانية مضيفًا إليها زيادات هامة أخذتها مما عثرت عليه من مراجع جديدة إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله .

عبد الله

كيف نشأت الفرق الدينية

١ ـ لم يكن على عهد رسول الله ﷺ خلاف بين المسلمين في الأصول . إنما كان خلافًا اجتهاديًا في الفروع ، يرجعون فيها إلى رسول الله ﷺ .

٢ ـ لم يكن هنالك خلاف يُذكر بين المسلمين زمن الراشدين فإذا اختلفوا في شيء ووجدوا فيه حديثًا صحيحًا نزلوا عند حكم الحديث . فقد رجع سيدنا عثمان بن عفان عن رأيه في مكان المعتدة التي توفي عنها زوجها حين ثبت له حديث الفريعة « امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله » .

٣ ـ لم يخص رسول الله ﷺ عليًا أو أبناءه بشيء دون المسلمين ولم يوص لهم بالخلافة من بعده وإلا لسارع المسلمون إلى تنفيذ الوصية . ولما تجرأ سيدنا عليّ على الإقدام على بيعة أبي بكر وعمر وعثمان مخالفًا وصية رسول الله ﷺ ولما أقدم سيدنا الحسن على بيعة معاوية في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين حيث سمي ذلك العام عام الجماعة .

روى الإمام أحمد عن أبي الطفيل قال : سئل علي رضي الله عنه : هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء ؟ فقال : « ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعم الناس به كافة » نقل ابن كثير عن الإمام البيهقي حديث حبيب بن أبي ثابت الكاهلي الكوفي عن ثعلبة بن يزيد الجماني من شيعة الكوفة ووثقه النسائي أنه قيل لعلي : ألا تستخلف فقال : لا ، ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ » السنن الكبرى ١٤٩ / ٨ وروى الإمام أحمد مثله في مسنده ١٥٦ / ١ .

وفي رواية ابن كثير عن الإمام البيهقي من حديث الحصين عن الشعبي عن شعيب ابن ساعدة الأسدي أنه قيل لعلي : ألا تستخلف علينا قال : « ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا سيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم » حديث جيد الإسناد (ابن كثير ٣٢٣ / ٧) وفي ذلك اعتراف بفضل الخلفاء الذين سبقوه .

٤ ـ لم يكن في زمن الراشدين فرق ولا أحزاب وأن الخلاف الذي نشأ بين علي ومعاوية لم يكن على بيعة معاوية لعلي بل كان للتمكن من قتلة عثمان وإقامة الحد عليهم ويوضح سيدنا علي بن أبي طالب هذه الحقيقة في كتابه نهج البلاغة فيقول في ص ٤٤٨ مايلي:

« وكان بدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام والظاهر أن ربنا واحد ، ونبينا واحد ، ودعوتنا إلى الإسلام واحدة ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا . الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء » .

ويؤكد هذه الحقيقة معاوية بن أبي سفيان والذي دون في البداية والنهاية ص ٢٥٩ / ٧ بقوله : « فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام » .

يقول المستشرق وات : « لم يكن هناك لدى آل الحسين حركة سرية ثورية غرضها إقامة خلافة يرأسها إمام من آل الحسين في تلك الفترة المبكرة وإن الحركة الإمامية تبلورت حوالي عام ٢٨٧ هـ ـ ٩٠٠ ميلادية .

لم يكن هناك خلاف مذهبي أو فقه شيعي مخالف لفقه أهل السنة والجماعة حتى وفاة الإمام جعفر الصادق » .

يقول المستشرق جب : « وليس هناك في الحقيقة برهان قاطع في تلك الفترة عن أي انشقاق بين مذهبي السنة والشيعة المعتدلة الإمامية . ولم يكن هناك من يهتم بإحباط نشاطهم أو معاقبتهم بسبب مذهبهم بشرط أن يظلوا على ما هم عليه من المثالية التي لا علاقة لها بالسيادة » .

ويقول الأستاذ هدرسون : إن جعفر الصادق كان إمامًا من أئمة الحديث والفقه مثله مثل مالك بن أنس وأبي حنيفة والأوزاعي وغيرهم من الفقهاء الذين يركزون اهتمامهم لإيجاد التشريعات المناسبة التي تساعد المسلمين على حل مشكلاتهم التي تواجههم .

الشيعة قبل خلافة على بن أبي طالب

انقسم المسلمون إثر الفتنة الكبرى ثلاثة أقسام :

قسم سار مع معاوية ، وقسم شايع على بن أبي طالب ، وقسم اعتزل الفتنة .

إضافة إلى المؤيدين لسيدنا علي رضي الله عنه من المسلمين الصادقين تجمع حوله أصحاب الأهواء من أتباع عبد الله بن سبأ وقتلة عثمان رضي الله عنه وأصحاب المطامع وهم كثير ، يقول أحمد أمين في فجر الإسلام ص ٢٧٦ ما يلي : والحق أن التشيع أصبح مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام بسبب العداوة والحقد وكل من استهدف إدخال

تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزاردشتية وهندية . وكل من يقصد استقلال بلاده والخروج عن مملكته وكل هؤلاء يتخذون حب آل البيت ستارًا يضعون وراءه كل ما شاءته أهواؤهم ، وقد سلكوا لتحقيق أهدافهم ما يلي :

آ ـ استغل الحاقدون على الإسلام حب أهل البيت في تأليه الإمام علي بن أبي طالب ليتمكنوا من المناداة بالإمامة التي تخولهم التشريع حسب أهوائهم ضاربين بإجماع السلف والخلف عرض الحائط إمعانًا في التفرقة والشتات ، عن عبد الرزاق بن همام الصنعاني أحد الأئمة الأعلام الحفاظ عن شيخه معمر بن راشد البصري وهو أيضًا من الأعلام عن الزهري صدوق السنة وشيخ الأئمة : أن عبد الله بن صفوان الجمحي قال :

قال رجل من صفين : اللهم العن أهل الشام (يريد أن يتظاهر بحب آل البيت) . فقال له علي « لا تسب أهل الشام فإن بها الأبدال فإن بها الأبدال » البداية والنهاية ٢٠ / ٨ .

وحاول عبد الله بن سبأ (يهودي الأصل من اليمن) أن يسأل وأصحابه علي بن أبي طالب هل هو الله . فقال أحد أتباعه لعلي « أنت هو فقال علي ومن هو فقالوا أنت الله ؟ فثار علي وأمر مولاه قنبر بحرقهم في النار » . الملل والنحل ١٨٦ / ٤ .

ويقول البغدادي في الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ أن أصحابه نصحوه بعدم حرقهم خوف الفتنة .

ب ـ الوضع في الحديث والطعن في القرآن بتأويله وتحريفه لهدم أركان الدين ومما يؤكد ذلك ما جاء على لسان أبي ميمون القداح (إني أضيق بدين محمد وليس عندي جيش أحارب أهله به وليس لدي مال . ولكني في الحيلة طويل الباع بحيث إذا لقيت عونًا من أحد قلبت دين محمد رأساً على عقب (بيان الأديان ٤١) .

يقول أبو المعالي الحسيني في بيان الأديان ص ٤٢ ما يلي غرضهم إبطال الشريعة وقد وضعوا لكل حكم من أحكام الشريعة تأويلاً وباطنًا ولو أنعمت النظر إليهم رأيت أنهم جميعًا حاولوا إبطال الشريعة . يقول ابن الأثير : فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه فكان أول من فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبي زينب

مولى بني أسد وأبو شاكر ميمون بن ديصان صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة) عن الكامل ٢١ / ٨ ومن الذين وضعوا في الأحاديث المكذوبة عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي أعلن قبل قتله « لئن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة » (عن أمالي المرتضى ١٢٨ / ١) .

ج ـ إثارة الفتنة والبغضاء بين المسلمين ليجدوا المناخ الملائم لبث عقائدهم ؛ إذ كثيرًا ما تضطرب النفوس وتتأجج العواطف أثناء الفتن فتدع الحليم حيرانًا فيضعف دور العقل في حينها . وليوقفوا بتفرقة المسلمين مسيرة الفتح الإسلامي الذي امتد زمن سيدنا عثمان . فقد افتروا على عثمان وتحركوا إليه ليعزلوه أو يقتلوه . تحركت من مصر أربع فرق قائدهم العام الغافقي ابن حرب العكي من وجوه القبائل اليمنية التي نزلت مصر عند الفتح وممن استماله عبد الله بن سبأ فكان عميلاً له . وأمروا على أهل البصرة حكيم بن جبلة وأصله من عُمان توطن البصرة ونزل عنده عبد الله بن سبأ ضيفًا وكسبه إلى صفه وأمروا على أهل الكوفة الأشتر النخعي من قبائل مذجح اليمنية خرجوا جميعًا باسم الحج ولم يكشفوا عن غاياتهم وضللوا أنصارهم بافتراءاتهم عن عثمان . فلما لم يجدوا تجاوبًا من علي وأصحابه هموا بالعودة إلى أوطانهم . فتدبر السعاة بالفتنة كتابًا باسم عثمان يطلب من واليه قتلهم ففعل الكتاب فعله في النفوس فأثارها فعادوا إلى المدينة وقالوا لعلي ألم تر إلى عدو الله كتب فينا بكذا وقد أحل الله دمه فقم معنا إليه . قال علي : لا أقوم معكم قالوا : فلم كتبت إلينا ؟ قال علي : والله ما كتبت إليكم فنظر بعضهم إلى بعض) (العواصم من القواصم ص ١٢٢) وعرفوا أن الأمر مدبر .

وسارع أعداء الإسلام إلى عثمان فقتلوه . يقول صاحب التهيد للباقلاني ص ٢١٦ : وأعجب ما رواه الطبري ١٣٧ / ٥ (أن عمير بن ضابئ البرجمي وكميل بن زياد النخعي حضرا إلى المدينة ليغتالا عثمان تنفيذًا لقرار اتخذوه في الكوفة مع بقية عصابتهم) .

أما كنانة بن بشر التجيبي قائد إحدى الفرق المصرية هو الذي سبق وحاول في الفسطاط أن يجعل عمار بن ياسر سبئياً . وكان أول داخل إلى دار عثمان بالشعلة من النفط ليحرق داره وهو الذي اخترط السيف ليضعه في بطن أمير المؤمنين فوقته زوجته نائلة فقطع يدها واتكأ بالسيف عليه في صدره (عن العواصم ص ١٢٨) .

بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل سيدنا عثمان دون خليفة فكان أهل مصر (وبينهم

السبئيون) يأتون عليًّا ليبايعوه فيختبئ ويلوذ بحيطان المدينة فإذا لقوه باعدهم وتبرّأ منهم فلما اجتمع لهم أهل المدينة قالوا لهم : فانظروا رجلاً تنصبونه ونحن لكم تبع فقد أجلناكم يومين فو الله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدًا عليًّا وطلحة والزبير وأناسًا كثيرًا ، فغشى الناس عليًّا فقالوا نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتلينا به من ذي القربى) الطبري ١٥٥ / ٥ فرد عليهم علي : دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان وإن تركتموني فأنا أحدكم ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم . وأنا لكم وزيرٌ خير لكم مني أميرًا (عن نهج البلاغة ص ١٣٦) وذكر الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل ص ٩٩ / ٣ ما يلي : ولكنهم أكرهوه على ذلك وأجبروه وأخذ الأشتر بيده فبايعه وبايعه الناس (ابن كثير ٢٢٦ / ٥) .

لفتة هامة :

إن النص الذي أورده الشيعة في نهج البلاغة من رفض علي للإمامه وقوله (دعوني والتمسوا غيري) لدليل قاطع على أنه لم يعتبر نفسه إمامًا منصوبًا من قبل الله عز وجل ولا من قبل رسول الله ﷺ ولا منصوصًا عليه ولا في نظر شيعته الذين يعرضون عليه البيعة . وأنه رضي الله عنه لم يسكت عنها تقية لأنه لو كان كذلك لما كان له الخيار في رد الإمامة والخلافة وقد أتته طائعة .

الشيعة زمن علي بن أبي طالب

كان المقصود بشيعة علي : الذين يؤمنون بأفضليته على معاوية في خلافة المسلمين ليس غير ، بدليل قول علي في نهج البلاغة ص ٣٦٦ ما يلي : أنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضى وإن خرج خارج عن أمرهم بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه سبيل المؤمنين . واجتمع إلى علي بعدما دخل طلحة والزبير في عدة من الصحابة فقالوا يا علي : إنا قد اشترطنا إقامة الحدود وإن هؤلاء القوم اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم فقال لهم (علي) يا أخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم هاهم أولاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا فهل ترون موضعًا للقدرة على شيء مما تريدون . فقالوا لا .

فقال والله لا أرى إلا رأيًا ترونه إن شاء الله إن هذا الأمر أمر جاهلية وإن لهؤلاء القوم مادة . (الطبري ١٥٨ / ٥) .

وفي اليوم الثالث من بيعته خرج علي على الناس فقال : يا أيها الناس أخرجوا عنكم الأعراب . وقال : يامعشر الأعراب الحقوا بمياهكم فأبت السبئية وأتاهم الأعراب . (الطبري ١٥٩ / ٥) .

دخل على علي في إمارته سويدُ بن غفلة فقال : إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يروون أنك تضمر لهما مثل ذلك . منهم عبد الله بن سبأ فقال علي ، مالي ولهذا الخبيث الأسود ثم قال معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحق الجميل ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ فسيره إلى المدائن وقال لا يساكنني في بلدة أبدًا ثم نهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس فذكر القصة في ثنائه عليهما وقال لا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري . (لسان الميزان ٢٩٠ / ٣) .

ولقد عانى سيدنا علي بن أبي طالب من هؤلاء الأخلاط الذين استغلوا تحزبهم لأهل البيت وراحوا يعيثون في الأرض فسادًا ومما يدل على عدم صدقهم في هذا الحب هو عدم طاعتهم له وخذلانهم إياه ، لأن المحب لمن يحب مطيع كما يقولون ، ولتأكيد ذلك نقرأ خطب سيدنا علي فيهم ووصفه لمواقفهم . فلقد عانى منهم الكثير أثناء توطيد أركان حكمه خرج بعضهم أثناء التحكيم وتقاعس الكثيرون عن الخروج للقتال لتوحيد الدولة المسلمة وانتهى الأمر باغتياله رحمه الله تعالى .

ولنستمع إلى خطب سيدنا علي رضي الله تعالى عنه يخاطبهم :

يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرت ندمًا وأعقبت سدمًا (نهج البلاغة ص ٦٧) .

ويقول في خطبة ثانية :ـ يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث واثنين :ـ صمٌّ ذو أسماع وبكمٌ ذو كلام وعميٌ ذو أبصار لا أحرار صدق عند اللقاء ولا إخوان ثقة عند البلاء تربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر (عن عمدة الطالب في أنساب أبي طالب ص ١٥) .

هذا الخليط المريب هو الذي دفع عقيل بن أبي طالب أن يلتحق بمعاوية بن أبي

سفيـان ، ورد في الكافي ص ٢٣٧ مـايلي : (إن عقيـلاً فـارق أخـاه عليًـا أيـام خـلافتـه وهرب إلى معاوية وشهد صفين معه) .

الشيعة بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه

بعد استشهاد سيدنا علي رضي الله عنه سلك أنصاره عدة اتجاهات :

أ ـ الاتجاه الأول : أهل بيتـه والمسلمون الأوائـل وهـؤلاء بقـوا على عقيـدة السلف ولم يـدعوا لأنفسهم مـا ليس لهم واستنكروا على من حـاول تقـديسهم ولم يظهروا لـلأمـويين العداء بل تنازل الحسن بن علي لمعـاويـة عن الحكم وحقن بـذلـك دمـاء المسلمين كما حصل تزاوج بين الأمويين وأهل البيت مما يدل على عدم وجود خلاف عقـائـدي فيما بينهم ، في كتاب علي إلى معاوية حسب روايات الشيعـة يقول علي : لم يمنعنـا قـديم عزنـا وعـادي طولنا أن خالطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحناكم فعل الأكفاء (نهج البلاغة ص ٣٨٦ تحقيق صبحي الصالح) .

فقد تزوجت سكينة بنت الحسين حفيدة علي بن أبي طالب من حفيد عثمان زيد بن عمرو بن عثمان : فهلـك عنهـا فورثت عنه (نسب قريش للـزيـدي ١٢٠ / ١٤ والمعـارف لابن قتيبة ص ٩٤) .

وتـزوجت نفيســة بنت زيــد بن حسن بن علي من الخليفــة الأمــوي الــوليــد بن عبد الملك بن مروان (ذكر ذلك صـاحب عمـدة الطـالب في أنسـاب أبي طـالب ص ٧٠ وابن سعد ص ٢٣٤ / ٥)

مع ملاحظة : أن هذا التزاوج حصل بعـد الفتنـة الكبرى أمـا موقف أهل البيت من تقديسهم فنقرأ عن مواقفهم تجاه ذلك . يقول صاحب جلاء العيون ص ٣٩٣ / ١ مايلي :

(إن حسن بن علي بن أبي طالب صَالَحَ معـاويـة بن أبي سفيـان على أنـه يعمل بين الناس بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين) ومـا هـذا الشرط من ثـاني أئمـة الشيعة إلا اعتراف بفضل الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وقد بلغ الأمر أن الإمام جعفر الصادق بن محمـد البـاقر جلس مجلس أبيـه سنـة أربع عشر ومـائـة ولم يكن موقفه مختلفًا عن موقف أبيه محمد الباقر وزين العابدين فحصر نفسـه في المجـالات العلميـة

مقتفيًا آثار آبائه متفقًا مع الجماعة محبًا لأصحاب جده رسول الله ﷺ ومتوليًا أبا بكر وعمر كما روى السيد المرتضى في الشافي ص ٢٣٨ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٤ / ١٤٠ كما أنكر أنه إمام مفترض الطاعة روى الطبرسي الشيعي في اعلام الورى ص ٢٨٥ عن سعيد السمان قال : كنت عند أبي عبد الله إذ دخل عليه رجلان من الزيدية فقالا أفيكم إمام مفترض الطاعة فقال لا فقالا قد أخبرنا عنك الثقاة أنك تقول به وسموا قومًا فغضب عليه السلام وقال ما أمرتهم بهذا وعن سدير قال :ـ كنت أنا وأبو بصير ويحيى والبزار وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج علينا وهو مغضب فلما أخذ مجلسه قال :ـ ياعجبًا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ، وما يعلم الغيب إلا الله عز وجل ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي (عن الكافي الحجة للكليني الشيعي ٢٥٧ / ١) .

لقد كان الحسن والحسين على صلة جيدة بمعاوية ، ورد في البداية والنهاية ص ٨ / ١٥٠ فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما إكرامًا زائدًا ويقول لهما مرحبًا وأهلاً ويعطيهما عطاء جزيلاً وقد أخلف يومًا لهما في يوم واحد مئتي ألف ويقول : ولما توفي الحسن كان الحسين يتردد على معاوية كل عام فيعطيه ويكرمه) ولقد اعترف بذلك الكاتب الشيعي الطوسي في الأمالي ص ٣٣٤ / ٢ فقال إنه كان يعطيه مئة ألف درهم .

ب ـ الاتجاه الثاني : وهم المعتدلون من الشيعة الذين ردوا على المتطرفين الضالين والكذابين غير أنهم قالوا بالإمامة ـ والإمامة بنظرهم كالنبوة في كل شيء باستثناء الوحي فالقول فيه مختلف وبذلك قالوا : إن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها فمن لم يذهب مذهبهم في الإمامة فهم يجمعون على أنه غير مؤمن . وإن اختلفوا في تفسير غير المؤمن هذا فمن قائل بالفسق واكثرهم اعتدالاً أو أقلهم غلوًا يذهب إلى أنه ليس مؤمنًا بالمعني الخاص وإنما هو مسلم بالمعنى العام ما لم يكن مبغضًا للأئمة وشيعتهم فضلاً عن حربهم فهو يعد كافرًا (يعني المحارب لهم) عند جميع الجعفرية (عن أثر الإمامة ص ٢٩) .

يقول المستشرق الألماني ولهوزن : ولم يكن الشيعة في الأصل فرقة دينية بل هي تعبيرٌ عن الرأي السياسي في هذا الإقليم كله فكان جميع سكان العراق خصوصًا أهل

الكوفة شيعة على تفاوت فيا بينهم . ولم يقتصر هذا على الأفراد بل شمل خصوصًا القبائل ورؤساءها ولا يلاحظ بينهم إلا درجات في التشيع . لقد كان علي بنظرهم رمزًا لسيادة بلدهم المفقودة . ومن هنا نشأ تمجيد لشخصه وآل بيته تمجيدًا لم يرتح له أثناء حياته على أنه ما لبث أن تكونت في أحضان مذهب سري : عبادة حقيقية لشخصه . (عن الخوارج والشيعة ص ١١٣) .

ثم وُجد قسم من هؤلاء المعتدلين غالوا في حب علي والأئمة من أهله فأولوا الآيات بما يخدم فكرة الإمامة وظهر أثر الإمامة في السنة والفقه بما لا يتفق مع مدلول النصوص وفهم السلف والخلف لها وأصبح مفهومهم للإسلام مفهومًا خاصًا لا يتفق مع إجماع أهل السنة والجماعة في الأصول والفروع . غير أنهم لم يقولوا بألوهية علي وبنيه . وقد تصدى المعتدلون للرد عليهم وكان رد الدكتور موسى الموسوي خير رد علمي موضوعي في كتابه الشيعة والتصحيح .

ج ـ الاتجاه الثالث : غلاة الشيعة الذين لخص إحسان إلهي ظهيري وصف المؤرخين لهم (في كتابه الإسماعيلية ص ٣٥) بقوله : وكان من بين شيعة علي رضي الله عنه هؤلاء المتقنعين بالتشيع المستترين وراءه : أبناء اليهودية المتحطمة في يثرب وخيبر ، والنصرانية المهزومة في تبوك ابتداءً من الروم وانتهاءً بأبناء الفرس المكسورين في القادسية وفارس وأولاد المتعصبين الذين والوا مدعي النبوة الكذابين كالأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي وسجاح وغيرهم الذين لم يؤمنوا بعلي ولم يقاتلوا تحت لوائه إيمانًا وتصديقًا بما يقولون بل عصبية لبنيتهم ومضريتهم . كما شاركهم للأسف الشذاذ من الطالبيين مؤثري الحياة الدنيا ومطامعها على الآخرة ونعيمها كعبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب رغبة في الملك ، وجمع الأوباش والسفلة حولهم (أنظر فرق الشيعة للنوبختي والمقالات والطرق للقمي الشيعيين) ولكن الطيبين من أبناء سيدنا علي قاوموه وعارضوه وتبرأوا من كل متشيع يفارق الجماعة .

وكان المحرك لكل هؤلاء السبئيون فقد التفوا حول سيدنا علي رضي الله عنه ليعرفوا مخططاته ويعملوا على إحباطها . وكان لهم مع رؤوس كل قوم عين وصلات كلما هدأت فتنة أثاروها وكلما التقت أطراف فرقوها . كانوا يمسكون بكل الخيوط والقوم عنهم غافلون ، ومنشغلون بالفتن التي أثاروها ، وصفهم البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق

ص ٣٧ بقوله : روافض موصوفون بالغدر والتحيل ، والمشهور عن غدرهم ثلاثة أشياء :

١ - أحدها : أنهم بعد قتل علي رضي الله عنه بايعوا ابنه الحسن فلما توجه لقتال معاوية غدروا به في ساباط المدائن فطعنه سنان الجعفي في جنبه فصرعه عن فرسه وكان ذلك أحد أسباب مصالحته مع معاوية .

٢ - والثاني : أنهم كاتبوا الحسين بن علي رضي الله عنه ودعوه إلى الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية فاغتر بهم وخرج إليهم فلما بلغ كربلاء غدروا به وصاروا مع عبيد الله بن زياد ، يدًا واحدة عليه حتى قتل الحسين وأكثر عشيرته في كربلاء .

٣ - والثالث : غدرهم بزيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب بعد أن خرجوا معه على يوسف بن عمر . ثم نكثوا بيعته وأسلموا عند اشتداد القتال حتى قتل وكان من أمره ما كان (الفرق بين الفرق ٣٧) .

ويوضح أحمد أمين تأثر الشيعة بدياناتهم السابقة فيقول :

فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة وقالت الشيعة إن النار محرمة على كل شيعي إلا قليلا كما قال اليهود :ـ لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم أن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه وقالوا إن اللاهوت اتحد بالناسوت في الإمام وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبدًا فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة المجوس قبل الإسلام وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم والسعي لاستقلالهم (فجر الإسلام ٢٧٦ - ٢٧٧) .

لما ظن الناس أن الحسن سيسلم الأمر إلى معاوية ثاروا به (فقطعوا كلامه وانتهبوا متاعه وانتزعوا مطرفًا عليه وأخذوا جارية كانت معه ، واختلف الناس فصارت طائفة معه وأكثرهم عليه فقال : اللهم أنت المستعان وأمر بالرحيل فارتحل الناس عنه وساروا فقدمه سنان بن الجراح الأسدي إلى مظلم ساباط فأقام به فلما دنا الحسن منه تقدم إليه يكلمه وطعنه في فخذه بالمعول طعنة كادت تصل إلى العظم فغشي عليه وابتدره أصحابه) (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ص ٣٦ / ١٢) .

ولقد صرح المؤرخون والكتاب من الشيعة بأن الذين غصبوا الحسن وانتهبوا مضاربه كانوا من ساباط المدائن وهي المحل الذي نفي إليه عبد الله بن سبأ من قبل علي رضي الله عنه وكانوا متأثرين بأفكاره وعقائده والساعين في الفرقة والاختلاف ومن بينهم كان فريسة السبئية المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي كان له شأن فيا بعد فأظهر نفسه في العقائد التي تلقنها من عبد الله بن سبأ اليهودي الماكر .

ولقد ذكر المؤرخون أن الحسن بن علي دخل المدائن ونزلها وهو جريح على عم المختار . قال المختار لعمه وهو شاب هل لك في الغنى والشرف قال وما ذاك قال تأخذ الحسن بن علي وتقيده وتبعثه إلى معاوية فقال له عمه :ـ قبحك الله وقبح ما جئت به أأغدر بابن بنت رسول الله ﷺ (الطبري ص ٩٢ / ٦ وابن الأثير ٢٠٣ / ٣ وابن كثير ١٤ / ٨ واللفظ له) .

لما تولى يزيد بن معاوية خرج الحسين إلى مكة فأقام بها أياماً فكتب إليه أهل العراق يستحثونه على الحضور إليهم وكان آخر رسالة وصلت إليه : (كتاب هانئ بن أبي هانئ وسعيد بن عبد الله الخثعمي جاء فيها :

(بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي من شيعته المؤمنين والمسلمين أما بعد فحيّ هلا فإن الناس ينتظرونك لا إمام لهم غيرك فالعجل ثم العجل والسلام (تاريخ اليعقوبي ٢٤ / ٢ وفي الإرشاد للمفيد ٢٠٣) ولما وصل إليهم أنكروا رسائلهم وغدروا به كما غدروا بأخيه ووجد نفسه أمام جيش الكوفة فقال : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا فلم يزل يقاتل حتى قتل ويقول صاحب مروج الذهب ٦١ / ٣ (كان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر وحاربه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة فلم يحضرهم شامي) مما يدل دلالة واضحة على دور السبئيين المتمكنين في المنطقة والمخططين للفتنة فيها .

تأسيس الشيعة

١ ـ يرى الدكتور طه حسين أن حزب الشيعة ظهر بعد قتل علي بن أبي طالب ودليله على ذلك أن لفظ شيعة قد أطلقَ على العراقيين والشاميين معًا في صحيفة التحكيم .

٢ ـ ويرى المقريزي أن مصطلح الشيعة كفرقة بدأ بوضوح في أيام الحسين حتى أصبحت كلمة الشيعة تطلق معرفة فيقال الشيعة ولا يقال شيعة علي أو شيعة الحسين . كما أنه بعد مقتل الحسين مباشرة تبلورت الحركة السياسية تحت اسم الشيعة (عن كتاب الشيعة للعقيلي ص ٧٦) .

٣ ـ ويرى ابن النديم : أن التشيع ظهر حين خالف طلحة والزبير عليًا وأبَيَا إلا الطلب بدم عثمان وقصدهما علي ليقاتلهما حتى يفيئا لأمر الله فسمى من تبعه الشيعة وكان يقول شيعتي والاصفياء والأولياء .

٤ ـ وذهب فان فلوتن إلى أن الشيعة تفرعت عن ذلك الحزب السياسي الذي قضى عليه الأمويون بحروراء ثم انتشرت وقامت بحركة دينية واسعة النطاق ضمت إليها جميع العناصر الإسلامية المعادية للأمويين والعرب جميعًا . (عن الإمام زيد لأبي زهرة) .

٥ ـ يقول المؤرخ الشيعي المسعودي في مروج الذهب (ص ٥٤ / ٣) ما يلي :

ولما مات معاوية أرسل أهل الكوفة (وكانت مرتعا خصبًا للشيعة) إلى الحسين بن علي قائلين : (إنا قد حبسنا أنفسنا على بيعتك ونحن نموت دونك ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة) ولما تواترت الرسائل وكثرت أرسل إليهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب فبايعوه وعاهدوه وأعطوه المواثيق على النصرة والمشايعة والوفاء وكذا في تاريخ اليعقوبي ٢٤٢ / ٢ وزاد المفيد (فبايعوه وهم يبكون وتجاوز عددهم ثمانية عشر ألفًا (عن الإرشاد ص ٢٢٠) وهذا أول تأسيس رسمي للشيعة .

٦ ـ ويرى الدكتور موسى الموسوي الشيعي في كتابه (الشيعة والتصحيح ص ١٤) ما يلي :

إن فرق الشيعة تأسست بعد الإعلان الرسمي عن غيبة الإمام المهدي عام ٣٢٩ هـ فقد حدثت في التفكير الشيعي أمور غريبة ادعوها بالصراع بين الشيعة والتشيع أو بعهد الانحراف . وكانت أولى هذه الأمور في الانحراف الفكري ظهور الآراء القائلة بأن الخلافة بعد رسول الله ﷺ كانت في علي وبالنص الإلهي . وأن الصحابة ما عدا نفر قليل منهم خالفوا النص الإلهي بانتخابهم أبا بكر . كما ظهرت في الوقت نفسه آراء أخرى تقول : إن الإيمان بالإمامة مكمل للإسلام وحتى أن بعض علماء الشيعة أضاف الإمامة إلى أصول

الدين الثلاثة التي هي التوحيد والنبوة والمعاد . وقال بعضهم : إنها من أصول المذهب وليس من أصول الدين . وظهرت روايات تنقل عن أئمة الشيعة فيها تجريح بالنسبة للخلفاء الراشدين وبعض أزواج النبي ﷺ .

٧ - يكاد يجمع المؤرخون والمختصون بدراسة الفرق أن عبد الله بن سبأ الذي أرسله يهود صنعاء إلى المدينة متلبسًا بلبوس الإسلام ومتبطنًا الكفر أشد الكفر والنقمة على الإسلام والمسلمين هو أول من أسس التشيع الذي فرق بين المسلمين وجماعتهم بترويج العقائد التي تختلف تمامًا عما يعتقده المسلمون . مقتبسًا عن كتاب الله وسنة رسوله وصاية علي وإمامته وخلافته بعد النبي بلا فصل ، وغيبته ورجعته ، وتكفير أبي بكر وعمر وعثمان وإظهار البراءة من أصحاب النبي والمجاهرة بسبهم وشتمهم (أنظر رجال الكشي ص ١٠١ - فرق الشيعة للنوبختي ص ٢١ - ٢٢ المقالات والفرق للقمي) (عن الإسماعيلية ص ٤٠).

فتبرأ سيدنا علي من ابن سبأ ونفاه إلى المدائن على بعض الروايات ثم خلفه في تشيعه وعقائده المختار بن عبيد الثقفي وزاد عليه بأنه يوحى إليه وأنه يعلم الغيب (عن رجال الكشي ص ١٠١ وفرق الشيعة ص ٢١) .

ثم نرى التشيع يتخمر في هند بنت المتكلفة الناعتية وليلى بنت قمامة المزنية اللتين قال فيهما الأعمش شعرًا جاء فيه : وكلهم شر على أن رأسهم : حميدة والبلاء حاضنة الكف إلى أن وصل الأمر إلى المغيرة بن سعيد العجلي وبيان بن سمعان وإلى منصور العجلي الذين كانوا من أصحاب محمد الباقر فاستغلوا صلتهم به وتشيعهم له وهو منهم براء .

ذكر الكشي أن محمد الباقر ذكر عنده المغيرة بن سعيد مما كان يقول في حق آبائه فقال : لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذه والمخاريق . إن المغيرة كذب على أبي فسلبه الله الإيمان وإن قومًا كذبوا علي مالهم ؟ أذاقهم الله حر الحديد فو الله ما نحن إلا عبيد الله الذي خلقنا واصطفانا ما نقدر على ضر أو نفع إن رحمنا فبرحمته وإن عذبنا فبذنوبنا . والله مالنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءات وإنا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون . ويلهم مالهم . لعنهم الله لقد آذوا الله وآذوا رسوله في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسن ومحمد بن علي رضي الله عنهم (رجال الكشي ١٩٦).

ثم ظهر بعدهم أبو الخطاب مؤسس الخطابية والإسماعيلية كما سنرى فيما بعد .

دور الفرس في نشأة الشيعة

ما أن تهاوت الامبراطورية الفارسية أمام عظمة الاسلام الذي فتح قلوب العباد قبل البلاد حتى تظاهر الحاقدون المجوس بالاسلام وراحوا يكيدون للمسلمين ويساهمون في تقويض أركان الاسلام في الخفاء ليسلموا من العقاب.

١ ـ فأيدوا فكرة اليهودي عبد الله بن سبأ في تقديس الامام علي بن أبي طالب وتأليهه ورفع منزلة الامامة على النبوة.

٢ ـ وساهموا في إثارة الفتن بين المسلمين ودفع هرمز أبا لؤلؤة لطعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالخنجر فقضي عليه كما ساهموا في الفتنة الكبرى.

٣ ـ ونشط رواتهم في نقل الاخبار الكاذبة فقد كان لوط بن يحيى المعروف بأبي مخنف أحد رواه الطبري الذي ما أثنى عليه عالم وما روى من الاخبار الا ما هو مفترى.

٤ ـ حجموا الامام الحسن الابن الاكبر للامام علي واعطوا الامامة لأخيه الاصغر الحسين بن علي والسر في ذلك يرجع الى أن الحسين قد تزوج من سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس وكان له منها أولاد أشهرهم علي زين العابدين.

٥ ـ غيبوا آخر أئمتهم في سرداب ليعطوا صلاحياته وصفاته للامام الفقيه وان لم يكن من أهل البيت لكي يمعنوا في تشويه الاسلام بسر الامام المودع في الفقيه .

٦ ـ ولكي لا يتم لقاء بينهم وبين أهل السنة اختلفوا مع جمهور المسلمين في أصلي الاسلام كتاب الله وسنة رسوله. فالعاقلون منهم لم يجرأوا على القول بتحريف القرآن الذي أعلنه المتطرفون. بل لجأوا إلى تأويل معاني آياته بما يخدم فكرة الامامة دون النظر إلى فهم وتفسير صحابة رسول الله ﷺ . ورفضوا من السنة الاحاديث التي ثبتت صحتها بأرقى الطرق العلمية إذا لم يكن رواتها من آل البيت فاذا اختلفوا معنا في فهم كتاب الله وسنة رسوله أصلي الاسلام فماذا بقي لنلتقي عليه وصدق رسول «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما ان تمسكتم بها كتاب الله وسنتي» .

٧ ـ ربوا ابناءهم واتباعهم على كره أبي بكر وعمر وأهل السنة ولكي لا تهدأ نار الحقد خصصوا له يومي تاسوعاء وعاشوراء من كل عام ليشحنوا النفوس بالحقد من جديد وجعلوا له طقوساً يضربون فيه أنفسهم وينوحون ومن قتل فيه نفسه فهو شهيد .

الكتاب الأول

١ ـ الشيعة الاثنا عشرية .

٢ ـ الباطنية والغلاة .

٣ ـ السبئية .

٤ ـ الخطابية وفرقها (المعمرية ـ البزيغية ـ العميرية ـ المفضلية) .

٥ ـ الفرق الغالية (المنصورية ـ المغيرية العلبائية ـ الفرابية ـ الكيالية ـ الهشامية النعمائية ـ البيانية ـ الجناحية ـ الكيسانية ـ المختارية) .

٦ ـ الإسماعيلية .

٧ ـ القرامطة .

٨ ـ إخوان الصفا .

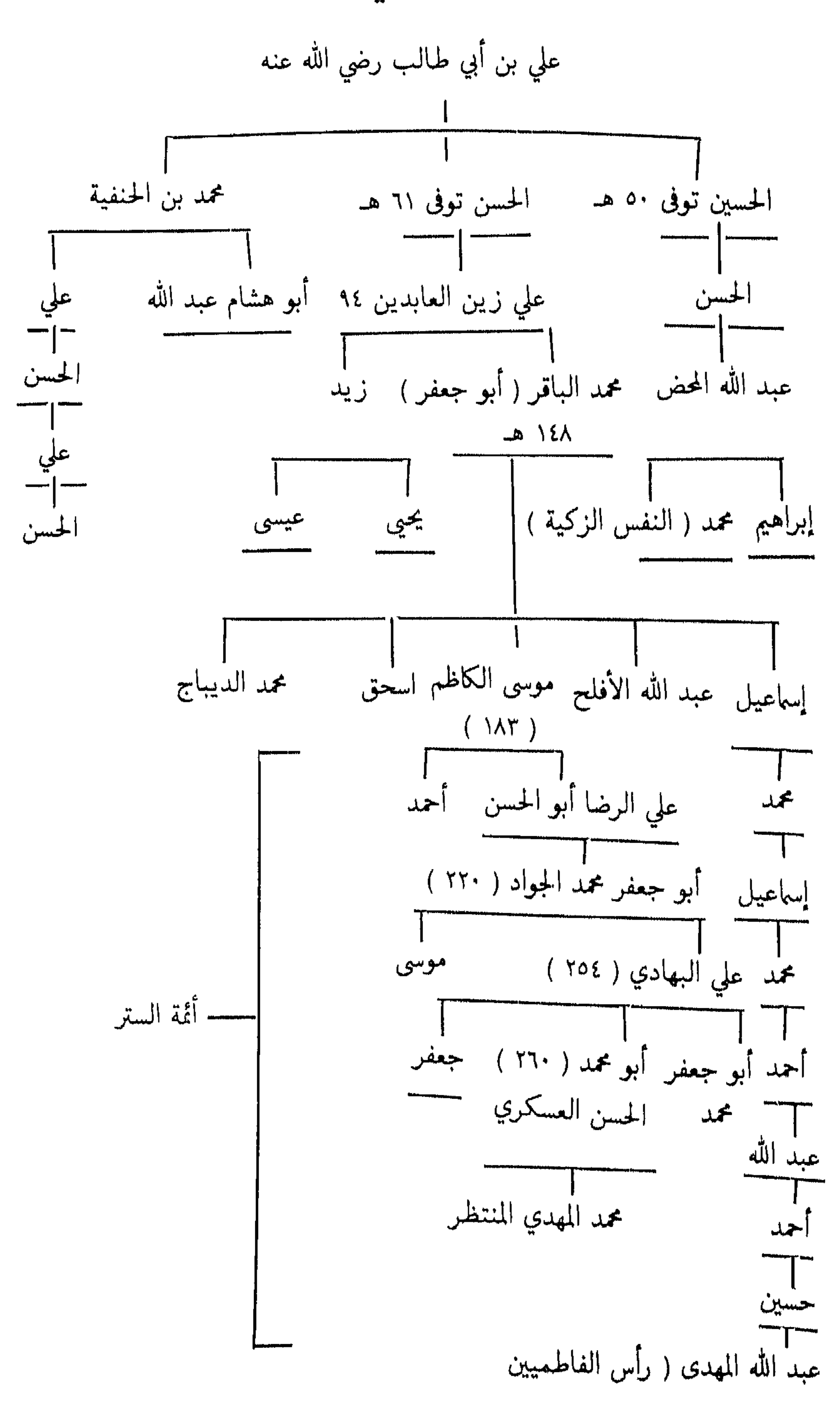
٩ ـ الحشاشون .

١٠ ـ النصيرية .

١١ ـ الدروز .

١٢ ـ اليزيدية عبدة الشيطان .

أئمة الشيعة



علي بن أبي طالب رضي الله عنه
الحسين توفى ٥٠ هـ
الحسن توفى ٦١ هـ
محمد بن الحنفية
الحسن
علي زين العابدين ٩٤
أبو هشام عبد الله
علي
عبد الله المحض
محمد الباقر (أبو جعفر)
زيد
الحسن
١٤٨ هـ
علي
إبراهيم
محمد (النفس الزكية)
يحيي
عيسى
الحسن
إسماعيل
عبد الله الأفلح
موسى الكاظم
اسحق
محمد الديباج
(١٨٣)
محمد
علي الرضا أبو الحسن
أحمد
إسماعيل
أبو جعفر محمد الجواد (٢٢٠)
محمد
علي البهادي (٢٥٤)
موسى
أئمة الستر
أحمد
أبو جعفر
أبو محمد (٢٦٠)
جعفر
محمد
الحسن العسكري
عبد الله
محمد المهدي المنتظر
أحمد
حسين
عبد الله المهدى (رأس الفاطميين

الشيعة (الاثنا عشرية)

من أقدم المذاهب السياسية وترجع إلى صحابة رسول الله ﷺ ، الذين شايعوا وناصروا سيدنا عليًّا رضي الله عنه في خلافة المسلمين لقناعتهم بأحقيته لهذا المنصب الخطير ، وقد ذكر ابن أبي الحديد الشيعي المعتدل أسماء الصحابة الذين فضلوا سيدنا عليًّا للخلافة منهم عمار بن ياسر وأبو أيوب الأنصاري وأبيّ بن كعب وسلمان الفارسي ، وجابر ابن عبد الله وحذيفة وبريدة وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وأبو الهيثم التيهان وأبو الطفيل عامر بن وائلة والعباس وبنو هاشم كافة . والمعتدلون من الشيعة قالوا بأفضلية علي رضي الله عنه ، والمتطرفون قالوا بتقديسه وعصمته وكفّروا من انفض عنه . ويلخص ابن أبي الحديد رأي المعتدلين بقوله في شرح نهج البلاغة: والحاصل أننا لم نجعل بينه وبين النبي ﷺ إلا مرتبة النبوة ، وأعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه ، ولم نطعن في أكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا أنه طعن بهم .

الموطن الذي نشأوا فيه والزمن :

نشأ في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه ولما توفي سيدنا عليّ رضي الله عنه انقسم مشايعوه مذاهب في المغالاة والاعتدال ، وفي كلا الحالين اتسموا بالتعصب الشديد لآل البيت وأن ما حصل من مظالم لأهله في عهد الأمويين كثّر أنصارهم ورفع شأنهم كرد فعل على هذه المظالم . أما موطنهم الأول فكان في العراق لأنه مزدحم الآراء والمعتقدات والبلد الذي أقام فيه سيدنا علي رضي الله عنه فالتفّت حوله القلوب ، والبلد الذي تسلّط على أهله القساة من ولاة الأمويين كالحجاج ، مما دفع الناس إلى تأييد خصومهم من الشيعة .

نظريات في أصل التشيع

يعزو بعض الباحثين أصل الشيعة إلى ديانات وعقائد قديمة غير إسلامية ولكن القول بتأثر بعض فرق الشيعة بعقائد الديانات القديمة يكون أقرب إلى الواقع والاعتدال من اعتبار تلك الديانات أصلاً للتشيع .

١ ـ **التأثر بعقائد الفرس** : لم يعرف الفرس غير مبدأ الوراثة في الحكم فلما توفي رسول الله ﷺ ولم يترك ولدًا اعتبروا عليًّا بن أبي طالب أقرب الناس إليه خلفًا له . وكان

ملوك فارس بنظرهم منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا نقلوا هذا التقديس إلى نسل علي ابن أبي طالب وذريته . فالطاعة المطلقة للإمام الذي من نسل علي كانت واجبا إلاهيًا يقول اوجست ملر : بأن الفرس كانوا تحت تأثير الأفكار الهندية قبل الإسلام يميلون إلى القول بأن الشاهنشاه هو تجسيد لروح الله التي تنتقل في أصلاب الملوك إلى الأبناء .

ويرى دارمستر أن العناصر الفارسية التي اعتنقت الإسلام ظاهريا أدخلت في الإسلام الفكرة الهندية ـ الآرية التي تقول بالعائلة الإلهية المختارة والتي تبلورت في آل البيت .

أما جويدي فيرى أن هذه الأفكار الغالية كانت نتيجة حملة دعائية إيرانية ثنوية منظمة لهدم الإسلام ويعزو المقريزي سبب ذلك إلى حقدهم على المسلمين الذين كانوا سببًا في زوال مجدهم وسلطانهم كما يؤيد ذلك ابن حزم في الفصل ص ٩١ / ٢

٢ ـ **التأثر بعقائد اليهود :** قالت اليهود لا يكون الملك إلا في آل داود وقالت الشيعة لا يكون الملك إلا في آل علي بن أبي طالب . وقالت اليهود لا يكون جهاد مقدس حتى يخرج المسيح المنتظر وقالت الشيعة لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينزل من السماء واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم وكذلك الشيعة (العقد الفريد ص ٣٥٣ / ١) قال بذلك ولهوزن والطبري وابن حزم .

٣ ـ **الأصل النصراني :** عند اليهود والنصارى أن النبي ايليا رفع إلى السماء ولابد أن يعود إلى الأرض لإقامة دعائم العدل وكذا قالت بعض فرق الشيعة بغيبة بعض الأئمة وهم لازالوا ينتظرون عودتهم . قال بذلك المستشرقون كولد زيهر و فريد لندر .

٤ ـ **الأصل العربي :** رجال الشيعة الأوائل كانوا من عرب اليمن الجنوبيين وكانت اليمن أرض سلالات الملوك الذين يتوارثون الحكم . ويتصفون بصفات روحية لذا تأثر هؤلاء بأجدادهم الذين اعتادوا تقديس الملوك . قال بذلك منتكمري واط في مقالته .

مذهب الشيعة الإمامية

الإمامة لغة التقدم ، تقول أمَّ القوم وأمّ بهم أي تقدمهم . والإمام من ائتم به الناس من رئيس وغيره هاديًا كان أم ضالاً . ويطلق على الخليفة وعلى الإمام في الصلاة قال تعالى :

﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ﴾ [١] .

﴿ قال إني جاعلك للناس إمامًا ﴾ [٢] .

﴿ فقاتلوا أئمة الكفر ﴾ [٣] .

﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ﴾ [٤] .

بعد وفاة رسول الله ﷺ بايع المسلمون أبا بكر الصديق رضي الله عنه إمامًا لهم وخليفة لرسول الله ﷺ ، وقبيل وفاة الصديق استشار أهل الحل والعقد في خلافة عمر ابن الخطاب فأجمعوا عليه ، ولما توفي الصديق بايع المسلمون عمر بن الخطاب ولم يشذ عن هذه البيعة إلا سعد بن عبادة . ثم أناط عمر بن الخطاب مهمة اختيار خلف له بستة من أهل الحل والعقد هم الإمام علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة ابن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وكبيرهم عبد الرحمن بن عوف ، وكان الاتفاق على بيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ولما وقعت الفتنة واستشهد عثمان بن عفان التفت المسلمون حول علي بن أبي طالب والتحق آخرون بمعاوية بن أبي سفيان ، وانتهى الأمر إلى التحكيم وكانت نتيجة التحكيم أن أفسده دعاة الفتنة ، فانقسم المسلمون إلى ثلاثة أقسام قسم شايعوا الإمام عليًا وناصروه ، فسُموا بالشيعة ، وقسم بايع معاوية بن أبي سفيان ، وقسم خرج عن الطرفين فسُموا بالخوارج .

وللخوارج رأي في الإمامة ، وهو أن الإمام لا يكون إلا بانتخاب حر من المسلمين ، وإذا تم اختياره فلا يصح له أن يتنازل عن الإمامة ما دام قائمًا بالعدل مجتنبًا للجور ، وإذا خرج عنه أحد وجبت محاربته وإقصاؤه ، وقد تطرف بعضهم فقال بعدم وجوب الإمامة ؛ كفرقة النجدات ومنهم من قال بجواز إمامة المرأة إذا استطاعت القيام بأمورهم وتصريفها بشئونهم كالشبيبية الذين زعموا أن غزالة أم شبيب كانت إمامة لهم بعد مقتل ابنها شبيب إلى أن قتلت .

---

(١) الأنبياء : ٧٣ .

(٢) البقرة : ١٢٤ .

(٣) التوبة : ١٢ .

(٤) القصص : ٤١ .

والشيعة على اختلاف فرقهم يرون وجوب وجود إمـام لهم ، ولكن رأيهم في الإمـامـة يختلف عن رأي جمهور المسلمين .

فقد ذهبت فرقة منهم إلى أن الإمامة لا تجوز إلا في أبناء فاطمة رضي الله عنها .

وذهبت الشيعة الإمامية إلى أن الإمامة منصب إلهي يختار الله له مَنْ يعلمه ، ويـأمر نبيه أن يدل الأمة عليه ، ويقولون إن الله تعالى أمر نبيـه أن ينص على تنصيب علي بن أبي طالب إمامًـا للمسلمين من بعـده ولكن المسلمين لم يتبعوا أمر الله بـإمـامـة علي فتركوا بذلك ركنًا من أركان الدين ، كما يرون أن الإمامـة انتقلت إلى الحسن فـالحسين ثم لزين العابدين ثم لمحمد الباقر ثم لجعفر الصادق وهنا انقسمت الإمامية إلى قسمين :

١ ـ **الجعفرية الاثنا عشرية** : نقلوا الخلافة بعد جعفر الصـادق إلى ابنـه موسى الكاظم فعليّ الرضا ثم إلى محمد الجواد ثم إلى عليّ الهادي ثم إلى الحسن العسكري ثم إلى محمـد المهـدي وهو قائم الأئمة الاثنى عشر الذي اختفى سنة ٢٦٠ هـ ويعتقدون أنه سيظهر ويملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جورًا ولا يزالون بانتظاره حتى قيام الساعة .

٢ ـ **الإسماعيلية** : جعلوا الإمامة بعد جعفر الصادق لابنـه إسماعيل الابن الأكبر الـذي نصّبه والده قبل وفاته غير أن إسماعيل توفي قبل والده جعفر الصادق ، فنقلوا الإمامة إلى محمد المكتوم بن إسماعيل والذي قالوا برجعته بعد غيبته ، ومنهم من ساق الإمامـة في أئمـة مستورين فقالوا لن تخلـو الأرض قط من إمام حي قائم إما ظاهر مكشوف وإمـا بـاطن مستور .

أما أقربهم إلى جمهور المسلمين فهم الزيدية الـذين يسكنون اليمن وهم أتبـاع زيـد بن عليّ بن الحسين ، أما مذهب الإمام زيد في الإمامـة فهو جواز إمـامـة المفضول مع وجود الأفضل ؛ فـالإمـام عليّ بنظره أفضـل الصحـابـة ولكن مصلحـة المسلمين في ذلـك الـوقت اقتضت أن يكون الخليفة متقدمًـا في السن متـئـدًا فكان أبـا بكر الصـديق ، فلمـا سمعت الشيعـة في الكوفـة كلامـه عرفت أنـه لا يبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر فرفضوه وانفضوا عنه ، فسّموا منذ ذلك الوقت بالرافضة .

الأسس التي يبنون عليها تصورهم في الإمامة :

يعتقد الجعفريون أن الإمامة كالنبوة باستثناء الوحي تقوم وهي على الأسس التالية :

١ ـ الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها ، ويدعمون رأيهم هذا بما نسب لأبي جعفر أنه قال :بُني الإسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية . ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية ـ يعني الإمامة ـ فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه ـ يعني الولاية ـ (١١ من الكافي للكليني أشهر كتبهم) ، وفي ذلك تعريض بأهل السنة الذين لم يأخذوا بالولاية بمفهومها عند الشيعة .

قال محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه في النجف الأشرف ما يلي : « نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين ؛ بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة » (عن عقائد الإمامية ٤٩) .

٢ ـ لابد لكل عصر من إمام هادٍ يخلف النبي في وظيفته في هداية البشر ، لما فيه سعادتهم في الدارين ، ولإقامة العدل فيما بينهم ، وعلى هذا فالإمامة استمرار للنبوة وهي إما بالنص وتكون بتعيين الإمام خَلَفه من بعده . جاء في كتاب أصل الشيعة لمحمد حسين آل كاشف الغطاء : فكذلك يختار الله للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه إمامًا للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها ، وإما بالوصف كما ترى الجارودية من الزيدية بأن الإمامة شورى ما عقدها اثنان من أخيار الأمة لمن يصلح لها فهو إمام في الحقيقة ، لقد كانت الإمامة وظيفة تنفيذية لا تشريعية لقوله تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ فقلبها ابن سبأ رأسًا على عقب حين جعلها أمرًا إلاهيا بالوصية والتعيين والوحي .

٣ ـ الإمام كالنبي في عصمته وصفاته وعلمه منذ صغره وفي كبره ، وهو معصوم من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن عمدًا أو سهوًا ؛ لذا فيجب أن يكون أفضل الناس وأكملهم وأشجعهم وأعلمهم فهو يتلقى العلم عن النبي أو عن الإمام الذي سبقه أو عن طريق الإلهام في الأمور المستجدة حسب ما روي في الكافي . وذهب بعضهم إلى أن أحد الملائكة كان مكلفًا بتسديد تصرفات الرسول الأمين فلما توفي استمرت مهمة الملك

بتصـويب خطى الإمـام من بعـده (عن أحكام الكافي ١ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤) قـال الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية ص ٩١ : (نحن نعتقـد أن المنصب الـذي منحـه الأئمـة للفقهـاء لا يزال محفوظًا لأن الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة . نعتقـد فيهم الإحـاطـة بكل ما فيه مصلحة المسلمين) ، فالإمـام بنظرهم فوق النبي لأن النبي قـد ينسى في بعض الأحيـان أما الإمـام فلا ينسى ولا يخطئ وهـو منـذ ولادتـه جـامـع لكل العلـوم . وفي الأصول من الكافي ينسبون إلى أبي عبـد الله قولـه : إن لله تبـارك وتعـالى عِلْمَين : علمٌ أظهر عليه ملائكته وأنبياءه فقد علمناه . وعلمٌ استـأثر بـه ، فـإذا بـدا لله في شيء منـه أعلمنا ذلك وعرضه على الأئمة الذين كانوا قبلنا) أي أن هناك علمًا خفيًا أطلع الله عليـه الأئمة ولم يطلع عليه الرسل .

٤ ـ الأئمة هم أولوا الأمر الـذين أمر الله بطـاعتهم وهم شهـداء على النـاس وأبواب الله والسبيـل إليـه والأدلاء عليـه ، أمرهم أمر الله ونهيهم نهيـه وطـاعتهم طـاعتـه ومعصيتهم معصيتـه . لا يجوز الرد عليهم فـالراد عليهم كالراد على الرسول والراد على الرسـول كالراد على الله تعالى فيجب التسليم لهم والانقياد لأمرهم والأخـذ بقولهم ،(عن عقـائـد الإمـاميـة ٥٤ ـ ٥٥) ، والأحكام الشرعية لا تؤخذ إلا عن أئمتهم ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم ولا يطمئن إلى أنه قد أدى ما عليـه من التكاليف المفروضـة إلا عن طريقهم ، إنهم كسفينة نوح من ركبهـا نجـا ومن تخلّف عنهـا غرق في هـذا البحر المـائج الزاخر بـأمواج الشبه والضلالات والادعاءات والمنازعات ، (عقائد الإماميـة ص ٥٥) لـذا : فصلاة أهل السنة وعباداتهم غير مقبولة لأنها مأخوذة عن غير طريق أئمة الشيعة .

٥ ـ لا تكون الإمامة إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله أو على لسـان الإمـام المنصوب إذا أراد أن ينص على إمام بعده ، وليس للناس حق التـدخل في تعيينـه ؛ لأن الذي له من نفسه القدسية استعداد لتحمل أعباء الإمامة العـامـة فيجب أن لا يعرف إلا بتعريف الله لـه ولا يُعيَّن إلا بتعيين الله له . ويعتقـدون أن الرسول ﷺ عيَّن عليًـا من بعده إمامًا ويستشهدون على ذلك بما يلي :

أ ـ حـديث غـديرخم والـذي ورد فيـه « من كنت مولاه فعليّ مـولاه اللهم وال من والاه وعـاد من عـاداه إلى آخره » ففهمـوا من ذلـك أن عليًـا هـو القـائم مقـام النبي بعـد موته .

ولكلمة الولاية عدة مدلولات ، فهي تدل على ولي الأمر وعلى الناصر والمؤيد وعلى الحليف ، ومفهوم حديث القدس من كنت عنده بمنزلة الولي الموثوق المطاع فليثق بعليّ وليحبه كمحبتي ولينتصر له وليؤيده نظرًا لما يتمتع به من إخلاص وفهم للشرع واستقامة على الحق . ولا خلاف بين أهل السنة على صلاح سيدنا عليّ وصدقه وإخلاصه ولكن ذلك لا يفيد توليه الإمامة بعد الرسول ولو فهم سيدنا علي هذا الفهم لأعلنه في السقيفة يوم انتخاب أبي بكر الصديق ولاحتج به ولوجب عليه الامتناع عن بيعته لوجود نص لديه ، ولكن انتخابه رضي الله عنه لأبي بكر وعمر وعثمان لدليل قاطع على أن المعنى الذي فهمه شيعته لم يخطر على باله ولا بال أنصاره .

ب ـ اختلق بعض المتطرفين أحاديث يدللون بها على إمامة سيدنا عليّ رضي الله عنه ، فقد ورد في كتاب المراجعات حديث نسبه عبد الغفار بن القاسم أبو مريم إلى رسول الله ﷺ يرشح فيه عليًا للإمامة فيقول : « إن هذا أخي ووصيتي وخليفتي فيكم فاسمعوا وأطيعوا » وقد خرّج ابن كثير هذا الحديث فقال فيه : تفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم ، وهو كذاب شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الباقون .

أخرج محمد بن حميد الرازي في المراجعات عن مسلمة بن الأبرش عن ابن إسحاق عن ابن ربيعة عن ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « لكل نبي وصي ووارث وإن وصيي ووارثي عليّ بن أبي طالب » ، قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٣ / ٥٣٠ : وهو ضعيف ، قال ابن شيبة : كثير المناكير ، وقال البخاري : فيه نظر ، وكذبه أبو زرعة . قال الرازي : عندي خمسون ألف حديث عن ابن حميد ولا أحدث عنه بحرف ، وقال عليّ بن مهران : أشهد أنه كذاب قال النسائي ليس بثقة .

جـ ـ استشهادهم بمآثر الإمام علي وباختياره وصيًا للنبي بعد وفاته واختياره ليحمل الراية يوم خيبر واختياره لينام مكان الرسول الكريم يوم الهجرة وتأميره على المدينة في غزوة تبوك . كل ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على مناقبه ومكانته في هذا الدين ، والمسلمون مجمعون على صلاحه رضي الله عنه ، وصلاحه لا يعني أن غيره من الصحابة ليس صالحًا فلو جمعنا مناقب الصديق رضي الله عنه لوجدنا منها الكثير مثل اختياره ليصحب الرسول في الهجرة واختياره أميرًا للحج الأكبر واختياره ليصلي بالناس إمامًا في

غيبة الرسول ﷺ كل هذا لا ينقص كذلك من قدر غيره من الصحابة . ولا دخل له بتولية أحد منهم إمامًا على المسلمين .

أما تأميره على المدينة يوم غزوة خيبر فقد أبقاه الرسول ليشرف على زوجته المريضة ولما سعى المنافقون بالفتنة قالوا لقد قلىٰ محمد عليًا فلحق عليّ بالرسول ، وقال له أتتركني مع الأخلاف ، فقال الرسول الكريم : « ألا ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي » يريد بذلك أن يشد عضده بأقرب الناس إليه ، وأنه لم يتركه بغضًا له ومقتًا . وذكّره أن لا نبي بعدي : أي أنه لم يتركه كذلك ليخلفه في نبوته فكما أن موسى لم يترك الخلافة من بعده لأخيه هارون الذي توفي قبله فكذلك محمد بن عبد الله لم يوص بها لأحد بعده .

كل ما أوردوه من أدلة لا تصلح أن يحتج بها لوهنها ولوجود أدلة صحيحة على خلافها مثل :

أ ـ لوكان لدى الإمام عليّ دليل واحد على الوصاية له لاستشهد به حين انتخاب الصديق رضي الله عنه .

ب ـ لو أن الرسول أوصىٰ له بالخلافة من بعده لما جاز له أن يضرب بقول الرسول عرض الحائط ويتقدم لانتخاب الصديق وصاحبيه عمر وعثمان .

جـ ـ حين مرض الرسول مرض الموت عرف ذلك سيدنا عليّ في وجهه ، ونقل مطالعته إلى العباس فأشار عليه العباس ، أن يسأل الرسول ﷺ أين يجعل هذا الأمر ، هل في أقاربه أم في غيرهم ، فأجابه سيدنا عليّ رضي الله عنه : « والله لو منعنا إياها لا يعطينا الناس إياها أبدًا ، فو الله لا أسأله » رواه أحمد ، فلو فهم عليّ ما فهمه الشيعة من الوصايا له لما أجاب العباس هذا الجواب بل لأخذه إلى الرسول وأشهد المسلمين على الوصاية له .

د ـ روى الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن أبي الطفيل قال : سئل عليّ : هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء فقال : « ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعم الناس به كافة » .

٦ ـ غيبة الإمام وقيام الفقيه بمهمته حتى يرجع ، يعتقد الشيعة أن الإمام الطفل محمد

ابن الحسن مازال حيًّا حتى اليوم ، وأنه لم يمت ، بل غاب غيبتين غيبة صغرى ، وغيبة كبرى ، وهم بانتظار عودته قال الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية ص ٤٦ : وقد مر على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي أكثر من ألف عام وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر . ورد في الأصول من الكافي ١ / ٣٣٦ ويروي عن أبي عبد الله جعفر قوله : « أما والله ليغيبن إمامكم سنين من دهركم ولتمحصن حتى يقال : مات ـ قتل ـ هلك » وعن كتاب علل الشرائع ص ٢٤٣ أن رسول الله ﷺ قال : لابد للغلام من غيبة فقيل له ولِمَ يا رسول الله قال يخاف القتل .

وفكرة الغيبة والرجعة وضعها لهم ابن سبأ كما يقول الإمام الطبري (وضعها لهم فتكلموا فيها) ليمهد الطريق لبدعة الإمامة . أما الهدف الماكر من ورائها فلكي يجمد نشاط المسلمين في كل شيء ويحسر دعوتهم ويوقف جهادهم ويجعلهم في موقف الانتظار ريثما يحضر الإمام المنتظر فيملأ الأرض عدلاً .

والذي ينكر الغيبة في عقيدتهم كافر ولا فرق بينه وبين من ينكر رسالة الرسول أو من ينكر الإمام القائم ويزعمون أن الرسول ﷺ قال : من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني . عن إكمال الدين وإتمام النعمة ص ٣٩٠ يقول الخميني في كتاب الحكومة الإسلامية ص ٧٠ ما يلي :ـ فالفقهاء العدول هم وحدهم المؤهلون لتنفيذ أحكام الإسلام وإقرار نظمه وإقامة حدود الله وحراسة ثغور المسلمين وعلى كل فقد فوض إليهم الأنبياء (للفقهاء) جميع ما فُوض إليهم وائتمنوهم على ما ائتمنوهم عليه . وقال في صفحة ٧٦ : وقد حصر الإمام عليّ القضاء بمن كان نبيًّا أو وصي نبي . وبما أن الفقيه ليس نبيًّا فهو إذن وصي نبي . وفي عصر الغيبة يكون هو إمام المسلمين وقائدهم والقاضي بينهم بالقسط دون سواه .

٧ ـ الرجعة : يعتقد الشيعة أن الإمام محمد بن الحسن العسكري هو إمام الزمان وأنه ما زال حيًّا وسيعود في آخر الزمان فيملأ الأرض نورًا وعدلاً . وسيحيي الله له جميع حكام المسلمين ويحاكمهم ويقتص منهم لاغتصابهم الحكم . جاء في كتاب عقائد الإمامية ص ٦٧ ما نصه : إن الذي تذهب إليه الإمامية أخذًا بما جاء عن آل البيت أن الله تعالى يعيد قومًا من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها . فيعز فريقًا ويذل فريقًا آخر ويدين المحقين من المبطلين والمظلومين من الظالمين ، وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه

وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

٨ ـ الإمام عندهم هو القرآن الناطق ، والقرآن الكريم هو القرآن الصامت . لذا فلابد من الرجوع إلى القرآن الناطق وهو الإمام ليوضح مراد الله تعالى . ولهذا قال الإخباريون لا يجوز العمل بظاهر القرآن ، أما الأصوليون فقالوا يمنع العمل بظاهر القرآن إلا بعد الرجوع إلى أقوال الأئمة . لأن في الكتاب المجيد والسنة المطهرة عامًا وخاصًا ومطلقًا ومقيدًا وهذه الأمور لا تعرف إلا عن طريق الأئمة من آل البيت ، والسنة عندهم تتسع لتشمل أقوال أئمتهم ، وهم مجمعون على الأخذ بكلام أئمتهم مُخصصًا لعموم القرآن ، ومقيدًا لإطلاقه ، ومنهم من قال إن المخصصات ناسخة لحكم العموميات القرآنية لاحتمال أن يكون الرسول قد ترك حكم النسخ إلى الوصي والوصي قد تركه للآخر وهكذا . وهذا ما يتناقض مع قوله تعالى ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾ ومنهم من يرى أنها مخصصات حقيقية ولا يضر تأخيرها إذا كان هنالك مصلحة في التأخير .

ويرد على هذه الفكرة الدكتور موسى الموسوي الشيعي في كتابه الشيعة والتصحيح ص ١٩ فيقول :

الإمام على رضي الله عنه كان يقول : إنه لا نص عليه من السماء . وكذا صحابته الذين عاصروه كانوا يعتقدون ذلك . واستمر هذا الاعتقاد حتى عصر الغيبة الكبرى وهو العصر الذي حدث فيه التغيير في عقائد الشيعة وقلبها رأسًا على عقب .

وينقل في صفحة ٢٠ نصًا من نهج البلاغة جـ ٣ ص ٧ يقول فيه علي رضي الله عنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد ، وفي ذلك رد على من يقول بأن الإمامة اغتصبت من علي رضي الله عنه وفي ص ٣٠ يقول : وبعد كل ما أثبتناه فإن وجود نص إلهي في موضوع الخلافة يصطدم بخمس عقبات رئيسية كل واحدة منها تكفي لهدم الفكرة من أساسها هي :

١ ـ صحابة الرسول ﷺ وموقفهم من الخلافة (يعني لو كان هناك نص لعلي لبايعوه)

٢ ـ أقوال الإمام في الخلافة (لم يدعيها لنفسه) ولو ادعاها لما اختاروا أبا بكر لها .

٣ ـ بيعة الإمام على للخلفاء من قبله يعني إعطاء الشرعية لخلافتهم الراشدة .

٤ ـ أقوال الإمام علي في الخلفاء الراشدين والثناء عليهم ودعمه لهم يبطل ادعاءهم .

٥ ـ أقوال أئمة الشيعة في الخلفاء الراشدين والثناء عليهم وإقرار شرعيتهم .

العصمة

وتشمل عصمة الأنبياء وعصمة الأئمة . والعصمة على ضروب منها العصمة في الاعتقاد والعصمة في الأفعال والعصمة في التبليغ والعصمة في القضاء .

والعصمة لغة : المنع وعصمة الله لعبده تكون بأن يعصمه مما يوبقه وعصمه يعصمه عصمًا منعه ووقاه . واعتصم فلان بالله : إذا امتنع به ، والعصمة : الحفظ ، يقال عصمته فانعصم واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه عن المعصية .

ولقد اختلفت وجهات نظر المتكلمين في العصمة . فهي عند الأشاعرة : أن لا يخلق الله في العبد ذنبًا ، لإسنادهم الأشياء إلى فاعلها . وقيل هي خلق قدرة الطاعة في الإنسان كما ورد في لسان العرب لابن منظور .

وهي عند المعتزلة والشيعة الإمامية : (لطف البهي يضعه بالمعصوم فيمتنع عن فعله من القبيح اختيارًا ، فلا يقدم على المعصية شريطة أن لا ينتهي فعل ذلك الأمر إلى حد الإلجاء) عن المغني في أبواب العدل والتوحيد ص ١٣ .

أصناف العصمة :ـ

١ ـ **العصمة في الاعتقاد** : لقد أجمعت المعتزلة على وجوب تنزيه الأنبياء قبل البعثة وبعدها عن الكفر عمدًا أو سهوًا لئلا يكون أثرهم ضعيفًا حين دعوة الناس . وقال الخوارج بجواز بعثة نبي كان كافرًا قبل بعثته .

٢ ـ **العصمة في الأفعال** : قال المعتزلة بامتناع وقوع الكبائر من الأنبياء أصلاً واختلفوا في وقوع الصغائر منهم .

أما فقهاء أهل السنة فيقول القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره ص ٢٩٣ قال جمهور الفقهاء من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي رحمهم الله تعالى : (إنهم معصومون من

الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها ، لأننا أمرنا باتباعهم في أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمرًا مطلقًا من غير التزام قرينة ، فلو جوّزنا عليهم الصغائر لم يكن الاقتداء بهم) .

٣ ـ **العصمة في التبليغ** : أجمع الفقهاء على عصمة الأنبياء في التبليغ واعتبروه ركن عقيدة ثابتًا ، يجب الاعتقاد به ؛ لأن من مستلزمات الإيمان بالأنبياء الاعتقاد بعصمتهم من الخطأ في التبليغ أو التبديل أو التحريف أو الكتمان ، لأن ذلك يقتضي دلالة العجز على صدقهم كما يقول ابن حزم .

٤ ـ **العصمة في القضاء** : فإن كانت في التشريع العام فلا يجوز الخطأ فيها مطلقًا ، وإن كان في قضايا شخصية واجتهد فيها حسب ما سمع من بينات فقد يخطئ ويصيب لأن الفتوى على قدر النص .

العصمة في نظر الشيعة الاثنى عشرية :

عصمة الإمام في نظر الشيعة يقصد بها غرضين أساسيين :

١ ـ أن الإمامة ليست من المصالح الدنيوية التي تفوض إلى نظر الأمة ، يتعين القائم (الإمام) بتعيينهم ؛ بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفالها ولا تفويضها للأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم . (التمهيد للباقلاني ص ١١٥) .

وما دامت الإمامة قضية دينية وجب أن تكون بالنص والتعيين من معصوم ـ يؤمن عدم وقوعه في الخطأ ـ ولما كانت العصمة صفة لا تعرف إلا عن طريق الوحي والإلهام الموجب للعلم اليقيني ، فقد صار أمر تعيين الإمام مهمة النبي المعصوم أو من ينوب عنه يعني الإمام المعصوم .

٢ ـ وهذا المنطق يقتضي إبطال خلافة من سبق سيدنا عليًا في مقام الإمامة باعتبار أن الخلفاء الراشدين غير مجمع على عصمتهم لذا فهم بنظر الشيعة غير مؤهلين لإشغال هذا المنصب الديني الذي هو ركن الدين وقاعدته .

هذه الأهمية المزدوجة دفعت متكلمة الشيعة لجمع كافة الحجج الممكنة لدعمها وتأييدها وحمايتها ، فأخذوا رأي المعتزلة كالقول باللطف وفعل الله الأصلح للعباد لتدعيم عصمة الأئمة . ولهذا فقد أجمع علماء الشيعة على عصمة الأئمة وأنهم مطهرون من كل دنس وأنهم لا

يذنبون ذنبًا كبيرًا أو صغيرًا ، موصوفون بالكمال والتمام والعلم في كل أمورهم ولا يوصفون بنقص أو جهل ، ولم يشذ عن هذا الرأى سوى ابن بابويه القمي الذي قال بجواز صدور الخطأ عن الإمام سهوًا .

يقول الدكتور موسى الموسوي الشيعي في كتابه الشيعة والتصحيح ص ٨١ ـ ٨٢ ما يلي :

إن العصمة التي نسبت إلى الأئمة كان الغرض منها تثبيت الروايات الكاذبة التي تتنافى مع العقل والمنطق والتي نسبت إلى الإمام كي يُسد باب النقاش في محتواها على العقلاء والأذكياء ، ويرغم الناس على قبولها لأنها صدرت عن معصوم لا يخطئ .

ولكن العصمة في حقيقة حالها إنما هي تنقيص من حق الإمام (من قدره) لا مدح فيه لأن تفسير العصمة بالمفهوم الشيعي تعني أن الأئمة منذ ولادتهم وحتى وفاتهم لم يرتكبوا معصية بإرادة الله . وهذا يعني فقدانهم الإرادة في تفضيل الخير على الشر . ولست أدري أية فضيلة تكتب للمرء عند الله إذا لم يستطع القيام بعمل الشر بسبب إرادة خارجية عن ذاته . نعم إذا كانت العصمة تعني أن الأئمة مع القدرة على الإتيان بالمعاصي لم يأتوا بها لعلو في نفوسهم وملكة قوية في أخلاقهم وحاجز يحجزهم عن معصية الله . فهذا كلام معقول يتلاءم مع المنطق والعقل ولكن هذه الحالة لا نستطيع أن نقول إنها خاصة لأئمتنا فقط بل إنها صفة يستطيع كل إنسان أن يتصف بها إذا التزم حدود الله وأطاع أوامره وانتهى عن نواهيه وقد جاء في الحديث : « إن الله خلق الإنسان وركب فيه العقل والشهوة وخلق الملائكة وركب فيها العقل وخلق البهائم وركب فيها الشهوة فمن غلب عقله على شهوته فهو أعلى من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو أدنى من البهائم » إن هذه المرتبة الإنسانية الكبرى التي أنعم الله بها على الأئمة وعلى عباده الصالحين حيث بلغوا مرتبة أعلى من مرتبة الملائكة تغنيهم ورب الكعبة من أن ننسج حولهم الخزعبلات ما تضحك الثكلى .

ما هي الفضيلة في اقتباس العلوم بلا جهد ومثابرة . وأدهى من ذلك أن بعض علمائنا ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، وقالوا إن الإمام يعلم كل شيء وله معرفة بكل العلوم والفنون ولست أدري ما هي الفضيلة بأن يكون الإمام مهندسًا أو ميكانيكيًا أو عالمًا باللغة اليابانية . إن الفضيلة أن يكون فقيهًا ورعًا وعالمًا ربانيًا في شئون الدين ثم إذا

كان القرآن يقول في رسوله : ﴿ **قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ (الإسراء : ٨٥) . ويغض عنه علم الغيب ﴿ **قل لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير** ﴾ (الأعراف : ١٨٨) . فكيف نسوغ لأنفسنا أن ننسب لأئمتنا صفات تعلو صفات رسول الله ﷺ ؟

منزلة الإمام عند الشيعة

١ ـ الإمام هو المشرع : يقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في كتابه أصل الشيعة ص ٢٩ (يعتقد الإمامية أن لله تعالى في كل واقعة حكمًا . وما من عمل من أعمال المكلفين إلا ولله فيه حكم من الأحكام الخمسة ـ الوجوب والحرمة والكراهة والندب والإباحة . وقد أودع الله سبحانه وتعالى جميع تلك الأحكام عند نبيه خاتم الأنبياء وعرفها النبي بالوحي من الله أو بالإلهام وبيَّن كثيرًا منها . وبالأخص لأصحابه الحافين به الطائفين كل يوم بعرش حضوره ليكونوا هم المبلغين لسائر المسلمين في الآفاق ﴿ **لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا** ﴾ وبقيت أحكام كثيرة لم تحصل البواعث لقيامها وإن حكمة التدرج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة ولكنه سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه كل وصي يعهد بها إلى الآخر لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة ؛ من عام مخصص أو مكلف مقيد أو مجمل مبين إلى أمثال ذلك فقد يذكر النبي لفظًا عامًّا ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته . وربما لا يذكره أصلاً بل يودعه عند وصيه إلى وقته . مما تقدم نستخلص ما يلي :

ا ـ أن الأئمة هم الأوصياء استودعهم النبي على أسرار الشريعة ، وأن الرسول ﷺ ما بيّنها كلها بل بيَّن بعضها ، فبيَّن الأحكام التي يتطلبها العصر ، وترك للأئمة بيان ما يقتضيه عصرهم .

ب ـ وأن ما يقوله الأئمة الأوصياء شرع لأنه تتيم للرسالة وهو بمنزلة كلام النبي لأنه أودعهم إياها .

جـ ـ أن للأئمة أن يخصصوا النصوص العامة ويقيدوا النصوص المطلقة .

٢ ـ والإمام معصوم عن الخطأ والنسيان والمعاصي في الظاهر والباطن فهو طاهر مطهر بإجماع الإمامية . قال الشريف المرتضى في كتابه الشافي ص ٤٠ ما يلي :

(قد ثبت عندنا وعند مخالفينا أنه لابد من إمام في الشريعة يقوم بالحدود وتنفيذ الأحكام ، وإذا ثبت ذلك وجبت عصمته ؛ لأنه لو لم يكن معصومًا وهو إمام - فيما قام به من الدين - لجاز وقوع الخطأ منه في الدين ، ولكنا إذا وقع الخطأ منه مأمورون باتباعه فيه ، والاقتداء به في فعله وهذا يؤدي إلى أن نكون مأمورين بالقبيح على وجه من الوجوه ولذا وجبت عصمة من أُمرنا باتباعه والاقتداء به في الدين) وتدليلاً على عصمة الظاهر والباطن - يقول في ص ٣١٩ ما يلي :

(إنه لا يليق بالحكيم تعالى أن يولي الأمانة التي تقتضي التعظيم والتبجيل من يجوز أن يكون مستحقًا اللعنة والبراءة في باطنه) .

٣ - والإمام يجوز أن تجري المعجزات على يديه : يقول الطوسي في تلخيص الشافي ص ٣١٠ : (العلم بالإمام قد يكون بالنص تارة وبالمعجزة أخرى فمتى نقل الناقلون النص عليه من وجه يقطع العذر فقد حصل الغرض ومتى لم ينقلوه وأعرضوا عنه وعدلوا إلى غيره فإنه يجب أن يظهر الله تعالى على يديه علمًا معجزًا يبينه عن غيره ويميزه عن عداه . ليتمكن الناس من العلم به والتمييز بينه وبين غيره) .

٤ - الإمام عند الإمامية قد أحاط بكل شيء علمًا لدنيًّا من رسول الله ﷺ ليكفل بيان الشريعة يقول الطوسي : قد ثبت أن الإمام إمام في سائر الدين ومتولٍ الحكم في جميعه جليله ودقيقه ظاهره وغامضه وليس يجوز إلا أن يكون عالمًا بجميع الأحكام .

٥ - والإمام إما ظاهر أو مستور لأن وجوده ضروري لبيان الشريعة ولصيانتها من الضياع والتحريف فهو حجة الله القائمة إلى يوم القيامة ، ينسبون للإمام عليّ رضي الله عنه : (لايخلو وجه الأرض من قائم لله بحجة إما خفيًا معمورًا وإما ظاهرًا مستورًا) والوصي عندهم هو القائم بحجة الله وأنه بعصمته التي توجب طاعته والاقتداء به يكون الدين محفوظًا إلى يوم القيامة . فأهل الأديان اجتمعوا على ضلالة لعدم وجود المعصوم عندهم والخلاصة : فالوصي عندهم لا يفترق عن النبي إلا بشيء واحد وهو أنه لا يوحى إليه.

وسائل المتطرفين من الشيعة في تدعيم وجهة نظرهم في الإمامة :

يسعى المتطرفون من الشيعة إلى تدعيم وجهة نظرهم في الإمامة التي تعتبر بحق الفكرة الرئيسية التي تفرق بينهم وبين جمهور المسلمين كما تعتبر العقبة الرئيسية التي تحول

دون توحدهم مع المسلمين ونظرًا لوهن أدلتهم في تدعيم هذه الفكرة فقد لجأوا إلى أساليب مختلفة لتدعيمها وإليكم بعض هذه الأساليب :

أولاً - تأويل بعض آيات القرآن الكريم : ليس في القرآن الكريم نص ظاهر يؤيد ما ذهب إليه الشيعة الجعفرية في الإمامة مما ألجأ المتطرفين منهم إلى تأويل بعض آيات القرآن وإخراجها عن المعنى الدال عليها إلى معنى بعيد يدللون به على وجهة نظرهم في الإمامة وإليكم بعض هذه الأمثلة :

ففي الآية الكريمة : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾ (المائدة : ٥٥) . يفسرها إسماعيل بن إسرائيل عن أيوب بن سويد بقوله : إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا يعني عليّ بن أبي طالب حصرًا . أما أيوب فضعفه الإمام أحمد وابن معين . فالرواية إذًا ضعيفة السند . ولقد فسرها ابن كثير بقوله : ليس اليهود بأوليائكم بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين وهذا ما ينسجم مع قوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض** ﴾ (المائدة ٥١) .

وفي الآية الكريمة آية المباهلة ﴿ **فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾ (آل عمران : ٦١) . يؤولونها تعالوا ندع أبناءنا يعني الحسن والحسين ونساءنا يعني فاطمة وأنفسنا يعني عليًّا الأحق بالخلافة مع الأئمة الثلاثة الذين سبقوه .

قال الزمخشري : فإن قلت : ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكذبه فما معنى ضم الأبناء والنساء ، قلتُ : ذلك آكد الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك ، ويقول وهذا لا صلة به بالخلافة كما بيّنا .

وفي قوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا** ﴾ (الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩) . ثم يخاطبهن الله تعالى بعد أن اخترن الله ورسوله بقوله ﴿ **يا نساء النبي مَنْ يأت منكن** ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ من نفس السورة (الأحزاب ٣٣).

يسمون هذه الآية آية التطهير ويرى الشيعة أنه لا صلة بين هذه الآية والآيات التي قبلها ولا بما بعدها ويجعلون مفهوم أهل البيت فيها خاصًّا بفاطمة الزهراء والإمام عليّ وابنيهما الحسن والحسين ويخرجون منها بالأحكام التالية :

١ ـ أنها دليل على حصر الإمامة فيهم .

٢ ـ أنها تدل على عصمتهم .

٣ ـ تفيد التلازم بين العصمة والإمامة .

ويدّعون أن الخطاب (عنكم ويطهركم) بصيغة الجمع والمذكر لا يدل على شمول زوجات الرسول مع آل البيت ولكن استخدام القرآن صيغة الجمع في مخاطبته النساء في الآيات التالية تدحض هذه الحجة ﴿ **قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾ (هود : ٧٣) . وهذا الخطاب موجه لامرأة سيدنا إبراهيم وقوله تعالى : ﴿ **فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارًا قال لأهله امكثوا إني آنست نارًا** ﴾ وأهل موسى هي زوجته ابنة شعيب . فالاستعمال القرآني واللغوي لا يخرج الزوجات من آية التطهير والسياق وإن لم يحتم دخولهن فعلى أقل تقدير يرجح دخولهن في زمرة أهله ﷺ .

استشهادهم ببعض الأحاديث التي تفسر أهل البيت المقصودين هم علي وفاطمة والحسن والحسين منها رواية الطبري عن محمد بن يحي عن مندل عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : « نزلت هذه الآية في خمسة : فيّ وفي عليّ رضي الله عنه وحسن وحسين وفاطمة » ثم روى الطبري رواية عكرمة عن ابن عباس قال عكرمة من شاء باهلته إنها نزلت في شأن نساء النبي . أما الرواية الأولى ففي سندها عطية عن أبي سعيد الخدري وعطية هذا كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير ، وكان يكنيه أبا سعيد فيقول قال أبو سعيد ليوهم أنه الخدري وقد ضعفه أحمد والنسائي وغيرهما (تهذيب وميزان الاعتدال) وقد وردت عدة أحاديث في هذا المعنى في إسنادها ضعف لانتهاء إسنادها إلى عطية وإلى ابن مخلد وهو متكلم فيه وأنه مفرط في التشيع ، أما الرواية الثانية عن عكرمة فإن كان المراد أن نساءه ﷺ هن من أهله وأنهن سبب نزول الآية فهذا يتفق مع ما ذهب إليه جمهور المفسرين ، وإن كان القصد تخصيصهن دون غيرهن

فهذا لا يتفق مع رأي الجمهور .

يقول ابن كثير : لا يشك مَن تدبر القرآن أن نساء النبي داخلات في قوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا ﴾ فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال تعالى بعد هذا كله : ﴿ واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ وإذا كان أزواجه من أهل بيته فقرابته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث (وأهل النبي أحق) وبمثل هذا قال ابن تيمية والقرطبي ، أما المقصود بالتطهير لدى الجعفرية فهو العصمة وهذا رأي لا دليل عليه لأن الآية واقعة بين آيات النهي والأمر مما يؤيد إرادته منهم أن يقبلوا على فعل الطاعات ويجتنبوا المعاصي لكي يذهب عنهم الرجس ، فحين جمع الرسول الكريم ابنته وزوجها وأولادها وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا ، كان يدعو لهم فلو كان المقصود من الآية إقرار عصمتهم لما كانوا بحاجة أن يدعو لهم باعتبارهم معصومين ، وروايتهم أن رسول الله ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة ويقول الصلاة أهل البيت ثم يتلو الآية الكريمة : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا ﴾ لدليل قاطع على أنهم بالإقبال على العبادة والبعد عن المعاصي يتطهرون يقول ابن تيمية : أما الآية ويطهركم تطهيرًا فليس فيها إخبار بذهاب الرجس والطهارة بل فيها الأمر لهم بما يوجبها وذلك كقوله تعالى : ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ﴾ ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ﴾ .

ومن الآية الكريمة ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ استدلوا على عصمة الإمام ؛ لأن الظالم لا يصلح أن يكون إمامًا ، والمعصومون اثنان رسول الله وعليّ ؛ لأنهما لم يسجدا لصنم ، أما الخلفاء الثلاثة فلم يعصموا وهم ظالمون ليسوا أهلاً للإمامة بسبب سجودهم للأصنام في الجاهلية . والظاهر أنهم نسوا حديث الرسول الكريم « الإسلام يجب ما قبله » وأن الظالم إذا رجع عن ظلمه لا يعتبر ظالمًا .

ثم كيف يستقيم أن الله تعالى وصف المسلمين بأنهم خير أمة أُخرجت للناس ثم يصفهم غلاة الشيعة بأنهم ظالمون وملعونون .

ثانيا ـ القول بالظاهر والباطن من التأويل : لم يقف الجعفريون عند حدود التأويل بل قالوا : إن للقرآن ظاهرًا وباطنًا ولبطنه بطنًا إلى سبعة أبطن وإلى سبعين

بطنًا كا ورد في الميزان وإذا كان الشيعة ليسوا أول من قال بالظاهر والباطن إلا أنهم توسعوا في ذلك كثيرًا وغلوا غلوًا كبيرًا . حتى إنّ أحدهم اعتبر أن ثلث القرآن ورد فيهم وثلثه فى عدوهم . وبذلك أخضعوا كتاب الله لأهوائهم . وكأن القرآن كتاب لتأريخ الخصومات .

ثالثًا ـ القول بتحريف القرآن : الذي لا خلاف عليه بين المسلمين أن الله تعالى حفظ هذا القرآن كا تكفل بحفظه إلى قيام الساعة وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ (الحجر : ٩) .

والذي لا خلاف عليه بين أهل العلم مسلمين وغير مسلمين أن القرآن الكريم تم جمعه بأفضل الطرق العلمية ضبطًا وتوثيقًا ، ولكن غلاة الشيعة ساءهم أن لا يتضمن القرآن الكريم ما يؤيد عقيدتهم في الإمامة ، فطعنوا في الصحابة واتهموهم باغتصاب الخلافة وتحريف القرآن حتى لا ينكشف وهمهم وينفضح أمرهم .

من أشهر هؤلاء الغلاة حسين التوري الطبرسي ألف كتابه فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب قال عنه : (هذا كتاب لطيف وسطر شريف عملته في إثبات تحريف القرآن وفضايح أهل الجور والعدوان) ، وذكر روايات تفيد التحريف منها (لما انتقل سيد البشر محمد بن عبد الله من دار الفناء ، وفعلا صنما قريش ـ أبو بكر وعمر ـ ما صنعا من غصب الخلافة الظاهرية ، جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن كله ووضعه في إزار وأتى به إليهم وهم في المسجد فقال لهم هذا كتاب الله سبحانه وتعالى أمرني رسول الله ﷺ أن أعرضه عليكم لقيام الحجة عليكم يوم العرض ، فقال فرعون هذه الأمة ونمرودها (عمر) لسنا محتاجين إلى قرآنك فنادى ابن أبي قحافة بالمسلمين وقال لهم كل من عنده قرآن أو آية أو سورة فليأت بها ـ ثم جمعوا هذا القرآن وأسقطوا ما كان فيه من المثالب التي صدرت عنهم بعد وفاة سيد المرسلين لذا فنرى الآيات غير مرتبطة والقرآن الذي جمعه أمير المؤمنين محفوظ عند صاحب الأمر عجّل الله فرجه) . ومنها ما نسب للإمام الصادق (لو قرئ القرآن كا أنزل لقيتمونا فيه مسلمين) . ونقلاً عن كتاب بستان المذاهب ١٥٦ يقول : (بعضهم يقول إن عثمان أحرق المصاحف وأتلف السور التي كانت في فضل عليّ وأهل بيته) وذكر المازندراني في كتاب المثالب : (أنهم أسقطوا من القرآن تمام سورة الولاية) ويعدد مقدم كتاب تفسير القمي أسماء القائلين بتحريف القرآن منهم

الكليني والبرقي والعياشي والنعماني وفرات والطوسي والحلي والجزائري والحر العاملي ويقول ولكنهم يقولون إن التحريف طفيف جدًّا وهو مخصوص في آيات الولاية أما المنصفون فلا يقولون بالتحريف ورد في رسالة الاعتقاد للصدوق : (إعتقادنا أن القرآن أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ وهو ما بين الدقيق وهو ما في أيدي الناس وليس بأكثر من ذلك ومن نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب) .

وفي تحريف القرآن كتب الدكتور الموسوي ما يلي في كتابه ص ١٣٢ ـ ١٣٤ (الشيعة والتصحيح) :

وكما قلنا فإن الرأى السائد لدى الأكثرية من فقهاء الشيعة هو عدم التحريف ، ولكن هذا الرأى يعقبه رأي آخر هو من الغرابة بمكان ولا توجد له أدلة إلا في الروايات التي يرويها رواة الشيعة ، ونحن في حركتنا التصحيحية لا نستطيع أن نغفل آراء شاذة كتلك وعلينا أن نشير إليها لكي يكون التصحيح جامعًا ومانعًا وهنا نذكر رأيًا لكبير علماء الشيعة وهو الإمام الخوئي الذي يقول في تفسيره (البيان) ص ٢٥٩ ، وذلك بعد أن استعرض آراء فقهاء المسلمين ومحدثيهم بما فيهم الشيعة حول التحريف في القرآن أو عدم وقوعه ما هو نصه :

« ومما ذكرناه قد تبين للقارئ ، أن حديث تحريف القرآن ، حديث خرافة لا يقول به إلا من ضعف عقله أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل أو من لجأ إليه ، يحب القول به والحب يعمي ويصم ، وأما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته » .

وأما الرأي الثاني الذي أشرنا إليه فهو في ص ٢٢٢ ، من الكتاب المذكور وجاء فيه :

« إن وجود مصحف لأمير المؤمنين عليه السلام يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور مما لا ينبغي الشك فيه ، وتسالم العلماء والأعلام على وجوده أغنانا عن التكلف لإثباته ، كما أن اشتمال قرآنه عليه السلام على زيادات ليست في القرآن الموجود وإن كان صحيحًا إلا أنه لا دلالة في ذلك على أن هذه الزيادات كانت من القرآن وقد أسقطت منه بالتحريف بل الصحيح أن تلك الزيادات كانت تفسيرًا بعنوان التأويل وما يؤول إليه الكلام أو بعنوان التنزيل من الله شرحًا للمراد » .

وبهذه العبارات يريد فقيهنا إثبات مصحف للإمام علي يختلف عن القرآن ولكنـه في الوقت نفسه يضيف جملة محيرة وهي :

« أو بعنوان التنزيل من الله شرحًا للمراد » .

ولست أدري ما هذا الإصرار على تسمية شرح للقرآن أو تفسير له بالمصحف ثم مـا هو هذا الإجماع الذي يدّعيه بقوله :

« تسالم العلماء الأعلام على وجوده أغنانا عن التكلف لإثباته » .

ومتى أجمعت العلماء على ذلك اللهم إلا نفر قليل استندوا على كلام ينسب إلى الإمـام علي ذكره الطبرسي في الاحتجاج .

والمحقق المتتبع لكلمات الإمام وسيرته يشك كل الشك في صدور كلام مثل ذلـك عن الإمام لما فيه من غرابة المحتوى ، ثم مـاذا تعني تلـك الجملـة المحيرة هل أن القرآن لـه شرح إلهي صـادر من الله ولكنـه ليس جزءًا من القرآن فيكون القرآن المنزل من الله مؤلفًـا من متن وشرح متنه في يد الجميع وشرحه عند الإمام علي فقط .

إن فقهاءنا وعلماءنا يستدلون على وجود مصحف للإمام علي برواية يذكرها الطبرسي في كتاب الاحتجاج وهي أن الإمام قال :

« يا طلحة إن كل آية أنزلها الله تعـالى على محمـد ﷺ عنـدي بـإملاء رسول الله ﷺ وخط يدي وتأويل كل آيـة أنزلهـا الله تعـالى على محمـد ﷺ وكل حلال أو حرام أو حكم تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة فهو عنـدي مكتوب بـإملاء رسول الله وخـط يـدي حتى أرش الخدش » (تفسير البيان للخوئي ص ٢٢٢) .

وكما قلنا في هذه الرواية ضعف واضح وغرابة مذهلة ومنها تتفرع أسئلة عديدة لا عد لهـا ولا حصر ، وقبل كل شيء لـماذا خص الرسول الكريم ﷺ الإمـام عليًـا بتعليم أحكام تحتاج إليها أمته إلى يوم القيامة ولكن لم يخبر بها أمته بل أخفـاهـا عليهم والقرآن الكريم يقول ﴿ **ومـا أرسلنـاك إلا كافـة للنـاس بشيرًا ونـذيرًا ولكـن أكثر النـاس لا يعلمون** ﴾ (سبأ :٢٨) .

ويقول في موضع آخر : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ الآية (المائدة : ٣) .

ولماذا لم يتحدث الإمام علي عن تلك الأحكام في خلافة الخلفاء الذين سبقوه أو في زمن خلافته ولماذا أخفى أحكامًا تحتاج إليها الأمة إلى يوم القيامة وفيها حلاله وحرامه وحتى أرش الخدش . حقًّا إنه اضطراب مخل بالتعقل نقرأه في عقول الذين وضعوا روايات كهذه ونسبوها إلى الإمام علي وأدهى منه أن فقهاءنا ـ سامحهم الله ـ استندوا عليها وحكموا عليها حكم المسلّمات .

التصحيح :

إن كل ما قيل وذكر في الكتب الشيعية عن مصحف الإمام علي ليس أكثر من إضفاء هالة من الغلو على شخصية الإمام علي حسب زعم الذين كانوا وراء وضع هذه الأساطير وإثبات أن الإمام عليًّا إنما هو تالي تلو وأحق بخلافة الرسول ﷺ من غيره ولذلك يحتفظ بمصحف خاص لا يحتفظ به غيره . هذا في ظاهر الأمر ولكنهم في الحقيقة أساؤا إلى الإمام من ناحية أخرى فعرَّفوا الإمام بأنه يخفي أحكامًا إلهية فيها حدوده وحلاله وحرامه وكل ما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة ولم يدلي بها إلا لأولاده الذين هم الأئمة ، والأئمة بدورهم أخفوها عن المسلمين وحتى عن شيعتهم إلى أن اختفت كل تلك العلوم باختفاء الإمام الثاني عشر .

وها هو الإمام الصادق يقول من خالف كتاب الله وسنة محمد ﷺ فقد كفر (رواه ابن أبي عمر في الكافي جـ ١ ص ٧) ويقول : كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهوزخرف) كافي جـ ١ ص ٦٩ وقد تحدث علماء الشيعة عن مصحف فاطمة وموقفنا من هذا الرأي نفس موقفنا من مصحف علي .

رابعًا ـ وضع الأحاديث :

الكافي له المقام الأول بين كتب الجعفرية فقد جمع فيه حوالي ١٦١٩٩ حديثًا عبر عنها بأنها صحيحة ويعتقد البعض أنه عرضها على الإمام الثاني عشر فاستحسنه وقال كاف لشيعتنا . وقد اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب والأخذ به والثقة بخبره ويقول الحسني : والشيء الطبيعي أن تتضاءل تلك الثقة التي كانت للكافي على مرور الزمن . ومع مجيء العلاّمة الحلي انفتح باب التشكيك في تلك الروايات فعرضها العلماء على أصول علم الدراية فخرجوا بالنتائج التالية ٥٠٧٢ حديث صحيح ،

١٤٤ حسن ، ١١٢٨ موثق ، ٣٠٢ قوي ، ٩٤٨٥ ضعيف ، وإليكم بعض هذه الأحاديث وأترك للقارئ الكريم الحكم على صحة معانيها كما أترك لعلماء الحديث الحكم على صحة سندها :

أ ـ في باب فرض طاعة الأئمة نسب للصدوق قوله : نحن الذين فرض الله طاعتنا لا يسع الناس إلا معرفتنا ولا يُعذر الناس بجهالتنا ، من عرفنا كان مؤمنًا ومن أنكرنا كان كافرًا ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً .

ب ـ وفي باب الأئمة هم أركان الأرض يروي الكليني عن أبي عبد الله : ما جاء به عليّ أُخذ به وما نهى عنه انتهى منه جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد .

جـ ـ عن أبي جعفر لما نزلت هذه الآية ﴿ **يوم ندعو كل أناس بإمامهم** ﴾ قال المسلمون : يا رسول الله ألست إمام الناس كلهم أجمعين قال : « أنا رسول إلى الناس أجمعين ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقدّمون في الناس فيكذّبون ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم فمن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعي وسيلقاني ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه بريء » .

د ـ عن أبي عبد الله أن فاطمة مكثت بعد رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يومًا وكان داخلها حزن شديد علي أبيها وكان جبرائيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيّب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون في ذريتها وكان علي يكتب ذلك فهذا هو مصحف فاطمة .

هـ ـ إذا كانت ليلة الجمعة وافى رسول الله ﷺ العرش ووافىٰ الأئمة معه ووافينا ـ الفقهاء ـ معهم فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد ولولا ذلك لأفقدنا .

و ـ عن أبي جعفر : أن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شعبنا مما خلقنا وخلق أبدانهم من دون ذلك . فقلوبهم تهوي إلينا لأنها خُلقت مما خُلقنا ، ثم تلا هذه الآية ﴿ **كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين** ﴾ وخلق عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك فقلوبهم تهوي إليهم لأنها خُلقت مما خُلقوا منه ثم تلا هذه الآية ﴿ **كلا إن كتاب الفجار لفي سجين** ﴾ .

ز ـ وفي الجزء الثاني في الكافي ورد الحديث التالي عن زرارة عن أبي جعفر قال :

(بُني الإسلام على خمسة أشياء : على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية قال زرارة فقلت : وأي شيء من ذلك أفضل فقال : الولاية أفضل لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن . وورد في روضة الكافي هذا الحديث (ليس على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا ، وسائر الناس من ذلك براء) .

التَّقِيَّة

١ ـ يقول تعالى : ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** ﴾ النحل ١٠٦ .

ويقول رسول الله ﷺ : « رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

٢ ـ والتَّقيَّةُ مصدر تَوَقَّى واتّقى وتوقيت الشيء أي حذرته ، وورد في معجم الرائد : التقية هي التستر في الدين عند بعض المذاهب . والتقية : هي مجاملة المخالفين في العقيدة وإيهامهم بموافقتهم في عقائدهم بإظهار غير الحقيقة سواء كان ذلك بالكذب أم بغيره اتقاء الأذى وخوف الضرر .

٣ ـ والخلاف في التقية هل هي فرض لازم أو هي رخصة جائزة في ظروف اضطرارية وهل هي بالقول فقط أو بالقول والفعل .

التقية في رأي أهل السنة والجماعة : أجمع أهل السنة أن التقية رخصة جائزة في القول باللسان دون الفعل حين الضرورة . ويرى الغزالي إن كانت التقية لعصمة دم مسلم فهي واجبة وبه قال ابن حزم .

ولئن كانت التقية رخصة في المجتمع الكافر خوفًا على النفس ، إلا أن التمسك بالعزيمة أفضل لما في ذلك من إعزاز لدين الله وغيظ للكافرين ؛ لذلك امتنع عنها أولو العزيمة من المسلمين وعدوها من النفاق .

ويشترط في التقية أن لا تسبب أضرارًا بالآخرين من قتل أو اغتصاب أو شهادة زور قال ابن عباس رضي الله عنه : « إن التقية باللسان لا باليد » يعني القتل .

ذهب بعض الفقهاء إلى أن التقية كانت رخصة جائزة في أول ظهور الدعوة يوم كان

الإسلام مضطهدًا أما الآن فغير جائزة . ولكن الرأي الغالب أنها رخصة حين الإكراه في كل زمان ومكان وبالشروط السابقة لقوله ﷺ لعمار بن ياسر : « فإن عادوا فعد لهم بما قلت » .

٤ ـ **التقية عند الشيعة** :يعرف الشيخ المفيد وهو من أعلام الشيعة الإمامية في القرن الرابع الهجري التقية بقوله : هي كتمان الحق وستر الاعتقاد به ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم مما يعقب ضررًا في الدنيا والدين (عن تصحيح عقائد الشيعة ص ٦٦) .

والشيعة في التقية على مذهبين :

المذهب الأول : يقول بالتقية لدرء الضرر الذي يترتب على المجاهرة بالمذهب الشيعي والدعوة إليه وهذا رأي المعتدلين وبه قال ابن بابويه القمي الذي عاش في مجتمع يسوده التسامح السياسي والمذهبي .

والمذهب الثاني : يقول بأن التقية واجبة فمن تركها فكأنما ترك فرضًا لازمًا كالصلاة ومن تركها قبل ظهور المهدي القائم فقد خرج عن دين الله تعالى (ابن نبيه والأئمة) .

عن عقائد الشيعة الإمامية ص ١١٠ ـ ١١١ ، ويقول الدكتور عرفان عبد الحميد إن فكرة التقية عند هؤلاء ترتبط بفكرة الإمامة التي أقاموها على النص والتعيين الإلهي ؛ وهنا يكمن الخلاف الأساسي والجوهري بينهم وبين موقف أهل السنة منها ، فقد أشار جمع من متكلمي أهل السنة إلى أن سكوت الإمام عن مطالبته بحقه في الإمامة وتصديه لمغتصبيها واعترافه بسلطان الأئمة الذين سبقوه فيها يكون حجة عليهم بعدم صحة إمامته مما يشكل تناقضًا لا يمكن حله أو تبريره إلا بالتقية ، وهذا ما قال به الفخر الرازي كما وأن تضارب آراء الأئمة المعصومين بنظرهم يسبب لهم إحراجًا كبيرًا إذ لا يجوز أن تتضارب آراء المعصومين ، لذا فالتقية عندهم هي الحل الوحيد الذي يخلصهم من الحرج كذلك .

جاء في كتاب عقائد الإمامية : التقية ديني ودين آبائي ومن لا تقية له لا دين له . وفي أصول الكافي : عن أبي عمر الأعجمي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام يا أبا عمر إن تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له . والتقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفين وفي أصول الكافي عن أبي عبد الله قال : اتقوا الله على دينكم

فاحجبوه بالتقية فإنه لا إيمان لمن لا تقية له . وقال : « إنما أنتم في الناس كالنحل في الطير ، لو أن الطير تعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شيء إلا أكلته ولو أن الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تحبون أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ولنحلوكم (سبوكم) في السر والعلانية ، رحم الله عبدًا منكم كان على ولايتنا » والتقية عندهم تستمر حتى يرجع الإمام الغائب وبناء على ذلك فإن المرء لا يستطيع أن يطمئن إلى أي عهد عاهدوه أو إلى أي وعد قطعوه على أنفسهم أو إلى أي رأي أيدوه لأنه قد تكون قناعتهم بخلافه ما دامت التقية عندهم من الدين .

٥ ـ ويصف كولدزيهر التقية عند الشيعة في كتاب العقيدة والشريعة ص ٢٠٣ وفليب حتى في تاريخ العرب بما يلي : لقد انفرد الشيعة بالقول بالتقية وأنها صارت نظرة خلقية خاصة بهم أفردتهم بصفة بارزة وطبعت روحهم بطابع خاص معين . وغدت عندهم مدرسة للمخاتلة والغدر ووسيلة لإنشاء الجمعيات السرية والتبشير الباطني الهدام .

ويقول الدكتور موسى الموسوي الشيعي في كتابه الشيعة والتصحيح ص ٥٥ ما يلي :

من الغريب أن بعض رواة الشيعة روت عن الإمام الصادق روايات في وجوب التقية على شيعته في حين أنه وشيعته لم يكونوا بحاجة إليها . فالإمام كان يدرس في مسجد رسول الله ﷺ وحوله آلاف التلاميذ والطلاب والمستمعين . وليت شعري كيف يمكن لمدرسة فقهية بهذه السعة أن تبنى على التقية . وأي تقية استعملها الإمام في بناء مدرسته الفقهية التي كان يضع أساسها إمام المسلمين وبصوره علنية بما فيهم المحب المخلص والعدو الشامت . انتهى .

يعني التقية مبنية على السرية وتدريس الإمام الصادق علني وبكل حرية ولا يمكن لدعوة أن تكون سرية وعلنية بآن واحد مما يدل على أن إحداها باطل وبما أن الدعوة كانت علنية فالدعوة بالتقية والسرية باطلة لا أساس لها ويقول في صفحة ٥٧ ما يلي : ومما يحزن له قلبي ويعصره عصرًا هو أن التقية في الفكر الشيعي تجاوزت العامة واستقرت في أعماق قلوب القادة من زعماء المذهب الأمر الذي كان سبب دعوتنا لتخليص الشيعة من تلك الزعامات فعندما يرتضي القائد الديني لنفسه أن يسلك طريق الخداع مع الناس في القول والعمل باسم التقية فكيف ينتظر الصلاح من عامة الناس . ويقول في صفحة ٥٩ من نفس المصدر : إن على الشيعة أن تجعل نصب أعينها تلك القاعدة

الأخلاقية التي فرضها الإسلام على المسلمين وهي أن المسلم لا يخادع ولا يداهن ولا يعمل إلا الحق ولا يقول إلا الحق ولو كان عليه . وأن العمل الحسن حسن في كل مكان وأن العمل القبيح قبيح في كل مكان . وليعلموا أيضًا أن ما نسبوه إلى الإمام الصادق من أنه قال « التقية ديني ودين آبائي » إن هو إلا كذب وزور وبهتان على ذلك الإمام العظيم .

أثر الإمامة عند السنة

١ ـ السنة : السنة في اصطلاح الفقهاء المسلمين هي قول الرسول ﷺ أو فعله أو تقريره ـ أي عدم اعتراضه على أمر حدث أمامه :ـ لأن سكوته ﷺ هو إقرار له . والسنة عند الشيعة الجعفرية هي قول المعصوم من نبي أو إمام أو فعله أو تقريره . لأن قول الإمام بنظرهم يجري مجرى قول الرسول لأنه إما أن يأخذه عن طريق الإلهام أو عن طريق الإمام الذي سبقه عن رسول الله ﷺ . لذا فقول الإمام ليس كقول الرواة بل كقول الرسول نفسه .

٢ ـ مراتب الحديث عند الجعفريين : الإخباريون من الجعفرية قلة قليلة لا علم لهم بمصطلح الحديث فهم يتلقون بالقبول كل ما يُنقل إليهم عن أئمتهم ، وبقوا كذلك طيلة ثلاثة قرون . وفي القرنين الرابع والخامس دونت أربعة كتب في علم الحديث يعتقد أصحابها صحة ما أثبتوا في كتبهم من أحاديث .

إن أول من كتب علم مصطلح الحديث عندهم : الحسن بن المطهر الحلي الملقب بالعلامة توفي عام ٧٢٦ هـ ، والحديث عند جمهورهم ينقسم إلى متواتر وأخبار آحاد .

وفي المتواتر يظهر أثر عقيدة الإمامة حين يشترطون أن لا يكون ذهن السامع مشوبًا بشبهة أو تقليد يوجب نفي خبر الإمامة ومدلوله مع أنهم يرفضون الأخذ بالحديث المتواتر والمرفوع إلى مرتبته إذا كان الخبر متعلقًا بعقيدة الإمامة وعدم إثبات صحتها ، وعلى عكس ذلك نراهم يذهبون إلى تواتر حديث الغدير وحديث الثقلين .

أما أخبار الآحاد عندهم فتنقسم إلى أربعة مراتب هي الصحيح ، والحسن ، والموثق ، والضعيف .

أ ـ فالصحيح عندهم : ما اتصل بسنده إلى المعصوم بنقل العدل الإمامي عن مثله في

جميع الطبقات حيث تكون متعددة ـ نقلاً عن مقياس الهداية ـ فشروط الصحة هي :

١ ـ اتصال السند إلى المعصوم .

٢ ـ أن يكون الرواة إماميين في جميع الطبقات .

٣ ـ أن يكونوا عدولاً ضابطين ويبدو أثر الإمامة جليًا باشتراطهم العصمة وإمامية الرواي ، فالحديث لا يصح عندهم مالم يكن رواته جميعًا من الجعفرية يقول المامقاني : (الموافق للتحقيق هو أن العدالة لا تجامع فساد العقيدة وأن الإيمان شرط في الراوي لأنهم يشكون في غير الجعفري) .

ب ـ والحسن عندهم : هو ما اتصل سنده إلى المعصوم بإمامي ممدوح مدحًا مقبولاً معتقدًا به غير معارض بذم من غير نص على عدالته مع تحقيق ذلك في جميع مراتب رواة طريقه أو في بعضها ، وفيه لا تشترط عدالة الراوي .

جـ ـ وأما الموثق عندهم : هو ما اتصل سنده إلى المعصوم بمن نص الأصحاب على توثيقه مع فساد عقيدته ؛ إن كان من أحد الفرق المخالفة للإمامية وإن كان من الشيعة مع تحقق ذلك في جميع رواة طريقه أو بعضهم مع كون الباقين من رجال الصحيح (مقياس الهداية) .

فتأخر مرتبة الحديث يرجع لوجود غير جعفريين في سنده يقول صاحب الدراية « توثيق المخالف لا يكفينا بل الموثق عندهم ضعيف عندنا والمدار في التوثيق إنما توثيق أصحابنا » من الجعفريين .

د ـ والضعيف : هو ما لم يجتمع فيه شرط أحد الأقسام السابقة ، بأن اشتمل طريقه على مجروح بالفسق ونحوه أو على مجهول الحال أو دون ذلك كالوضاع .

٣ ـ الترجيح : مقولة ابن حنظلة عند الجعفرية هي العمدة في الترجيح لأن راويها صفوان بن يحي الذي يعتبر من أصحاب الإجماع الذين يصححون ما يصح عنهم وهي تقوم على الأسس التالية :

ا ـ أنها اعتبرت كل حاكم أو قاض غير جعفري طاغوتًا أُمروا أن يكفروا به بنص القرآن .

ب ـ من أخذ حقه عن طريق حاكم غير جعفري كان كمن أخذ سحتًا (مالاً حرامًا) .

جـ ـ يعتبر حكم الحاكم الجعفري كحكم الله تعالى ومن رفضه فقد أشرك بالله تعالى .

د ـ أنها تدعو إلى مخالفة جمهور المسلمين حتى حين موافقتهم للكتاب والسنة ، مؤيدين رأيهم بما نسبوه للإمام الصادق زورًا قوله : (ما خالف العامة ففيه الرشاد) لأن المشهور عندهم مقدمًا على غيره حتى ولو كان راويه أصدق وأعدل وكان موافقًا للكتاب والسنة : وفي ذلك تعميق للهوة بين أهل السنة والجماعة وبين الجعفريين ، وهذا ما يسعى إليه العلماء الجعفريون . يروي الكليني « أن زرارة بن أعين سأل أبا جعفر في مسألة وسأله آخران من شيعتهم نفس السؤال فأجاب كل واحد بخلاف جواب الأول ولما سئل عن سبب تعدد الإجابة على السؤال الواحد قال : يا زرارة إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا وبقائكم » الكافي ١ / ٦٥ .

أشهر كتب السنة عند الجعفرية :

١ ـ الكافي لأبي جعفر بن يعقوب الكليني .

٢ ـ فقيه من لا يحضر الفقيه لمحمد بن بابويه القمي الملقب بالصدوق .

٣ ـ التهذيب لمحمد بن الحسن الطوسي شيخ الطائفة .

٤ ـ الاستبصار للطوسي كذلك .

أثر الإمامة في الفقه

١ ـ **في الطهارة** : يذهبون إلى أن سؤر الكافر نجس وبلغ التطرف بالكليني أن يعتبر الإيمان خاصًا بمن يؤمن بالإمامة وإلا فهو كافر ، أما محسن الحكيم وهو من المعتدلين فيرى طهارة المسلم غير الجعفري مالم يناصب أحد الأئمة العداء أو يسبه .

ويرون استحباب الغسل لزيارة الأئمة وفي النصف من شعبان وفي ١٩ و ٢٠ رمضان وليوم الغدير ١٨ ذي الحجة وعيد النيروز الفارسي بحجة أنه يوافق إعلان الرسول لخلافة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، كما لا يرون تغسيل الميت إذا كان غير جعفري

والشهيد الذي لا يجب غسله يشترط أن يكون استشهاده مع أحد الأئمة .

٢ ـ في الأذان : يزيدون عبارة حي على خير العمل . ويزيد بعضهم وأشهد أن عليًا ولي الله ، ويزيد آخرون أشهد أن عليًا أمير المؤمنين وأولاده المعصومين حجة الله . ومع أن محسن الحكيم يعترف بأن هذه العبارات ليست من الأذان إلا أنه لا يرى بأسًا بإضافتها على الأذان .

فيقول الدكتور الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح ص ١٠٤ ما يلي :ـ

يقول السيد المرتضى وهو من أكابر علماء الشيعة الإمامية في القرن الخامس الهجري إن من قال في أذان الصلوات « أشهد أن عليًا ولي الله » فقد أتى بعمل محرم . ومن هذا الرأى يبدو لي أن الشهادة الثالثة دخلت في أذان الصلوات بعد الغيبة الكبرى ولكنها لم تظهر ظهورًا رسميًا على مسرح الأحداث المذهبية إلا بعد أن أدخل الشاه إسماعيل الصفوي إيران في التشيع وأمر المؤذنين بإدخال الشهادة الثالثة في أذان الصلوات ومن على المآذن . وهكذا أعطي للإمام علي موقعه الثابت بعد رسول الله ﷺ في الخلافة . ومنذ ذلك الحين ومساجد الشيعة في العالم تسير على الطريقة التي نمّاها ووسعها الشاه الصفوي لا نستثني مسجدًا واحدًا من مساجد الشيعة في شرق الأرض وغربها .

ومن الغريب في هذه الظاهرة أن فقهاءنا ـ سامحهم الله ـ يجمعون إجماعا مطلقًا وتامًا على أن هذه الشهادة أدخلت في أذان الصلوات في وقت متأخر وأنها لم تكن معروفة حتى القرن الرابع الهجري وأنهم يجمعون أيضًا على أن الإمام عليًا إذا كان على قيد الحياة ويسمع اسمه يذكر في أذان الصلوات لكان يجري الحد الشرعي على من يقول ذلك .

ومع كل هذا لم يمنع أحد من فقهائنا الشهادة الثالثة فحسب بل وقفوا موقف المعارض لتلك القلة القليلة من فقهائنا الذين عارضوا هذه البدعة ورموهم بالخروج من التشيع والبراءة من علي وأولاده ، وخذلوهم خذلانًا وبيلا تقتفيهم العوام والجهال بذلك .

وهنا تظهر تلك العصبية العمياء التي تسود قلوب بعض الفقهاء والجهال معًا حيث يكون بعضهم لبعض ظهيرًا .

٣ ـ في الصلاة : يعتقدون أن الصلاة في مسجد الكوفة أفضل من الصلاة في المسجد الأقصى لأن سيدنا عليا ضرب فيه ، ويشترطون في الإمام الذي يؤم المصلين أن يكون

مؤمنًا يعني جعفريًا كما لا يرون صلاة الجنازة على غير المسلم يعني (غير الجعفري) وفي قصر الصلاة يقولون إنها عزيمة إلا في أربع مساجد : بيت الله الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الكوفة ومسجد الجابر في كربلاء .

الجمع بين الصلاتين من غير عذر ولا سفر

يقول الدكتور الموسوي في كتابه ص ١٣٨ مايلي : تفرد الشيعة الإمامية بالجمع بين صلاة الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء في الحضر ، إلا أن هذه الظاهرة التي تفرد بها الشيعة قد تضر بالوحدة الإسلامية الكبرى .

(كان رسول الله ﷺ يصلي في مسجده بالمدينة في الأوقات الخمسة وهكذا الخلفاء بما فيهم الإمام علي وهكذا كانت سيرة أئمة الشيعة وإذا ما جمع رسول الله ﷺ بين صلاتين مرة أو مرتين في غير سفر فقد كان لضرورة ، أو للترخيص أما عمله فكان هو الالتزام بالأوقات الخمسة) .

وقد علل بعض العلماء سبب ذلك بأن قال : صلى رسول الله ﷺ الظهر في آخر وقته وصلى العصر في أول وقته فظهر وكأنه جمع بينهما دون سفر .

ويستأنف الموسوي قوله : وليت شعري أن أعرف هل هناك سبب يجدي بالخير في التظاهر بهذا الاختلاف مع الأكثرية ـ الساحقة من المسلمين أم أنه عمل سنه أناس كان غرضهم عزل الشيعة عن كل مظاهر الوحدة . ثم سار عليه الفقهاء في المساجد وهم يعلمون أو لا يعلمون وها هو الإمام علي رضي الله عنه يكتب إلى أمراء البلاد يحدد مواقيت الصلاة يقوله في كتاب نهج البلاغة ص ١٣٩ كما يلي :

أما بعد فصلوا بالناس الظهر حتى تفيء الشمس في مربض العنز وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم وصلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق إلى ثلث الليل وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه .

السجود على التربة الحسينية

قلما يوجد بيت للشيعة لا توجد فيه التربة التي تسجد عليها الشيعة في صلواتها وهي من تراب كربلاء المدينة التي استشهد الحسين فيها ورفاته الطاهرة مدفونة فيها .

وإنني أعلم جيدًا ما يقوله فقهاؤنا حول السجود على التربة الحسينية حيث فرقوا بين ما يسجد له وما يسجد عليه وإن السجود على التربة ليس سجودًا لها بل سجودًا عليها لأن السجدة في المذهب الشيعي لايجوز أن تكون إلا على التراب ومشتقاته ولا يجوز السجدة على الملبوس والمخيوط والمأكول .

إن السجود على التربة الحسينية كما نعرفها بل يعرفها الشيعة أنفسهم لا تتوقف عند هذا الحد الفقهي أو إنه سجود على التراب وحسب بل المسألة أبعد من ذلك بكثير ، فكثير من الذين يسجدون على التربة يقبلونها ويتبركون بها وفي بعض الأحيان يأكلون قليلاً من تربة كربلاء للشفاء في حين أن أكل التراب حرام في الفقه الشيعي ثم إنهم صنعوا من التراب هيئات مختلفة يحملونها في جيوبهم وينقلونها معهم في أسفارهم ويعاملونها معاملة تقديس وتكريم .

وحتى كتابة هذه السطور هناك ملايين من الشيعة في شرق الأرض وغربها تلتزم بالسجود على تربة كربلاء ومساجدها مليئة بها ، ويعملون بالتقية عندما يقيمون الصلاة في مساجد الفرق الإسلامية الأخرى حيث يخفونها ولا يظهرونها خوفًا من اعتراض غيرهم عليها . وقد التبس الأمر على كثير من غير الشيعة فظنوا أن هذه التربة أصنام تسجد الشيعة عليها وقد كادت الفتن تحدث في مساجدها بلاد لم تعرف شيئًا عن التربة الحسينية ومظاهرها ولست أدري متى دخلت هذه البدعة في صفوف الشيعة فالرسول الكريم ﷺ ما سجد قط على تربة كربلاء ولا الإمام علي ولا الأئمة من بعده سجدوا على شيء اسمه تربة كربلاء . وتقديس التراب لم يكن شيئًا مألوفا عند المسلمين . ومن الجائز أن هذه الظاهرة أخذت في التوسع منذ عهد الصفويين وعندما أخذت القوافل تزور كربلاء في مراسيم خاصة وتعود محملة بآثار من قبر الإمام الحسين .

وهناك بدعة أخرى أضيفت إلى استعمال التربة تتجاوز البدع الأخرى ، إنها فتوى الفقهاء بجواز إقامة الصلاة التام للمسافرين بدلا من القصر عندما يكونوا في الحائر

الحسيني بخمسة عشر ذراعًا حول القبر ومن المجمع عليه عند فقهائنا أن الواجب على المسافر هو إتيان الصلاة قصرًا ولكنهم استثنوا الحائر الحسيني من هذه القاعدة .

خطبة وصلاة الجمعة

يقول الدكتور موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح ص ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ما يلي:

أعتقد جازمًا أن فقهاءنا (فقهاء الشيعة) اجتهدوا أمام النص الصريح بسبب واحد ألا وهو إيجاد الفرقة في الصف الإسلامي الكبير وحمل الشيعة على عدم التلاحم مع الفرق الإسلامية الأخرى في صلاة الجمعة . قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (الجمعة : ٩) بهذا النص الصريح القاطع شرع الإسلام صلاة الجمعة وفرضها على كل من يؤمن بالله ورسوله وكتابه غير أن الأكثرية من فقهاء الشيعة ـ سامحهم الله ـ اجتهدوا أمام النص الصريح (حيث لا اجتهاد في مورد النص) وقالوا بالخيار بين صلاة الظهر والجمعة . وأضافوا أن شرط إقامة الجمعة إنما هو حضور الإمام الذي هو الإمام المهدي ففي عصر الغيبة تسقط الجمعة من الوجوب العيني ويكون للمسلمين الخيار في الإتيان بها أو بصلاة الظهر . وقالت فئة أخرى من فقهائنا أن صلاة الجمعة حرام في عصر الغيبة ويقوم مقامها الظهر وهناك قلة من فقهائنا كالشيخ الحر العاملي صاحب كتاب وسائل الشيعة أفتى بوجوب صلاة الجمعة في عصر الغيبة .

وهناك دليل واضح خفي على كل أولئك الذين كتبوا في صلاة الجمعة وأرخوها وهو أن ملوك الصفويين الذين كانوا حماة التشيع في إيران وكثير من البدع التي ألصقت بالتشيع إنما ألصقت به بمباركتهم وسياستهم : كانوا من أشد أنصار الجمعة وأكبر مساجد إيران بنيت في عهد ملوك الصفويين وكان المسجد الرئيسي يسمى مسجد الجمعة . وكان إمام المسجد يسمى إمام الجمعة ويعين بمرسوم من الشاه وبعد أن استلم الفقهاء السلطة في إيران أصبحت صلاة الجمعة ضمن سياسة الدولة الأساسية وعينت ولاية الفقيه إمامًا يسمى إمام الجمعة كما كان زمن الشاه يتحدث الخطباء في قضايا الساعة السياسية هذا وإن صلاة الجمعة لازالت متروكة في كثير من المناطق التي يسكنها الشيعة خارج إيران ولا يصلونها

يوم الجمعة في مساجدهم .

٤ ـ **في الصيام** : يشترطون لصحة الصيام مع الإسلام الإيمان . فقد أجمعوا كما يقول الحكيم أنه لا يصح الصوم من غير المؤمن ، والمراد به المخالف لهم . ومن المفطرات عندهم الكذب على أئمتهم . يندب صيام يوم الغدير والمباهلة وعاشوراء حزنًا .

٥ ـ **في الزكاة** : يرون وجوبها على الكافر لأن من حق الإمام أخذها منهم قهرًا . ولكنها لا تصح منهم لأنهم غير مؤمنين أما توزيعها فلا يجوز لغير المؤمن أي لغير الجعفري . أما إعطاؤها لغير الجعفري فمن باب تأليف القلوب ، كما تعطى للفسقة ومرتكبي الكبائر لكونهم فقراء من أهل الإيمان .

يستحب دفع الزكاة للإمام كما يجب دفعها له إن طلبها وإذا قبضها الفقيه برئت ذمة المالك ولو تلفت .

٦ ـ **الخمس** : ورد الخمس عند أهل السنة في خمس الغنائم في كتاب الجهاد وفي الركاز ، أما الجعفريون فقد أفردوا له كتابًا خاصًا واعتبروه من الفرائض المهمة ، وقالوا : من منع منه درهمًا كان من الظالمين لأهل البيت ، ففي الخبر عن أبي بصير قال قلت : لأبي جعفر ما أيسر ما يدخل به العبد النار قال : من أكل من مال اليتيم درهمًا ونحن اليتيم) المستمسك ٩ / ٤٤٢ ، وجعلوا الخمس في فضل مؤونة السنة من إنتاج الصناعة والتجارة والزراعة فعليها ٢٠ ٪ وقالوا في الخمس يقسم ستة أقسام سهم لله وسهم للنبي وسهم للإمام الجعفري هذه الثلاثة من حق إمامهم الغائب ، والأسهم الثلاثة الأخرى للأيتام والمساكين وأبناء السبيل من الجعفريين ، وقالوا أسهم الإمام الغائب راجع إلى نائبه وهو الفقيه المجتهد الجامع للشرائط تدفع إليه أو إلى المستحقين بإذنه .

٧ ـ **الحج** : يقول الحكيم : « لا ريب بشرطية الإيمان في صحة العبادة وعليه فعبادة المخالف باطلة لا تترتب عليها الأحكام » المستمسك ١٠ / ٢٢٦ وقالوا لا يجوز للجعفري أن يحج عن المخالف ـ المسلم السني ـ إلا إذا كان أباه . ويقولون إذا نذر قبل حصول الاستطاعة أن يزور الحسين في عرفة ثم حصلت إستطاعة لم يجب عليه الحج . وحين زيارتهم الرسول في المدينة يحجمون عن زيارة الشيخين .

٨ ـ **في الجهاد** : يشترطون إذن الإمام أو من نصّبه الإمام لذلك عندها يجب خمس

الغنائم فقط .

٩ - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج لإذن الإمام وكذا الحدود لا ينفذها إلا الإمام أو من نصبه نيابة عنه .

١٠ - زواج المتعة : هو الزواج لمدة محددة بلا إرث ولا نفقة ولا عدة . ولقد أباحه رسول الله ﷺ في بعض الغزوات ثم منعه . وفي مختصر ابن كثير ص ٣٧٥ يقول : ولا شك أنه كان مشروعًا ثم نسخ بعد ذلك وقد ذهب الشافعي وبعض العلماء على أن زواج المتعة أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ مرتين ، قال ابن عمر بإباحته للضرورة . عن الإمام عليّ ابن أبي طالب قال : نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر ، وفي صحيح مسلم عن الربيع بن سيرة بن معبد الجهمي عن أبيه أنه غزا مع رسول الله ﷺ يوم فتح مكة فقال : يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة . فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئًا . وفي رواية لمسلم يوم حجة الوداع ، وفي كتاب رحمة الأمة في اختلاف الأئمة يقول في صفحة ٢٧٢ وأجمعوا أن نكاح المتعة باطل لا خلاف بينهم في ذلك وهو باطل منسوخ بإجماع العلماء قديمًا وحديثًا بأسرهم . وذهب الشيعة إلى صحته ورووا ذلك عن ابن عباس والصحيح عنه القول ببطلانه ولكن حكي عن زفر من الحنفية أن الشرط يسقط - يعني شرط الزمن - ويصح النكاح على التأبيد إذا كان بلفظ التزويج وإن كان بلفظ المتعة فرأيه موافق للجماعة .

ويقول الشيخ عبد الله زيد آل محمود في كتابه : إن زواج المتعة وإن كان مباحًا زمن الجاهلية وبدء البعثة كإباحة الربا والخمر والصلاة إلى غير الكعبة إلا أن رسول الله ﷺ حرمه بعد ذلك تحريمًا مؤبدًا إلى يوم القيامة .

وفي فقه السنة يقول الشيخ السيد سابق ص ٤١ ويسمى بالزواج المؤقت والزواج المنقطع وهو زواج متفق على تحريمه بين أئمة المذاهب وقالوا إذا انعقد يقع باطلاً واستدلوا على ذلك بما يلي :

١ - إن هذا الزواج لا تتعلق به الأحكام الواردة في القرآن بصدد الزواج والطلاق والعدة والميراث فيكون باطلاً كغيره من الأنكحة الباطلة .

٢ ـ إن الأحاديث جاءت مصرحة بتحريمه ، فعن شبرة الجهيني أنه غزا مع النبي ﷺ في فتح مكة فأذن لهم رسول الله ﷺ في متعة النساء قال : فلم يخرج منها حتى حرمها رسول الله ﷺ ، وفي لفظ ابن ماجه أن رسول الله ﷺ حرم المتعة فقال : « يا أيها الناس إني كنت أذنت في الاستمتاع ألا وإن الله قد حرمها إلى يوم القيامة » كما أورد حديث الإمام عليّ رضي الله عنه .

٣ ـ كما وأن سيدنا عمر رضي الله عنه حرمها وهو على المنبر أيام خلافته وأقره الصحابة رضي الله عنهم وما كانوا ليقروه لو كان مخطئًا .

٤ ـ وقال الخطابي تحريم المتعة كالإجماع إلا عن بعض الشيعة ولا يصح على قاعدتهم في أصول الحديث فقد صح عن عليّ أنها نسخت . ونقل البيهقي عن جعفر بن محمد أنه سئل عن المتعة فقال : هي الزنا بعينه (وصدق جعفر بما قال إذ ما هو الفرق بين من يستمتع بامرأة لعدة أيام لقاء مبلغ من المال وبين من يتعاقد مع مومس أن يستمتع بها في بيته عدة أيام لقاء مبلغ من المال ، وإذا كانت صيغة العقد فيقول لها نفس الصيغة .

٥ ـ ولأنه يقصد به قضاء الشهوة ولا يقصد به التناسل والإحصان ولا المحافظة على الأولاد وهي المقاصد الأصلية للزواج . فهو يشبه الزنا من حيث قصد الاستمتاع دون غيره . ثم هو يضر بالمرأة ويمس كرامتها حيث تصبح كالسلعة التي تنتقل من رجل إلى رجل ، كما يضر بالأولاد حيث لا يجدون البيت الذي يستقرون فيه ولا الوالد الذي يتعهدهم بالتربية والتأديب . وما دام هدف المتعة الاستمتاع كما هو واضح من اشتقاق الكلمة ومن أحكامها فإن ذلك يؤدي إلى الفوضى الجنسية وإلى إشاعة الفاحشة بين المسلمين ؛ لأنه يزيد من الشغف واللذة حين ينتقل الرجل من امرأة إلى أخرى وتُنقل المرأة من رجل إلى آخر وعندها تصبح النساء اللواتي أصبحن من مخلفات زواج المتعة بل من سباياه عرضه للفساد يلهثن وراء اللذة الجنسية ولو بثمن بخس ، ويبتعد الرجال عن الزواج وتحمل أعبائه ومسؤولياته ماداموا يروون نهمهم الجنسي بأجر زهيد بدافع الغريزة أو دون أجر فيكسد سوق النكاح وتسود فوضى الجنس ، وتتحقق أهداف القرامطة بإباحة الجنس والفساد بمساعي أحفادهم المستترين باسم التشيع .

٦ ـ وأما ما اشتهر عن ابن عباس بإباحتها عند الضرورة . قيل فلما بلغه إكثار الناس منها رجع عنها وكان يقول بتحريمه على من لم يحتج إليه . وفي مناظرة بينه وبين سعيد

ابن جبير قال ابن عباس : إنا لله وإنا إليه راجعون والله ما بهذا أفتيت ولا هذا أردت ولا أحللت إلا مثل ما أحل الله الميتة والدم ولحم الخنزير وما تحل إلا للمضطر وهي كالميتة والدم ولحم الخنزير .

قال الشوكاني وعلى كل حال فنحن متعبدون بما بلغنا عن الشارع وقد صح لنا عنه التحريم المؤبد . ومخالفة الطائفة غير قادحة في حجيته ولا قائمة لنا بالمعذرة عن العمل به . كيف والجمهور من الصحابة قد حفظوا التحريم وعملوا به ونقلوه لنا قال ابن عمر فيما أخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح أن الرسول ﷺ : أذن لنا في المتعة ثلاثًا ثم حرمها . والله لا أعلم أحدًا تمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة ، وقال أبو هريرة فيما يرويه عن النبي ﷺ : « هدم المتعة : الطلاق والعدة والميراث » أخرجه الدارقطني وحسنه . ومع ذلك فالشيعة تتجاهل أحاديث تحريم المتعة وتحلها . يروي الطبطبائي في تفسيره الميزان عن أئمته بأن الآية نزلت بشكل آخر وهو ﴿ **فما استمتعتم به منهن** ﴾ إلى أجل مسمى ﴿ **فآتوهن أجورهن** ﴾ ويقول لعل المراد بأمثال هذه الروايات الدالة على المعنى المراد من الآية دون النزول اللفظي .

ويرد الشوكاني على هذه القراءة التي ينسبها بعضهم لابن عباس وابن مسعود فما استمتعم به منهن إلى أجل مسمى فليست بقرآن عند مشترطي التواتر ولا بسنة . وأما روايتها قرآنًا فيكون من قبيل التفسير للآية وليس ذلك حجة (فقه السنة) .

ويركز صاحب الغدير عبد الحسين أحمد الأمين النجفي على أن منع المتعة وتحريمها كان من عمر بن الخطاب وليس من رسول الله ﷺ وتحريم عمر ليس ملزمًا لهم على تحريمها ويستشهد بعدة أحاديث تؤكد هذا المعنى منها ما أخرجه الطبري عن جابر « كانوا يتمتعون من النساء حتى نهاهم عمر بن الخطاب (كنز العمال) وعن الحكم قال قال علي رضي الله عنه لولا أن عمر رضي الله عنه نهى عن المتعة ما زنى الأشقى . عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه سئل عن متعة النساء فقال حرام أما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لو أخذ فيها أحد لرجمته بالحجارة (السنن الكبرى) كان عمر رضي الله عنه يقول : والله لا أوتى برجل أباح المتعة إلا رجمته (مرآة الزمان) لذا فهم يجيزونها بالمرة والمرتين ومع بنت عمرها عشر سنين ولو دون إذن وليها ، ومن الغرابة أنهم يفتون بها ويمتنعون عن تطبيقها فلا يسمحون لأحد بالاستمتاع ببناتهم وخاصة إذا كان من أهل

السنة والجماعة . ولكن العلماء الأتقياء منهم يحرمونها : يقول الشيخ محمد أبو زهرة : في كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية مجلد ١ ص ٣ ما يلي :

إن زواج المتعة مذهبهم واعتقادهم وعليها جمهورهم ولكن يوجد في أعقاب هذه الأقوال من ينكر متعة النساء من علماء الشيعة وينهى عنه أشد النهي ، من ذلك : أن تحريم المتعة نقل صحيحًا عن الإمامين أبي جعفر محمد بن الباقر وأبي عبد الله جعفر الصادق وهما إمامان من أئمتهم فقد رووا أن بسامًا الصيرفي سأل أبا عبد الله جعفر الصادق عن زواج المتعة ووصفها له فقال رضي الله عنه : « ذلك هو الزنى وأنها من المخادنة التي نهى الله تعالى عنها في كثير من الآيات مثل قوله ﴿ **محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان** ﴾ (النساء : ٢٥) .

وقد نقل الكافي وهو من كتبهم المعتمدة عن الحسين بن يحيى بن زيد فقيه العراق أنه قال : جمع رسول الله ﷺ إلى كراهية المتعة النهي عنها . والكراهية مع النهي تقتضي التحريم . كما ورد في الكافي لقد وجدنا في كتب الزيدية عن أئمة البيت عامة وعن جعفر الصادق خاصة ما يثبت أنه يرى المتعة من الزنا .

كما ثبت أن الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه نهى عن المتعة نهيًا مؤكدًا فقال : « لا أوتىٰ بمستمتعين إلا رجمتهما » .

وإليكم مقارنة بين الزواج الإسلامي المشروع وبين زواج المتعة لتعرفوا مدى الحيف الذي لحق بالمرأة المتمتع بها .

شروط الزواج الدائم المتفق عليه لدى المسلمين كافة :	الزواج المؤقت عند الشيعة
١ - يتم الزواج بين الزوجين بتلفظ صيغ العقد أمام شاهدين	بلفظ العقد دون شاهدين
٢ - يجب على الزوج نفقة الزوجة بما فيها المسكن والملبس	الزوج في حل من نفقة الزوجة
٣ - لا يجوز للرجل أن يجمع أكثر من أربعة أزواج وبشروط صعبة	يجوز الجمع بلا حدود
٤ - الزوجة ترث الزوج في حالة الوفاة	الزوجة لا ترث الزوج
٥ - موافقة الأب شرط في صحة زواج الباكر	موافقة الأب ليست شرطاً
٦ - مدة الزواج الدائم ديمومة الزوجين على قيد الحياة	مدة الزواج حسب الاتفاق

شروط الفسخ لدى المسلمين كافة	لدى الشيعة في الزواج المؤقت
١ - يقع الطلاق بحضور شاهدين عدلين وبتلفظ صيغة الطلاق	بدون شاهدين وبكلمة فسخت
٢ - عدة الطلاق بالنسبة للمرأة ثلاثة شهور وعشرة أيام	نصف عدة الحرة (كعدة الجارية)
٣- الطلاق لا يقع إذا كانت المرأة في حالة قره	الفسخ يقع في كل الأحوال
٤ - يجب على الزوج نفقة الزوجة المطلقة في مدة عدتها	الرجل في حل من النفقة

يروي أن عالمًا شيعيًا من إيران حضر في مهمه إلى بغداد ومكث فيها عدة أشهر اضطر خلالها للاستمتاع بإحدى الشيعيات ثم سافر. وبعد عشرين عامًا عاد إلى بغداد ورغب بالاستمتاع فأحضروا إليه فتاة شابة ولما دخل عليها سألها عن أبيها فقالت له: تقول والدتي إن والدي عالم من إيران استمتع بها في بغداد منذ عشرين عامًا فكنت ثمرة متعتها فسألها عن اسم أمها وما أن ذكرت الاسم حتى عرف أنها زوجته بالمتعة وأن زوجته الجديده إنما هي ابنته فثارت حميته وعض أصابع الندم وكتب كتابًا استنكر فيه زواج المتعه ولكن الكتاب اختفى من الأسواق ولا زلت أبحث عنه وعن اسمه وسنعمد إلى نشره في الطبعة الثانية إن تيسر لنا الحصول عليه بعون الله. يقول الدكتور موسى الموسوي في كتاب الشيعة والتصحيح ص ١٠٩ : إن الزواج المؤقت أو المتعة حسب العرف الشيعي وحسبا يجوزه فقهاؤنا هو ليس أكثر من إباحة الجنس بشرط واحد فقط : وهو أن لا تكون المرأة في عصمة رجل وحينئذ يجوز نكاحها بعد أداء صيغة الزواج التي يستطيع الرجل أن يؤديها في كلمتين ولا تحتاج إلى شهود أو اتفاق عليها وللمدة التي يشاؤها مع الاحتفاظ بسلطة مطلقة لنفسه وهو الجمع بين ألف زوجة بالمتعه تحت سقف واحد.

وحسب رأي فقهائنا أن عمل الإمام حجة لا سيا حين يستطيع إظهار الرأي فإذًا إقرار الإمام علي رضي الله عنه لتحريم المتعة يعني أنها كانت محرمة منذ عهد رسول الله ﷺ ولولا ذلك لكان يعارضها ويبين حكم الله فيها ولا أدري كيف يضرب فقهاؤنا برأي الإمام عرض الحائط وعمله حجة عليه (وملزم لهم) ويقول ما معناه إن الإسلام الذي يحافظ على مكارم الأخلاق ويحافظ على كرامة الرجل والمرأة على السواء والذي حدد عدد الزوجات بأربع شريطة العدل وضمان الحقوق لا يمكن أن يقر المتعة ويسمح للمرأة أن

تقضي أوقاتها بين أحضان الرجال واحدًا بعد آخر باسم شريعة محمد كما يتنافى ذلك مع مهمتها في تربية الأطفال وإعداد الرجال حيث رفع الإسلام مقامها فجعل الجنة تحت أقدام الأمهات . وإضافه إلى هذه العقدة المستعصية (مخالفة أهل السنة) فإن فكرة الزواج المؤقت استخدمت في حث الشيعة ولا سيا الشباب منهم للالتفاف حول المذهب لما فيه من امتيازات خاصة لا تقرها المذاهب الإسلامية الأخرى . ولا شك أن الإغراء الجنسي المباح باسم الدين يستقطب الشباب وأصحاب النفوس الضعيفة في كل عصر ومصر ولذلك فإني لا استغرب أبدا عندما أقرأ في الكتب روايات تنسب إلى أئمتنا في فضل المتعة وثوابها وحث الناس على العمل بها .

وإليكم مقارنة بين ميزات زواج المتعة والزواج السني لتعرفوا مدى الظلم الذي لحق بالمرأة المتمتع بها .

أثر الإمامة في التفسير

أشهر كتب التفسير المنسوب للإمام العسكري وهو تفسير لم يكتمل وتفسير العياشي وتفسير القمي وهذه تمثل جانب التطرف . أما التبيان للطوسي وتفسير الطبرسي وتفسير الكاشف فتمثل جانب الاعتدال . وفي تفسيرهم يظهر التأثر بالإمامة جليًا واضحًا . حيث أوّلوا معاني الآيات القرآنية إلى ما يخدم فكرة الإمامة فأخرجوها عن مدلولاتها الشرعية واللغوية . سأل باطني بشار بن برد في مجلس المهدي عن معنى الآية الكريمة ﴿ **وإذ أوحى ربك إلى النحل** ﴾ إلخ فقال له النحل هو النحل وما يخرج من بطونها العسل ، وضحك الباطني وقال هذا ليس من اختصاصك يا أبا معاذ إن النحل هم بنو هاشم وأما الشراب الخارج من بطونهم فهو عامتهم . فضحك بشار وقال : جعل الله طعامك وشرابك وشفاءك مما يخرج من بطون بني هاشم .

١ - **في تفسير الحسن العسكري** : يفسرون الآية الكريمة : ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ يفسرونها إن الذين كفروا بما آمن به هؤلاء المؤمنون بتوحيد الله تعالى وبنبوة محمد رسول الله وبوصيته عليّ ولي الله وبالأئمة الطيبين الطاهرين خيار عباده الميامين القوامين بمصالح خلق الله سواء عليهم أأنذرتهم وخوفتهم فهم لا يؤمنون .

٢ - **في تفسير القمي** : يعتبرونه من أجلّ التفاسير لأن صاحبه عاش في عصر الإمام العسكري مع أنه من الشيعة المغالين الذين قالوا بتحريف القرآن : يفسرون قوله تعالى : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله** ﴾ يقول جاءوك يا عليّ فاستغفروا الله لوجدوا الله توابًا رحيمًا ، وفي قوله تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك** ﴾ يعني يا عليّ ﴿ **فيما شجر بينهم** ﴾ وفي الآية : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد** ﴾ (يعني في عليّ) وفي قوله : ﴿ **لا تبديل لكلمات الله** ﴾ (أي لا تغيير في الإمامة) .

٣ - **في تفسير العياشي** : يفسر الآية ﴿ **كنتم خير أمة أُخرجت للناس** ﴾ يعني خير أئمة للناس وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل** ﴾ يعني شهادة لا إله إلا الله ﴿ **والإحسان** ﴾ يعني ولاية عليّ ﴿ **وينهى عن الفحشاء** ﴾ يعنى الخليفة الأول ﴿ **والمنكر** ﴾ الخليفة الثاني ﴿ **والبغي** ﴾ الخليفة الثالث .

ويفسر قوله : ﴿ **وقوموا لله قانتين** ﴾ بقوله يعني طائعين للأئمة ، وفي قوله : ﴿ **وتنذر به قومًا لدًا** ﴾ يعني بني أمية وفي قوله تعالى ﴿ **لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد** ﴾ يفسرونها لا تتخذوا إمامين اثنين إنما هو إمام واحد وبذلك يرفعون أئمتهم إلى مقام الألوهية .

أما التفاسير المعتدلة فلا تخلو من أثر للإمامة كذلك ولكنهم يستشهدون عليها بأقوال بعض علماء أهل السنة والجماعة ليدللوا بذلك على حيادهم وهذا ذكاء منهم بلا شك .

٤ ـ **ففي تفسير الطبرسي** : يفسر قوله تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ بقول الرسول الكريم : إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فبيّن أن الكتاب حجة كما أن العترة حجة كذلك وفي تفسيره : ﴿ **وكفى الله المؤمنين القتال** ﴾ يقول الطوسي بالريح والملائكة وقيل بعليّ وهي قراءة ابن مسعود وفي تفسيره الآية الكريمة : ﴿ **ومن أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ يروي الطبرسي عن الإمامين الباقر والصادق (حرام على روح امريء أن تفارق جسدها حتى ترى محمدًا وعليًا بحيث تقر عينها أو تسخن) جوامع الجوامع .

٥ ـ **وفي تفسير الكاشف** : للشيخ محمد جواد مغنية وهو تفسير حديث يعتبره المطلعون عليه من التفاسير المعتدلة ومع ذلك فأثر الإمامة فيه يطل على القارئ بين الحين والآخر فنراه ينسب لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أنه قال : (ذلك القرآن الصامت وأنا القرآن الناطق) ٤٠٩ كما يتحدث عن عصمة أهل البيت صفحة ٤١٢ وعن المهدي المنتظر في أكثر من موضع ص ٤١٣ ويستدل عليها بأحاديث صحت عن بعض أهل السنة ويتحدث عن التقية فيقول : من خص التقية بالشيعة فقط شنع بها عليهم فهو إما جاهل وإما متحامل ص ٤١٥ ويفصل القول في الحديث عن زواج المتعة محاولاً إثبات حلها وإبطال ما ذهب إليه الجمهور من حرمتها ص ٤١٦ ففي تفسير الآيات ٣٣ ـ ٣٧ من آل عمران ، يشير إلى أن فاطمة كمريم وعليًا كزكريا كان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقًا من عند الله ص ٤١٨ وفي سورة النساء وتحت عنوان عليّ وأبو بكر يحاول التدليل على أفضلية عليّ بجهاده وعلمه ويستشهد بالحديث « أنا مدينة العلم وعليّ بابها » .

ويقول لقد حفظ التراث الإسلامي من علم عليّ ما لم يحفظه لأبي بكر ولا لغيره من الصحابة ص ٤١٩ . وفي تفسير سورة المائدة تحت عنوان إكمال الدين وإتمام النعمة نراه

يتظاهر بعرض رأي كل من الشيعة والسنة فقط ويشير إلى كتاب الغدير أنه كتاب قيم . وفي تفسير آية ٥٥ من سورة المائدة يفسر الآية ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** ﴾ أنها نزلت في عليّ بن أبي طالب . ولابد من ذكر أسماء كتب التفسير عندهم ليكون المسلم علي بيّنه منها :

١ ـ تفسير الحسن العسكري . ٢ ـ تفسير القمي . ٣ ـ العياشي .

٤ ـ التبيان وتفسير الطبرسي . ٥ ـ الصافي . ٦ ـ البرهان .

٧ ـ بحار الأنوار . ٨ ـ تأويل الآيات الباهرة .

٩ ـ تفسير شبر . ١٠ ـ كنز العرفان . ١١ ـ زبدة البيان .

١٢ ـ الميزان . ١٣ ـ التفسير الكاشف .

١٤ ـ البيان لم يكتمل بعد لمرجعهم في العراق .

ضرب القامات في يوم عاشوراء

عن كتاب الشيعة والتصحيح ص ٩٨ ـ ١٠٢ :

وفي كربلاء وحول قبر الحسين كان الزوار يمرون على هيئة مواكب وآحاد وهم يقرأون الزيارات التي أشرنا إليها مع بكاء ونحيب كجزء مكمل للاحتفال والزيارة ، إنها العادة التي لا زالت جارية في المجالس التي تقام للإمام الحسين في العالم الشيعي فلابد من ختمها بالبكاء لأن :

« من بكى أو تباكى على الحسين وجبت عليه الجنة » .

كما جاء في بعض الروايات التي تنسب إلى الأئمة ، ومعاذ الله أن يصدر من الإمام كلامًا كهذا .

كما أن الشيعة كانت تلبس السواد في شهر محرم وصفر حدادًا على الحسين ، وهذه العادة أخذت بالتوسع في عهد الصراع الأول بين الشيعة والتشيع وعندما أخذت تظهر الشيعة على مسرح الأحداث السياسي والإسلامي كقوة تريد الإطاحة بالخلافة الحاكمة

وكان للبويهيين الذين حكموا إيران والعراق باسم حماة الخلافة العباسية دورًا بارزًا في تنمية الاحتفالات في أيام عاشوراء ولكن هذه الاحتفالات أخذت طابعًا عامًا وأصبحت جزءًا من الكيان الشيعي عندما استلم السلطة الشاه إسماعيل الصفوي وأدخل إيران في التشيع وخلق فيها تماسكًا مذهبيًا للوقوف أمام أطماع الخلافة العثمانية المجاورة لإيران كما أشرنا إليه . وكان البلاط الصفوي يعلن الحداد في العشر الأول من محرم من كل عام ، ويستقبل الشاه المعزين في يوم عاشوراء ، وكانت تقام في البلاط احتفالات خاصة لهذا الغرض تجتمع فيها الجماهير ويحضرها الشاه بنفسه ، كما أن الشاه عباس الأول الصفوي الذي دام حكمه خمسين عامًا وهو أكبر الملوك الصفويين دهاء وقوة وبطشًا كان يلبس السواد في يوم عاشوراء ويلطخ جبينه بالوحل حدادًا على الإمام الحسين وكان يتقدم المواكب التي كانت تسير في الشوارع مرددة الأناشيد في مدح الإمام ثم التنديد بقتلته .

ولا ندري على وجه الدقة متى ظهر ضرب السلاسل على الأكتاف في يوم عاشوراء وانتشر في أجزاء من المناطق الشيعية مثل إيران والعراق وغيرهما ولكن الذي لا شك فيه أن ضرب السيوف على الرؤوس وشج الرأس حدادًا على الحسين في يوم العاشر من محرم تسرب إلى إيران والعراق من الهند وفي إبان الاحتلال الإنجليزي لتلك البلاد وكان الإنجليز هم الذين استغلوا جهل الشيعة وسذاجتهم وحبهم الجارف للإمام الحسين فعلموهم ضرب القامات على الرؤوس .

وحتى إلى عهد قريب كانت السفارات البريطانية في طهران وبغداد تمول المواكب الحسينية التي كانت تظهر بذلك المظهر البشع في الشوارع والأزقة ، وكان الغرض وراء السياسة الاستعمارية الإنجليزية في تنميتها لهذه العملية البشعة واستغلالها ابشع الاستغلال هو إعطاء مبرر معقول للشعب البريطاني وللصحف الحرة التي كانت تعارض بريطانيا في استعمارها للهند ولبلاد إسلامية أخرى وإظهار شعوب تلك البلاد بمظهر المتوحشين الذين يحتاجون إلى قيّم ينقذهم من مهامة الجهل والتوحش فكانت صور المواكب التي تسير في الشوارع في يوم عاشوراء وفيها الآلاف من الناس يضربون بالسلاسل على ظهورهم ويدمونها وبالقامات والسيوف على رؤوسهم ويشجونها تنشر في الصحف الإنجليزية والأوروبية ، وكان الساسة الاستعماريون يتذرعون بالواجب الإنساني في استعمار بلاد تلك هي ثقافة شعوبها ولحمل تلك الشعوب على جادة المدينة والتقدم .

وقد قيل إن ياسين الهاشمي رئيس الوزراء العراقي في عهد الاحتلال الإنجليزي للعراق عندما زار لندن للتفاوض مع الإنجليز لإنهاء عهد الانتداب قال له الإنجليز : نحن في العراق لمساعدة الشعب العراقي كي ينهض بالسعادة وينعم بالخروج من الهمجية . ولقد أثار هذا الكلام ياسين الهاشمي فخرج من غرفة المفاوضات غاضبًا ، غير أن الإنجليز اعتذروا منه بلباقة ثم طلبوا منه بكل احترام أن يشاهد فيلمًا وثائقيًا عن العراق ، فإذا به فيلم عن المواكب الحسينية في شوارع النجف وكربلاء والكاظمية تصور مشاهد مروعة ومقززة عن ضرب القامات والسلاسل وكأن الإنجليز قد أرادوا أن يقولوا له هل أن شعبًا مثقفًا له من المدنية حظ قليل يعمل بنفسه هكذا ؟

وهنا أذكر كلامًا طريفًا مليئًا بالحكمة والأفكار النيرّة سمعته من أحد أعلام الشيعة ومشايخهم قبل ثلاثين عامًا . لقد كان ذلك الشيخ الوقور الطاعن في السن واقفًا بجواري وكان اليوم هو العاشر من محرم والساعة اثنتي عشرة ظهرًا والمكان هو روضة الإمام الحسين في كربلاء ، وإذا بموكب المطبرين الذين يضربون بالسيوف على رؤوسهم ويشجونها حدادًا وحزنًا على الحسين دخلوا الروضة في أعداد غفيرة والدماء تسيل على جباههم وجنوبهم بشكل مقزز تقشعر من رؤيته الأبدان ، ثم أعقب الموكب موكب آخر وفي أعداد غفيرة أيضًا وهم يضربون بالسلاسل على ظهورهم وقد أدموها ، وهنا سألني الشيخ العجوز والعالم الحر :

ما بال هؤلاء الناس وقد أنزلوا بأنفسهم هذه المصائب والآلام ؟

قلت : كأنك لا تسمع ما يقولون ، إنهم يقولون « واحسيناه » أي لحزنهم على الحسين .

ثم سألني الشيخ من جديد : أليس الحسين الآن في « مقعد صدق عند مليك مقتدر » ؟

قلت : نعم .

ثم سألني مرة أخرى : أليس الحسين الآن في هذه اللحظة في الجنة « التي عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين » ؟ .

قلت : نعم . ثم سألني : أليس في الجنة « حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » ؟ .

قلت : نعم .

وهنا تنفس الشيخ الصعداء وقال بلهجة كلها حزن وألم : ويلهم من جهلة أغبياء لماذا يفعلون بأنفسهم هذه الأفاعيل لأجل إمام هو الآن في « جنة ونعيم ويطوف عليه ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من نعيم » .

في عام ١٣٥٢ هجري وعندما أعلن كبير علماء الشيعة في سوريا السيد محسن الأمين العاملي تحريم مثل هذه الأعمال وأبدى جرأة منقطعة النظير في الإفصاح عن رأيه وطلب من الشيعة أن يكفوا عنها لاقي معارضة قوية من داخل صفوف العلماء ورجال الدين الذين ناهضوه ووراءهم « الهمج الرعاع » على حد تعبير الإمام علي . وكادت خطواته الإصلاحية تفشل لولا أن تبنى جدنا السيد أبو الحسن وبصفته الزعيم الأعلى للطائفة الشيعية موقف العلامة الأمين ورأيه في تلك الأعمال معلنًا تأييدة المطلق له ولفتواه .

وبعد أن أعلنت في إيران الجمهورية الإسلامية وتولت ولاية الفقيه السلطة صدرت الأوامر بإحياء تلك الأعمال كجزء من السياسة المذهبية وأخذت الجمهورية الإسلامية الفتية تساعد الفئات الشيعية في كل الأرض وتحثهم ماديًا ومعنويًا لإحياء هذه البدعة التي أدخلتها السياسة الاستعمارية الإنكليزية لتنقل للغرب صورًا تلفزيونية تدلل بها على همجية الإسلام والمسلمين .

الإمام المهدي

تعتقد الشيعة الإمامية أن الإمام الحسن العسكري وهو الإمام الحادي عشر للشيعة عندما توفي عام ٢٦٠ هجري كان له ولد يسمى محمدًا له من العمر خمس سنوات وهو المهدي المنتظر . وهناك روايات أخرى تقول إن المهدي ولد بعد وفاة والدة الإمام العسكري ومهما كان الأمر فإن المهدي تسلم منصب الإمامة بعد والده وبنص منه وبقي مختفيًا عن الأنظار طيلة خمس وستين عاما وكانت الشيعة تتصل به في هذه الفترة عن طريق نواب عينهم لهذا الغرض والنواب هم : عثمان ابن سعيد العمري وابنه محمد بن عثمان وحسين بن روح وآخرهم علي بن محمد السيمري .

وهؤلاء النواب الأربعة لقبوا بالنواب الخاص ، والفترة هذه تسمى بعصر الغيبة الصغرى . وفي عام ٣٢٩ هجري وقبيل وفاة علي بن محمد السيمري بشهور قليلة وصلت رقعة إليه بتوقيع الإمام المهدي جاء فيها :

« لقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله ، فمن ادّعى رؤيتي فهو كذاب مفتر » .

وهذا العام هو بداية الغيبة الكبرى . ومنذ ذلك الحين انقطع اتصال الشيعة بالإمام بصروة مباشرة وغير مباشرة . حتى إذا ادّعى أحد ذلك فالشيعة تكذبه بسبب النص الوارد في آخر خطاب ورد إليهم من الإمام المهدي .. هذه هي خلاصة عقيدة الشيعة الامامية في المهدي المنتظر ، ولا تزال الشيعة في كل عام وفي يوم الخامس عشر من شهر شعبان تحتفل بولادة المهدي احتفالا كبيرًا ، وهو الإمام الوحيد الذي تحتفل الشيعة بيوم ولادته فقط أما الأئمة الآخرين فتكون الاحتفالات في أيام مولدهم ووفاتهم على السوء .

وفكرة المهدي وظهور قائد في آخر الزمان يملأ الأرض قسطًا وعدلا بعد أن ملئت ظلمًا وجورًا موجودة في كثير من الأديان . وهناك أحاديث روتها كتب الصحاح عن النبي الكريم عن ظهور مهدي من ولده في آخر الزمان ولكن ليس على نحو التعيين . أما الشيعة فتستند على روايات نسبت إلى أئمتها أن المهدي المنتظر الذي أخبر به الرسول

الكريم ﷺ إنما هو ابن الإمام الحسن العسكري [1] . ونحن هنا لا نريد أن ندخل في ذلك الجدل البيزنطي القديم حول المهدي وإعطاء تفسير عقلي لبقائه آلاف السنين في هذه الدنيا ، فنحن معاشر الشيعة كسائر الفرق الإسلامية الأخرى ما دمنا نعتقد بالغيب وأن الله قادر على كل شيء فلا نجد صعوبة في الاعتقاد بأن إنسانًا ما يعيش في هذه الدنيا خارجًا عن القوانين الطبيعية آلاف السنين ، فالقرآن الكريم صريح بأن نوحًا عاش في قومه ألفًا ألا خمسين عامًا وأصحاب الكهف لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، وأن الله رفع عيسى ابن مريم إليه وهو حي في رحابه ، ولنقرأ معًا هذه الآيات البينات :

﴿ **ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون** ﴾ (العنكبوت : ١٤) .

﴿ **ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا** ﴾ (الكهف ٢٥) .

﴿ **وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيمًا** ﴾ (النساء : ١٥٧ ـ ١٥٨) .

وفكرة المهدي بحد ذاتها فكرة جميلة ، فهي توحي بالخير المحض والتطلع إلى عالم مليء بالخيرات والفضائل والحسنات ، عالم مثالي طالما دعا إليه أفلاطون في جمهوريته والفارابي الفيلسوف الإسلامي في مدينته الفاضلة مضافًا إلى تلك النظرية المثالية قيمًا إسلامية رفيعة .

ولو أن الاعتقاد بوجود المهدي بقي محصورًا في الإيمان بوجود إمام غائب من نسل رسول الله ﷺ يظهر في يوم ما ويملأ الأرض قسطًا وعدلا لكان المسلمون بخير ، ولكن

---

(١) ذكر الترمذي في صحاحه أن النبي ﷺ قال :

« لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله دلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي » .

وفي مسند أحمد ابن حنبل عن النبي ﷺ :

« لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي » سيرة الأئمة الأثني عشر ج ٢ ، ص ٥٤٣ ـ هاشم الحسيني .

مع الأسف الشديد أن فقهاء المذهب الجعفري ألصقوا إلى المهدي جناحين شوهوا بهما صورة المهدي الرفيعة الوضاءة . وهذان الجناحان بدعتان كبيرتان ألصقتا بالمذهب الشيعي في عهد ظهور الصراع بين الشيعة والتشيع وهما تتناقضان مناقضة صريحة واضحة مع نصوص القرآن الكريم وسيرة الرسول ﷺ وعمل الإمام علي والأئمة من بعده . البدعة الأولى هي تفسير الخمس في أرباح المكاسب والبدعة الثانية هي ولاية الفقيه في المجتهدين . إن الزعامات المذهبية التي تولت أمور الشيعة الدينية بعد الغيبة الكبرى بسبب فتح باب الاجتهاد ولا زالت هي الماسكة بزمام العقيدة الشيعية حتى هذا اليوم كانت وراء هاتين البدعتين .

أما **الخمس** فيكاد يكون من المتفق عليه عند علماء المذهب الشيعي أنها تشمل أرباح المكاسب والغنائم معًا . إلا أن تفسير الغنيمة بأرباح المكاسب ظهر بعد الغيبة الكبرى بقرن ونصف في الكتب الشيعية . أما **ولاية الفقيه** فهناك من علماء المذهب من عارضها ولكن لها أنصارها . إلا أن المجمع عليه عندهم أن نوعًا من الولاية التي تشبه صلاحية القضاة في تعيين الوصي على المجنون والطفل القاصر تكون من صلاحيات المجتهدين ويقول : وولاية الفقيه تعني عبودية الإنسان للإنسان بلا قيد ولا شرط .

الاجتهاد والتقليد :

يستند علماء الشيعة الإمامية على فتح باب الاجتهاد بمرسومين صدرا عن الإمام المهدي قبيل غيبته ، والمرسومان وإن كانا يختلفان في المضمون ألا أنهما يتفقان في المفهوم وهما :

١ ـ المرسوم الأول : « وأما من الفقهاء من كان صائنًا لنفسه . حافظًا لدينه . مخالفًا لهواه . مطيعًا لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه » .

٢ ـ المرسوم الثاني : « وأما الحوادث الواقعة فارجعوا إلى رواة أحاديثنا » وقد اعتمدوا في فتح باب الاجتهاد على الأخذ بآراء الأموات من الفقهاء ووجوب تقليد عوام الشيعة لهم .

ولاية الفقيه

تمهيد :

يقول الأستاذ فهمي هويدي في كتابه إيران من الداخل ص ٧٧ :

لقد ظل العمل السياسي منذ قرون محورا لجدل طويل وعميق في الفكر والفقه الشيعيين . وهنا تنبغي التفرقة بين ثلاث مراحل في التاريخ الشيعي :

● مرحلة اجتماع الإمامة مع الزعامة (بمعنى الخلافة أو القيادة السياسية) ـ وهي التي تبدأ بتولى الإمام علي الخلافة في سنة ٣٥ هـ وتنتهي بمصرع ولده الحسين على يد يزيد بن معاوية في سنة ٦١ هـ .

● في المرحلة التالية انفصلت الإمامة عن الزعامة ، حيث بقيت الإمامة في آل البيت بينما انتقلت الزعامة إلى غيرهم من الأمويين والعباسيين ، وهي تمتد من إمامة علي بن الحسين زيد العابدين (المتوفى سنة ٩٤ أو ٩٥ هجرية (٧١٢ ـ ٧١٣ م) إلى اختفاء الإمام الثاني عشر محمد المهدي (ولد في سنة ٢٥٥ هـ ـ وليس معروفا تاريخ اختفائه بالضبط) .

● المرحلة الثالثة بدأت بغيبة الإمام الثاني عشر ، وبها فقد الشيعة الرمزين معًا. إذ لم يعد لسلالة الحسين ، التي انحصرت فيها القيادة أي دور في الإمامة أو الزعامة ، منذ ذلك الحين وإلى الآن .

طوال تلك الفترة ، التي استمرت أكثر من ١١ قرنا ، ظلت أسئلة عديدة حول « مصير » الشيعة مثارة بين طبقات الفقهاء وأجيالهم ، وكان أهم تلك الأسئلة هي : من يتولى القيادة ؟ وكيف ؟ وهل يجوز أن تقوم للشيعة دولة أم لا ؟

تعددت الإجابات على تلك الأسئلة ، مما أفرز اختلافا في مواقف الفقهاء إزاء قضايا العمل السياسي ، من مبدأ الإسهام فيه إلى صيغة هذا الإسهام ومداه ، إذ لم يكن عزوف الفقهاء عن السياسة أو الانخراط فيها تعبيرًا عن ميول شخصية ، بقدر ما كان ذلك تجسيدًا لمدارس فقهية وتيارات تتفاعل في الحوزة (مركز حيازة العلوم الشرعية وتخريج الفقهاء) منذ عدة قرون .

وكما عرف الفقه السني أهل الرأى ، ممثلين في الأحناف ، وأهل الحديث ممثلين في الحنابلة ، فإن تقسيما مشابها ظهر في الفقه الشيعي حيث برزت مدرستان أساسيتان عرفتا باسم الأخباريين ، والأصوليين (الذين أعطوا أنفهسم حق الاجتهاد) .

تبلورت المدرستان في القرن السابع عشر ، وبينما ظهر قبل ذلك عدد من فطاحل الفقهاء يتحدثون عن « الاجتهاد » ـ كان العلامة الحلّي المتوفى سنة ١٣٢٦ م أول من استخدم هذه الكلمة في الفقه الشيعي ويعطون أنفسهم حق الإفتاء فيما يستجد على الناس من أمور .

وكان في مقدمة دعاة الاجتهاد ثلاثة من الفقهاء عاصروا حكم البويهيين ، هم : الشيخ المفيد ، والشيخ مرتضى ، والشيخ الطوسى ، غير أنه في بداية القرن السابع عشر تصدى لهذا التيار الملا محمد أمين استرابادى (المتوفى سنة ١٦٢٦) [١٤] ومن بعده شيخ الإسلام في مشهد ، الحر العاملي (المتوفى سنة ١٧٠٨ م) ، ومؤلف الكتاب الشهير : « وسائل الشيعة » [١٥] . اعترض الإثنان مع فقهاء آخرين على أطروحات الأصوليين ، الذين أعطوا أنفسهم حق الاجتهاد ، وقالوا إن « الفقه » عند الشيعة هو فقط ما صدر عن الأئمة من « أحاديث » وتعاليم . وأنه ليس لأحد أن يعطي لنفسه صلاحيات هي من صميم اختصاص الأئمة المعصومين . الأمر الذي اعتبر الاجتهاد في ظله نوعا من الانتهاك لصلاحيات الأئمة . كما وقفوا ضد الخوض في المعترك السياسى ، بالمعارضة أو التمرد أو الثورة ، ناهيك عن إقامة الدولة .

ألزم الإخباريون أنفسهم بثلاثة أمور : **معارضة « بدعة » الإجتهاد** ، **الاكتفاء « بالأحاديث » المروية عن الأئمة** ـ ففي تجاوز الحدود التي رسمها الأئمة لأنفسهم من حيث كونهم مرشدين روحيين ورساليين وليسوا زعماء سياسيين ـ **الإبقاء على الأمر الواقع** كما هو ، دون تغيير بانتظار عودة الإمام الغائب الذي سيعيد الحق إلى نصابه .

وإذا كان مسار الأحداث قد رجح كفة الأصوليين ، حيث استقرت مرجعية التقليد ، واتسعت دائرة المجتهدين ، وذهب بعض الفقهاء إلى حد المشاركة في المعترك السياسي ، إلا أننا نستطيع أن نلمح فصيلين داخل تيار الأصوليين :

● الأول : يسلم باستحالة إقامة تطبيق سليم للشريعة في ظروف غيبة الإمام ، ولكنه

يدعو إلى المشاركة في الحياة السياسية بالقدر الذي يقلص من شرعية النظام القائم إلى الحد الأدنى الذي لا مفر منه . وكان هذا هو موقف الشيخ نائيني في كتابه « تنبيه الأمة » الذي لقى ترحيبًا طيبا في الحوزة عند صدوره في بدايات القرن الحالى . وهو لا يزال موقف أغلبية مراجع الحوزة إلى الآن .

● **الفصيل الثاني** : يتجه إلى توسيع دائرة الممارسة بحيث يقيم الفقهاء الدولة الإسلامية رغم استمرار غيبة الإمام وكان روح الله الموسوي الخميني من أصحاب الرأي الثاني حيث جهر به أثناء تقديمه لكتاب المكاسب للشيخ مرتضى الأنصاري حين انتهى من عرض باب البيع تطرق إلى جوهر المعاملات ودور الفقهاء فيها طارحًا تصوره المفصل لقضية ولاية الفقيه وهو ما شد إليه انتباه مستمعيه من طلاب الحوزه في مسجد الشيخ الأنصارى بالنجف .

ولاية الفقيه بين التاريخ والاعتقاد

١ ـ من الناحية الفقهية فإن الإمامة عندهم من أركان العقيدة وهي أهم ما يميزهم عن أهل السنة وعن فرق الشيعة الأخرى . ورد في أصل الشيعه لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ١٣٦ ما يلى : (إن الله لا يخلي الأرض من حجة على العباد ، من نبي أو وصي ظاهر مشهور أو غائب مستور) فالإمامة عندهم منصب آلهي يختاره الله لسابق علمه كما يختار النبي ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه . ويعتقدون أن الله أمر نبيه محمد ﷺ أن ينص على إمامة علي وينصبه علمًا للناس وأن الإمامة استمدت بالنص حتى الإمام الثاني عشر محمد المهدي المنتظر .

إزاء هذا العمق الاعتقادي البعيد للإمامة ، بات أمرًا بالغ الشذوذ أن تظل الشيعة الإمامية بغير قيادة طوال ١٢ قرنًا . وأن يظل ذلك الموقع بالغ الأهمية شاغرًا إلى أجل لا يعلم مداه إلا الله . ولم يكن هناك غير الفقهاء بديلا لحل هذا المشكل وسد تلك الثغرة .

٢ ـ ومن الناحية التاريخية فإن كتب تاريخ الشيعة تشير إلى أن الإمام الثاني عشر ، محمد المهدي ، اختفى في غيبة صغري قبل غيبته الكبري ، وأن أربعة فقهاء تولوا النيابة عنه في قضاء شئون الشيعة هم : عثمان بن سعيد ، ثم ابنه المعروف بالشيخ الخلاني

(المتوفي سنة ٣٠٤ هـ) ثم الحسين بن روح النوبختي (توفي سنة ٣٢٦ هـ) ثم على بن محمد السمري (ت ـ ٣٢٩ هـ) .

ووقوع تلك النيابة عن الإمام ، فضلا عن النصوص العديدة التي أعطت الفقهاء مقامًا ومسئوليات خاصة في توجيه المسلمين ، حسم الأمر لصالح الدور الفعال للفقهاء ومهد التربة لظهور فكرة « ولاية الفقيه » وتناميها تاريخيًا ، كان للفقيه الشيعي دور أكبر من مجرد كونه مرشدا روحيًا ، إذا صح التعبير . تجاوزت مهمته حدود الفتوى بما هو حلال ، وما هو حرام ، إلى دور المتلقى للزكاة والخمس ، مما وضعه في موقف سمح له بأن يكون وثيق الصلة بالحياة الاقتصادية للمجتمع ، ووثق من علاقة الفقهاء بالتجار ، المصدر الأهم وأصحاب النصيب الأوفر في دفع الزكاة والخمس ، ولكن الأهم من ذلك أن الدفع المباشر للفقهاء وضع بذرة النمو الإقتصادي المستقل لهم في مواجهة الدولة . وكان هذا الاستقلال الإقتصادي من أهم عوامل إقامة المؤسسة الدينية ذاتها ، ثم تحقيق الاستقلال السياسي للمؤسسة ولهؤلاء الفقهاء .

ولاية الفقيه الميلاد والمنشأ

ثمة اختلاف في مصادر الشيعة حول نشوء فكرة ولاية الفقيه فهناك من يقول إن الفكرة ولدت في جبل عامل في لبنان وإن الأب الشرعي لها هو الشيخ محمد بن مكي الجزيني المتوفى ١٣٦٦ م قال عنه الشيخ جعفر المهاجر إنه ينتسب إلى قربة جزين نشأ في بيت علم وفقه درس في الملة بالعراق وكانت أهم مراكز الشيعة العلمية آنذاك ووصفه أنه شيخ الشيعة والمجتهد في مذهبهم .

ثم عاد إلى جزين وأشرف على تخريج جيل من الفقهاء كان لهم دور كبير فيا بعد وأثناء إقامته فيها ألف كتابه « اللمعة الدمشقية » وفيها تعرض لأول مرة إلى فكرة نائب الإمام ويقول الشيخ المهاجر : إن التشيع قد أفلح على يد محمد بن مكي الجزيني في ملء فراغ السلطة الذي استمر فترة تزيد عن أربعة قرون وإن فكرة نائب الإمام انتشرت انتشار البرق في المراكز الشيعية حتى أن على بن المؤيد ملك خراسان الشيعي أرسل يستقدمه إلى خراسان ليشرف على تأسيس دولته الشيعية التي قضى عليها التتار فيا بعد ولكن ابن مكي آثر البقاء في وطنه واكتفى بتسليم رسول الملك كتاب اللمعة الدمشقية مقترحًا أن يكون دستور دولته الشيعية غير أن المصادر الإيرانية لا تشير إلى دور الشيخ

الجزيني في إبراز فكرة ولاية الفقيه بل تنسبها إلى الشيخ أحمد النراقي من مواليد قرية فراق في كاشان الإيرانية تلقى علومه في النجف الأشرف وكربلاء حيث نال مرتبه عظيمة في الفقه والأصول ثم عاد إلى كاشان ليعلم ويؤلف إلى أن توفاه الله سنة ١٢٤٥ هـ فدفن في الصحن العلوي بالنجف الأشرف في العراق .

ولا يستبعد أن يكون الشيخ النراقي قد استقى فكرة نيابة الإمام أو ولاية الفقيه من كتاب اللمعة الدمشقيه لابن مكي إلا أنه لا خلاف على أن الشيخ النراقي له الفضل في صياغة الفكرة وتفصيلها .

جعل الشيخ النراقي من ولاية الفقيه عنوانا لأحد فصول كتابه عوائد الأيام وشرح فكرته بقوله (والمقصود هنا بيان ولاية الفقهاء الذين هم الحكام في زمن الغيبة والنواب عن الأئمة) .

وبعد أن أورد الشيخ النراقي ١٩ دليلا ، خرج منها بنتيجتين هامتين هما :

١ ـ كل ما كان للنبي والأئمة ، الذين هم سلاطين الزمان وحصون الإسلام فيه الولاية وكان لهم ، فللفقيه أيضا ، إلا ما أخرجه الدليل من إجماع أو نص أو غيرها .

٢ ـ أن كل فعل متعلق بأمور العباد في دينهم أو دنياهم ، ولابد من الإتيان به ، ولا مفر منه إما عقلاً أو عادة ، من جهة توقف أمور المعاد أو المعاش لواحد أو جماعة عليه ، وإناطة انتظام أمور الدين أو الدنيا به .. أو .. أو .. أو .. ، فهو وظيفة الفقيه ، وله التصرف فيه والإتيان به .

وبعد أن وضع هاتين القاعدتين ، قدم الشيخ النراقي بيانا بوظائف الفقهاء التي منها :

ـ الإفتاء ، فلهم ولايته ، وعلى الرعية وجوب إتباعهم في فتاواهم وتقليدهم في أحكامهم .

ـ القضاء ، إذ لهم ولاية القضاء والمرافعات ، وعلى الرعية الترافع إليهم وقبول أحكامهم .

ـ تطبيق الحدود والتعزيرات ، وقد ذكر أن فقهاء الشيعة اختلفوا في ثبوت ولايتها للفقيه . ثم قال إنه يؤيد الرأى القائل بثبوت هذه الولاية أيضا للفقهاء .

- الولاية على أموال اليتامى ، بمعنى جواز تصرف الفقيه الجامع الشرائط فيها ، ونفوذ بيعه وشرائه ومعاملاته ، استثناء من قاعدة عدم جواز التصرف في مال الغير .

- الولاية على أموال المجانين والسفهاء ، والغائبين عن ديارهم .

- الولاية على الأنكحة (عقود الزواج) .

- التصرف في أموال الإمام من نصف الخُمس ، والمال المجهول مالكه ، ومال من لاوارث له .

ومن مفارقات الأقدار أن يكون أبرز تلاميذ الشيخ النراقي الإمام الخميني الذي جلس في صحن مسجده فيما بعد ليلقي دروسه حول ولاية الفقيه .

هذه الدعوة المبكرة إلى شمول ولاية الفقيه لكل أمور الدين والدنيا ، المعاد والمعاش ، ولكل صلاحيات الإمام ، لقيت صداها لدى الإمام الخميني ، الذي تبنى الفكرة ، وظل يروج لها وينادى بتحقيقها . وفي محاضراته على طلاب حوزة النجف ، فإنه استدل مرتين برأى الشيخ النراقي ، مما يشير إلى أنه كان على دراية به ، إن لم يكن قد تأثر بأفكاره .

خلال ١٨ يوما كان آية الله الخميني قد بسط قضيته أمام مستمعيه في حوزة النجف الأشرف ، وحدد هدفه بوضوح لا لبس فيه . إذ ظلت محاضراته في الفترة من ١٣ ذي القعدة إلى أول ذي الحجة عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٥ م) ترتكز على محورين أساسيين هما :

أولاً : أنه لا بديل عن تشكيل حكومة إسلامية .

ثانيًا : أن تلك مسئولية ينبغي أن ينهض بها الفقهاء .

وكان طبيعيًا أن يرد على مقولات الداعين إلى انتظار الإمام الغائب ، الذي سيقهر الظلم ويقيم العدل ، فطرح على مستمعيه مجموعة من الأسئلة . إذ قال : قد مر على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي أكثر من ألف عام . وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر . في طول هذه المدة المديدة ، هل تبقى أحكام الإسلام معطلة ؟ .. القوانين التي صدع بها نبيّ الإسلام ﷺ وجهه في نشرها وبيانها وتنفيذها طيلة ثلاثة وعشرين عاما ، هل كان كل ذلك لمدة محدودة ؟ هل حدد الله عمر الشريعة بمائتي عام

مثلا ؟ (حتى اختفاء الإمام الثاني عشر) .. هل ينبغي أن يخسر الإسلام من بعد الغيبة الصغرى كل شيء ؟ ..

إن الذهاب إلى هذا الرأي أسوأ في نظري من الاعتقاد بأن الإسلام منسوخ فلا يستطيع أحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول : إنه لا يجب الدفاع عن ثغور الوطن أو إنه يجوز الامتناع عن دفع الزكاة أو الخمس ، أو يقول بتعطيل القانون الجزائي في الإسلام (عن كتاب الحكومة الإسلامية ص ٢٦) .

وهو يعزز دعوته ، اتخذ من « الخُمس » مثلاً ، فقال إن هذه النسبة التي تُفرض لحساب آل البيت من أرباح المسلمين ، تنفق في تسيير شئون الدولة الإسلامية ثم تساءل : هل نلقى بهذه الثروة الواسعة في البحر ؟ أو ندسها في التراب حتى ظهور الحجة ؟ أو نوزعها على ٥٠ أو ٥٠٠ ألف هاشمي (من آل البيت) ؟ .. وإذا دفع إليهم (كل) هذا المال ، أليس يذهلهم ويحيرهم ؟ على اعتبار أن حق الهاشميين في الخمس إنما هو بمقدار ما يحتاجون إليه بقصد واعتدال - (ص ٣٠) .

في موضع آخر من محاضراته ، عاد يتساءل : في عهد الغيبة لا يوجد نص على شخص معين يدير شئون الدولة ، فما هو الرأي ؟ .. هل تترك أحكام الإسلام معطلة ، أم نرغب بأنفسنا عن الإسلام ؟ أم نقول إن الإسلام جاء ليحكم قرنين من الزمان فحسب ، ليهملهم بعد ذلك ؟ (ص ٤٨) .

الفقهاء حكام على الملوك :

لم يكف الخميني عن حث مستمعيه على التحرك ، والانتقال من حالة الانتظار إلى « المبادرة » ، فكرر كلامه بصيغة أخرى ، وقال : نحن مكلفون بحفظ الإسلام . وهذا من أهم الواجبات ، ولعله لا يقل أهمية عن الصلاة والصوم . وهذا هو الواجب الذي أُريقت في سبيل أدائه دماء زكية .. لا تقولوا ندع ذلك حتى ظهور الحجة عليه السلام (الإمام المهدي) فهلا تركتم الصلاة بانتظار الحجة ؟ لا تقولوا كما قال البعض : ينبغي إشاعة المعاصي كي يظهر الحجة . بمعنى أن الفواحش إذا لم تنتشر ، فإن الحجة لن يظهر (ص ٦٦) .

ما العمل : بوضوح أجاب على السؤال : على الفقهاء العدول أن يتحينوا هم الفرص

وينتهزوها ، من أجل تنظيم وتشكيل حكومة رشيدة يراد بها تنفيذ أمر الله وإقرار النظام العادل (ص ٥٤) .

.. « أخرجوا من عزلتكم (الخطاب لطلاب الدراسات الدينية) وأكملوا برامجكم الدراسية والإرشادية واركبوا الصعاب في سبيل ذلك . وخططوا للحكومة الإسلامية » . (ص ١٣٤) .

إن « النضال من أجل تشكيل حكومة توأم الإيمان بالولاية » (ص ٢٠) .

ينبغي للفقهاء أن يعملوا فرادى أو مجتمعين من أجل إقامة حكومة شرعية .

● الفقهاء اليوم حجة على الناس ، كما كان الرسول ﷺ حجة عليهم . وكل ما كان يناط بالنبي فقد أناطه الأئمة بالفقهاء من بعدهم ، فهم المرجع في جميع الأمور والمشكلات والمعضلات ، وإليهم قد فوضت الحكومة ولاية الناس وسياستهم والجباية والإنفاق . وكل من يتخلف عن طاعتهم ، فإن الله يؤاخذه ويحاسبه على ذلك (ص ٨٠) .

● استنادا إلى نص الآية ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول .. ﴾ فإن القرآن يأمرنا برد كل القضايا ، حقوقية كانت أم جزائية (مدنية أو جنائية) إلى الرسول باعتباره رئيس الدولة .. ومن بعده الأئمة ، ومن بعدهم الفقهاء العدول (ص ٨٥) .

● لا ينبغي أن يساء فهم ما تقدم . فيتصور أحد أن أهلية الفقيه للولاية ترفعه إلى منزلة النبوة أو منزلة الأئمة . فهذا الكلام لا يدور حول المنزلة أو المرتبة ، وإنما يدور حول الوظيفة العملية (ص ٥٠) .

ومن الإيضاحات التي عرضها في محاضراته حول كيفية تشكيل الحكومة وطبيعتها ، قوله :

● من المسلم به أن الفقهاء حكام على الملوك وإذا كان السلاطين على جانب من التدين فما عليهم إلا أن يصدروا في أعمالهم وأحكامهم عن الفقهاء ص ٤٦ .

● علينا أن نستفيد من ذوى الاختصاص العلمي والفني فيما يتعلق بالأعمال الإدارية والإحصائية والتنظيمية أما فيما يتعلق بالإدارة العليا للدولة وتوفير الأمن والقضاء والحكم بين الناس بالعدل فذلك ما يختص به الفقيه (١٣٣) .

الباطنية

البـاطن : اسم من أسماء الله فهـو الأول والآخر والظـاهر والبـاطن وهـو بكل شيء عليم ، ومعناه لغة المحتجب عن الأبصار والخلائق وأوهامهم فلا يدركه بصر ولا يحيـط بـه وهم (عن لسان العرب حـ ١٣ صـ ٥٤) يقال بطن الأمر إذا عرف باطنه .

والباطني : هو الرجل الذي يكتم اعتقاده فلا يظهره إلا لمن يثق به وقيل البـاطني : هو المخصص بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها وقيل الباطني : هو الذي يحكم بأن لكل ظـاهر بـاطنـاً ولكل تنزيل تـأويلا ، يقول الـدكتور محمد أحمـد الخطيب في الأصـل التـاريخي للباطنية : فالواقع أن مؤرخي الفرق مختلفون في أصلها ومصدرهـا فمنهم من يرجعهـا الى المجوس ومنهم من ينسبها الى الصابئة بحران إلا أن هذا الاختلاف سرعان ما يزول عندما نعرف أن الأصول التي تعتمد عليها الباطنيـة : بكل فرقهـا وطوائفهـا نـابعـة من الفلسفـة اليونانية التي غزت بأفكارها الكثير من هذه الفرق .

ويرى الدكتور محمد جابر عبد العـال في كتـابـه حركات الشيعـة المتطرفـة صـ ٥ مـا يلي : إن المتتبع لتطور عقائد الشيعـة والتي بـدأت بفكرة الـدفـاع عن حق آل البيت في الخلافة إلى اتخاذ هذا البيت الكريم وسيلة لنشر مذاهب دينية خـاصـة تهـدف إلى أغراض سياسية ويجزم أن وراء هذه التطورات يـدًا خبيثـة سوداء تحيـك في الظلام مؤامرة ضـد عقائد الإسلام .

ويقول الدكتور محمود قـاسم في كتـابـه دراسـات في الفلسفـة صـ ٢٥٤ مـا يلي : لقـد نشأت محاولة هـدم الإسلام من الـداخل وذلـك عن طريق إبتـداع منـاهج البـاطنيـة في تأويل الشريعة على نحو يقضي إلى نسخها والاستعـاضـة عنهـا بخليـط عجيب من الحكمـة يجمع بين خرافات الفرس ووثنية الإغريق وعقائد اليهودية الـذين حرفوا دينهم من قبل فظهرت بصيغة إسلامية خادعـة كفكرة النور المحمـدي وعصمـة الأئمـة ومعجزاتهم والغيبـة والرجعة والحلول وتجسيد الألوهية والتأويل والتشبيه وغير ذلـك من الأفكار والعقـائـد ، ولم يكن مجيء عبد الله بن سبأ الحبر اليهودي الذي تظـاهر بـالإسلام إلى سيـدنـا عليّ بن أبي طالب وقوله له أنت أنت (يعنى أنت الله) مجرد صـدفـة ولكنهـا حلقـة من حلقـات المؤامرة التي أرادت إحياء العقائد الوثنية وذهب أتباعه يسـألون عليًـا : أنت هو ؟ فقـال

لهم ومن هو فقالوا : أنت الله فثار علي رضي الله عنه وأمر مولاه قنبر بحرقهم في النار (الملل والنحل حـ ٤ صـ ١٨٦) ويروي البغدادي في الفرق بين الفرق صـ ٢٣٤ : أن عليًّا أراد أن يحرق معهم رأس الفتنة عبد الله بن سبأ ولكن الناس صاحوا بعليّ : يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو الى حكم أهل البيت والبراءة من أعدائك . ولا أظن هؤلاء الذين نهوه عن قتله إلا من أنصاره المستورين والله أعلم .

لقد ظهر بعد عبد الله بن سبأ أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية زعيمٌ لغلاة الشيعة فقال بالظاهر والباطن وبعد أبي هاشم ظهر من شيعة الكوفة بيان بن سمعان فأعلن ألوهية عليّ بن أبي طالب التي نُقلت إليه بتناسخ الجزء الإلهي فكان جديرًا بأن ينسخ شريعة محمد (الملل والنحل صـ ١٨٥) ، ثم ظهر المغيرة بن سعيد العجلي الذي اشتهر بالعلوم والأسرار الموجودة وراء رقم ٧ ثم أبو منصور العجلي الذي رفع أئمة الشيعة جميعًا إلى مصاف الإله وزعم أنه عُرج بهم إلى السماء ، ثم أتى بعده أبو الخطاب الأسدي الذي كان أستاذًا لمربي زعماء النصيرية والقرامطة الذي ادعى الإمامة ثم النبوة وأسقط التكاليف الشرعية وأوجد لها تأويلاً ـ هذه العناوين والشعارات ـ ظهرت لتطمس معالم الإسلام وتعيد لأعدائه مجدهم الذي تلاشى أمام عظمة الإسلام ورفعة مبادئه وسمو تعاليمه وانسجامه مع العلم والعقل وبعده عن الخرافة والتدجيل . ورد في كتاب مشكاة الأنوار ص ٣٥ ما يلي :

لم يظهر النشاط السياسي لهذه الفرقة بشكل منظم ومرسوم إلا على يد ميمون القداح الذي أجمعت كل كتب الفرق والملل على أن هذا الرجل هو المؤسس الحقيقي لهذه الطائفة وليس معنى هذا أن مبادئ الباطنية لم تكن معروفة من قبل . وإنما يرجع إلى ميمون القداح دور تنظيم هذه الفرقة وتكوين وتعليم دعاتها وإرسالهم الى الأقطار المختلفة لينشروا مبادءهم وتعاليمهم بين الناس .

وقد ظهرت هذه الطائفة في العراق باسم القرامطة وفي مصر بالعبدية وفي الشام بالنصيرية والدروز وفي فلسطين بالبهائية وفي الهند بالبهرة وفي بلاد الترك بالبكباشية وهكذا

ويقول محمد بن مالك اليماني في كتابه كشف أسرار الباطنية إن ميمون القداح مؤسس الفرقة الباطنية (الإسماعيلية) كان يهوديًّا يعتنق اليهودية ويظهر الإسلام وهو من ولد

الشلعلع من مدينة سلحبة من بلاد الشام وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب . وكان يعمل صائغًا يخدم شيعة إسماعيل وكان حريصًا على هدم الشريعة لما ركب الله في اليهود من عداوة للإسلام والبغضاء لرسول الله ﷺ . فلم ير وجهًا يدخل به على الناس حتى يردهم عن الإسلام ألطف من دعوته إلى أهل بيت رسول الله ﷺ .

ويرتبط تاريخ المنهج الباطني بالتأويل حيث جعلوا لكل آية ظاهرًا وباطنًا كما جعلوا القرآن هو الإمام الصامت وعلي بن أبي طالب الإمام الناطق وكانوا يقصدون من وراء التأويل غرضين :

١ ـ نزع ثقة المسلمين في صحابة رسول الله ﷺ ليصلوا إلى هدفهم في عدم توثيق مانقل عنهم من أحكام .

٢ ـ إحلال أفكارهم الفاسدة بدل الأفكار الإسلامية الأصيلة وتوثيق أفكارهم بنسبتها إلى رواة من أهل البيت تارة وبتأويلها الباطني حسب أهوائهم تارة أخرى . وقد ساعدهم على ذلك شتم الصحابة وتكفيرهم . ويقول الإمام ابن تيمية بأن الباطنية اجتمعوا على ما يلي :

١ ـ الطعن في خيار الأمة وفيما عليه السلف وأهل السنة .

٢ ـ الطعن في أصول الدين وقواعد الملة .

٣ ـ تحريف القرآن وادعاؤهم أن هناك باطنا امتازوا به عما سواهم .

وفي فضائح الباطنية ص ١١ ـ ١٢ يقول الإمام الغزالي مايلي :

١ ـ أما الباطنية فإنما لقبوا بها لأن لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورًا جلية وهي عند العقلاء الأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة . وأن من تقاعد عقله عن الغوص في الخفايا والأسرار ، والبواطن والأغوار . وقنع بظواهرها مسارعًا الى الاغترار ، كان تحت الأواصر والأغلال معنّى بالأوزار والأثقال . وأرادوا بالأغلال : التكليفات الشرعية . فإن من ارتقى الى علم الباطن انحط عن التكليف واستراح من اعبائه وهم

المرادون بقوله تعالى ﴿ **ونضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** ﴾ (الأعراف : ١٥٧) . وربما موهوا بالاستشهاد عليه بقولهم إن الجهال المنكرين للباطن هم الذين أريدوا بقوله تعالى ﴿ **فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب** ﴾ (الحديد : ١٣) . وغرضهم الأقصى إبطال الشرائع ، فإنهم إذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى الباطن على حسب ما يوجب الانسلاخ عن قواعد الدين إذ سقطت الثقة بموجب الألفاظ الصريحة فلا يبقى للشرع عصام يرجع إليه ويعول عليه . ومن الباطنية برأي الإمام الغزالي :

٢ ـ القرامطة نسبة إلى حمدان بن قرمط الذي استغواه أحد دعاة الباطنية .

٣ ـ الخرمية : وحاصل مذهبهم راجع إلى طي بساط التكاليف وحط أعباء الشرع عن المتعبدين وتسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات من المباحات والمحرمات وخرم لفظ أعجمي معناه الشيء المستلذ المستطاب وقد كان لقبًا للمزدكية أهل الإباحة من المجوس ويسمون خرمدينية .

٤ ـ البابكية : أصحاب بابك الخرمي الذي خرج في بعض الجبال بأذربيجان أيام المعتصم يزعمون أن من استولى على امرأة استحلها بالاصطياد والصيد من أطيب المباحات كان ملكهم قبل الإسلام شروين ويزعمون أنه أفضل من النبي ﷺ .

٥ ـ الإسماعيلية : نسبة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الذي انتهت به الإمامة .

٦ ـ السبعية الذي يعتقدون أن أدوار الإمامة سبعة وأن تدابير العالم السفلى منوطة بالكواكب السبعة التي أعلاها زحل وهذا مذهب الثنوية .

٧ ـ المحمرة سموا بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة أيام بابك .

٨ ـ التعليمية : لقبوا بذلك لأنهم قالوا بإبطال الرأي وتصرف العقول ودعوا إلى التعليم عن الإمام المعصوم .

الغلو والغلاة

تعريف الغلو : الغلو لغة : التجاوز عن الحد ، والخروج عن المقصد في كل شيء . والغلو في الدين تجاوز الحد والإفراط فيه . جاء في القرآن الكريم : ﴿ **قل يا أهل**

الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ (المائدة : ٧٧) . جاء في الحديث الشريف « إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين » أخرجه أحمد . وعرفه الشيخ المفيد من علماء الشيعة في كتابه تصحيح العقائد بقوله : الغلاة المتظاهرون بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته ـ عليهم السلام ـ الى الألوهية والنبوة ووصفهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد ، وخرجوا عن القصد » .

وعرفهم الشهرستاني في الملل والنحل بقوله : « الغالية هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الألوهية ، فربما شبهوا واحدًامن الأئمة بالإله وربما شبهوا الإله بالخلق وهم على طرفي الغلو والتقصير » وعرفهم ابن خلدون في مقدمته بقوله : « الغلاة هم الذين تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بألوهية الأئمة : إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية أو أن الإله حلّ في ذاتهم البشرية » .

أفكار الغلاة

تتلخص أفكار الباطنية والغلاة في الحلول والتناسخ والتأويل :

التأويل

التأويل : يعرفه الدكتور الذهبي في التفسير والمفسرون بقوله : التأويل هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به ، فإذا لم يكن اللفظ محتملاً للمعنى الذي حمل عليه ولم يبين المتأول الدليل الذي حمله على ذلك كان تأويلاً فاسدًا بل تلاعبًا بالنصوص .

والتأويل الفاسد هو الذي اعتمده الغلاة مدعين أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا وأن المراد منه باطنه دون ظاهره ، وبهذا أخذ الغلاة يحرفون اللفظ القرآني عن معناه الذي سيق له إلى معانٍ تتفق مع عقيدتهم وتنسجم مع أهوائهم ونزعاتهم فقد فسر بيان بن سمعان الذي تنتسب اليه فرقة البيانية قول الله تعالى ﴿ **هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين** ﴾ (آل عمران : ١٣٨) . بقوله (أنا البيان وأنا الهدى والموعظة ـ وقال إن الله رجل من نور يفنى كله إلا وجهه مؤولاً قوله تعالى : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ وتأول عبد الله بن سبأ زعيم السبئية قوله تعالى : ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد** ﴾ يعني

أن محمدًا سيرجع إلى الحياة الدنيا .

وكان التأويل من أهم أسلحة الغلاة في التحلل من القيم الأخلاقية والشعائر الدينية وفي إشاعة الإباحية والإلحاد . فالمعمرية وهم جناح من الخطابية استحلوا الخمر والزنا وسائرالمحرمات وقالوا بترك الصلاة مؤولين قوله تعالى : ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم** ﴾ (النساء : ٢٨) ، وقالوا خفف عنا يا أبا الخطاب وضع الأغلال والآصار ، وقالوا من عرف الإمام فليضع ما أحب يعني لا حرج عليه ، النصيرية أشهر الفرق غلوًا في تأويل الباطن فقد كان ابن نصير يقول بإباحة المحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضًا في أدبارهم ، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل في المفعول به وأنه من الفاعل والمفعول به إحدى الشهوات الطيبات وأن الله لم يحرم شيئًا من ذلك كما ورد في المقالات والفرق للقمي الشيعي ، لقد نهج الباطنيون الغلاة نهج اليهود في التأويل الذين وضعوا كتاب القبالة كتبوا فيه التأويل الخفي للتوراة ، وأهم مسائله سرية التعاليم وإمكان فك رموز التوراة ، وكذلك رمزية الأعداد والحروف (عن المعجم الفلسفي د . جميل صليبا) .

ولقد فسر رسول الله ﷺ الذين عنتهم الآية الكريمة ﴿ **فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه** ﴾ - يعني آيات القرآن - ﴿ **ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله** ﴾ .. إلخ ، فيما رواه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أنه قال : « فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه ، فهم الذين عنى الله فاحذروهم » وفي رواية البخاري : « فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله - يعني في قلوبهم زيغ - فاحذروهم » ابن كثير ، ذلك لأن الإسلام دين سهل واضح لا غموض فيه ولا تعقيد ولا رموز ولا ألغاز ، فقد تركنا رسول الله على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ظاهرها كباطنها لا يحيد عنها إلا هالك ، ونصوص القرآن تفهم طبقًا لقواعد اللغة العربية من غير تعسف ولا تكلف ووفق ما فهمها صحابة رسول الله ﷺ من غير تأويل أو تقعر .

الأثر الفارسي في التأويل : إن طرح التأويل الباطني للقرآن الذي لا يعلم تأويله بنظرهم إلا الإمام يهدف إلى تقريب الإسلام من المجوسية التي أصبحت في عهد الساسانيين لتبرير الحكم الكسروى المطلق ونشر مبدأ الخضوع والطاعة للشاهنشاه فابتدع الغلاة فكرة التأويل وجعلوها خاصة بالإمام الذي تجب طاعته وبالوحي من بعده ولوكان فارسيًا وهذا هو المقصود لذا فقد رد بعض المؤرخين هذه الفكرة إلى أصلها المجوسي

الفارسي لأن الفرس اعتقدوا أن ملوكهم منحدرين من أصلاب الآلهة وأن الشاهنشاه إنما هو تجسيد الإله .

ولقد تحولت محاولات التأويل إلى عمليات واسعة منظمة لتشويه الإسلام ولم ينس الغلاة أن يرجعوا إلى القرآن ليعملوا باسمه في تبرير اعتاد التأويل فاستشهدوا بالآيات التالية (**وذروا ظاهر الإثم وباطنه**) ، (**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن**) وقد استعملوا هذه الآيات للتدليل على أفكارهم بعد أن أولوها وأخرجوها عن المعاني التي نزلت من أجلها . وقالوا : (إن آيات القرآن سهلة يسيرة ولكنها على سهولتها تُخفي وراء ظاهرها معنى خفيًا مستترًا وقالوا أن الحقائق لا توجد إلا في المعاني الباطنة ، وأما المعاني الظاهرة فهي حجب مضطربة متناقضة) (العقيدة والشريعة ٢٤٢) .

والتأويل إما أن يكون مقبولاً أومرفوضًا .

١ ـ التأويل المقبول برأي الإمام الغزالي (هو ما كان تأويله في أمر لا يتعلق بأصول العقيدة ومهماتها فلا نكفره) فيصل التفرقة ١٣) وهو تأويل غالبًا ما يقع عندما يكون النص في ظاهره لا يمكن ادراكه ولا يمكن تفسيره فيكون التأويل توضيحًا وتفسيرًا له . (الغلو والفرق الغالية ص ١٤٩)

٢ ـ أما التأويل المرفوض فهو تأويل الغلاة الذي يوقع صاحبه بالكفر وقد حدده الإمام الغزالي بقوله : هو ما يتعلق بأصول العقائد المهمة . فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذي ينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون وأوهام وكالذي يقول بأن الله لا يعلم إلا نفسه ولا يعلم إلا الكليات وأما الأمور الجزئية المتعلقة بالأشخاص فلا يعلمها) (فيصل التفرقة ص ١٤)

فالتأويل الغالي هو الذي يقع في تأويل الأصول والعقائد تأويلاً يخرجها عن مدلولاتها الحقيقية .

الحلول

استعملت الفرق الغالية الحلول في أشخاص الأنبياء ثم نقلوها إلى الأئمة ولم ينس هؤلاء أن يستشهدوا بآية من القرآن يبررون فيها مذهبهم في الحلول وحلول روح الله في

البشر يعني منحه صفات كاله جل شأنه وبذلك يكونون قد أنزلوا الله إلى مستوى البشر بحيث لم يبق فاصل بين الإنسان وخالقه وهكذا أصبح الحلول أساساً لهدم الألوهية والنبوة ، فإذا حلت روح الله في إنسان كان ذلك مدعاة لسقوط التكاليف وبه قال الغالون وبعض المتصوفة المغالين . يقول الإمام عبد الحسين مهدي العسكري : وهو من أخطر أفكار الغلاة ويريد به حلول الإله ذاته أوروحه جزءًا أوكلاً في البشر . وقد اعتقد الغلاة بألوهية الأنبياء والأئمة وبعض رؤسائهم بدعوى حلول الإله وتجسده فيهم من هؤلاء السبئية الذين زعموا أن عليًّا إله على الحقيقة كما جاء في التبصير في الدين للإسفرايني صـ ١٠٨ .

والبيانية الذين زعموا أن جزءًا إلهيًّا حل في عليّ واتحد بجسده وبه كان يعلم الغيب ثم ادعى - بيان - لنفسه الألوهية على معنى الحلول . الملل والنحل صـ ١٥٢ حـ - ١ .

والخطابية زعموا أن الائمة آلهة وكان أبو الخطاب يقول إن أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباءه فلما بلغ ذلك جعفر الصادق لعنه وطرده ، فادعى الألوهية لنفسه بعد ذلك والمعمرية كانوا يزعمون أن أبا جعفر وأبا الخطاب إلهان ، وزعم معمر أنهما إلها السماء وأنه إله الأرض وكانوا يقولون : (إن الدنيا لا تفنى وينكرون القيامة ويعتقدون بتناسخ الأرواح كما ذكر الرازي في الزينة والشريعة ، كانوا يعتقدون أن الله حل في خمسة أشخاص : في محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وأنهم آلهة) كما ورد في المقالات الإسلامية ، والنصيرية زعموا أن الله حل في عليّ وأن عليًّا كان موجودًا قبل خلق السماوات والأرض وقال ابن نصير بربوبية أبي الحسن العسكري وزعم أنه نبي ورسول بعثه أبو الحسن وزعم أتباعه من بعده أن الله قد حلّ فيه . الملل والنحل .

مصدر فكرة الحلول : يرى بعض الباحثين أن الفكرة أُخذت عن الفرس الذين اعتادوا أن يروا في ملوكهم أحفادًا للآلهة متحدين من أصلابهم فنقلوا هذا التوقير الوثني إلى عليّ وذريته) .الملل . ويرى آخرون أن الفكرة مسيحية وهي من تأثير الغنوصية الحلولية ، هذا وقد أنكر علماء الإسلام فكرة الحلول وقالوا بكفر المؤمنين بها وزندقتهم لأنها تؤدي إلى نفي عقيدة التوحيد التي هي ركن أساسي في الإسلام . ويرى المعري أنه يعود إلى أصل فرعوني لأن فرعون كان على مذهب الحلولية لذلك ادعى أنه رب العزة (رسالة الغفران ص ٤٠٩) ويرى الدكتور السامرائي بكتابه الغلو ص ١٢٦ : (أن

التنـاسخ أعم من الحلول لأن الحلول يستخـدم لانتقـال الروح بين الأدميين أمـا التنـاسـخ فيستخدم لانتقال الروح إلى أي كائن كان إنسان أو حيوان) .

التناسخ

ويراد به انتقال الروح من بدن إلى بدن وهذا هو معنى القيامة عندهم ومقتضى ذلـك إنكار القيامـة والجنـة والنـار والقول بـالجزاء في الـدنيـا فـإذا كان الإنسـان شريرًا انتقلت روحـه بعـد وفـاتـه إلى بـدن شرير ، وإن كان صـالحـاً انتقلت روحـه إلى بـدن فتسعـد بسعادته .

يقول الشهرستاني (في الملل والنحل) : القول بالتناسخ سمة مشتركـة بين فرق الغلاة جميعـاً ، ويقول : والغـلاة على أصنـافهـا كلهم متفقـون على التنـاسـخ والحلـول وقـد كان التناسخ مقالة فرقة من كل ملة من المجوس المزدكيـة والهنـديـة البرهميـة ومن الفلاسفـة ، وقـد أجمع المسلمون على كفر من قـال بـالتنـاسخ لإنكارهـا عقيـدة الإيمـان بـاليـوم الآخر وبالجنة والنار والحساب والعقاب .

يقول ابن حزم : ويبلغ الأمر بمن ذهب منهم إلى هذا أنه يأخذ أحدهم البغل والحمـار فيعـذبـه ويضربـه ويعطشـه ويجيعـه على أن روح أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حلت فيها . (عن الفصل والنحل جـ ٤ ص ١٨٢) .

أهداف الغلو :

١ ـ هدم الإسلام وطمس معالمه : ومما يؤكد ذلـك قول أحـدهم كما يروي الشهرستـاني (إني أضيق بدين محمد وليس عندي جيش أحـارب بـه أهلـه وليس لـدي مـال ولكني في الحيلة طويل الباع بحيث إذا لقيت عونًـا من أحـد قلبت دين محمـد رأسًـا على عقب) ثم عمدوا إلى القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع فحرفوه بالتأويل ثم تعرضوا للسنـة بوضع الأحـاديث المكـذوبـة ، يقـول ابن الأثير في الكامـل صـ ٢١ مـا يلي : فلمـا يئس أعـداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة ، وتشكيك ضعفـة العقول في دينهم وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن فيه وكان أول من فعل ذلك أبو الخطـاب ، محمد بن أبي زينب مولى بني أسد وأبو شاكر ميمون بن ديصـان صـاحب كتـاب الميزان في

نصرة الزندقة ، ومن الذين وضعوا الأحاديث المكذوبة عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي أعلن قبل قتله (لئن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوب مصنوعة) كما ورد في أمالي المرتضى ص ١٢٨ . ويقول جمال الدين الأفغاني في كتابه الرد على الدهريين : ومقصد أرباب هذه الطريقة محو الأديان ووضع أساس الإباحة .

ولما انتشرت الكتب الصحاح التي حفظت السنة النبوية والكتب التي دللت على صحة القرآن وعدم تناقضه فكروا بوسيلة جديدة لتهديم الدين ، فلجأوا إلى الأفكار الدخيلة التي طرحها ماركس وجنده من اليهود ، فنادوا بالاشتراكية والقومية والعلمانية متعاونين في ذلك مع الأقليات الدينية الأخرى مضللين بعض السذج والمستهترين من المسلمين . فإذا علمت أن فيلسوف القومية العربية الملحدة في العصر الحديث هو زكي الأرسوزي من زعماءالطائفة النصيرية في لواء اسكندرون تبين لك أنهم يخفون أهدافهم لتحطيم الإسلام وراء هذه الشعارات المستوردة التي تتمثل في الأحزاب التي وجهوا إليها شبابهم .

يقول الأستاذ النيفر أستاذ الشريعة بالجامعة التونسية عن استغلال فكرة التشيع ضد الإسلام ما يلي : فتولى مهرة الفرس أمرها وكانوا قوة مؤهلة لها . فمنهم من تولى السعي لإفساد دين العرب الذين انتصروا بتعاليمه وجمعه لكلمتهم . ومنهم من تولى السعي للافساد السياسي بتحويل الخلافة إلى العلويين . ولما لم يجدوا منهم لزهدهم في الدنيا من يواتيهم على كل عمل ولو غير مشروع في الدين . حولوها إلى العباسيين ثم صاروا يكيدون للعباسيين .

٢ ـ إسقاط سلطة الدولة المسلمة والخلافة الإسلامية : فقد تعاون الغلاة من اليهود والمغول والتتار والمستعمرين الغربيين في شتى أنحاء العالم الإسلامي لاسقاط الخلافة سيما بعد أن رفض السلطان عبد الحميد منحهم حق الاستيطان في فلسطين . فانشأوا التنظيمات السرية والقوميّة وقاموا بثورات ورشوات ومؤامرات حتى تحقق لهم حلمهم الكبير . ويوضح برنارد لويس موقف اليهود والاستعمار الغربي من دولة الخلافة فيقول : لذا راحوا يعملون للقضاء على دولة الخلافة لينسفوا السياج الذي أقامته لحماية الإسلام (عن نشوء القومية لزين نور الدين)

ويقول الشيخ رشيد رضا : إن زعماء الفرس لم يكونوا أبدًا مخلصين لهم ولا لدينهم

بل كانوا زنادقة من اليهود والفرس يريدون من التشيع تفريق كلمة العرب وضرب المسلمين بعضهم ببعض لإسقاط ملكهم . ولا يزال الغلاة منهم يلعنون عمر بن الخطاب وهو الذي كان يزيد أهل البيت على الخمس وتفضيلهم على أولاده (المنار ص ١٠ / ١) .

٣ ـ الوصول إلى السلطة للإمعان في إفساد عقائد المسلمين وأخلاقهم وتمزيق شملهم وقطع أواصر المحبة والثقة والتعاون فيما بينهم بقوة السلطة ترغيبًا وترهيبًا شراء للضمائر وإرهابا للضعفاء وإذلالاً للشرفاء .

أشهر الفرق الغالية

أشهر الفرق الغالية قديمًا : السبيئة والخطابية وفرقها الأربعة : المعمرية ، والبزيغية والعميرية والعميلية ـ والمفضلية ثم البيانية والجناحية والمختارية والكيسانية والمنصورية والمغيرية والعلبائية والغر بية والكيالية والهشامية والنعمانية وسنتكلم عنها باختصار ومن أشهر الفرق المعاصرة هي : الإثنا عشرية والفرق المنبثقة عنها الإسماعيلية والنصيرية والدروز وسنتكلم عنها بالتفصيل إن شاء الله .

السبئية

تنتسب هذه الفرقة إلى عبد الله بن سبأ . يُعرِّفه البغدادي في كتابه الفَرق بين الفِرق ص ٢٢٥ بقوله : كان ابن السوداء في الأصل يهوديًا في أهل الحيرة فأظهر إسلامه وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة ، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيًّا وأن عليًّا وصي محمد . وأنه خير الأوصياء كما أن محمدًا خير الأنبياء فلما سمع ذلك منه شيعة علي قالوا لعلي إنه من محبيك فرفع علي قدره وأجلسه تحت درج منبره . ثم بلغه عنه غلوه فيه ، فهمّ بقتله فنهاه ابن عباس وقال إن قتلته اختلفت عليك أصحابك وأنت عازم على العود إلى قتال أهل الشام وتحتاج إلى مداراة أصحابك . فلما خشي الفتنة التي خافها ابن عباس نفاه إلى المدائن فافتتن به الرعاع بعد قتل علي .

يروى في الملل والنحل رأي ابن حزم جـ ٢ ص ١١ فيقول : عبد الله بن سبأ الحميري الذي قال لعلي أنت أنت (يعني أنت الله) فنفاه إلى المدائن . كان يهوديًا فأسلم كان في اليهودية يقول يوشع ذي النون وصي موسى وهو أول من أظهر القول بإمامة علي ومنه تشبعت أصناف الغلاة وزعم أن علياً لم يقتل وأن فيه جزء إلهي وهو الذي يجيء في السحاب ، والرعد صوته والبرق سوطه وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملؤها عدلاً كما ملئت جورًا وهو أول من قال بالتوقف والغيبة والرجعة وقال بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي .

ويعطينا إمام المؤرخين الطبري في تاريخه لمحة عن ابن سبأ فيقول في جـ ٣ ص ٣٥٨ ما يلي :

كان عبد الله بن سبأ يهوديًا من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمن عثمان ثم تنقل في بلاد المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد فأخرجه أهل الشام حتى أقر مصر ، فاعتمر فيها فقال مما قال فيها : لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذِّب بأن محمدًا يرجع وقد قال تعالى : ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد** ﴾ محمد أحق بالرجوع من عيسى فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها . ثم قال لهم محمد خاتم الأنبياء الأوصياء . ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصية علي ثم قال : إن عثمان أخذها بغير حق فانهضوا

في هذا الأمر فحركوه . وابدأوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر . فبعث دعاته وكاتب من كان استفسد من الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك فأوسعوا الأرض إذاعة وإفسادًا .

تتلخص أفكار عبد الله بن سبأ بما يلي :

١ ـ **الغيبة والرجعة :** وهي ادعاؤه أن عليًّا رضي الله عنه لم يمت وأنه سيرجع ويملأ الأرض عدلاً لقد اختار ابن سبأ الزمن المناسب والبيئة المناسبة لتقبل هذه الفكرة واختار الإمام المناسب معتمدًا على حسن ظن عامة الناس به .

وفكرة الغيبة والرجعة هي التي مهدت الطرّيق للقول بالإمامة أخطر بدعة كان لها أكبر الأثر بانقلاب الموازين ، أما هدفه من وراء هذه البدعة :

ا ـ تجميد نشاط المسلمين وانحسار دعوتهم حين دعاهم إلى الانتظار ريثما يرجع الإمام فمثله مثل السامري الذي شغل أتباع موسى حين اخترع لهم عجلاً جسدًا له خوار فعبدوه .

ب ـ لسد ثغرة ظهرت في الإمامة حين يموت إمام دون أن يخلف ولدًا يرثه ، فبرر موته بغيبة ورجعة واعتبرها من جهة ثانية معجزة من معجزات الأئمة .

٢ ـ **الإمامة :** قصر ابن سبأ الإمامة على علي رضي الله عنه دون غيره ولم يقل باتصالها في ذريته من بعده ، وغرضه من ذلك أن يمهد بانتقالها للسبئيين من بعده لقد جعل ابن سبأ في بدعة الإمامة أكبر عامل شق صفوف المسلمين وشتت شملهم وجعلهم شيعًا وأحزابًا يكفر بعضهم بعضًا . يقول الشهرستاني في الملل والنحل حـ ١ ص ٢٢ ما يلي :

« أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف على عقيدة دينية مثل ماسل على الإمامة في كل زمان » فصرت ترى هنا دولة سنية بها أقلية شيعية وهناك دولة شيعية بها أقلية سنية كما فتح الباب للانتقاص من صحابة رسول الله ﷺ والقدح في ذمتهم وأمانتهم كما قلبوا مفاهيم المنطق حيث أصبح الفكر أصلاً والنص تابعًا كما أولوا النصوص لحملها على الرأي الذي يدعم فكرة الإمامة بغير وجه مشروع .

٣ ـ تقديس الإمام : قال السبئيون بقدسية الإمام الذي يأخذ عن الله تعالى مباشرة وتتمثل قدسيته فيما يلي :

ا ـ العصمة : فما دام الإمام مفوضًا ومعينًا من الله لإقامة دينه وليكون مرجع الخلق في أمور دينهم ودنياهم فلابد لتحقيق هذه الوظيفة من أن يكون معصومًا عن الخطأ حتى لا يضل بخطئه الناس .

ب ـ المعجزة : لقد نسبوا للإمام المعجزات والخوارق وأضفوا عليه صفة الألوهية يقول عالمهم الطوسي « العلم به أي الإمام قد يكون بالنص تارة وبالمعجزة تارة أخرى ليتمكن الناس من العلم به والتمييز بينه وبين غيره » .

ومما نسبوه لأئمتهم من معجزات قولهم أن محمد بن الحسن بن علي بن محمد الذي يشك بولادته أصلاً قد تكلم في المهد وهو يقرأ القرآن بلسان عربي مبين .

جـ ـ معرفة الغيب : وبرروا ذلك بأن الرسول عليه الصلاة والسلام بلغ بعض الأحكام وترك بعض الأحكام للإمام والأوصياء من بعده لينشروها في الوقت المناسب وأولوا لذلك الآية الكريمة التي يأمر الله بها نبيه ﴿ **بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾ ويؤولون الآية الكريمة ﴿ **إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** ﴾ فهم الورثه المتقون وهم الشفعاء عند الله فالإيمان في معرفتهم والكفر في جهلهم فلا تضر مع معرفتهم معصية ولا تنفع مع جهلهم طاعة .

٤ ـ التقية : أوجدها السبئيون دفعًا للحجج الدامغة في بطلان الإمامة حين قيل لهم لو أن الإمام علي رضي الله عنه عين وصيًا وإمامًا بعد رسول الله ﷺ لما جاز له أن يبايع أبا بكر وعمر . فاختلقوا التقية لرد هذه الحجة فقالوا بايعهم تقية لئلا يفرق صف المسلمين . ومن الأهداف الماكرة وراء هذه الفكرة أن يعتاد المسلمون النفاق المشروع فيقولون بخلاف ما يؤمنون به .

٥ ـ الحلول والتناسخ : كانت نتيجة فكرة الغيبة والرجعة وكانت مبررًا لانتقال الإمامة من الأئمة إلى دعاتهم الذين حل بهم السر الإلهي فادعوا النبوة والألوهية وبذلك حلت فكرة التناسخ محل فكرة الثواب والعقاب وأنكروا الجنة والنار لأن النار عندهم حلول روح الميت في جسم كلب أوخنزير تتعذب فيها وهكذا .

٦ ـ **التأويل** : قالوا للقرآن ظاهر وباطن أما المعنى الظاهري فيعرفه العلماء وأما المعنى الباطني فيعرفه الإمام ومن ينوب عنه (الأوصياء) .

وبهذا فتحوا ثغرة في الإسلام لا يمكن سدها حين طمسوا معالم الإسلام بتأويل آياته وأحكامه وتشريعه حتى لم يبق من الإسلام إلا اسمه يقول الإمام أبو حامد الغزالي في التأويل في كتابه فضائح الباطنية ما يلي : الهدف منه إبطال الشرائع فإنهم إذا انتزعوا من العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى الباطن على حسب ما يوجب الانسلاخ من قواعد الدين . إذ سقطت الثقة بموجب الألفاظ الصريحة فلا يبقى عاصم يرجع إليه ويعول عليه .

مما تقدم يتضح أن أفكار ابن سبأ هي الأساس الذي قامت عليه الفرق الباطنية الغالية . التي تهدف إلي طمس معالم الإسلام وتشتيت شمل المسلمين .

ويشير الأستاذ محمد سعيد الأفغاني أن الجمعية التي أنشأها عبد الله بن سبأ كانت تعمل لحساب دولة أجنبية هي دولة الروم التي انتزع منها المسلمون لسنوات قريبة قطرين كبيرين واسعين غنيين مصر والشام ويقول : أقطع بأنه أحد أبطال جمعية سرية مختلفة ، غايتها تقويض الدولة الإسلامية والقضاء على الإسلام وإن هذه المؤامرة كانت منظمة محكمة سهر عليها أبالسة خبيرون وتعهدوها في جميع الأقطار حتى أتت ثمارها . ويتبنى طه حسين رأي اليهودية التلمودية في إنكار وجود عبد الله بن سبأ وأنه شخصية خيالية . ليدلل أنه ليس لليهود دور في هذه الفتن . ويرد عليه المحقق محمود شاكر بقوله فإن لم يكن كتاب الطبري من المصادر المهمة فهل يعتبر كتاب الإشراف للبلاذري موثوقًا وقد طبعه الصهاينة في أورشليم القدس (المؤامرة على الإسلام للجندي ص ١٢٣ ـ ١٢٤) .

الخطابية

الخطابية هم أتباع محمد بن أبي زينب الكاهلي مقلاص الأجدع مولى بني أسد وفي رواية المقريزي هم أتباع محمد بن أبي ثور ، وتزعم النصيرية أنه باب الإمام السابع من أئمة الشيعة (موسى الكاظم) [(١)] . وهو أول من أخذت عنه النصيرية معتقداتها ، ومن ذلك قوله : « إن المعنى وهو الذات الإلهية كان أول فيض منه هو الاسم ، وإن المعنى قد مرّ بالطور المحمدي عبر الاسم بخمسة أسماء مختارة هي محمد وعلى وفاطم [(٢)] والحسن والحسين ، وهذه المجموعة الخماسية المتساوية هي خمسة المباهلة [(٣)] ، أما علي فيفوقهم جميعًا لأنه متوحد مع المعنى ، وقد تبنى النصيريون هذا الترتيب ، وبذلك يكون علي إلههم الأزلي » [(٤)] .

وينبغي أن نلاحظ أن المفضل بن عمر الجعفي تلميذ أبي الخطاب المخلص تعتبر كتبه من الكتب المقدسة عند النصيرية ، ويعتبرونه أيضًا الباب للإمام الثامن من أئمة الشيعة [(٥)] . فكتابه (الهفت والأظلة) من الكتب المقدسة عندهم ، يصفه عارف تامر ـ الكاتب الإسماعيلي المعاصر ـ بأنه أحد الكتب الباطنية النادرة السرية المهمة ، ويمثل عقائد فرقة المفضل الجعفي ، ويضيف قائلاً : وعندما أقول المفضلية لا أجزم بأن هذه الفرقة هي نفسها الفرقة العلوية الجعفرية الإثنى عشرية التي غرفت في غابر العصور (بالنصيرية) أو فرعًا منها ، ولكن الذي أجزم فيه أن للمفضلية بعض آراء تتقارب بأصولها وفروعها بالآراء العلوية ، وربما الاسماعيلية وقد تتباين هذه الآراء ، وقد تندمج لتشكل أصلاً واحدًا كشأن معتقدات باقي الفرق الإسلامية الباطنية المتعددة »[(٦)].

وهكذا يمكننا القول أن محمد بن نصير كان امتدادا في أفكاره ومعتقداته لسابقيه ، فأخذ عنهم وعن غيرهم تلك المعتقدات الغريبة ، وطورها فكانت فرقة النصيرية . لذا

---

(١) تاريخ العلويين / محمد أمين غالب الطويل ص ٢٥٤ .

(٢) وتكشف هذه التسمية المذكرة لفاطمة عن اعتقاد النصيرية في أن النساء ليست لهن أرواح خاصة ، ولا يسلمن سر الديانة .

(٣) أي الخمسة الذين تباهل بهم الرسول ﷺ مع نصارى نجران .

(٤) انظر دائرة المعارف الإسلامية / مادة النصيري .

(٥) تاريخ العلويين / محمد أمين غالب الطويل ص ٢٥٤ .

(٦) مقدمة عارف تامر لكتاب (الهفت والأظلة) للمفضل بن عمر الجعفي ص ٢٤ .

فإن تأثير الأفكار الغنوصية والعرفانية الأفلاطونية على معتقدات هذه الفرقة وخاصة في قضية الحلول (أي حلول الذات الإلهية في جسم شخص) .

والخطابية :

هم جماعة قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم فرقة من المباركية ينتسبون إلى أبي الخطاب الأسدي الذي غالى في تألية آل البيت وادعى النبوة ، فقتله عيسى بن موسى والي الكوفة زمن العباسيين على شاطىء الفرات كما ذكر النوبختي في فرق الشيعة ص ٥٩ . ويرى بعض المحققين أن جماعة أبي الخطاب الذين قتلهم عيسى بن موسى زمن العباسيين لم يقولوا بإمامة محمد بن إسماعيل مما يدل على أن الخطابية فرقة إسماعيلية متأخرة وليست جماعة أبي الخطاب ، لما قُتل أبو الخطاب تفرقت الخطابية أربعة فرق :

١ - **المعمرية** : زعموا أن الإمام أبا الخطاب يقال له المعمر واستحلّوا الخمر وسائر المحرمات وتركوا الفرائض . يقولون بعدم فناء الدنيا وأن الجنة ما يصيب الناس فيها من خيرات والنار ما يصيبهم فيها من خلاف ونقم . ويقولون كذلك بتناسخ الأرواح .

٢ - **البزيغية** : زعموا أن بزيغ بن موسى هو الإمام بعد أبي الخطاب وأن الله ظهر للخلق بصورة جعفر الصادق وأوّلوا الآية الكريمة ﴿ **وما كان لنفسٍ أن تؤمن إلا بإذن الله** ﴾ أي بوحي من الله فكل نفس بنظرهم يوحى إليها وأن أتباعهم أفضل من جبريل وميكائيل - وادعوا رؤية أمواتهم بكرة وعشيًا وأنهم لا يموتون بل يرجعون للملكوت .

٣ - **العملية أو العميرية** : وهم أصحاب السري الأقصم قالوا بإمامة عمير بن بيان العجلي بعد أبي الخطاب نصبوا خيمة بكناسة الكوفة كانوا يجتمعون فيها على عبادة جعفر الصادق - ولما بلغ يزيد بن عمر بن هبيرة خبرهم صلب عميرًا في كناسة الكوفة حتى مات .

٤ - **المفضلية** : زعموا أن الإمام بعد أبي الخطاب هو تلميذه مفضل بن عمر الجعفي الصيرفي وكانوا يقولون بربوبية جعفر الصادق دون نبوته ورسالته التي ادعوها لأنفسهم .

سار أبو الخطاب في أفكار الغلو شوطًا كبيرًا ورئيسيًّا فقد كان أستاذًا لكل أصحاب الفرق الباطنية بعد ذلك فقد كان أستاذاً للمفضل الجعفي والذي كان وراء محمد بن نصير

في أفكاره الضالة والتي أسس عليها فرقته النصيرية ـ وكان أيضًا أستاذًا لإسماعيل بن جعفر ولابنه محمد وزميلاً مخلصًا لميمون القداح وابنه الذين بلوروا بشكل فعال الحركة الباطنية بثوبها الإسماعيلي التي انبعثت عنها الحركات الباطنية الأخرى كالقرامطة والدروز وإخوان الصفا والحشاشين ، وعندما يتحدث النوبختي عن الإسماعيلية لا يصفهم إلا بالخطابية لارتباطها معًا في الأفكار والأهداف (أنظر فرق الشيعة ص ٥٩) ، ومن الطبيعي أن يلتصق أبو الخطاب بأحد أئمة الشيعة وهو جعفر الصادق ليعلن من خلال هذه الصلة أفكاره الضالة ، ولما علم الإمام جعفر الصادق بأفكاره أعلن براءته منه ولعنه وأمر أصحابه بالبراءة منه بل وبالغ في ذلك (أنظر كتاب الملل والنحل) .

عقائدهم : إن الله عز وجل هو محمد ، أظهر نفسه لخلقه بصورة إنسان كي لا يستوحشوا به ولما أظهر نفسه بشكله النوراني أنكروا ، ولما أظهر نفسه في باب الإمامة على ذريته قبلوه فظاهر الله تعالى هو الإمامة وباطنه هو محمد ، لذا اعتبروا أبا الخطاب نبيًا مرسلاً أرسله الإمام جعفر الصادق فأحلوا المحرمات وأسقطوا العبادات من صوم وصلاة وحج وزكاة ، وجعلوا لقبول المنتسب إليهم امتحانًا طويلاً أوله أن يشرب الخمر على أنها حلال وأن يعرف باطن الصلاة والفرائض وآخر امتحان المواساة وهي أن يجعل أستاذه الخطابي شريكًا له في ماله ونسائه فيخرج له الخطابي أهله (وعاءه) من زوجة وبنت أو أخت فيطأهن المتحن ويخرج له المتحن كذلك زوجته أو ابنته أو أخته فيطأهن الخطابي وهكذا يصبح هذا المتحن أخًا مؤمنًا (المقالات والفرق للقمي ص ٥٨ ـ ٥٩) .

ومن عقائدهم القول بالتناسخ فأرواح الجاحدين تحل في الحيوانات من قردة وخنازير وفي الجمادات من حديد وحجارة وأوّلوا لذلك قوله تعالى ﴿ **قل كونوا حجارة أو حديدًا أو خلقًا مما يكبر في صدوركم** ﴾ أما أرواحهم فتنتقل إلى سبعة أبدان أخرى تكون أقمصة لها ، فكلما تركت قميصًا لبست آخر حتى القميص السابع ثم يكشف الغطاء عنه (المقالات للقمي) وينبغي أن نذكر أن أبا الخطاب وأتباعه تعلّموا الشعوذة وعلم النجوم والكيمياء حتى يستطيعوا أن يحتالوا على الناس بما يتفق مع ميولهم وكانوا يظهرون الزهد والورع أمام العامة (الكامل . ابن الأبراشي) .

* * *

ويلاحظ أن القمي والنوبختي ما كانا يفرقان بين الإسماعيلية والخطابية وأن أبا الخطاب كان في أصحاب جعفر الصادق (قبل أن ينحرف) وكانت الأفكار والعقائد التي روجها بين أصحابه (حين انحرف) تلخص بما يلي :

١ ـ لابد لكل عصر من رسولين ناطق وصامت فكان محمد ناطقًا وعلي صامتًا .

٢ ـ إن الإمام يتصور في أي صورة شاء .

٣ ـ من عرف الإمام وضع عنه الأعمال .

٤ ـ إن الله يحلّ في أبدان الرسل والأئمة فقد حل هذا النور في عبد المطلب ثم صار في أبي طالب ثم في محمد ثم علي وأخيراً في جعفر ثم في أبي الخطاب .

٥ ـ إن الأرواح والأجسام لا تموت وتفنى ولكنها تتحول إلى ملائكة .

٦ ـ تحليل الشهوات والزنا والسرقة والخمر والربا والدم ولحم الخنزير ونكاح المحرمات ونكاح الرجال وكل شيء فرض أو حرم في القرآن فهو أسماء الرجال .

٧ ـ إن الإسماعيلية هي مجموعة أفكار أبي الخطاب (عن الاسماعيلية ٤٨ إحسان ظهيري) .

وفي كتب الشيعة الإثنى عشرية معلومات أخرى عن عقائد الخطابية ، فالكشي يسرد بعض الروايات التي تقص علينا مزاعم أبي الخطاب ، والأسباب التي دعت جعفرا أن يتبرأ منه ونذكر هنا بعض الأمثال :

كتب جعفر إلى أبي الخطاب يقول : « بلغني أنك تزعم أن الزنا رجل وأن الخمر رجل وأن الصلاة رجل والصيام رجل والفواحش رجل ..

قال عنبسة بن مصعب : « قال لي (جعفر) ... أي شيء سمعته من أبي الخطاب ؟ قلت : سمعته يقول : إنك وضعت يدك على صدره وقلت له عه ، ولا تنسى ، وأنك تعلم الغيب وأنك قلت له هو عيبة علمنا وموضع سرنا ، أمين على أحيائنا وأمواتنا ، فأنكر ذلك جعفر إنكارًا شديدًا [1] .

---

(١) الكشي : معرفة الرجال : ص ١٩٧ .

وهنـاك روايـات أخرى تقص علينـا : كيف زعم أبـو الخطـاب أنّ جعفرًا ذو طبيعـة إلهية ، وأن له معجزات وقوى خارقة ، وكيف قال بالتناسخ وعصى أوامر جعفر الصريحـة وهناك غير هذه الشواهد المستمدة من التشابه بين العقائد الدينية مما يدل على العلاقة بين الخطابية والإسماعيلية شواهد وبينات تاريخية نلمسهـا في بعض المصـادر فيقول ابن رزام : بأن الميمونية أو أتباع ميمون القداح كانوا تلاميذ أبي الخطاب وحوارييه .. [(١)] .

ويذكر ابن الأثير : بأن أبا الخطـاب كان أول من فعل ذلـك ، وبـأن ميمون القـداح كان تابعًا له .. [(٢)] .

يقول برنارد لويس : لدينا مجموعتين من التصانيف فيها إشـارات واضحـة إلى الـدور الـواضـح الـذي قـام بـه أبـو الخطـاب . الكتـاب السري المقـدس عنـد الإسماعيليين (أم الكتاب) .. ويمثل مرحلة قديمـة لتطور الفكر الشيعي المنـاهض ، وهـذا الكتـاب يجعل لأبي الخطاب مقامًا خطيرًا في هذه الحركة فيعتبره مؤسس المذهب إذ يقول :

إن المذهب الإسماعيلي هو ما أوجدته ذريـة أبي الخطـاب (أتبـاعـه ؟) الـذين شروا أنفسهم بحب أحفاد جعفر الصادق (و) إسماعيل ..

وثانيهما : كتابات النصيرية التي درسها « ماسينيون » وفيهـا فقرات وعقـائـد شبيهـة بتلك وهي تعتبر أبا الخطاب مؤسس الفرقة وميمونًا القداح تابعًا لـه ، وتعزو إليـه أغلب العقـائـد التي يختص بهـا المـذهب الإسماعيلي ، ويبـدو أن تكـذيب جعفر لأبي الخطــاب وما لقيه أبو الخطاب من مصرع أليم أحدثا كثيرًا من الفزع والهياج .. [(٣)] .

وقد أوضحت جميع مصادر الاثنى عشرية ومعظم المصادر السنيـة الخلافـات الجـذريـة بين جعفر وأبي الخطاب مماسوغ لبعض الباحثين أن يضع إسماعيل بين المنـاهضين لسلطـة جعفر وزعامته .. [(٤)] .

رأي علماء الشيعة في إسماعيل بن جعفر الصادق : أورد المامقـاني في تنقيح المقـال ص

---

(١) ابن النديم : الفهرست : ص : ١٨٦ .

(٢) ابن الأثير الكامل جـ ٨ ص ٢٨ .

(٣) برنارد لويس : مرجع سبق : ص ٩٥ .

(٤) ابن حزم : مصدر سبق : ص ١٠٦ .

١٨٠ ما يلي : إن جعفر نهاه عن إعطاء مـالـه شـارب الخمر فلم ينتـه . وفي رجـال الكشي ص ٢١١ ما يلي : كنت مع جعفر بن محمد عليه السلام ببـاب الخليفـة أبي جعفر بـالحيرة حين أتى ببسـام وإسماعيل بن جعفر بن محمـد فـأدخلا على أبي جعفر قـال فـأُخرج ببسـام مقتولاً وأخرج إسماعيل بن جعفر بن محمـد قـال فرفـع جعفر رأسـه إليـه وقـال : أفعلتهـا يا فاسق أبشر بالنار . حاول الخطابيون تمتين الصله بـإسماعيل بن جعفر الصـادق ليتقووا بهذه الصلة يذكر الكشي في رجاله ص ٢٧٢ ما يلي : عن حماد بن عثمان قال : سمعت أبـا عبد الله عليه السلام يقول للفضل بن عمر الجعفي : (يـا كافر يـا مشرك مـالـك ولابني يعني إسماعيل ابن جعفر وكان منقطعًا إليه يقول فيه مع الخطابية ثم رجع بعده) .

وفي رجال الكشي ص ٢٧٦ بقول في محاولة تنصيب إسماعيل إمامًا بعده والـده الإمـام جعفر الصادق . فقال : عن إسماعيل بن عامر قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فوصفت إليه الأئمة حتى انتهيت إليه فقلت إسماعيل من بعدك فقال : أماذا ؟ فلا . فقال حماد فقلت لإسماعيل وما دعاك إلى أن تقول وإسماعيل من بعدك قال : أمرني المفضل بن عمر الجعفي وفي كتاب كمال الدين لابن بـابويـه ص ٨٠ يقول : عن الحسن بن راشـد أنـه قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن إسماعيل فقال : عاص لا يشبهني ولا يشبـه أحـدًا من أبائي . وكذا ورد عن عبد الله بن زرارة

المنصورية

قالوا بإمامـة أبي منصور العجلي بعـد على بن الحسين بن على الـذي أوصى بهـا إلى أبي منصور دون بني هاشم (الحور العين ١٦٨) وحينما علم الباقر بدعوته تبرأ منه وطرده . ثم ادعى النبوة وأنه عرج به إلى السماء ورأى الله ومسح بيده على رأسه وقـال يـا نبي : انزل فبلغ عني (الملل والنحل ١٨٤) ثم أولوا آيات القرآن فـاعتبروا أبـا منصور بـأنـه الكسف النـازل من السماء وجعل أبو منصور النبوة مستمرة بعـد رسول الله ﷺ لا تنقطـع (نفي المصدر) ، ثم أنكر الجنة والنار فزعم أن الجنة رجل وأن النار رجل واستحل الزنا وأحلـه لأصحابـه وأسقـط جميع الفرائض وأركان الإسلام ثم استحلوا دم كل من خـالفهم ويقولون نعجل المـؤمن إلى الجنـة والكافر إلى النـار . وإن الله أول من خلـق عيسى ثم علي بن أبي طالب .

المغيرية

أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي . إدعى الإمامة بعد محمد ذو النفس الزكية وزعم أنه حي لم يمت . وكان المغيره مولى لخالد بن عبد الله القسري ثم ادعى النبوة لنفسه واستحل المحارم وغلا في حق على بن أبي طالب غلوًا لا يعتقده عاقل واشتغلوا في التأويل فأولوا آية ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض** ﴾ أن الظلوم والجهول هو أبو بكر وفي آية ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر** ﴾ أن الشيطان هو عمر بن الخطاب ولما علم خالد بن عبد الله القسري مقالته قتله بكفره .

العلبائية أو الشريعية أو الذمية

هم أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي وقال قوم هو الأسدي وكان يفضل عليًّا على النبي ﷺ وزعم أن النبي بعث ليدعو إلى على فدعا إلى نفسه . قال بعضهم بألوهيتهما (على ومحمد) وقال بعضهم بألوهية أصحاب الكساء من أهل بيت رسول الله ﷺ سميت هذه الفرقة (الذمية) والذمية لأنهم كانوا يذمون جبريل ويقولون إنه أخطأ بنزوله على محمد لأنه كان مأمورًا بالنزول على علي . ويسمي الأشعري هذه الفرقة بالشريعية ويقول فيها ما قيل بالعلبائية مما يدل على أنها فرقة واحدة .

الغرابية

قالوا بنبوة علي بن أبي طالب وأن جبريل أخطأ بالنزول على محمد لما بينه وبين علي من تشابه كما يشبه الغراب الغراب لذا سموا الغرابية (الفرق بين الفرق ص ٢٣٧) .

الكيالية

أتباع محمد بن الكيال كان من دعاة واحد من أهل البيت بعد جعفر الصادق يقول الشهرستاني وأظنه أحد الأئمة المستورين . فلما شاعت انحرافاته أمروا جماعته بالابتعاد عنه فصرف الدعوة إلى نفسه فادعى الإمامة وادعى أنه القائم .

خلط الفلسفة بالدين فقال العوالم ثلاثة : عالم أعلى وعالم أدنى وعالم إنساني .

الهشامية

أصحاب هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه وهشام بن سالم الجواليقي ومن أقوالهم أن هناك تشابه بين الخالق والمخلوق وإلا لما دلت عليه .

النعمانية أو الشيطانية

أصحاب محمد بن النعمان أبي جعفر الأحول . الملقب بشيطان الطاق . لذا سمو الشيطانية . قال بالتشبيه كسابقيه .

الكيسانية أو المختارية

أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين على بن أبي طالب (ويرى المقدسي في البدء بالتاريخ ص ١٣٠ / ٥) أن كيسان اسمه المختار بن أبي عبيد الثقفي . قال بإمامة محمد بن الحنفية وقد اعتقدوا فيه اعتقادًا فوق حده من إحاطته بالعلوم واقتباسه أسرار التأويل والباطن . يقولون بأن الدين طاعه رجل والعبادات دلالة على رجال وقالوا بالحلول والرجعة وقالوا أن محمد بن الحنفية لم يمت وأنه خالد في جبل رضوى بين أسد ونمر يحرسانه (الملل والنحل ٢٠٠ / ١) ولما علم محمد بن الحنفية مقالتهم تبرأ منهم وقد تفرعت عنهم فرقة الكربية نسبة إلى أبي كرب الضرير ويسميها المقدسي الكرنبية . كان المختار الثقفي خارجيًّا فصار من شيعة علي ولما توفي الإمام محمد أعلن زعامته على شيعة الكوفة . قبض عليه عبد الله بن زياد أمير الكوفة ثم أفرج عنه بشفاعة زوج أخته فخرج إلى الحجاز ثم رجع إلى الكوفة بعد موت يزيد وادعى أنه جاء من قبل محمد بن الحنفية أخي الحسين فولاه للأخذ بثأره فالتف حوله الناس وأحبوه وقد قتل بالفعل كل من ساهم في قتل علي وأهل بيته .

الهاشمية

أتباع أبي هاشم محمد بن الحنفية قالوا بانتقال الإمامة بعد وفاته إلى ابنه أبي هاشم ويعتبرون امتدادا للكيسانيه ثم انقسمت بعد وفاة أبي هاشم خمسة فرق . هي :

١ ـ **الراوندية :** وقد انتشرت في الحجاز والشام وخراسان ويذكر الطبري جانبا من غلوهم فقال في تاريخه ٤١٨ / ٣ ما يلي : (إن رجلاً من الراوندية يقال له الأبيلق وكان

أبرصًا زعم أن الروح زعم أن الروح التي كانت في عيسى صارت في على والأئمة واحدًا بعد واحد إلى إبراهيم سبط العباس وأنهم آلهة واستحلوا المحرمات) .

٢ ـ **الحربية** : أتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي وزعموا أن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة ثم انتقلت إلى عبد الله بن محمد بن الحنفية ثم إلى عبد الله بن عمرو بن حرب (الفرق بين الفرق للبغدادي ٢٣٣) .

٣ ـ **الجناحية** : قالوا بانتقال الإمامة من أبي هاشم إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر ذي الجناحين . قالوا بتناسخ الأوراح وأن الثواب والعقاب بانتقال الروح إلى أجسام بني آدم أو أجساد الحيوانات وأولوا آيات القرآن حسب أهوائهم .

٤ ـ **الرزامية** : أتباع رزام بن رزم قالوا بالحلول وادعوا حلول روح الإله بأبي مسلم واستحلوا المحارم .

٥ ـ **البيانية** : أصحاب بيان بن سمعان التيمي قتله خالد بن عبد الله القسري والي العراق وصلبه . قالوا بالحلول وأن روح الله حلت في علي ثم في ابنه ثم ببيان وقال بيان إن الله على صورة إنسان وإنه يهلك كله إلا وجهه وزعم أن ذكره ورد في القرآن الآية ﴿ **هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين** ﴾ (الفرق من الفرق ٢٢٧) .

غلاة الشيعة

(١)

الإسماعيلية

المراجع

١ ـ الملل والنحل — للشهرستاني

٢ ـ مذاهب الإسلاميين الجزء الثاني — دكتور عبد الرحمن بدوي

٣ ـ إسلام بلا مذاهب — دكتور مصطفى الشكعة

٤ ـ الإسماعيلية — دكتور مصطفى غالب

٥ ـ تاريخ الدولة الفاطمية — حسن إبراهيم

٦ ـ تاريخ الطبري ١٠ج — للإمام الطبري

٧ ـ تاريخ ابن خلدون ٤ج — عبد الرحمن بن خلدون

٨ ـ أخبار القرامطة — ابن سنان

٩ ـ الكامل في التاريخ — ابن الأثير

١٠ ـ نهاية الإرب ٣ج — القلقشندي

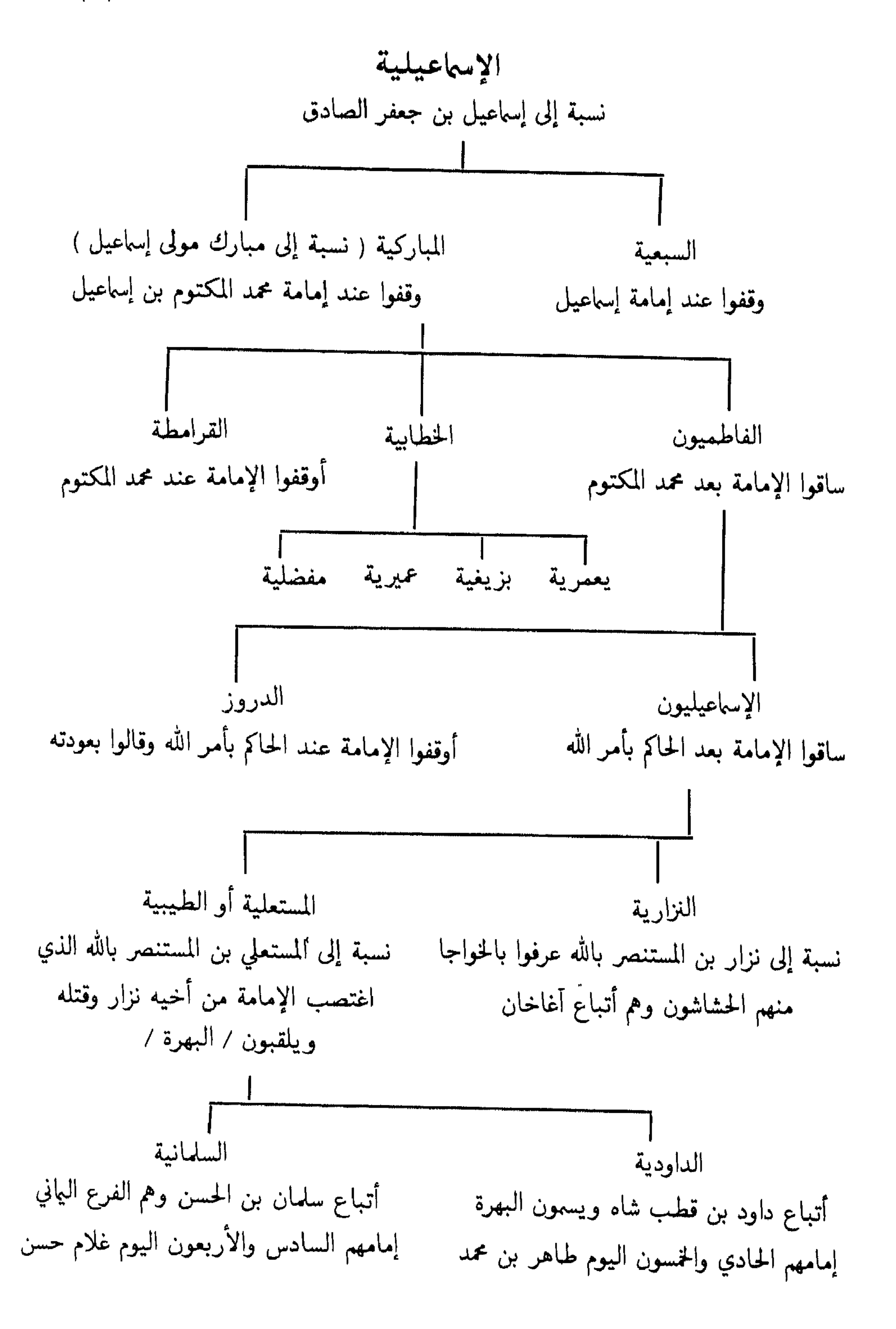
١١ ـ الدولة الفاطمية — حسن إبراهيم

١٢ ـ فرق الشيعة — النوبختي

١٣ ـ القرامطة — محمود شاكر

١٤ ـ حركات ومؤامرات — د . أحمد الحفناوي

١٥ ـ الموسوعة الميسرة — الندوة الإسلامية


الإسماعيلية
نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق
السبعية
وقفوا عند إمامة إسماعيل
المباركية (نسبة إلى مبارك مولى إسماعيل)
وقفوا عند إمامة محمد المكتوم بن إسماعيل
الفاطميون
ساقوا الإمامة بعد محمد المكتوم
الخطابية
القرامطة
أوقفوا الإمامة عند محمد المكتوم
يعمرية
بزيغية
عميرية
مفضلية
الإسماعيليون
ساقوا الإمامة بعد الحاكم بأمر الله
الدروز
أوقفوا الإمامة عند الحاكم بأمر الله وقالوا بعودته
النزارية
نسبة إلى نزار بن المستنصر بالله عرفوا بالخواجا
منهم الحشاشون وهم أتباع آغاخان
المستعلية أو الطيبية
نسبة إلى المستعلي بن المستنصر بالله الذي
اغتصب الإمامة من أخيه نزار وقتله
ويلقبون / البهرة /
الداودية
أتباع داود بن قطب شاه ويسمون البهرة
إمامهم الحادي والخمسون اليوم طاهر بن محمد
السلمانية
أتباع سلمان بن الحسن وهم الفرع اليماني
إمامهم السادس والأربعون اليوم غلام حسن

الإسماعيلية

(١) **نشأتهم :** سميت بهذا الاسم نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الذي لم تعترف الشيعة الإثنا عشرية بإمامته ، بينما وقف الإسماعيليون عند إمامته ، فسموا لذلك بالسبعية . وإسماعيل هو الابن الأكبر للإمام السادس جعفر الصادق والذي توفي في حياة والده ، فرأت الإثنا عشرية أن والده جعفر الصادق نقل الإمامة إلى أخيه موسى الكاظم واعتبروه الإمام السابع والإسماعيلية على رأيين :

ا ـ **السبعية :** قالت بأن الإمام السابع هو إسماعيل ، وأنه لم يمت وأن والده قد غيّبه خوفًا عليه من الخلفاء العباسيين ، فكتب محضرًا بوفاته وأشهد عليه عامل المنصور الذي كان إسماعيليًا ، وسافر إسماعيل إلى سلمية فدمشق وكان ذلك عام ١٤٥ هـ وحذّره والي دمشق الإسماعيلي بطلب الخليفة له ، فغادر إلى العراق حيث شُوهد بالبصرة وقد مر على مُقْعَد فشفاه بإذن الله وبقي الإمام إسماعيل يتنقل بين أتباعه سبع سنوات حتى توفي عام ١٥٨ في البصرة ، ورُزق بمحمد وعلي وفاطمة ونص على إمامة ولده محمد . والدكتور مصطفى غالب ممن يؤمنون بهذا وقد نص عليه في كتابه تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص ١٢٨ وفي دائرة المعارف الإسلامية مادة الإسماعيلية : (ورد في بعض الروايات أن جعْفر الصادق نحى ولده إسماعيل لأنه وجده ثملاً وليس من المعقول أن يوصى جعفر الصادق ـ وهو التقي الورع العالم الفاضل ـ لإبنه الذي لم يلتزم حدود الدين غير أن أنصار إسماعيل قالوا إنه معصوم وإن كان قد شرب الخمر فإنما شربها لأمر في علم الله وتمسكوا به إمامًا لأن شرب الخمر لا يفسد عصمته وإنه لا يجوز لله أن يأمر بشيء ثم ينسخه) (يعني الإمامة) .

ب ـ **المباركية :** وهم ينتسبون إلى المبارك مولى إسماعيل ، وهؤلاء يقولون بأن الإمامة انتقلت بعد إسماعيل إلى ولده محمد المكتوم وأمه أم ولد ، وذلك لأن الإمامة لا تنتقل من أخ لأخ بعد الحسن والحسين إنما من أب لابن . وانقسمت المباركية إلى قسمين قسم وقف عند إمامة محمد المكتوم وقال برجعته وأنه المهدي المنتظر وهؤلاء هم القرامطة الذين ينتسبون إلى رئيس لهم من السواد في الأنباط يلقب قرموطيه ، وقسم قال باستمرار الإمامة في أئمة مستورين حتى اللحظة التي حكمت فيها الدعوة الإسماعيلية ، حيث أسس الإمام الإمام الشرعي عبد الله المهدي الدولة الفاطمية في المغرب .

(٢) **تاريخهم** : اشتدت ضربات العباسيين للحركات الشيعية بعد فشل ثورة محمد الملقب بذي (النفس الزكية) مما اضطرهم للاختفاء والتكتم ، وفرّ محمد بن إسماعيل إلى الري ومنها إلى دوماوند واستقر بقرية سميت باسمه محمد آباد . واختفى أبناؤه في خراسان وفي إقليم قندهار وفي السند وقد اتخذ أئمة الإسماعيلية مدينة سلمية من محافظة مدينة حماة السورية مركزًا لنشر دعوتهم ، ومن أشهر دعاتهم ميمون القداح الذي وضع أسس المذهب الإسماعيلي حتى اعتقد بعض المؤرخين أنه هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق نفسه واعتقد البعض أنه كان يصدر عنه ميول شعوبية ترمي إلى مقاومة الإسلام والعروبة ، وخلفه من بعده ابنه عبد الله بن ميمون الذي اتخذ الأهواز مركزًا لنشر دعوته ، ولما انكشف أمره لدى واليها هرب إلى الشام وأقام في سلمية إلى أن مات فيها كما يروي حسن إبراهيم في تاريخ الدولة الفاطمية . قسم عبد الله بن ميمون القداح الإمامة إلى سبع درجات ثم زيدت حتى أصبحت تسعًا زمن الفاطميين . وانتشرت الإسماعيلية كحركة سياسية في اليمن ، حين استطاع أحد الدعاة - واسمه الحسين بن حوشب - أن يجمع حوله بعض المؤمنين بالمذهب من بين قبائل اليمن ، وأن يؤسس أول دولة إسماعيلية في التاريخ ولقب نفسه بمنصور اليمن ، وكان ذلك سنة ٢٦٦ هـ ولم يقف الأمر بالدعوة الجديدة عند حدود اليمن بل امتد خارجها - عن طريق ابن حوشب نفسه - حتى وصل نشاطها إلى شمال إفريقية واكتساب شيوخ قبيلة كتامة فبايعوا إمام الإسماعيلية .

وإذا كان ابن حوشب قد عرف بالتقي والورع في أول أمره فإنه ما لبث أن انزلق ، وكذلك رفيقه في الدعوة وقيادة الجيش علي بن فضل الذي خرج عن الجادة وافتتن بالتفاف الناس حوله وتأصل نفوذه بينهم حتى إنه - على سبيل المثال - حين حلق رأسه بصنعاء حلق معه موافقة له مائة ألف نفس ، إزاء هذا التأييد من الناس سولت له نفسه أن يدعي النبوة ، وأعفي أنصاره من الصوم والصلاة . وفي ذلك يقول الشاعر (ولعله البهاء الجَنَدي) :

خذي الدفَّ يا هذه والعبي	وغنّي هزاريْك ثم اطربي
تولى نبيٌّ بني هاشمٍ	وهذا نبيٌّ بني يعرب
لكل نبيٍّ مضى شرعةٌ	وهذي شريعةُ هذا النبي
فقد حطّ عنا فروض الصلاة	وحطَّ الصيام ولم يتعب

إذا النـــاسُ صلُّوا فـلا تنهضـي ... وإن صـوّمـوا فكُلِـي واشربـي
ولا تطلبـي السَّعْـي عند الصفـا ... ولا زورة القبـرِ فـي يثرب [٨]

ولعل هذه الانحرافات كانت بمثابة الإرهاص العام لانحرافات أخرى ظهرت عند الخلفاء الفاطميين الإسماعيليين فيما بعد .

لقد كان إمام الإسماعيلية في أول عهدهم بـ « بدور الظهور » عبيد الله المهدي وكان يقيم بسلمية (في سورية) مستترًا ، ثم ما لبث أن هرب إلى شمال إفريقية حيث دعاه عبد الله الموري بعد أن انكشف أمره فوجد هناك أنصاره الذين كسبهم له دعاة ابن حوشب ، ولقد تعرض الإمام عبيد الله للقبض عليه والسجن من قبل « الأغالبة » ، لولا أن تجمهر الكتاميون فأنقذوه من سجنه وانتصروا على سجانه .

وقد كان عبيد الله ذا شخصية فذة في رسم ملكه وبناء دولته الجديدة ، فاختار إفريقية دون اليمن ، لأن اليمن بعيدة عن قلب العالم الإسلامي ، أما شمال إفريقية فهو مكان متوسط يمكن الانتشار منه إلى مراكز وأقطار أخرى من العالم الإسلامي ، وكان صارمًا في اختيار السبيل الذي يوصله إلى بناء دولته ، حتى إنه لم يتردد في قتل داعيته أبي عبد الله الشيعي الصنعاني وأخيه أبي العباسي حين أظهرا شكهما في شخصيته وأنه إنسان آخر غير ذلك الإمام الذي رأياه في سلمية والظاهر أنه انتحل شخصية أبي عبد الله المهدي الذي توفي في سلمية على بعض الروايات ، وظل عبيد الله يواصل جهوده موقعًا بقبيلة كتامة التي ناصرته أول الأمر ، مواجهًا كثيرًا من المتاعب والثورات ، حتى استطاع أن يؤسس أول دولة إسماعيلية سنة ٢٩٧ هـ في شمال إفريقية ، وهي التي عرفت باسم الدولة الفاطمية ، وظل يرسم الخطة للزحف شرقًا وامتلاك مصر وتحقق ما أراد ، ولكن على يد الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله .

ويرى المؤرخون (أمثال دوزي وبروكلمان ونيكسون وفيليب حتى ويندلي جوزي) أن عبد الله بن ميمون القداح : صاحب مؤامرة قوية الدعائم تمّ تنظيمها بمهارة فائقة ، ولقد تملكت نفسه الكراهية في أبشع صورها للعرب والاحتقار للإسلام والمسلمين مدفوعًا إلى ذلك بما يدعيه من حرية الفكر والعقيدة . ولقد عمل على إيجاد جمعية سرية كبيرة تلقن الناس جميعًا مبادئها كل فرد على قدر عقله واستعداده . ولقد نجح أبو عبد الله الشيعي أحد دعاة الإسماعيلية في نشر أفكاره في شمالي المغرب ، ولم يمض وقت طويل

حتى أصبح للإسماعيلية والشيعة السلطان المطلق في جهات غربي القيروان ، ثم أرسل أبو عبد الله الشيعي إلى أبي عبيد الله المهدي الجد الأعلى للإسماعيلية للحضور إلى أفريقية كما ذكرنا وتمت له السيطرة ودخل الناس في الإسماعيلية طوعًا أو كرهًا ، ثم امتد نفوذ الإسماعيلية إلى مصر حيث فتحها المعز لدين الله الفاطمي ٣٦١ هـ ٩٦٩ ميلادية ، ثم انتشرت في الهند وإيران حيث ظهر أعظم فلاسفة الإسماعيلية الباطنيين أمثال أبي يعقوب السجستاني وناصر خسرو وأبي حاتم الرازي وحميد الدين الكرماني كما تذكر ذلك دائرة المعارف الإسلامية بالإنكليزية .

وفي القرن الخامس الهجري دبّ الضعف والانحلال في صفوف الإسماعيلية وانشقت الحركة على نفسها وصارت فرقًا متعددة كان ذلك عام ٤١١ هـ / ١٠٢١ م ، حين أعلن الحاكم بأمر الله بأن التجسد الإلهي قد حلّ فيه ثم اختفي وربما قُتل ، فانفصلت الطائفة الدرزية عن بقية الإسماعيلية لاعتقادهم بأنه لم يمت وأنه سيعود فهو الإمام المنتظر عند الطائفة الدرزية ، وحين وفاة الحاكم بأمر الله سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ ميلادية انشقت الإسماعيلية إلى قسمين :

المستعلية والنزارية :

المعروف أن العقيدة الإسماعيلية توجب التسلسل في الإمامة مع وجوب النص ، وقد ظل الأمر كذلك لفترة طويلة إلى أن بدأت الأهواء السياسية والمطامع الذاتية تعمل عملها في الدولة الفاطمية ، فلم يعد الأئمة أنفسهم يأبهون لهذا النص وكذلك الوزراء أصحاب النفوذ . فقد حدث أن نص المعز لدين الله على أن يليه ابنه عبد الله ، ولكن عبد الله توفي في حياة أبيه فعاد ونص على أن يليه ابنه العزيز مخالفًا بذلك العقيدة الإسماعيلية . وقد حدث أيضًا أن نص الإمام المستنصر على أنْ يتولى الإمامة من بعده ولده نزار ، ولكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي نحى نزارًا وأعلن إمامة المستعلي الابن الأصغر للمستنصر وكان صغيرًا ، وهو في نفس الوقت ابن أخت الوزير ، ضاربًا عرض الحائط بمشروعية النص . ولم يقف الأمر بالجمالي عند هذا الحد ، بل ألقى القبض على نزار ووضعه في سجن وسد عليه الجدران حتى مات ، فكان ذلك سببًا لانقسام الإسماعيلية إلى قسمين (عن كتاب حسن إسماعيل ١٧١) وكان أنصار نزار من إسماعيلية الشرق . ولذلك عرفت المستعلية بالإسماعيلية الغربية . وعرفت النزارية بالإسماعيلية الشرقية .

أ ـ النزارية : أنصار نزار الابن الأكبر للحاكم بأمر الله الذي أكرهه أخوه على التخلي عن الإمامة ثم سجنه حتى مات .

وفي رواية أخرى أنه قتل غيلة في السجن بناء على أمر شقيقه الأصغر المستعلي فبعد مقتل نزار بن الحاكم بأمر الله على يد أخيه المستعلي نقل أتباعه ابنه القاصر المهتدي بن نزار إلى فارس ، حيث نشأ في خفية وكتمان وتربى على يد كبير الدعاة الحسن بن الصباح وبعد وفاته عام ٥٥٧ هـ ـ تولى الإمامة ابنه (حسن القاهر بأحكام الله) العرش جهرة ، وأعلن القيامة الكبرى ومجيء إسلام روحاني متحرر من كل ذهن تشريعي ومن كل عبودية للقانون ، وبقيت هذه الفرقة حتى اليوم في الهند تعرف باسم الخوجا وهم يعترفون بالأغاخان زعيمًا روحيًّا لهم ومن أسلافهم الحشاشون .

الأغاخانية :

إذا كانت البهرة ترجع أصولها العقائدية إلى الإسماعيلية المستعلية التي مر الحديث عنها فإن الأغاخانية ترجع عقيدتها إلى الإسماعيلية النزارية ، وقد ظهرت هذه الفرقة بنشاط في إيران في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي حينما ظهر شخص جمع حوله عددًا من الإسماعيلية وغير الإسماعيلية وهدد الأمن وقطع الطريق وسطا على القوافل حتى ذاع صيته في أنحاء إيران وأصبح أسطورة على ألسنة الناس ، وأعجب الإيرانيون ببطولاته فانضموا إليه إعجابًا به وطمعًا في المكاسب المادية التي يحصلون عليها عن طريقه .

هذا الرجل اسمه « حسن علي شاه » وهو إسماعيلي وإن لم يشر إلى إسماعيليته حتى لا ينفض الناس من حوله ، وكان للإنجليز مطمع في إيران في ذلك الوقت ، فاستعملوا حسن علي شاه في قيادة ثورة يهدد بها الأمن حتى يجدوا ـ كما هي عادتهم ـ منفذاً يدخلون منه إلى فرض سلطانهم ، ولكن حسن علي فشل في ثورته وقبض عليه ، فسارع الإنجليز إلى التوسط له بالإفراج عنه على أن ينفى من إيران كلها ، وذهب « حسن علي » إلى أفغانستان كرغبة الإنجليز ، ولكنه لم يستطع أن يقدم هناك شيئًا لحلفائه ليقظة الأفغانيين ، فاتجه إلى الهند وسكن مدينة بمباي ، وهناك اعترف به الإنجليز إمامًا على الطائفة الإسماعيلية ، وخلعوا عليه لقب أغاخان ، فانتسب إلى الإمام نزار بن المستنصر الفاطمي وأصبح إمام الإسماعيلية النزارية ثم مات سنة ١٨٨١ م فخلفه

ابنه أغا علي شاه في إمامة الطائفة ، وعرف باسم أغاخان الثاني ، وكان أبوه قد أعده للإمامة إعدادًا كاملاً وهيأ له الثقافة الكاملة ، وكان يجيد عدة لغات منها العربية ، وعمل على خدمة أبناء المسلمين جميعًا دون تمييز بين طوائفهم فسمت مكانته بين الناس جميعًا ، وتزوج أميرة إيرانية وأنجب منها ولده محمد الحسيني في نوفمبر سنة ١٨٧٧ ، وهو أغاخان الثالث المعروف باسم أغاخان المتوفى في (أغسطس سنة ١٩٥٧) وقد عاش أغاخان الثالث حياة طويلة مليئة بعناصر الإثارة ، ويذكر له التاريخ أنه كان يدافع عن مشاكل المسلمين عامة بصرف النظر عن طوائفهم ، ونشر الوعي بين طوائف المسلمين في الهند ، غير أنه فضل الإقامة في أوروبا وأخذ من ملاذ الدنيا ولهوها بنصيب كبير وتزوج أربع مرات : المرة الأولى من أميرة إيرانية ، والمرة الثانية من فتاة إيطالية أنجب منها ابنه « على خان » ، والمرة الثالثة من بائعة حلوى وسجاير في باريس وأنجب منها ولده « صدر الدين خان » ، والمرة الرابعة من إحدى ملكات الجمال .

وحين مات أغاخان أوصى لحفيده « كريم » بالإمامة وهو الإمام الحالي وما زال شابًا يطلب العلم في إحدى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية . وسمي الأغاخان الرابع .

والإسماعيلية الأغاخانية يسكنون الآن نيروبي ودار السلام وزنجبار ومدغشقر والكنغو البلجيكي والهند وباكستان وبعضهم في سورية ، ومركز القيادة الرئيسي بالنسبة لهم هو مدينة كراتشي .

والإسماعيلية الأغاخانية تقدس أغاخان وتلقبه بالإمام وتقول بعصمته ويضفون عليه صفات الألوهية ويدفعون له خمس ما يكسبون . زار مرة جماعته في سلمية السورية مع زوجته الممثلة الأجنبية ريتاهيوارت فتبرعوا له بوزنه ذهبًا وراحوا يتباركون بزوجته الأجنبية ويتمسحون بها وكذا قدم له أنصاره في مصر حين زيارته لهم .

إسماعيلية الشام : إسماعيلية نزارية

كانت إسماعيلية مصر مستعلية ، وكانت إسماعيلية فارس والشرق نزارية وكذلك كانت إسماعيلية الشام ، وكانوا يسيرون على نهج مدرسة الحسن الصباح ، وقد استطاعوا أن يضموا إلى صفوفهم الأمير رضوان بن تتش والي حلب السلجوقي ، فاعتنق مذهبهم ، ووفد إلى حلب عدد كبير من إسماعيلية فارس فقويت شوكتهم واستشري خطرهم ،

فكانوا يوقعون بالناس وينهبون ، وقام الفدائيون بقتل الأعيان والحكام إلى أن أوقع بهم أهل حلب ، فهربوا إلى شيزر وحاولوا الاستيلاء على قلعتها ، إلا أنهم منوا بالهزيمة وقتل منهم عدد كبير ، ثم استطاعوا أن ينزلوا منطقة الموصل ولكنهم ما لبثوا أن حنوا إلى سفك الدماء وبث الرعب حتى أمكنهم تملك قلعة بانياس والحصن وقدموس ومصياف والكهف والخوابي وظهر بينهم زعيم خطير من شاكلة حسن الصباح اسمه راشد الدين سنان الملقب بشيخ الجبل وكون لنفسه مذهب السنانية أضاف إليه آراءه الجديدة فقال بالتناسخ مخالفًا رأي الإسماعيلية ، لقبه بعض أنصاره بالإمام ظناً منهم أنه أحد الأئمة المستورين .

وقد ظل أمر الإسماعيلية النزارية بالشام هكذا بين تقدم وتأخر وظهور وتستر إلى أن استسلمت آخر قلاعهم للظاهر بيبرس سنة ٦٧٢ هـ ولكن لا يزال يعيش .

ب ـ والمستعلية : أنصار المستعلي أبي القاسم أحمد الابن الأصغر للحاكم بأمر الله ٤٨٧ هـ الذي اغتصب الحكم من أخيه نزار بعد سقوط الدولة الفاطمية في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي عام ١١٧١ م ، انتقلت فرقة المستعلية من الإسماعيلية إلى اليمن واستمرت طيلة خمس قرون .

ظلت فرقة المستعلية تحكم مصر والحجاز واليمن بمساعدة الصليحيين الذين تفانوا في خدمة الخليفة الفاطمي في القاهرة فوحدوا اليمن على يد علي بن محمد الصليحي وحكموها باسم الخليفة الذي يعيش في مصر ، غير أن فرقة المستعلية ما لبثت أن خبا سلطانها تحت ضغط الصليبيين الذين لم يجدوا من يصمد أمامهم فتوغلوا في مدن الشام وأنشأوا بها الإمارات ولكن الإسماعيلية لاقت نجاحًا في الهند ، فنقلت مركز الدعوة إلى كوجارت في القرن التاسع الميلادي ثم حصل انشقاق في الطائفة المستعلية بعد وفاة الداعي السادس والعشرين (قطب شاه) سنة ٩٩٩ هـ ـ في مدينة أحمد آباد فتبعت الأكثرية ابنه داود بن قطب شاه الذي اعتبر الداعي السابع والعشرين فعرفوا بالداودية ، في حين تبع الفرع اليماني الداعي سليمان بن الحسن فعُرفوا بالسليمانية ويعتبر غلام حسن الداعي السادس والأربعين اليوم في سلسلة السليمانية اليوم ، أما داعي الفرع الداودي اليوم واسمه طاهر بن محمد فيعيش في بومبي بالهند وهو الداعي الحادي والخمسون وأتباعه يسمون بالبهرة . البهرة : في نظر الدكتور الشكعة هي إسماعيلية الهند واليمن ، وهم ينتسبون إلى

الإسماعيليـة المستعليـة التي كان يتبعهـا اليمنيون في عهـد الصليحيين ، ويسمـون الطيبيـة نسبة إلى الطيب ابن الخليفة الآمر ابن الخليفة المستعلي ، وحين سقطت الدولة الصليحيـة ترك الإسماعيلية الطيبية ميادين السياسة والتفتوا إلى ميـادين التجـارة ، وليس المتـاجرة بين اليمن والهند في القرون الماضية كان الإسماعيليون الطيبون يذهبون إلى الهنـد للتجـارة فاختلط بهك كثير من الهنود ، وأقبل الهندوس على اعتناق مذهبهم فعرفوا « بـالبهرة » ، والبهرة لفظ هندي قـديم بمعنى التـاجر . ويعتقـد الإسماعيليون البهرة أن الإمـام الطيب ابن خليفة دخل دور الستر عام ٥٢٥ هـ والأئمـة المستورين من نسلـه إلى الآن لا يعرفون عنهم وعن أسمائهم شيئًا .

وانقسمت دعوة البهرة إلى فرقتين ، البهرة الداودية والبهرة السليمانيـة ، والأولى نسبـة إلى الداعي قطب شاه داود ، والثانية نسبـة إلى الـداعي سليمـان بن حسن ، فـأمـا البهرة الداودية فمركزهم في الهند (الهنـد وبـاكستـان الآن) منـذ القرن العـاشر الهجري وداعيهم يقيم في بمباي ، أما البهرة السليمانية فمركزهم في اليمن حتى اليوم .

والبهرة يتخذون لأنفسهم أماكن خاصة للعبادة اسمهـا « جـامع خـانـة » ولا يسمحون لأنفسهم أن يقيموا الصلوات في مساجد عامـة المسلمين ، وهم متمسكون بفروض الـدين التي تشبه في « الظاهر » عقيدة سائر المذاهب الإسلامية المعتدلة أما عقيدتهم الباطنيـة فشيء آخر ، فهم يصلـون كما يصلي المسلمـون ، ولكنهم يقـولـون إن صـلاتهم تلـك لـلإمـام الإسماعيلي المستـور من نسـل الطيب بن الآمر ، وهم يـذهبـون إلى مكـة للحـج كبقيـة المسلمين ولكنهم يقولون إن الكعبة هي رمز على الإمام .

الإسماعيلية الفاطمية : وهي الحركة الإسماعيلية الأصيلة وقد مرت بأدوار .

١ ـ دور الستر من موت إسماعيل ١٤٣ هـ إلى ظهور عبيد الله المهدي وقـد اختلف في أسماء أئمة هذه الفترة بسبب السرية .

٢ ـ بـدايـة الظهـور تبـدأ بظهـور الـداعيـة الحسن بن حـوشب الـذي أسس دولـة الإسماعيلية في اليمن سنة ٢٦٦ هـ وأمتد نشاطـه إلى شمال أفريقيـا واكتسب شيوخ كتـامـه يلي ذلـك ظهـور رفيقـه على بن فضـل الـذي ادعى النبـوة وأعفي أنصـاره من الصـوم والصلاة .

٣ ـ دور الظهور : يبدأ بظهور عبيد الله المهدي الذي كان مقيمًا بسلمية السورية ثم هرب إلى شمالي أفريقية واعتمد على انصاره الكتامين . ثم قتل عبيد الله المهدي داعيته أبا عبد الله الشيعي الصنعاني وأخاه أبا العباس لشكهما في شخصيته وأنه غير الذي رأياه في سلمية .

١ ـ أسس عبيد الله المهدي أول دولة إسماعيلية فاطمية في المهدية بتونس واستولى على رقادة سنة ٢٩٧ هـ وتتابع الفاطميون كما يلي :

٢ ـ المنصور بالله أبو الطاهر إسماعيل ٣٣٤ ـ ٣٤١ .

٣ ـ المعز لدين الله معد أبو تميم ٣٤١ ـ ٣٦٥ فتح مصر سنة ٣٥٨ وانتقل إليها ٣٦٢ .

٤ ـ العزيز بالله (نزار أبو منصور ٣٨٦ ـ ٤١١ .

٥ ـ الظاهر على أبو الحسن ٤١١ ـ ٤٢٧ .

٦ ـ المستنصر بالله أبو تميم ٤٢٧ ـ ٤٨٧ .

نسب الفاطميين وسرقة الإمامة :

مر بنا قبل قليل ما قام به المهدي من قتل داعيته أبي عبد الله الصنعاني ، لأنه ـ فيما يقال ـ شك في شخصيته ، وهذا يدفعنا إلى أمر أخطر من الشك في شخصية الإمام ، ذلك هو نسب « الإمام » نفسه فهناك من ينكر صلة عبيد الله المهدي بالإمام إسماعيل رأس الإسماعيلية إنكارًا تامًّا ، ويذهب إلى القول بأن عبيد الله ليس إلا ابنًا لرجل يهودي كان حدادًا بسلمية في سورية ، فلما مات ذلك الحداد تزوجت أرملته أحد الأشراف العلويين فتربى الغلام ابن الحداد في منزله ، فلما كبر الغلام اتخذ لنفسه النسب العلوي ، ولم يكن هذا الغلام ـ ابن الحداد ـ إلا عبيد الله نفسه (كتاب كامل حسين ٢٦) .

وهناك رأي آخر يشبه الإجماع يقول إن عبيد الله من سلالة ميمون القداح ، ومعروف أن ميمون القداح وأبناءه كانوا من دعاة الإسماعيلية ، ثم ما لبثوا أن اغتصبوا الأمر لأنفسهم ، وهم ينتسبون أصلاً إلى زنادقة المجوس الذي حاولوا تقويض دعائم الإسلام عن طريق التأويل تارة والقول بالباطن تارة أخرى ، أو عن طريق محاولة إحياء العقائد المجوسية كما يرى حسن إبراهيم في كتابه الدولة الفاطمية ص ٦٤ وليس من

شك في أن الذي بعث على الشك في نسب هؤلاء الفاطميين هو « دور الستر » الطويل الذي مروا به ، وغير مستبعد أن يحدث خلال تلك الفترة أيّ من تلك الآراء التي ذهب إليها المؤرخون والتي تبعد بهم عن النسب العلوي .

والطريف أن المصريين قد تنبهوا إلى هذه الثغرة ، ثغرة النسب - عند الفاطميين فاستغلوها استغلالاً طريفًا حتى إن أحد الشعراء المصريين أرسل يهجو المهدي - وكان لا يزال في إفريقية - بمناسبة إرساله الدعاة لكي يبشروا بالمذهب الإسماعيلي في مصر فقال:

فَمَنْ أنتَ يا مهدي السفاهةِ والخنا … أبنْ لي فقد حُقّتْ على وجهك الرِيبْ
فلو كنتَ من أولادِ أحمد لم يغبْ … عن الناس ما تسمو إليه من النسبْ
ولو كنتَ منهم ما انتهكتَ محارمًا … يذبون عنها بالأَسنّةِ والشهبْ

بعد وفاة المستنصر بالله انقسمت الإسماعيلية الفاطمية إلى قسمين شرقية وغربية والسبب هو أن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي نحى نزارًا وأعلن إمامة المستعلي الابن الأصغر خلافًا لوصية والده لأنه ابن أخت الوزير الأفضل فألقي القبض على نزار ووضعه في السجن وسد عليه الجدران حتى مات .

الأئمة المستعلية الذين حكموا مصر والحجاز واليمن بمساعدة الصليحيين هم :

١ - المستعلي أبو القاسم أحمد ٤٨٧ - ٤٩٥ هـ .

٢ - الآمر أبو على المنصور ٤٩٥ - ٥٢٥ .

٣ - الحافظ أبو الميمون عبد المجيد ٥٢٥ - ٥٤٤ .

٤ - الظافر أبو المنصور إسماعيل ٥٤٤ - ٥٤٩ .

٥ - الفائز أبو القاسم عيسى ٥٤٩ - ٥٥٥ .

٦ - العاضد أبو محمد عبد الله ٥٥٥ حتى زوال دولتهم على يد صلاح الدين .

وكم مصحفٍ حرّقْته فرماده … مثارةٌ مسفَى الريح من حيثُ ما تهبْ
كفرت بما فيه وبدّلْتَ آية … وقضّبْت حبل الدين كفرًا فما انقضبْ

عن كتاب كامل حسين ص ٣٥ .

ولم يقف الأمر عند المصريين بالتندر على أئمة الإسماعيلية ، وهم بعد في إفريقية ، بل حتى وهم بمصر ، فقد سأل البعض المعز لدين الله عن نسبته إلى القداح فأجاب : نعم هو قادح زمام الفكر ولم يضف شيئًا ، وكأنما أحس بما يقصده السائل من تعريض به وبنسبه ، ولذلك قيل أيضًا إن المعز كان يُسكت من يسألونه عن نسبه بالذهب والعطاء أو بالسيف والتهديد ، ولكن ذلك لم يمنع المصريين من أن يسخروا ويتهكموا على هذا النسب الغامض ، فقد صعد العزيز الفاطمي ابن المعز لدين الله المنبر يوم جمعة فإذا به يعثر على ورقة تضم هذه الأبيات الساخرة :

إنَّا سمعنا نسبًا منكرًا ... يُتلى على المنبرِ في الجامع

إن كنتَ فيما تدَّعى صادقًا ... فاذكُر أبًا بعد الأب الرابعِ

وإن تُرد تحقيق ما قلتَهُ ... فانسبْ لنا نفسَك كالطائع[١]

أو فدع الأنساب مستورةً ... وادخلْ بنا في النسبِ الواسعِ

فإن أنسابَ بني هاشم ... يقصرُ عنها طمع الطامع[٢]

ومن الطرائف التي تحكى في هذه المناسبة أن عبد الرحمن الثالث الخليفة الأندلسي تلقى من أحد الخلفاء الفاطميين رسالة يسبه فيها فأجابه بقوله : أما بعد فقد عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك .

ولكن برغم ذلك كله فإن الإسماعيلية ـ الذين أطلقوا على أنفسهم الفاطميين والذين عرفهم البعض باسم العبيديين ـ قد نشطت دعوتهم وكثر دعاتهم حتى أقاموا خلافة عريضة امتدت من المحيط الأطلسي حتى برزخ السويس وشملت شمال إفريقية كله ومصر والشام وصقلية وجنوب إيطاليا ، وامتد نفوذ مذهبهم إلى الشرق البعيد فاعتنقه الأمير نصر بن أحمد الساماني ، بل استطاعوا أن يضموا بغداد لفترة من الوقت امتدت حوالي سنة على يد البساسيري الذي خطب للإمام المستنصر الفاطمي على منابرها سنة ٤٥٠ هـ ، واعتنق مذهبهم أمراء الحلة وواسط والكوفة بالعراق ، وأمير الجزيرة بالشام ، وظل أمرهم في علو وازدهار حتى دالت دولتهم في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي .

---

(١) الخليفة العباسي .   (٢) ابن خلكان ٢٠٠ / ٢

عقائد الإسماعيلية

١ ـ **الإلهيات** : يرى الإسماعيليون وحدة الله وحدة خالصة على نحو ما يعرّف أفلوطين العلة الأولى : بأنها واحدة من كل وجه وبذلك لا يصف الله بصفات تستوحي معانيها من تجارب الحس لأنها عند ذلك تكون إضافات لا تتمشى مع كونه واحدًا وحدة خالصة ، يقول الكرماني في كتابه راحة العقل : إنه لا يجوز أن نصف الله بصفة الوجود ـ وحتى لا يصدم مشاعر المسلمين يسمي الوجود بكلمة آيس ـ ذلك لأن وصفه بالوجود يقتضي كونه محتاجًا للوجود وبالتالي كونه محتاجًا إلى غيره والله لا يحتاج إلى أحد فباطل كونه آيسًا : يعني موجودًا .

ثم إنهم ينفون صفات الله عنه : يرى علي بن محمد الوليد نفي التسمية عن الله لأن التسمية إنما جُعلت رسمًا (وصفًا) للمخلوقين ليكون الخلق مميزًا عن غيره . والله متعالٍ ليس له صورة نفسانية ولا طبيعية بل يتعالى بعظيم شأنه وقوة سلطانه عن أن يوصف بما توصف به أسباب خلقته وفنون بريته ، ويؤكد الكرماني هذا المعنى بقوله : إن الله لا يوصف بصفات المخلوقين ولا يقال عنه ما يقال على المخلوقين (عن راحة العقل) وفي ذلك تعطيل لذات الله تعالى . فليس الله بنظرهم كريمًا ولا رحيمًا ولا غفورًا ولا سميعًا ولا بصيرًا ؛ لأن هذه من صفات المخلوقين وإن نفي الصفات عن الله تنزيه له وإن توحيده يعني معرفة حدوده .

٢ ـ الإبداع : يرى الإسماعيليون أن وجود الموجودات عن الله لا يتم عن طريق الفيض بل عن طريق الإبداع ؛ لأن الفيض يكون من جنس ما فاض عنه مشاركًا له ومناسبًا وهذا لا يليق بالله الموجد ، ونظرية الإبداع هذه تتفق تمام الاتفاق مع الأفلوطينية الحديثة ، وبذلك يختلفون مع إخوان الصفا الذين يرون الخلق فيضًا عن الله . يقول الكرماني في راحة العقل : (وإذا كان الله غنيًّا عن كل صفة فإن صفات الكمال موجودة في أول مبدع أبدعه) . فبعد أن جردوا الله من أسمائه وصفاته جعلوا من هذه الأسماء والصفات أول مبدع أبدعه الله وسموه العقل الأول ووصفه بأنه الحق والحقيقة والوجود الأول والوحدة والواحد والأزل والمعقول والعلم والعالم الأول والقدرة والقادر الأول والحياة والحي الأول (عن راحة العقل) ص ١٨٩ ، ويلاحظ أن الصفات التي يخلعها الكرماني على العقل الأول هي عينها التي يخلعها المعتزلة على الله وهذا هو الفرق

بين الإسماعيلية والمعتزلة ، وهي عينها التي وصف بها أرسطو والفارابي وابن سينا إلهًا لا يوصف بوصف وليس هو على الوجود ولا المحرك الأول إنما هو هوية غامضة وعماء تام (البدوي) ويوصف العقل الأول بما يلي :

١ ـ ليس قبله شيء ٢ ـ لا يبيد ٣ ـ ساكن ٤ ـ تام ٥ ـ مجرد عن المادة ٦ ـ يخاطب النفس خطابًا علويًّا يخص الروحانيات وخطابًا سفليًّا يخص الجسم .

فالعقل الأول أو المبدع الأول سموه القلم وهو الخالق الذي أبدع النفس الكلية فهو السابق والنفس هي التالي ؛ لأنها أوجدت بعد العقل وهما حدي الله وبواسطتهما وجِدّت المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية فإذا ذُكر الله عندهم فالمقصود به العقل الكلي ، ويقابل حدي الله أو العالم العلوي حدان في العالم السفلي هما حد النبي وحد الوصي أو الإمام وسموهما الكاف والنون ، وأن الناطق أو النبي ومن قام مقامه من وصي أو إمام يتصف بكل الصفات التي يتصف بها العقل الكلي ، وأن أسماء الله الحسنى تنطبق على الناطق أو الإمام ففي ديوان المؤيد يظهر هذا الاعتقاد بقوله :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار	فاحكم فأنت الواحد القهار
ندعوه منتقمًا عزيزًا قادرًا	غفار موبقة الذنوب صفوحًا

(يعني الإمام)

وأن النبي والوصي في عالم الدين يوجدان هذا الدين كما أوجد السابق والتالي عالم الأمر كله إذ عنهما يصدر الوجود .

٣ ـ **الوجود والإنسان :** ترى الإسماعيلية أن الانسجام قائم بين العالم الكبير يعني الوجود وبين العالم الصغير يعني الإنسان ، وأن الإنسان صورة العالم الذي يعيش فيه ، وأن التوازن بين أقسام النفس الثلاثة : الحكمي ويمثل الفلاسفة ، والغضبي ويمثل الجند والشهوي ويمثل العمال ـ يساوي العدل وأن التوازن والعدل هما أساس الخير وغاية الفرد والجماعة . هذا الانسجام بين العالم الكبير والعالم الصغير سبقهم إليه أفلاطون وأفلوطين .

أما وجود العالم بنظرهم فهو :

ا ـ أوجدت القدرة الأزلية عقل الكل أو المبدع الأول وهو الرسول .

ب ـ ثم ظهر عن عقل الكل (الرسول) نفس الكل وهو الإمام .

جـ ـ ثم ظهر عن نفس الكل (الإمام) سلسلة عقول أخرى هم الأئمة كأوصياء متممين للرسالة الإلهية . والقول بنقل الإمامة من إمام إلى من بعده هو القول بتناسخ الجزء الإلهي وحلوله في واحد بعد الآخر كما ينتقل هذا الجزء من كاهن لكاهن عند النصارى .

كما وأن عالم الله والرسول والإمام بنظرهم هو عالم خالص من شوائب النقص في عالم الكون والفساد ، ومن هنا جاءت فكرة العصمة والخطورة في اعتقادهم ، هذا هو إعطاء الصفة الإلهية للإمام بحيث يرفضون أي تشريع أو تفسير يخالف تشريعه ، يقول الدكتور محمد البهي في كتابه الفكر الإسلامي في تطوره ص ٥١ ما يلي : (وربط خلاص النفس الإنسانية بالصلة بالإمام واتباع تعاليمه والاعتراف بوجوده كعقيدة (الوسيلة) فإنه يقربهم من عقيدة الغفران وصكوكه في الكثلكة المسيحية) ويقول (وإلى هنا نجد أن الخطر في هذا البحث ليس الذي يتعلق بالعناصر الدخيلة من الأفلاطونية إلى الأفلاطونية الحديثة إلى المسيحية بل الخطر الأشد في طبع ذلك كله بطابع الاعتقاد وإبعاد الطابع الإنساني عن الإمام القابل للأخذ والرد . إن جعل حقائق الحق وحيًا للأئمة وما أضيف إلى أصول الإسلام من وثنية إغريقية ومعرفة مفلسفة يحول دون الفصل بين ما هو إسلام وما هو طارئ عليه) . وهذا ما هدف إليه واضعوا أسس هذه الفرق لطمس معالم الإسلام والقضاء عليه .

٤ ـ أما عقيدتهم في الوحي والنبوة والرسالة فملخصة بما يلي : (لايعترف الإسماعيليون بما نقله لنا رسول الله من حقائق الدين ، لأن العقل الأول بنظرهم وليس الله هو الذي دبر الكون وأرسل الرسل والوحي إلى الأنبياء . فالوصي بنظرهم . هو ما قبلته نفس الرسول من العقل الكلي وقبله العقل من باريه تعالى) تاج العقائد ص ٤٧ . (والنبي عندهم شخص فاضت عليه من (السابق) بواسطة (التالي) قوة قدسية صافية (فضائح الباطنية) . وأن الأنبياء لم يتصل بهم الوحي إلا عن طريق الجد وهو إسرافيل فيبلغه إلى الفتح وهو ميكائيل الذي أبلغه إلى الخيال وهو جبرائيل فيوحيه إلى الناطق الحي الذي يمثل بدوره دور السابق وينسخ الشريعة السابقة حتى وصل الدور إلى الناطق السابع محمد بن إسماعيل الذي نسخ شريعة الإسلام وهو كما يقول الحامدي في كنز الولد ص ٢١١ (متمم شريعته وموفّيها حقوقها وحدودها وهو السابع من الرسل) .

والرسالة على ضربين عامة ويقصد بها الفطرة السليمة وخاصة يكلف الله بها نفرًا يختاره لها وأتباعه الموالفون له أخيار ومخالفوه أشرار وأصحابه المختصون به خزان سره وأبواب حكمته ، وهو من يحتاج إليهم في إقامة أمر الله تعالى ونهيه ولا يتجاوز عددهم اثني عشر وكذلك لكل نبي مثل هذا العدد ، فلموسى اثنا عشر نقيبًا ولعيسى اثنا عشر حواريًا ولمحمد ﷺ اثنى عشر إمامًا ولكل نبي مثل ذلك . أما علي بن أبي طالب فينسبون إليه قولهم (كنت وليًا وآدم بين الماء والطين) لذا فعلي خاتم الأولياء ومحمد خاتم الأنبياء والنبي قبل أن يصل إلى مرتبة النبوة أو الرسالة ينبغي أن يمر بمرتبة الولي . والولاية عندهم أفضل أركان الإسلام ولا يقبل الله أركان الإسلام كلها إذا كان المسلم لا يؤمن بالولاية . وأولو العزم من الرسل هم النطقاء الذين ارتقت نفوسهم بالانتساب إلى حظيرة القدس والتعلق بها وقبول فيضها فارتفعت إلى درجة العقول الإبداعية فتنقلب ذاتها عقلاً تفيض بالبركات التي تصيِّر النفس كاملة .

أما النطقاء عند الإسماعيلية فهم سبعة لكل ناطق منهم أساس يعتمد عليه :

١ ـ آدم وأساسه شيث .

٢ ـ نوح وأساسه سام .

٣ ـ إبراهيم وأساسه إسماعيل .

٤ ـ موسى وأساسه هارون .

٥ ـ عيسى وأساسه شمعون الصفا .

٦ ـ محمد ﷺ وأساسه علي بن أبي طالب .

٧ ـ إسماعيل بن جعفر الصادق وأساسه قداح الحكمة ـ اعتبروه بمرتبة النبي .

والإمام عند الإسماعيلية إنما هو بشر خُلق من طين يتعرض للمرض والموت مثل بني آدم ، ولكنهم في التأويلات الباطنية يطلقون عليه صفة قدسية إلهية فهو يد الله وجنب الله ووجه الله ، وهو الذي يحاسب الناس يوم القيامة ، وهو الصراط المستقيم والذكر الحكيم ، ويبررون ذلك بأن الإمام هو الذي يُعرِّف الإنسان بالله وما دام الله يعرف بوجهه فالإمام إذًا هو وجه الله وهكذا . ويستدل من مصادر الإسماعيلية السرية أن

الإمامة عندهم مقامات ودرجات هي :

ا ـ الإمام المقيم : وهي أعلى المراتب وهو الذي يقيم الرسول الناطق ويعلّمه رسالة النطق .

ب ـ الإمام الأساسي : وهو القائم بأعمال الرسالة ومنه يتسلسل الأئمة المستقرون .

جـ ـ الإمام المتم : وهو الذي يتم الرسالة ويأتي في نهاية الدور السابع .

د ـ الإمام المستقر : صاحب الحق في توريث الإمامة لولده .

هـ ـ الإمام المستودع : لا يستطيع توريث ولده .

و ـ الإمام القائم بالقوة : ناقص في ذاته .

م ـ الإمام القائم بالعقل : تام في ذاته وفعله .

الواجبات نحو الأئمة

١ ـ الوفاء بعهودهم .

٢ ـ توقيرهم .

٣ ـ إخبارهم بأحوال أنفسهم وسؤالهم وطلب الاستغفار منهم .

٤ ـ الصبر على ما يمتحنون به أتباعهم والشكر لنعمهم .

٥ ـ الجهاد معهم .

٦ ـ التسليم لهم في كل الأمور .

٧ ـ الخوف منهم .

٨ ـ موالاة من والاهم ومعاداة من عاداهم .

٩ ـ تحرى ما وافقهم والبعد عما خالفهم .

١٠ـ التجرد عن الحسد وسوء الظن والحقد لهم .

١١ـ دفع الخمس المكتوب لهم .

٥ ـ **الظاهر والباطن** : ولتعاليم الإسماعيلية ظاهر وباطن ولا انفصال لأحدهما عن الآخر ، كما لا ينفصل الجسم عن الروح والإيمان بهما واجب الاتباع ، فعلم الظاهر يتصل بفرائض الدين وأركانه وهي واجبة على الجميع ، وعلم الباطن يكون في التأويل والتنظيم الاجتماعي والسياسي ، والباطن عندهم أهم من الظاهر لذا سموا بالباطنية وذهبوا إلى تكفير من اعتقد بأحدهما دون الآخر فقالوا من عمل بالباطن والظاهر معًا فهو منا ومن عمل بأحدهما دون الآخر فالكلب خير منه وليس منا .

والباطن ينقسم إلى قسمين :

(**القسم الأول**) : ما يقول فيه على القرآن وعلى الفقه الذي عرف به القاضي نعمان وجعفر بن منصور اليماني .

(**القسم الثاني**) : وهو حقائق الحق وهو فلسفة الإسماعيلية العلمية والدينية التي تهدف للتدليل على شرعية الإمامة وأنها أساس ديني وأنها من اختصاص الفاطميين وحدهم ، فمذهب الإسماعيلية يتنوع في تعاليمه بين الظاهر والباطن حتى يتمكنوا من مواجهة كافة مستويات أتباعهم ، وهم يتدرجون في تلقين أفكارهم كل حسب مستواه واستعداده فلا يعطوا تعاليمهم السرية إلا بعد اطمئنانهم إلى استعداد الفرد لتقبلها لذا سموا بالتعليمية ، ويقوم مبدأ التعليم على أصلين الأصل الأول هو التسليم الذي يعتبر حكمًا إلهيًا على كل الكون ، فإذا سلم التراب نفسه للنبات امتصت جذوره الغذاء وانتقل من الجمادية إلى النباتية ، وإذا سلم النبات نفسه للحيوان انتقل من النباتية إلى الحيوانية ، وإذا سلم الحيوان نفسه للإنسان انتقل من الحيوانية إلى الإنسانية ، ويرتفع الإنسان الجاهل الناقص إذا سلم نفسه ووضعها تحت تصرف الإنسان العاقل الكامل وهو الإمام أو حجته .

أما الأصل الثاني التعليمي فهو **محبة الإمام** : ولا تكون محبته خالصة إلا إذا انعدمت إرادته واختياراته وأصبحت مقرونه باختيار الإمام أو حجته من بعده وبهذا ينعدم التفكير والإرادة أمام حقائق العلم والدين وتصبح تبعًا لأهواء الإمام وحجته القائم من بعده .

والتأويل الباطني هو صورة من صورة الظاهر والباطن فللآيات القرآنية بنظرهم معنى ظاهر تدل عليه أساليب اللغة العربية ومعنى باطن خص الله به سيدنا علي بن أبي

طالب رضي الله عنه ، وأن هذا التأويل قد تسلسل في الأئمة من نسل علي فهم وحدهم المختصون بالتأويل وهم الراسخون بالعلم الذين عنتهم الآية الكريمة ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم** ﴾ . وزعمت الإسماعيلية أن لديها كتابًا توارثوه عن الإمام علي رضي الله عنه اسمه (الجفر) ينسبوه إلى جعفر الصادق وأن الإمام علي هو الذي وضع أصوله . واستخلاص الباطن من الظاهر تقوم على نظرية (المثل والممثول) أي تفسير الأمور غير المحسوسة بما يماثلها من أمور محسوسة . ومن أمثلة تأويلهم للآية الكريمة ﴿ **الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ الآيات عندهم الأئمة ، لذا أطلق الشيعة في إيران لقب آية الله على علماء الشيعة ، وفي قوله تعالى ﴿ **إنا عرضنا الأمانة** ﴾ أوّلوا الأمانة بالولاية والإمامة ﴿ **على السماوات والأرض والجبال** ﴾ السماوات يعني النطقاء والأئمة هم الأرض والحجج هم الجبال والسماوات السبع هم الأئمة السبع ، وهكذا ينتهي بهم الأمر إلى طرح أركان الدين وإباحة محرماته . وهم حين يؤولون القرآن إلى عقيدتهم فإنهم بذلك يعترفون بصورة غير مباشرة بأن عقيدتهم صيغت بعيدة عن الإسلام فنسبوها إليه بالتأويل ليحققوا أغراضهم التي تتلخص فيما يلي :

١ ـ عدم رفض القرآن والسنة لإيهام الناس بأنهم مسلمون .

٢ ـ التخلي عن أحكامه وفروضه وتعزيز ذلك بأسانيد قرآنية مؤوّلة .

٣ ـ وحين يفرّغون القرآن من معانيه بتأويلها يسهل عليهم التأثير على البسطاء وجرهم إلى عقيدتهم على المدى البعيد ـ كما يرى سامي العياشي في كتابه الإسماعيليون في المرحلة القرمطية ص ١٦٠ .

الدعوة الإسماعيلية وتنظيماتها السرية

لقد اهتمت الإسماعيلية اهتمامًا بالغًا بالتنظيم والتخطيط والدعاية فاستطاعوا أن يتصلوا بأقصى أنحاء العالم عن طريق الحمام الزاجل ، وأن ينشروا دعوتهم من سلمية السورية إلى اليمن والمغرب ومصر وشبه القارة الهندية ، والجدير بالذكر أن الإمام جعل الدعاة من حدود الدين حتى يستجيب لهم الأتباع عن طيب نفس ليتمكنوا من نشر الدعوة الإسماعيلية دون أية معارضة ؛ لأن معارضة الدعاة تعتبر مروقًا من الدين .

ولقد قسّموا العالم اثني عشر قسمًا بعدد أشهر السنة وأطلقوا على كل قسم جزيرة والمطاع فيها يسمى داعي دعاة الجزيرة أو الحجة . وقالوا إن الدعوة لا يمكن استقامتها إلا باثني عشر داعيًا يتولون إدارتها يقابلهم في عالم الفلك اثنا عشر برجًا هي : الحمل - الثور - الجوزاء - السرطان - الأسد - السنبلة - الميزان - العقرب - القوس - الجدي - الدلو - الحوت - يطابقها في جسم الإنسان اثنا عشر ثقبًا يقابلها في عالم الحجب اثنا عشر حجابًا هي : حجاب القدرة - والعزة - العظمة - الهيبة - الجبروت - الرحمة - النبوة - الكربة - المنزلة - الرفعة - الشفاعة - السعادة ، وباعتبار أن الشهر ثلاثون يومًا لذا كان لكل داعي جزيرة ثلاثون نقيبًا لمساعدته وهم القوة التي يستعين فيها لمقارعة الخصوم وهم عيونه الذين يعرف بهم أخبار العامة والخاصة . ولما كان النهار مقسمًا إلى ٢٤ ساعة لذا أعطوا كل داع من الدعاة أربعة وعشرين داعيًا منهم اثنا عشر ظاهرون كظهور الشمس واثنا عشر محجوبون حتى بلغ عدد الدعاة حوالي ٨٦٤٠ داعيًا .

وهناك مرتبة سرية لا يعرفها إلا الإمام نفسه وهي باب الأبواب أما مراتب الإسماعيليين فهي اثنتا عشرة مرتبة هي : إمام - باب - حجة - داعي دعاة - داعي البلاغ - النقيب - المأذون - داع محدود - جناح أيمن - جناح أيسر - جناح مكاسر - مستجيب ، وللإسماعيليين مجلس أعلى إسماعيلي مهمته الإشراف على جميع النواحي ويعيَّن من قبل الدعاة ولهم لجنة ثقافية تهتم بالمدارس والبعثات ونشر الدعوة .

أقوال العلماء في الإسماعيلية

يقول بروكلمان في تاريخ الشعوب الإسلامية جـ ٢ ص ٧٣ : ومذهبهم في جوهره يعتمد إلى حد كبير على تلك الصفة المقدسة التي يتمتع بها العدد سبعة في بلاد المشرق ، ثم أضيف إلى هذه العقيدة الإيرانية القديمة القائلة بالنعمة اللدنية والنظريات الغنوصية التي تعود بأصلها إلى النساك وعناصر من الفلسفة اليونانية وأخرى من المانونية ، لتنصهر في عقيدة باطنية تتلاءم مع الميل المعروف في الشرق إلى تأسيس الجمعيات السرية . وفي كتاب الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي يقول في الصفحة ٢٠٨ : فللرقم سبعة عندهم صفة مقدسة وهذه نزعة كانت معروفة عند الشيعة الغلاة من قبلهم أمثال المنصورية والمغيرية ، ويقول فيليب حتى في تاريخ العرب ص ٥٣٢ : وهكذا جعلت الإسماعيلية النظام الكوني والمواريث التاريخية أمرًا مرتبًا على هذا العدد وهم يتبعون في فلسفة

حدوث الكائنات فلسفة غنوصية مبنية إلى حد كبير على الأفلاطونية المدنيـة ، فيجمعون التجليات سبعًا هي : الله والعقل الكلي والنفس والهيولي المادة الأصلية والقضاء والزمن وعالم الأرضين والبشر ، ولهذا العالم سبعة أنبياء مشرّعين يسمى كل واحد منهم الناطق وهم : آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ثم محمد التام بن إسماعيل (المكتوم) وبين كل نبيين ناطقين سبعة أنبياء صامتين ، ويوازي الصامتين طبقة أدنى منهم وهي مرتبة على أساس السبعة أو الاثنى عشر وهم زعماء الدعوة يعرف واحدهم بالحجة ، ثم المبشرون العاديون ويعرفون بالدعاة وهذا يعني أن محمدًا لم يكن خاتم الأنبياء ولا آخر من يمثل اكتمال الوحي الإلهي - ويقول على سامي النشار في نشأة الفكر الفلسفي ص ١٨٣ : وهنا نرى أن الإسماعيلية تصل إلى أفظع النتائج التي يمكن ربطها على فكرة الفيض ، فالفيض دائم وباق ومستمر ودائرته لم تغلق على الإطلاق ويعوّل على هذه الفكرة في دورية النبوة واستمراريتها ، فهي التي بنت عليها القاديانية والبهائية في العصر الحديث دعوتيهما . ويقول كولدزيهر في كتابه العقيدة والشريعة ص ٣٣٨ : وانتهى الأمر بهم إلى طي معالم معالم الإسلام وإغلال عقائده إغلالاً تامًا ، ولئن صنف علماء الغرب الإسماعيلية في غير صف الإسلام فمن باب أولى أن يخرجهم العلماء المسلمون من الإسلام - يقول البغدادي في كتابه الفَرْق بين الفرَق ص ١٧٧ : والذي صح عندي من دين الباطنية أنهم يقولون بقدم العالم وينكرون الرسول والشرائع كلها لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع - ويقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في فضائح الباطنية ص ١٤٦ : بأن لمقالتهم مرتبتين إحداهما توجب التخطئة والتضليل والتبديع والأخرى توجب التكفير والتبري .

* * *

الجذور الفكرية والعقائدية للإسماعيلية (عن الموسوعة الميسرة ص ٥١) :

- لقد نشأ مذهبهم في العراق ، ثم فروا إلى فارس وخراسان وما وراء النهر كالهند والتركستان فخالط مذهبهم آراء من عقائد الفرس القديمة والأفكار الهندية ، وقام فيهم ذوو أهواء زادوا في انحرافهم بما انتحلوا من نحل .

- اتصلوا ببراهمة الهند والفلاسفة الإشراقيين والبوذيين وبقايا ما كان عند الكلدانيين والفرس من عقائد وأفكار حول الروحانيات والكواكب والنجوم واختلفوا في مقدار الأخذ من هذه الخرافات وقد ساعدتهم سريتهم على مزيد من الانحراف .

ـ بعضهم اعتنق مذاهب مزدك وزرادشت في الإباحية والشيوعية (القرامطة مثلاً) .

ـ ليست عقائدهم من الكتاب والسنة فقد دخلتهم فلسفات وعقائد كثيرة أثرت فيهم وجعلتهم خارجين على الإسلام .

الانتشار ومواقع النفوذ :

لقد اختلفت الأرض التي سيطر عليها الإسماعيليون مدًّا وجزرًا بحسب تقلبات الظروف والأحوال خلال فترة طويلة من الزمن وقد غطى نفوذهم العالم الإسلامي ولكن بتشكيلات متنوعة تختلف باختلاف الأزمان والأوقات :

ـ فالقرامطة سيطروا على الجزيرة وبلاد الشام والعراق وما وراء النهر .

ـ والفاطميون أسسوا دولة امتدت من المحيط الأطلسي وشمال أفريقيا ، وامتلكوا مصر والشام ، وقد اعتنق مذهبهم أهل العراق وخطب لهم على منابر بغداد سنة ٥٤٠ هـ ولكن دولتهم دالت على يد صلاح الدين الأيوبي .

ـ والآغاخانية : يسكنون نيروبي ودار السلام وزنجبار ومدغشقر والكنغو البلجيكي والهند وباكستان وسوريا ومركز القيادة الرئيسي لهم مدينة كراتشي .

ـ والبهرة : استوطنوا اليمن والهند والسواحل القريبة المجاورة لهذين البلدين .

ـ وإسماعيلية الشام : امتلكوا قلاعًا وحصونًا في طول البلاد وعرضها وما تزال لهم بقايا في سلمية والخوابي والقدموس ومصياف وبانياس والكهف .

ـ والحشاشون : انتشروا في إيران واستولوا على قلعة آلموت جنوب بحر قزوين واتسع سلطانهم واستقلوا بإقليم كبير وسط الدولة العباسية السنية . امتلكوا القلاع والحصون ووصلوا يانياس وحلب والموصل وولي أحدهم قضاء دمشق أيام الصليبيين وقد اندحروا أمام هولاكو المغولي .

القرامطة

يؤكد النوبختي والقمي أن القرامطة فرقة من الإسماعيلية المباركية الذين آمنوا بإمامة محمد المكتوم خاتم الأئمة . ويرى المستشرق ستيرن أن الحركة الاسماعيلية حين قويت وفرضت نفوذها السياسي والحزبي سميت بالحركة القرمطية ، وقرمط معناه بالنبطي أحمر العينين .

والقرامطة ينتسبون إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ، ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه مما جعله يشعر بنقصه فينعكس ذلك على نفسيته فأظهر الحقد للناس والبغض لكل وضع (القرامطة لمحمود شاكر صـ ١٥) . وهو أحد مريدي عبد الله بن ميمون القداح الإسماعيلي الذي نشر مبادئ الإسماعيلية في جنوبي فارس سنة ٢٦٠ هـ .

١ - ويروي ابن سنان أن أصل الداعية الإسماعيلي حمدان بن الأشعث القرمطي من خوزستان في الأهواز ثم رحل إلى الكوفة فنزل في مكان اسمه النهران وتظاهر بالزهد والورع ، وأذاع أن الصلاة المفروضة خمسون صلاة في اليوم ، ودعا إلى إمامة أهل البيت فاعتنق أهل قرية كور مذهبه وانشغلوا بالصلاة عن أعمالهم ، فتنبه لذاك الهيصم أمير تلك المنطقة فسجنه يريد قتله ، فساعده أتباعه على الهرب فافتتن الناس به ومما ساعده على نشر مذهبه الاضطرابات التي عمت البلاد خمسة عشر عامًا نتيجة ثورة الزنج ، وكذلك تساهل العباسيين معه فقد سكت عنه والي الكوفة أحمد بن محمد الطائي لقاء جزية قدرها دينار على كل منتسب إلى طائفته .

لقد بدأ حمدان نظامه المالي على أتباعه بفرض درهم على كل رجل أو امرأة من أتباعه سماه الفطرة ، ثم فرض دينارًا على كل بالغ من رجل وامرأة سماه الهجرة ثم فرض سبعة وسماها البلغة ، فمن دفعها أطعمه طعامًا لذيذًا بحجم البندقة وقال له هذا طعام أهل الجنة ، ثم فرض عليهم الخمس من دخلهم ، ثم فرض عليهم الألفة وذلك بأن يجمعوا أموالهم في موضع واحد وأن يكونوا في هذا المال سواء . وقال لهم لا حاجة بكم إلى الأموال فإن الأرض بأسرها ستكون لكم وألزمهم بشراء السلاح سنة ست وسبعين ومئتين ، وأقام في كل قرية رجلاً من الثقات أودع عنده الأموال والمتاع والماشية فلما استجابوا له واستقام له الأمر بإشاعة المال بدأ بتطبيق الشق الثاني وهو إشاعة النساء فطلب إليهم أن تجتمع النساء في ليلة عيّنها لهم ، وطلب من الرجال أن يختلطوا بهن وأن يتراكبن وقال هذا من

صحة الود والألف ففعلوا ذلك ، ثم أسقط عنهم الصوم والصلاة وجميع الفرائض ، وأن معرفة صاحب الحق تغنيهم عن هذه العبادات وأباح لهم دماء وأموال مخالفيهم ، وفي عام ٢٧٧ هـ ولما آنسوا في أنفسهم القوة أقاموا دار هجرة فأقاموا حول (مهتما باز) قرية من سواد الكوفة سورًا عرضه ٨ أذرع وحفروا حوله خندقًا عظيمًا وبنوا داخل السور المباني ونقلوا إليها النساء والرجال وبدأوا بسفك الدماء وقتل من خالفهم فخافهم الناس لتمكنهم وإرهابهم . عن تاريخ أخبار القرامطة ابن سنان وابن النديم ص ٩٨ ـ ١٠٠ .

٢ ـ ومن أشهر دعاة القرامطة عبدان صهر حمدان وهو مؤلف معظم كتب القرامطة وهو الذي عين زكرويه الفرج بن عثمان القاشاني داعي العراق وأبا سعيد الجنابي داعي فارس الجنوبية ، واسمه الحسن بن بهرام والذي سار إلى البصرة فهزم فيها ، وكان عبدان مشهورًا بعلمه وتشيعه وكان فطنًا خبيثًا لا يظهر أمام الناس إلا الدعوة لإمامة محمد بن إسماعيل ويكتم اعتقاداته الباطنية ، لذلك ذهبت الروايات إلى أنه واضع بلاغات الفرقة التسعة التي تنتهي بالمريد إلى التحرر من القيود الدينية .

وكان حمدان يتلقى التعليمات من القداحين في السلمية مركز الإمامة الإسماعيلية ولكن سرعان ما شعر بقوته شق عصا الطاعة عليهم وقطع الصلة بقادته في سلمية ولكن أولاد ميمون القداح لم يرضوا عن هذا الانشقاق وتحالفوا مع زكرويه وحرّضوه على قتل حمدان وصهره عبدان فقتلهما عام ٢٨٠ هـ وعاد ولاء إسماعيلية الكوفة إلى سلمية في سورية ، ثم اختفى زكرويه زمن المعتصم العباسي في منزل سلفه وكان له سرداب وباب يسد بتنور متنقل فإذا اشتد عليه الطلب أشعل التنور (تاريخ الطبري جـ ١٠ ص ١٢٧) ولما توفى المعتضد خرج زكرويه من مخبئه وحاول زكرويه أن يستميل إليه بدو بادية الشام ، فأرسل أولاده إليهم فبايعهم فخذ من قبيلة كلب المعروف ببني العليصي بن صمصم بن عدي بن جناب وادعى يحيى بن زكرويه أنه محمد بن إسماعيل وأن ناقته مأمورة فَلُقِّب صاحب الناقة فقصد دمشق وهاجم المدن والقرى التي في طريقه فأحرقوا المساجد وسبوا النساء وسرقوا الأموال وحاصروا دمشق فأرسل إليهم المصريون بدرًا الكبير (غلام ابن طولون) فهزمهم وقتل ابن زكرويه / عن تاريخ الطبري / فتولّى الإمامة الحسين بن زكرويه وسمى نفسه أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل ودعى أهل البادية لاتباعه فتبعه كثيرون ، وكان له شامة فلقّب بصاحب الشامة فشق عصا الطاعة على آل القداح

بسلمية حين شعر بقوته . وهاجم دمشق فصالحه أهلها على خراج يـدفعونـه ثم فتح حمص وحضر إليه ابن عمه عيسى فكنّاه المدثر ، وزعم أنـه المـدثر المـذكور في القرآن وعهـد إليـه بالإمامة من بعده وفتح حماة ومعرة النعمان فقتل أهلها ونساءها وأطفـالهـا ، ثم توجـه إلى بعلبك وقتل أهلها ، ثم حاصر سلمية مركز إمامتهم فقضى على آل القداح واستباح المدينة وخرج منها وليس فيها عين تطرف ، ثم هاجم القرى المجاورة فقتل وأتى من المنكرات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . عن أخبار القرامطة لابن سنان ، لقد أدرك أن آل القـداح ليسوا من آل البيت لذلك قضى عليهم وادعى لنفسه النسبة لآل البيت . وما أن سمع ابن طـولـون بجرائمهم وجـه إليهم بـدرًا مـولى ابن طـولـون سنـة ٢٩٠ هـ بجيش كبير فـانهـزم القرمطي مع بعض أتباعه ، واستطاع جيش ابن طولون القبض على حسين ابن زكرويـه وعلى ابن عمه المـدثر وأرسلهما إلى بغـداد حيث قتلهم الخليفـة وخلص المسلمين من شرهم ، ولما تم القبض على ابن زكرويـه خرج أخوه أبو الفضل والـذي يسميـه ابن خلـدون (أبـا القاسم عليا) إلى البادية ومعه كنوز أخيه حسن ، وبدأ عـدة حملات سلب ونهب مع من تبقى من أتباعه القرامطة ثم ارتحل إلى اليمن استجـابـة لرغبـة والـده وانضم إليـه جمـاعتـه هناك (تاريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ١٨٦) وفي سنة ٢٩٣ هـ أرسل زكرويه بن مهرويه بعـد قتـل صـاحب الشـامـة أحـد دعـاتـه نصر بن عبـد الله بن سعيـد إلى أحيـاء العرب فرفضوه ، وقبله رجل من بني زياد فاستغوى بعض القبائل وهاجم بصرى الشـام ثم أمّنَهم فلما استسلموا قتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم وهـاجم دمشق فخرج إليهم صـالح بن الفضل ، فتغلبوا عليهم وفتكوا بهم ثم أتوهم فـاستسلموا لهم فقتلوا صـالحًـا ، ثم خرجـوا إلى طبريـة فنهبوهـا وأعملوا السيف في أهلهـا فسبـوا النسـاء وقتلـوا الشيـوخ والأطفـال ، فـوصلت أخبـارهم إلى الخليفـة العبـاسي فـأرسـل إلى الحسين بن حمـدان لقتـالهم ، فهرب القرامطة مستبيحين المـدن والقرى في طريقهم فلمـا أحسّ أنصـارهم من الكلبيين بـالخطر قتلوا نصرًا زعيم القرامطة وأخذوا رأسه إلى الخليفـة وأعلنوا طـاعتهم لـه فعفـا عنهم (عن تاريخ أخبار القرامطة لابن سنان) .

٣ ـ عندما تولّى زكرويه القيادة بنفسه كتب إلى قرامطة بادية الشام رسالة وأرسلها مع داعيته القاسم بن أحمد كي يحضروا إلى الكوفـة أول أيـام عيـد النحر ، فـدخل الكوفـة منهم ثمانمائة فارس بعد أن انفض الناس من صلاة العيد وضربوا على القاسم بن أحمد خيمة

وقـالوا هـذا ابن رسول الله ، وصـاحوا يـالثـارات الحسين بن زكرويـه وسـاروا لاعتراض طريق الحجاج فنهبوا القوافل وسبوا النساء واستعبدوا الأحيـاء . قيل إنـه قتل في قـافلـة واحـدة زهـاء عشرين ألف رجل وعمـل منهم دكـة وقف عليهـا زكرويـه ، وكانت نسـاء القرامطـة يطفن بـالمـاء على القتلى يعرضن عليهم المـاء ليعرفن الأحيـاء منهم فمن كلمهن قتلنـه (الكامـل حـ ٧ ص ١٨٨) ، ثم أرســل المكتفي جيشًـا كبيرًا شتّت شملهم وأسر زكرويه وهو مصاب وخليفته القاسم وابنه وكاتبه وزوجته ولكنه هلك بعـد خمسـة أيـام فأرسلت جثته إلى بغداد وصُلب هناك . (ابن خلدون حـ ٤ ص ١٨٧ ، ١٨٨) .

أما قرامطة البحرين بدأ دورهم عام ٢٨١ هـ حين جاء يحيى المهـدي أحـد دعـاتهم إلى القطيف ونزل عنـد علي بن المعلى بن حمـدان مولى الزيـاديين وكان مغـاليًـا في التشيـع ، فأظهر له يحيى أنه رسول المهـدي وأن ظهوره قـد اقترب ، فتجـاوب معـه شيعـة القطيف كافة وشيعة البحرين وعلى رأسهم أبو سعيـد الجنـابي ، ثم غـاب يحيى وعـاد ومعـه كتـاب يدعي أنه من المهدي يطلب إليهم أن يدفعوا ليحيى $\frac{٢}{٣}$ ٦ دنـــانير عن كل رجــل منهم فدفعوا ثم عاد برسالة يدعي أنها من المهدي يطالبهم بدفع الخمس له فدفعوا ، ثم تخلص أبو سعيد الجنابي من يحيى فقتله لينفرد بالرئاسة ثم نشط بالدعوة إلى مذهبه ، فـاستجـاب لـه بنو سنبر وعلى رأسهم الحسين وعلي حمدان من الوجهاء وزوّج الحسين ابنتـه من أبي سعيـد فاشتد نفوذه وأقبل الناس عليه وتحرك بمن حولـه من الأعراب والقرامطـة ، فقتل أهـالي القرى التي حـولـه ثم سـار إلى القطيف فقتـل من بهـا ثم التقى بجيش المعتضـد بقيـادة العباس الغنوي فهزمه فهاجم هجر عاصمة البحرين واحتلها وجعلها عاصمة له . واستطـاع أبو سعيد أن ينشئ مجتمعًا إباحيًا وأن يجمع حوله أبناء الأسرى وأبناء أتباعـه فيشكل منهم جيشًا لا يعرف غير القتال حرفة وطاعة الرئيس دينًا والجنس متعة ، فقـد جمع الصبيـان في دور خـاصـة وأقـام عليهم قوادًا وخصص لهم عطـاء ووسمهم على الخـدود لئلا يختلطـوا بغيرهم / عن (نهاية الإرب حـ ٢٣) .

ويروي ابن الأشرف (الكامل حـ ٧ ص ٤٩٢) قصة إغراء الناس على الفاحشـة فقـد نزل يحيى المهدي بضيافـة أبي سعيـد فتنـاولوا طعـامًـا ، ثم خرج أبو سعيـد من بيتـه وأمر امرأتـه أن تـدخل على يحيى وأن لا تمنعـه إن أراد ، فلا عجب أن يتجمع حـولـه غـوغـاء الناس ومن لا أخلاق لهم وحاول أبو سعيد في آخر حياته التقرب من الخليفة العباسي ممـا

أثار العبيديين عليه ، فدبروا مؤامرة للقضاء عليه على يد خادم صقلي في الحمام فزعم أتباعه أنه سيعود فجهزوا لعودته حصانًا جانب القبر يتناوبون عليه ثم تولى ابنه سعيد الحكم من بعده وسار على سياسة أبيه بالتقرب من العباسيين ، وأطلق سراح أسرى المسلمين فقتله العبيديون ونصبوا أخاه أبا الطاهر مكانه ، ورجعت القرامطة فرعًا من الإسماعيلية والدولة العبيدية . وأبو الطاهر سليمان بن الحسن بن بهرام استولى على كثير من الجزيرة العربية ودام ملكه فيها ثلاثين سنة ويعتبر مؤسس الدولة القرمطية الحقيقي ومنظمها السياسي والاجتماعي بلغ من سطوته أن دفعت له حكومة بغداد الإتاوات .

كان أبو طاهر حقودًا على الإسلام والمسلمين فجعل همه قتل أكبر عدد منهم ففي سنة ٣١١ هاجم البصرة ومعه ألف وسبعمائة رجل ، فتسلق سورها بالسلالم ودخلها ثم استباحها وأقام سبعة عشر يومًا ينقل ما يستطيع من أمتعة وأموال ونساء وصبيان ، ولم يخرج منها حتى هدم مسجدها (الكامل حـ ٨ ص ١٤٤) وذلك كي يثير الرعب فتتحول التجارة إلى مواني الخليج التي يسيطرون عليها وفي سنة ٣١٢ هاجم الحجاج فسبى النساء والأموال وترك الحجاج يموتون جوعًا وعطشًا في حر الصحراء ، وفي نفس العام دخل الكوفة وجعل مسجدها اصطبلاً (الكامل ص ١٤٧ ـ ٨٥٦ حـ ٨) .

وفي سنة ٣١٧ زحف أبو طاهر على مكة في موسم الحجاج فقتل الحجاج في بيت الله الحرام ، وردم بهم بئر زمزم وفرش بهم المسجد وقتل في شعاب مكة من أهل خراسان والمغاربة ثلاثين ألف حاج وسبى النساء والصبيان ، وأقام بمكة ستة أيام ولم يقف في هذا العام أحد في عرفات ودكوا الكعبة ، وأخذوا معهم الحجر الأسود وتركوه في الأحساء وكان يقول بعد أن خلع باب الكعبة أنا بالله ، وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا ثم أهلكه الله عام ٣٣١ هـ .

بعد موت أبي طاهر عيّن عبد الله المهدي أخاه أحمد واليًا عليهم وسموه أبا المنصور ، وعينوا سابور الابن الأكبر لأبي الطاهر وليًا للعهد وأمروا أحمد أن يعيد الحجر الأسود إلى مكة فأعاده ، ثم تآمر أولاد أبي الطاهر على عمهم أحمد فاعتقلوه وثار أولاد عمهم عليهم وانتهت المعركة بقتل سابور ونفي إخوته وأنصارهم إلى جزيرة أوال . وأثار هذا الحدث حنق العبيديين على بيت أحمد بن أبي سعيد لإنهاء سلطة أنصارهم أولاد أبي الطاهر ، ولما

مات أحمد استلم ابنه (الحسن الأعصم) الأمر من بعده ، وفي عام ٣٥٨ احتل العبيديون دمشق بقيادة أحمد بن فلاح ، ومنعوا جزية كانت تدفع للقرامطة فتحرك الحسن الأعصم لحربهم وحاول أن يتقوى بالخليفة العباسي في حربهم ، ولكن الخليفة لم يمده بالمساعدة بل شجعه على حربهم ، فسار القرمطي إلى دمشق ومعه أعلام سود فدخل دمشق وهزم الإسماعيليين العبيديين ولعن المعز على المنابر ولحقهم إلى القاهرة ، فحاصرها ثم أرضوه بالمال فعاد إلى دمشق وهناك اتفق مع أفتكين التركي والي الشام فلحق بهم المعز وهزمهم ، فهرب الأعصم إلى طبريا ثم رحل إلى الإحساء ، ولما مات الأعصم أصبحت القيادة جماعية بيد ستة لقّبوا بالسادة يُنتخبون من أحفاد أبي سعيد فهاجموا الكوفة واحتلوها ، فأرسل لهم صمصام الدولة جيشًا كبيرًا فهزمهم إلى الإحساء ، فتشجعت القبائل العربية على الثورة عليهم فانقضت عليهم بقيادة الأصيفر عام ٣٧٨ هـ فهزمتهم شر هزيمة فلجأوا إلى عاصمتهم وتحصنوا بها .

وكانت نهاية القرامطة في عهد المستنصر حيث طردوا من جزيرة أوال عام ٤٥٨ هـ نتيجة سلسلة ثورات قام بها أهل السنة البحرانيون لكن القرامطة فرضوا الجزية على أهل البحرين وعزلوا واليهم ، فاتصلوا بالسلاجقة في العراق ، فبعثوا إليهم عام ٤٦٢ جيشًا قويًا ألحق بالقرامطة هزائم متتابعة ثم لاحق السلاجقة القرامطة إلى الإحساء ، فانطوت القبائل تحت قيادتهم وانتصروا عليهم في موقعة الخندق الفاصلة عام ٤٧٠ هـ ، وفي هذه الموقعة تمّ القضاء نهائيًا على القرامطة الذين كانوا مصدرًا للرعب زهاء قرنين من الزمن والحمد لله رب العالمين .

عقائد القرامطة

عقائد القرامطة هي نفسها عقائد الإسماعيلية بخلاف بعض النواحي التطبيقية التي لم تستطع الإسماعيلية تطبيقها خوفًا من ثورة الناس عليها ، ويظهر هذا التطابق في رسالة عبيد الله المهدي إلى أبي سعيد الجنابي والتي أوردها البغدادي في كتاب الفرْق بين الفرَق جاء فيها : ادع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم (التقية) فإن آنست منهم رشدًا فاكشف له الغطاء ، وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلسفة معولنا وإنّا وإياهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء (إنكار الأنبياء) وعلى القول بقدم العالم لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبرًا لا نعرفه (إنكار الله) أن

الجنة نعيم الدنيا وأن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصوم والحج والجهاد (إنكار أركان الإسلام) وأن أهل الشرائع يعبدون إلهًا لا يعرفونه ولا يحصلون منه إلا على اسم بلا جسم (إيمانهم بحلول الألوهية في شخص الحاكم) لقد خرج البغدادي من القرامطة لأنهم قالوا بألوهية محمد بن إسماعيل ، وأنه هو الذي نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له : إني أنا ربك . فأجابهم البغدادي : سخنت عينك تدعوني إلى الكفر بالرب القديم الخالق للعالم ثم تدعوني بعد ذلك إلى الإقرار بربوبية مخلوق وتزعم أنه كان قبل ولادته إلهًا مرسلاً لموسى (الفرْق بين الفرَق للبغدادي) .

والقرامطة يعتقدون أن العقل قد فاض عن النفس الكلية أو التالي وبواسطة العقل والنفس وجدت المخلوقات ولكن العقل هو الأول لذلك سمي السابق ، ويقول الدكتور أحمد الخطيب في كتابه الحركات الباطنية ص ١٦١ ما يلي : وعلى هذا فالإله الخالق عند القرامطة قد يطلق على العقل وقد يطلق على النفس لأنها حسب زعمهم سبب إيجاد العالم ، لذا يمكن القول بأنهم يعتقدون بأمرين يخرجهما من حظيرة الإسلام وهما :ـ

١ ـ اعتقادهم باحتجاب الله في صور البشر .

٢ ـ والثاني قولهم بوجود إلهين . اثنين (السابق والتالي) وهذا يعني إنكارهم وحدانية الله واعتقادهم أن الله شريك في الخلق ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

٣ ـ أما عقيدتهم في الوحي والنبوة والرسالة : النبي عندهم شخص فاضت عليه من السابق (العقل) بقوة التالي (النفس) قوة قدسيته ، وأن جبريل هو العقل الفائض عليه ، وأن القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل فسمي كلام الله مجازًا لأنه مركب من جهته (عن أخبار القرامطة ، د . سهيل زكار ص ٢٦٣) ويظهر هذا المعتقد عندهم في رسالة عبيد الله إلى أبي سعيد الجنابي يوصيه فيها (بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل ويدعوهم إلى إبطال الشرائع وإبطال المعاد والنشور من القبور وإبطال الملائكة في السماء والجن في الأرض) وأوصاه أن يحيط بمخاريق الأنبياء ومناقضاتهم في أقوالهم كعيسى بن مريم قال لليهود : لا أرفع شريعة موسى ثم رفعها بتحريم الأحد بدل السبت ، ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة (يعني محمدًا ﷺ) حين سألوه عن الروح فقال : الروح من أمر ربي ، إذ لم يعلم ولم يحضره جواب المسألة ، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم في انتظار موعد لا يكون ، وهل الجنة إلا هذه

الدنيا ونعيمها وهل النار إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والحج والجهاد . بهذا نجد أن عقيدة القرامطة هي نفسها عقيدة الإسماعيلية .

٤ ـ إلغاء التكاليف (الفرائض من صوم وصلاة وحج وزكاة لأنها ضلالات) .

٥ ـ يؤمنون بإبطال يوم البعث وأن الجنة هي النعيم في الدنيا والنار هي اتباع الفرائض .

٦ ـ يقولون بعصمة الإمام يساوي النبي في عصمته يؤول لهم الظاهر . فالجنابة عندهم إفشاء السر والصيام هو كتمان السر والبعث والاهتداء إلى مذهبهم يقولون بالرجعة وأن عليًّا يعلم الغيب .

٧ ـ تنظيم الدعوة على تسع مراحل : وضع عبدان داعية حمدان القرمطي تسع مراحل أو بلاغات لاصطياد الناس وإخراجهم من دينهم ، ولئن قارنا هذه البلاغات بالمراحل التي يرويها النويري عن أخي محسن محمد بن علي بن الحسين لرأيناها تطابق المراتب التي وصفها الإسماعيليون تمامًا ، وفيها يقررون أن الأنبياء سبعة وأن محمدًا هو السادس وأن محمد بن إسماعيل هو النبي السابع .

٨ ـ الشيء الذي امتاز به القرامطة عن الإسماعيليين جرأتهم على إشاعة النساء والمال وبذلك استطاعوا أن يجمعوا حولهم أصحاب الشهوات والمراهقين وأسافل الناس . ولقد أمر الجنابي أتباعه في البحرين بإقامة ليلة سماها ليلة الإفاضة يجتمع فيها النساء والرجال وتطفأ الأنوار ويمارسون الجنس بين المحللات والمحرمات (الإسماعيليون للعياشي) ، وأن المؤمن لا يكمل إيمانه حتى يرضى بالتشريق وهو أن يدخل الرجل إلى حليلة جاره فيطأها وزوجها حاضر ينظر إليه ثم يخرج فيبصق في وجهه ويصفع قفاه ويقول له تصبر فإن صبر عد كامل الإيمان وسمي من الصابرة (القرامطة ميكال ص ١٣٠) ومن رسالة أبي عبيد الله للجنابي قوله : وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبي . ولو عقل الجاهل أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي وما وجه ذلك إلا أن صاحبهم ـ يقصد النبي ـ حرم عليهم الطيبات (الفرق بين الفرق) .

٩ ـ وسائل القرامطة في استدراج أتباعهم :

ويقول الإمام الغزالي : « في الاطلاع على هذه الحيل فوائد جمة لجماهير الأمة ...

وهاك شيئًا من تفصيل حيلهم :ـ

١ ـ **أما التفرس :** فمعناه أن يكون الداعي فطنًا ذكيًّا يميز بين من يمكن استدراجه ومن لا يمكن ، قادرًا على تأويل النصوص والإيهام بأن لها باطنًا لا يعرفه كل أحد ، كما يكون قادرًا على أن يقدم لكل واحد ما يتفق مع مزاجه وميله ومذهبه .

٢ ـ **وأما حيلة التأنيس :** فهي أنْ يجتهد الداعي في التقرب إلى من يدعوه والتظاهر له بالتنسك والتعبد ، والمواعظ الرقيقة ، والتبشير بأن الفرج منتظر .

٣ ـ **وأما حيلة التشكيك :** فهي أن يجتهد الداعي في تغيير اعتقاد المستجيب ، وذلك بالأسئلة عن الحكمة في مقررات الشرع ، وغوامض المسائل ، ومتشابه الآيات ، وأسرار الأرقام في مثل قوله تعالى : ﴿ **خلق سبع سموات** ﴾ ، ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** ﴾ ﴿ **عليها تسعة عشر** ﴾ .

٤ ـ **وأما عن حيلة التعليق :** فتكون بأن يطوي عنه سر هذه الشكوك ، ويوهمه بأنه يملك حقيقتها ويعرف كنهها ، ولكن لا يمكن البوح بها لكل أحد ، ولا في كل حين ، بل لابد من عهود ومواثيق على من يريد معرفة هذه الأسرار ، ويتركه هكذا معلقًا .

٥ ـ **وأما حيلة الربط :** فتأتي بعد التعليق ، بأن يربطه بأيمان مغلظة ، وجهود مؤكدة ، لا يجسر على المخالفة لها بحال ، (ومن اطلع على نسخة العهد يقشعر بدنه لهذا الإرهاب الذي ينطق به) .

٦ ـ **وأما حيلة التدليس :** فتكون بالتدرج في بث الأسرار إليه بعد أن ربطه بالأيمان والعهود المؤكدة ، إذ يأخذ في إطلاعه على قواعد المذهب شيئًا فشيئًا ، يوهمه أن لهذا المذهب أتباعًا كثيرين ، ولكنه لا يعرفهم ، بل له أن يسمي بعض المرموقين الذين يقتدي بهم (على شرط أن يكونوا في بلاد أخرى لا يمكن مراجعتهم) مدعيًّا له أنهم على نفس مذهبه .

٧ ـ **وأما حيلة التلبيس :** فتكون بالاتفاق على بعض المسلمات ، والقواعد البدهية ثم

يستدرجه منها إلى نتائج باطلة ، وذلك بعد أن يكون قد أسلم له قياده .

٨ ، ٩ ـ الخلع والسلخ : وهما بمعنى واحد إلا أن الخلع يختص بالعمل فإذا أسلم المستجيب قياده وبدأ العمل والتنفيذ لما يريده منه القرامطة ، يكون قد انخلع عن مجتمعه ، ووصل إلى درجة الخلع ، وأما السلخ : فيختص بالاعتقاد الذي هو خلع الدين واعتقاد فلسفة المذهب قلبًا وإيمانًا بعد أن أخذها منهجًا وعملاً .

* * *

إخوان الصفا وخلان الوفاء

نشأتهم : جماعة نشأت في منتصف القرن الرابع الهجري بالبصرة ويرجع الأستاذ عمر الدسوقي تاريخهم إلى ٣٣٤ ـ ٣٧٣ هـ عملوا على الخلط بين الفلسفة والشريعة ، وراحوا يكتبون آراءهم دون أن يكشفوا أسماءهم ، ولما بلغت الخلافة العباسية درجة من الضعف شجعت كل أمير على الاستقلال بولايته وشجعت آل بويه الشيعة على دخول بغداد والاستيلاء على مقر الخلافة العباسية تشجّع إخوان الصفا وكشفوا عن رسائلهم وشخصياتهم . لقد نشأوا في ظل الدولة البويهية وانتهوا بانتهائها ، إن أقدم مرجع تحدث عن إخوان الصفا هو الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي يجيب فيه على سؤال الوزير أبي عبد الله الحسين عن زيد بن رفاعة وحقيقة معتقده فقال : إنه أقام بالبصرة زمنًا طويلاً وصادق بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة منهم أبو سليمان محمد بن معشر البيستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو أحمد المهرجاني والعوفي وغيرهم ، فصحبهم وخدمهم وكانت هذه العصابة قد تآلفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت ـ حسب ادعائها ـ على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهبًا زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله والمصير إلى جنته . وذلك أنهم قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال . وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة علميًا وعمليًا وأفردوا لها فهرسة وسموها رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء وكتموا أسماءهم وبثوها في الوارقين ولقنوها للناس (الإمتاع والمؤانسة حـ ٢ ص ٤ ، ٥) . ويزعم دعاة الإسماعيلية أن مؤلف رسائل إخوان الصفا هو أحد أئمتهم المستورين واسمه أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ويقولون إن أول من ذكر رسائل إخوان الصفا هو الداعية الإسماعيلي الحامدي (عن إخوان الصفا مصطفى غالب ص ٦٣) ويزعم آغا خان زعيم الطائفة الإسماعيلية في كتابه نور مبين حبل الله المتين بالأردية أن سبب تأليف رسائل إخوان الصفا أن عامة المسلمين توجهوا إلى الإمام وفي أحمد ليعرفهم الفرق بين الدين والفلسفة استجاب لهم وألّفَ رسائل إخوان الصفا في اثنتين وخمسين رسالة وأخفى اسمه لأسباب سياسية (عن إخوان الصفا للدسوقي).

ويرى الأستاذ سامي العياشي في كتابه الإسماعيلية ص ١١٢ أن هذه التسمية تسترعي بعض الاهتمام ، فهي تطلق على الجماعة التي وضعت الرسائل المنسوبة إليها غير أن هذه التسمية وكاصطلاح أيضًا تعبّر عن مدلول أشمل لأننا نجد أن كلمة إخوان تتكرر في كثير من الكتابات الباطنية ، وحتى في بعض الرسائل الدرزية حيث تقترن كلمة إخوان أحيانًا بتسمية الموحدين (الدروز) .

ويقول الدكتور محمد الخطيب في كتابه الحركات الباطنية ص ١٧٣ على أية حال فإنه مما لا جدال فيه أن رسائل إخوان الصفا ليست من تأليف شخص واحد بل من تأليف جماعة متعددة تتباين معارفهم وأساليبهم ، وهذا واضح جدًا في رسائلهم وربما كان منهم بعض أئمة الإسماعيلية المستورين أو أن هؤلاء الأئمة أوعزوا لدعاتهم بكتابة هذه الرسائل لتكون لسان دعاية لمذهبهم وهذا الذي جعل أبا حيان يتوهم أن زيد بن رفاعة وجماعته قد ألفوا هذه الرسائل ، والحقيقة أن هؤلاء ما كانوا إلا وسيلة تنطلق من خلالهم أفكار الإسماعيلية وفلسفتها عن طريق هذه الرسائل .

منزلة الرسائل عند الإسماعيلية : تعتبر رسائل إخوان الصفا مقدسة لدى الإسماعيلية حتى تصل في تقديسها إلى منزلة القرآن الكريم ، ويزعم الدكتور حسين الهمذاني الإسماعيلي أن القرآن الكريم كتاب العامة ورسائل إخوان الصفا كتاب الأئمة (عن إخوان الصفا للدسوقي ١٢٢) ويزعم الداعية الإسماعيلي إبراهيم السيفي المتوفى ١٢٣٦ هـ في كتابه تحفة رسائل الإخوان ما يلي : وسمعت بعض العلماء يقولون : إن رسائل إخوان الصفا هي القرآن بعد القرآن ، وهي قرآن العلم كما أن القرآن قرآن الوحي ، وهي قرآن الإمامة وذلك قرآن النبوة (عن إخوان الصفا لعبد الكريم خليفة ص ٢٥) والإسماعيلية بجميع أقسامها تعظم هذه الرسائل فالمستعلية أو الطيبية والنزارية جماعة أغاخان حتى الحشاشون المعروفون بغلوهم كانوا يدرسونها في قلاعهم ، يقول المستشرق ماكدونالد : وحينما استولى المغول على آلموت وجدوها غنية برسائل إخوان الصفا وبآلات هندسية ورياضية وفلكية من كل نوع ، إذ من المحتمل أن تكون تعاليم إخوان الصفا وما تخفيه في طياتها هي الآراء الخفية للفاطميين والحشاشين والقرامطة والدروز (عن إخوان الصفا للدسوقي ص ٩٨) .

من آرائهم :

١ ـ **الإنسان الكامل :** الإنسان الكامل العالم الخبير الفاضل الذكي المستبصر عندهم فإنما

هو : الفارسي النسبة ، العربي الدين ، الحنفي المذهب ، العراقي الآداب ، العبراني المخبر ، المسيحي المنهج ، الشامي النسك ، اليوناني العلوم ، الهندي البصيرة ، الصوفي السيرة ، الملكي الأخلاق ، الرباني الرأي الإلهي المعارف (حـ ٢ ص ٣١٦ من رسائلهم) .

٢ ـ **نظرتهم للمرأة** : كان إخوان الصفا لا يقبلون النساء في جماعتهم ولا الكهول وهذا ما يشير إلى أن نظرتهم في المرأة واحدة مع فرق الإسماعيلية والباطنية ، فالمرأة عند النصيرية لا تستحق أن تأخذ الدين وهي عند القرامطة مباحة يستمتع بها من يشاء . وللمرأة في نظر إخوان الصفا مهمتان : الأولى إنجاب النسل ، والثانية للاستمتاع الجنسي عند من لا يستطيع التعفف . أما من الناحية العقلية فهي مثل الصبيان والجهال والخدم والحمقى (تاريخ الفكر د . فروخ ص ٣٩٦) .

٣ ـ **فلسفتهم** : يقول عنهم هنري كوربان في تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢١١ ما يلي : إن بعض المعطيات ذات الأصل الإسلامي قد لقيت عند الإخوان بالمعطيات اليونانية المتعلقة بخصائص الأعداد ، وليس من قبيل الصدفة أن تحتل الحسابية الفيثاغورثية مركزًا مرموقًا في رسائل الإخوان وأن يكون عددها ٥١ رسالة وأن تبحث سبعة عشر منها (١٧ × ٣ = ٥١) في العلوم الطبيعية فالرقم ١٧ يلعب دورًا بارزًا في الغنوص اليهودي أضف إلى ذلك أن الرقم ١٧ يشير إلى عدد الأشخاص الذين تكلم عنهم العرفاني الشيعي (المغيرة) والذين سوف يبعثون إبان ظهور الإمام المهدي ويعطي لكل منهم حرفًا من الحروف السبعة عشر التي تؤلف اسم الله الأعظم ، وكذلك فإن ٥١ متصوفًا ينهلون من بحر الـ ع.م.س يسهرون على أبواب حران وهي مدينة الصابئة والمركز الشرقي للفلسفة الفيثاغورثية .

ومراتب إخوان الصفا أربع وفقًا للاستعداد الروحي الذي ينمو مع العمر :

١ ـ الإخوان الأبرار الرحماء : هم الشبان الذين تتراوح أعمارهم من ١٥ ـ ٣٠ تنشأ نفوسهم على الفطرة .

٢ ـ الإخوان الأخيار الفضلاء : هم الرجال بين ٣٠ ـ ٤٠ تفتح لهم أبواب الحكمة الدنيوية ويتلقون معرفة الأشخاص عن طريق الرمز .

٣ ـ الإخوان الفضلاء الكرام : بعد سن الأربعين يستطيع الإطلاع على أسرار الحقيقة

الروحانية المستترة في ثنايا الكلام الظاهر من الشريعة وهذا النمط من المعرفة هو معرفة نبوية .

٤ ـ إذا زاد ٥٠ انكشفت له الحقيقة الروحية الباطنية وصار يشهد حقائق الأشياء على ما هي عليه كالملائكة المقربين وينفذ إلى أسرار كتاب الوجود كنافذة إلى أسرار المنزل ويقول كوربان إن هذه المراتب عند إخوان الصفا هي مزيج من مفاهيم الصابئة الإسماعيلية .

والرسائل تتكون من اثنتين وخمسين رسالة قسموها أربعة أقسام وهي :

١ ـ الرسائل الرياضية التعليمية وعددها أربع عشرة رسالة .

٢ ـ الرسائل الجسمانية الطبيعية وعددها سبع عشرة رسالة .

٣ ـ الرسائل النفسانية العقلانية وعددها عشر رسائل .

٤ ـ الرسائل الناموسية الإلهية والشرعية وعددها إحدى عشرة رسالة .

ظهرت هذه الرسائل بتحقيق الأستاذ جميل صليبا ثم حققها الإسماعيلي عارف تامر ثم أعاد تحقيقها الإسماعيلي مصطفى غالب .

عقائد إخوان الصفا

١ ـ نظرة الألوهية والتوحيد عند إخوان الصفا وردت في المجلد الثالث وتتلخص في أن الله تعالى تام الوجود كامل الفضائل عالم بالكائنات قادر على إيجادها متى شاء ، وليس من الحكمة بنظرهم أن تحبس تلك الفضائل في ذاته بل الحكمة أن يفيض بها كما تفيض عين الشمس بالضياء ، ومادام الفيض متصلاً متوافرًا فيسمى أوله العقل ثم يفيض ومن العقل فيض آخر دونه في المرتبة فيسمى النفس وتفيض النفس فيضًا دونه في المرتبة فتكون الهيولي ـ نواة الجسد ـ ومادامت النفس تفيض على الجسد استمرت الحياة ومتى انقطع فيضها انعدمت الحياة ، ومادام الله موجودًا دام الفيض والعطاء واستمر وجود العالم ، فالعالم قديم بقدم الله مستمر باستمراره ، لذا فلا داعي بنظرهم للتكاليف الشرعية مادام العالم مستمرًا لا بعث فيه ولا حساب ، ولكي لا يظهروا بمخالفتهم عقائد المسلمين حين قالوا بقدم العالم تفلسفوا لتبرير هذا القول ففسروا وجود العالم عن الله أنه ليس

كوجود الكتاب عن الكاتب بل كوجود الضوء عن الشمس (عن الحركات الباطنية للخطيب) .

٢ - نظرتهم إلى الأنبياء والرسل في الرسالة السادسة من الجزء الرابع ص ١٧٨ : (يرون أن أرفع منزلة يرتفع إليها الإنسان هي منزلة الأنبياء ويليهم في المرتبة الفلاسفة والحكماء ، وأن إتمام منزلة النبي في ست وأربعين خصلة من فضائل البشرية أولها الرؤية الصادقة ، فإذا اجتمعت هذه الخصال في واحد من البشر في أي وقت من الزمان فإن ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان والإمام للناس مادام حيًا) فمحمد ﷺ بنظرهم ليس خاتم الأنبياء لأن النبوة مرتبة يرتقي إليها العلماء والفلاسفة ، لذلك اعتبروا كل فيلسوف كبير نبيًا ، من أجل ذلك يجمعون بين موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وزرادشت وسقراط وفيثاغورث وعلي والحسين في طبقة واحدة (تاريخ الفكر فروخ) ثم نادوا بوحدة الأديان فقد ورد في الرسالة السادسة أن غرض الأنبياء وغرض جميع واضعي النواميس الإلهية من فلاسفة وحكماء واحد ، وأن غاية الأديان واحدة وأن أهل الديانات يقتتلون طلبًا للملك والرئاسة (الرسالة الثامنة ص ٣٠٨) ولا يخفى على كل ذي لب أن غرضهم من هذا الخلط إنما هو القضاء على الأديان .

ويظهر الكاتب الإسماعيلي المعاصر مصطفى غالب ارتياحه لهذه الخليطة من الأديان التي تنتهي بإزالة معالم هذه الأديان فيقول في كتيبه عن إخوان الصفا ص ١١٧ : (هذا هو دين الحب الإنساني الذي بشروا به ودعوا إليه ، ومن الطبيعي أن يتأثر بأفكارهم هذه عباقرة الفلاسفة من المتصوفين وعلى رأسهم محي الدين بن عربي الذي نادى بدين الحب ووحدة الوجود ووحدة المعبود) .

٣ - رأيهم في عالم الغيب : لا يؤمن إخوان الصفا بالأمور الغيبية بل يؤولونها إلى أمور حسية ، فالجنة عندهم هي عالم الأرواح وسعة السماوات ، وجهنم بنظرهم عالم الكون والفساد التي هي دون فلك القمر ، وأن أهل جهنم هم النفوس المتعلقة بأجسام الحيوانات التي تنالها الآلام والأوجاع دون سائر الموجودات التي في العالم (الرسالة السادسة عشر ص ٧٨) .

ويقولون إن البعث والقيامة أمور تقال لعامة الناس أما الخاص ومن قد نظر في العلوم فإن هذا لا يصلح لهم ، لأن كثيرًا من العقلاء والحكماء ينكرون خراب السماوات

ويأبون ذلك إباء شديدًا ص ٤٠ الرسالة الأولى ، ولعل نظرتهم هذه منسجمة مع عقيدتهم في التناسخ التي لم يصرحوا بها ويرون أن نفوس الصالحين إذا فارقت أبدانها صارت ملائكة وأن نفوس الشريرين إذا فارقت أبدانها تصبح مردة وعفاريت من الجن .

آراء في إخوان الصفا

يقول عنهم جبور عبد النور في كتابه ص ٢٦ ما يلي : إخوان الصفا علويون وباطنيون وإسماعيليون ومعتزلة وفيثاغورثيون وأفلاطونيون ومجوس وأن في نفوسهم ميلاً إلى الوثنية ، ويعلق الدكتور محمد الخطيب على هذا الرأي ليؤكد أن الرسائل هي إسماعيلية لأن هذا الخليط من الفلسفات هو مصدر عقائد الإسماعيلية ، إضافة إلى أن قولهم بالتقية والأبوة الروحانية ليؤكد إسماعيليتهم كذلك لأن هذين الاعتقادين هما من الاعتقادات الهامة عند الإسماعيلية . ويقول عنهم كوريان في كتابه تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢١٠ : لم يكن إخوان الصفا جماعة ألف بين قلوبهم المذهب الشيعي وحسب بل كانوا جماعة فكرية ذات نزعة إسماعيلية خاصة بالرغم من أن كتاباتهم الحذرة لا تكشف عن الأمر إلا لأولي العلم والإدراك ، وإذا ثبت عندنا أن عدة نسخ من رسائلهم كانت توزع سرًا في المساجد فالغرض من ذلك برأي التعليم الإسماعيلي توعية من له القدرة على المعرفة بأن هناك أمورًا وراء الشريعة .

ويقول الدكتور الخطيب : وفي رأيي أن علاقة إخوان الصفا بالإسماعيلية لا تشوبها شائبة فجميع الشواهد التاريخية والفكرية التي تغص بها الرسائل تؤيد هذه العلاقة وتدل عليها ومما يؤيد هذا الرأي عدة شواهد أهمها :

١ - إقرار رسائل إخوان الصفا بوجود علوم سرية توارثها أهل بيت النبي ﷺ باعتبارهم خزنة علم الله .

٢ - وكذلك دعوة الرسائل إلى إمام مستور والحديث عن دور الكشف ودور ستر الأئمة في رسائلهم السابقة هذه الأمور جميعها من عقائد الإسماعيلية . والذي أراه أن هذه الرسائل وضعت مشتملة على المبادئ الرئيسية لكافة الفرق الباطنية لتكون منهجًا لاجتماعهم ووسيلة لتوحيدهم فجاءت موافقة لجميع الأهواء والملل الباطنية بما في ذلك الشيعة ففي القسم الرابع من هذه الرسائل يصرحون بأسماء بعض الأئمة ويحتجون بكلام

الحسين كما يشيرون إلى كربلاء وإلى الاعتراف بإمامة سيدنا علي رضي الله عنه فيقولون في مخاطبة أحد المتشيعين : ومما يجمعنا وإياك أيها الأخ البار الرحيم حجة نبينا عليه السلام وأهل بيته الطاهرين وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير الوصيين (رسائل إخوان الصفا جـ ٤ ص ٢٤٢ الرسالة السابعة) .

يقول الدكتور عبد اللطيف محمد العبد : إن إخوان الصفا كانوا يضعون السم في العسل لخدمة أهدافهم وأن هذه الرسائل كانت سجلات لمحافلهم السرية وأنها تمثل المذهب الباطني الإسماعيلي في دور السر (المؤامرة على الإسلام ص ١١١) يقول الدكتور حسين الهمذاني أحد دعاة الإسماعيلية : إن الإسماعيلية يرون أن القرآن كتاب العامة ورسائل إخوان الصفا كتاب الأمة) (المؤامرة ١١٥)

قال المستشرق كازنوفا : إنني على أتم الثقة أن آراء إخوان الصفا برمتها آراء إسماعيلية . ويقول أويسرى : هناك ما يغري بالظن أن آراء إخوان الصفا كانت حركة إصلاح من جانب بعض الإسماعيليين الذين أرادوا الرجوع إلى تعاليم الإسماعيلية . (المؤامرة ص ١١٤) .

الحشاشون

لا ضرورة للحديث عن عقائد الحشاشين لأنهم إسماعيليون من أتباع نزار وقد كتبنا بحثًا عن عقائد الإسماعيلية . وسنكتفي بسرد موجز لتاريخهم . في الشام وفارس وبلاد المشرق .

١ ـ حسن الصباح هو زعيم طائفة الحشاشين ، والحشاشون جناح من الإسماعيلية (النزارية) أقاموا في بلاد فارس ، والده من شيعة الكوفة بالعراق ويقال إن أصله من اليمن ، سكن مدينة قم حيث ولد ابنه حسن الصباح فيها ثم انتقل إلى مدينة الري قرب طهران وكانت الري مركزًا إسماعيليًا هامًا تأثر حسن بأحد دعاة الإسماعيلية واسمه عميرة زاراب ، وأقسم يمين الولاء للإمام الفاطمي إمام مبشر إسماعيلي مرخص للعمل في المنطقة ، وفي مايو ١٠٧٢ م وصل كبير الدعاة عبد الملك بن عطاش إلى الري وتعرف على النصير الجديد فأعجب به ودعاه لزيارة مقر الدعوة في القاهرة وتقديم نفسه في بلاط الخليفة الفاطمي ، غادر حسن الصباح الري عام ١٠٧٦ إلى أصفهان فاذربيجان فميافارقين حيث طرده قاضي البلدة ، ثم رحل إلى العراق فسوريا فوصل مصر ١٠٧٨ فاستقبل بجفاوة بالغة ، مكث حسن في مصر ثلاث سنوات ويقال إنه اختلف مع أمير الجيوش فسجنه ثم طرده منها . عاد حسن إلى أصفهان وبدأ يتجول لنشر دعوته وركز حسن اهتمامه في أقصى الشمال الفارسي وبأقليم الديلم بالذات لصلابة أهله ووعورة أراضيه يسمى كتاب الإسماعيلية تنظيمهم باسم (الدعوة) والقائمين بها (دعاة) ثم قسموا الدعاة إلى مراتب دنيا وعليا تبدأ بمرتبة (مبشر ثم معلم ثم مجاز) والعضو المنسب سمي (مستجيبًا) وأطلقوا كلمة (ببر) على كل زعيم منهم وكلمة (حجة) على رئيس الدعاة ، وهي بالفارسية خوجا يعني الداعية الأكبر كما سموا كل منطقة دعوة باسم (جزيرة) .

وفي القرن الثامن لجأ بعض أهل بيت علي الهاربين من الحكم العباسي إلى الديلم فأصبحت بلادهم مركزًا للنشاط الشيعي ، ثم قوي نفوذهم أثناء حكم آل بويه حتى فرضوا سيطرتهم على مركز الخلافة العباسية في بغداد ، في هذه البلاد استقر حسن الصباح وجعلها مركزًا لنشر دعوته ، بدأ حسن الصباح يفكر في معقل يحمي به نفسه من كل من يفكر بالهجوم عليه فوقع اختياره على قلعة الموت الواقعة في قلب جبل البورج شمالي فارس تسيطر على واد ضيق خصب طوله ثلاثون ميلاً ترتفع ٦٠٠٠ قدم ولا يمكن

الوصول إليها إلا عبر ممر شديد الانحدار كثير المنعطفات يشرف على نهر الموت ويقال إن هذه القلعة بناها أحد ملوك الديلم القدامى وقد أعاد بناءها حاكم علوي ٨٦٠ م ثم منحها السلاجقة إلى حكم علوي آخر اسمه مهدي .

استقر حسن الصباح في دمغان من أعمال قزوين وبدأ يرسل الدعاة للعمل في القرى المحيطة بالقلعة ، ثم تمكن من التأثير على بعض حماة القلعة فأدخلوه سرًا إليها فكثر أنصاره فيها وعلم به مالك القلعة ولكنه أسقط في يده ولم يستطع أن يفعل شيئًا فدفع له حسن الصباح ثلاثة آلاف دينار ثمنًا لها وطرده منها ، وبذلك أصبح حسن الصباح مالكًا لقلعة الموت ولم يخرج منها طيلة حياته وكان يشغل وقته بالمطالعة والتأليف والإعداد ويقول الجويني : لقد بذل حسن كل جهد ممكن للاستيلاء على الأماكن الملحقة بقلعة الموت أو المجاورة لها وكان يفعل ذلك عن طريق كسب السكان بأخاديعه الدعائية إذا استطاع ، فإذا لم تدخل عليهم حيلة أخذها بالمذابح والسلب والنهب وسفك الدماء والحرب وبهذا استولى على ما استطاع الاستيلاء عليه من القلاع وأينما وجدت صخرة مناسبة كان يبني فوقها قلعة له .

وقد حقق حسن الصباح نجاحًا هامًا بالاستيلاء على قلعة لاماسار عام ١٠٩٦ بقيادة كبارز جميد الذي بقي قائدًا لها مدة عشرين عامًا . وقد مكنت هذه القلعة الإسماعيليين من تدعيم قوتهم في كل منطقة روديار ، كما استطاع أن يتصل برؤساء المناطق المنيعة فيحرضهم على السلاجقة الدخلاء ويرسل دعاته لكسب تأييدهم فاستطاع أن يضم إليه المناطق التالية كوهستان ، شوشان ، عين طيس ، تون .

واسم قلعة آلموت مشتق من كلمة (اله آموت) ومعناها بلغة الديلم عش النسر أو تعليم النسر .

العنف الإسماعيلي : كان أول ضحية قتله الإسماعيليون الحشاشون مؤذنًا من سافا رفض الاستجابة لهم ، فخشوا أن يشي بهم إلى السلطان فقتلوه ولما بلغ النبأ الوزير نظام الملك أمر بقتل زعيمهم في المنطقة واسمه طاهر ، ويقول ابن الأثير إنه كان أول إسماعيلي يعدم . وفي يوليو من عام ١٠٩٢ م أرسل السلطان ملكشاه السلجوقي حملتين إحداهما إلى قلعة الموت والثانية إلى كوهستان للقضاء على الخطر الإسماعيلي ، ولكن حسن الصباح طلب النجدة من أنصاره خارج القلعة فسارع إليه الكثيرون ولما توفي السلطان في نوفمبر

من عام ١٠٩٢ رفع الحصار عنهم مما أكسب حسن الصباح نصرًا كبيرًا ودعاية قوية وأراد حسن الصباح أن ينتقم من الوزير نظام الملك الطوسي فأرسل إليه أحد أنصاره وتسلسل بين حاشيته وطعنه بسكين مات على إثرها في ديسمبر ١٠٩٢ ، وكانت هذه المحاولة بداية لحركة اغتيالات كثيرة شملت كبار الشخصيات المناوئة للإسماعيليين من ملوك وقادة جيوش وعلماء أدانوا معتقداتهم وأفتوا بسحق من يقول بها . أفتى أحد خصومهم الأتقياء فقال : « إن قتلهم أحل من ماء المطر ومن واجب السلاطين والملوك أن يهزموهم ويقتلوهم وينظفوا وجه الأرض من دنسهم ولا يجوز الإتصال بهم أو تكوين صداقات معهم أو أكل لحم ذبيحتهم أو الدخول معهم في زواج إن سفك دم ملحد منهم أكبر جزاء من قتل سبعين من كفار الروم » وكان الحشاشون الإسماعيلية يعتبرون من يقدم على اغتيال المسلمين فدائيًا صادق الإيمان يسجل اسمه في سجل الشرف .

وقد حفظت سجلات آلموت المحلية التي استشهد بها رشيد الدين وكاشاني قائمة شرف للاغتيالات تسجل أسماء الضحايا وأسماء المؤمنين التقاة ، الذين قاموا باغتيالهم (عن كتاب الحشاشون ص ٩٥ لبرناردلويس) ، وفي أثناء حصارهم في قلعة آلموت من قبل السلاجقة قاموا بعدة اغتيالات ، وكان ممن جرى اغتيالهم من علماء السنة (عبد الله الخطيب قاضي أصفهان وقاضي نيسابور والوزير أحمد بن نظام الملك ولكنه نجا من الموت ، وكان هناك ضحايا آخرون منهم علماء وشخصيات كبيرة مثل الأمير الكردي أحمد ابن أخي السلطان في الرضاع) .

توفي الخليفة الفاطمي المستنصر عام ١٠٩٤ ، فانشقت الإسماعيلية شقين قسم أعطى ولاءه للمستعلي الابن الأصغر للمستنصر الذي استأثر بالخلافة والإمامة بعد وفاة والده ، وقسم قال بإمامة نزار الابن الأكبر للمستنصر والذي قتله أخوه المستعلي وأولاده بعد أن سجنه ، فقال البعض : إن نزارًا لم يمت وإنه استتر وسيعود باعتباره المهدي المنتظر . وفي ذلك الوقت جاء الحسن بن الصباح أحد دعاة الإسماعيلية الفرس إلى مصر حاجًّا إلى إمامه المستنصر ـ وكان الأئمة يحج إليهم في الباطن ـ وشهد النزاع بين نزار وبدر الجمالي ، فانتصر لنزار ، وعاد إلى فارس ، وأخذ يدعو للمذهب الجديد ، وجعل من نفسه نائبًا للإمام المستور واستطاع أن يستولى على قلعة الموت جنوبي بحر قزوين وأكثر من إنشاء الحصون ونجح في إقامة الدولة الإسماعيلية الشرقية وسط الدولة العباسية السنيه وعرف

انصاره بالحشاشين لأنهم كانوا يكثرون من « تدخين الحشيش الذي يخدرهم فيصدعون لأوامر ابن الصباح ولم ينس ابن الصباح أن ينتقم لنزار فأرسل فدائيين من أتباعه فقتلوا الإمام الآمر بن المستعلي وقسم قال بانتقال الإمامة لحفيد نزار الذي تم تهريبه وهو طفل إلى فارس ، وفي رواية أخرى أن محظية لابن نزار كانت حاملاً منه ، فأخذها أنصاره إلى قلعة الموت ووضعت لهم هناك إمامهم الجديد ، وأعطى حسن الصباح زعيم إسماعيلية فارس ولاءه لفرع نزار وقطع صلته بالقاهرة وإمامها المستعلي .

بعد غياب الإمام الظاهر تنشط إسماعيليو فارس في نشر دعوتهم فأرسل حسن الصباح دعاته من قلعة آلموت إلى دمغان واستطاع بمساعدة حاكمها مظفر ـ الذي استمالوه إلى دعوتهم ـ أن ينال مساعدات مكنّته من احتلال قلعة (غير دكوه) وهي ذات مركز استراتيجي عسكري ، وعين عليها مظفرًا الذي حكمها طيلة أربعين عامًا ، كما استولوا على قلعة (شاه ديز) قرب أصفهان وقلعة (خالنكان) ، ومما ساعدهم على ذلك اختلاف السلطان بركيارق الذي خلف ملكشاه عام ١٠٩٢ مع أخيه الشقيق لأب محمد تابار المدعم من أخيه سانجار ، وتغلغل الإسماعيليون في بلاط الملك بركيارق بعد أن هزم أخاه محمد تابار فقوي نفوذهم ، وبدأوا باغتيال كل من يظهر خصومته لهم . ولما استفحل خطرهم اتفق بركيارق مع أخيه سانجار على حربهم فحملوه عليهم حملة دمرت جدران حصنهم الرئيسي ، كما تمكنت قوات السلاجقة من هزيمتهم وتدمير قلعة طيس ثم ما لبث الإسماعيليون أن استعادوا قوتهم ، فقاموا بمحاولة فاشلة لاغتيال أحد أنصار الملك وكان أحد خصومهم فحمل عليهم الملك حملة قضى عليهم في قلعة شاه ديز وقبض على زعيمها ابن عطاش ، حيث طافوا به شوارع أصفهان ثم قتل بها وأرسل رأسه إلى بغداد ثم بدأت قواعد الإسماعيلية في خوزستان وفارس تسقط واحدة بعد أخرى .

ثم هاجموا آخر قلاعهم آلموت غير أنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها فما كان منهم إلا أن رسموا خطتهم بهجوم سنوي لإضعافهم ، وإتلاف محاصيلهم حتى حلت بهم المجاعة طيلة ثماني سنوات ، ثم فك عنهم الحصار بعد وفاة السلطان تابار بمكيدة من الوزير السلجوقي نصير بن علي الدرجازيني الذي أخفى تشيّعه للإسماعيلية ، وشجع السلطان الجديد محمود على الانسحاب ، ولكن الإسماعيلية الحشاشين استفادوا من الخلاف بين السلاجقة واستطاعوا بمكيدتهم وخوف السلطان من شرورهم أن يحصلوا على منحة من السلطان

محمود قدرها ثلاثة آلاف دينار من الضرائب الموجبة على الأراضي التابعة لهم في إقليم قميش ، ثم سمح لهم بأخذ رسوم عن الذين يمرون تحت قلعة (غيردكوه) وظلت هذه العادة مستمرة حتى اليوم كما يقول برنادلويس في كتابه عنهم ص ١١٤ .

العلاقات مع القاهرة

اغتيل في القاهرة الوزير المهيب والأفضل قائد الجيوش عام ١١٢١ واتهموا فيهما الحشاشين نظرًا للارتياح الذي لقيه نبأ اغتيالهم في قلعة الموت ، واعتبر ذلك مناسبة للتقارب بين فرعي الإسماعيلية أنصار نزار وأنصار المستعلي فعقد اجتماع عام ١١٢٢ في القاهرة لكبار الطرفين لم يعط النتيجة المرجوة ولم تلبث أن اكتشفت مؤامرة موجهة وممولة من قلعة الموت تستهدف اغتيال الأمين والمأمون ، وأعقب ذلك تدابير مشددة ، فقد كتب المؤرخ المصري ابن ميسر عن أسلوب الأمير في ضبط أسماء سكان القاهرة في كل حي وشارع ، وضبط الحدود بحيث يجري التحقيق مع كل غريب يدخل مصر ، كما عزل والي عسقلان وعيّن آخر مكانه وأوصاه الملك أن يفحص التجار بدقة وبتحقيق من أسمائهم الحقيقية ويتشدد مع الذين ليس من عادتهم المجيء ، حتى استطاعوا أن يكشفوا العميل منذ خروجه من قلعة الموت وينقلوا تحركاته إلى القاهرة خطوة بخطوة فاستطاعوا اعتقال الكثيرين من عملاء الحشاشين ومنهم معلم أبناء السلطان وصادروا ما معهم من أموال وسلاح بعثها إليهم حسن الصباح فساءت العلاقات بينهما من جديد .

وفاة حسن الصباح

يقول المؤرخ الجويني (بعث حسن الصباح قبيل وفاته إلى قلعة لاماسار لإحضار بزرجميد قائد القلعة وعيّنه خليفة له ، وجعل ديدار أبو علي الأردستاني يجلس على يمينه وكلّفه بشؤون الدعوة وحسن بن أدام العشراني يجلس على شماله ليتولى شؤون الإدارة وكيابا زرك جعفر أمامه قائدًا للقوات والفدائيين ، وكلفهم بالعمل أربعتهم في اتفاق وتعاون إلى أن يظهر الإمام المستتر ويعول شؤون المملكة ، وفي ليلة الأربعاء ٦ ربيع ثاني عام ٥١٨ هـ انطلقت روحه عائدة إلى نار الله وجحيمه) (ويقول الدكتور الشكعة في كتابه ص ٢٠٤) ويبدو أن تعطش ابن الصباح للدماء جعله يقدم على قتل ولديه .

الدعوة في فارس بعد وفاة حسن الصباح

ظن سانجار أن الفرصة سانحة للقضاء على الإسماعيليين فأرسل عدة حملات للقضاء عليهم فحقق بعض النصر عليهم في قرية تازر قرب بيهق وفي نواري ثيث ، وفشلت الحملتان الموجهتان إلى رودبار بقيادة ابن أخي الأمير ، وقد أرسل الحشاشون اثنين منهم لاغتيال الوزير معين الدين كاشي الذي يعتبرونه سببًا في الحملة عليهم حيث تمكنا من اغتياله في ١٦ مارس ١١٢٧ ، ثم حاول الحشاشون تدعيم قوتهم فبنوا قلعة جديدة أسموها ميمون ديز واستولوا على طلقان ولما حاول السلطان السلجوقي كسب ودهم والتخلص من شرورهم قتل الجمهور مندوبيهم إلى السلطان فانتقموا له بالهجوم على قزوين وقتلوا أربعمائة شخص من أهلها .

وفي عام ١١٣١ توفي السلطان محمود ونشأ النزاع بين ابنه وإخوته ، وفي عام ١١٣٩ وقع الخليفة العباسي المسترشد في أسر السلطان مسعود حاكم إيران فساقه ووزيره وأهله إلى مدينة مراغة ، وهناك تسلّل إليه الحشاشون وقتلوه كما قتلوا عددًا من كبار أهل السنة منهم والي أصفهان وحاكم مراغة ووالي تبريز ومفتي قزوين ، وابتهجت آلموت باغتيال الخليفة سبعة أيام ، والذي طرأ على سياسة بزرجميد أمير الحشاشين الجديد استمراره كحاكم إداري وابتعاده عن الانشغال في أمر الدعوة الإسماعيلية خلافًا لسابقه حسن الصباح مما جعله ينعكس على تعامله مع غير أبناء طائفته . توفي بزرجميد في فبراير ١١٣٨ فتولّى الحكم من بعده ابنه محمد حيث عيَّنه والده قبل وفاته بثلاثة أيام ، وقد تم اغتيال أربعة عشر سنيًا في عهد بزرجميد من أبرزهم السلطان السلجوقي داوود وأحد أمراء سانجار وأمير من بيت خوارزشاه وحكام بحليون كما ضموا إليهم منطقتي جورجيا وأفغانستان التي دعاهم أميرها لنشر أفكارهم في بلاده ، ولكن ذلك انتهى حين توفي الأمير وأمر خليفته من بعده بالقضاء على الدعاة الإسماعيليين .

حكم حسن بن محمد بن بزرجميد

١ ـ في السابع من رمضان عام ٥٥٩ هـ ١١٦٤ م أمر حسن ببناء منبر في فناء قلعة آلموت ونصبوا على أركانه رايات حمراء وصفراء وخضراء وبيضاء ، وحضر المدعوون من كافة أرجاء فارس وظهورهم تجاه مكة وبعد قرابة الظهر في إحدى روايات الإسماعيليين ـ

نزل حسن من القلعة مرتديًا ثوبًا أبيض وعمامة بيضاء وصعد المنبر وتوجه بالتحية ثلاث مرات ، الأولى إلى أهل الديلم عن يمينه ثم عن يساره ثم من أمامه ثم جلس برهة ثم وقف وتحدث بصوت جهوري مخاطبًا سكان العوالم الثلاث عالم الجن وعالم الإنس وعالم الملائكة ، وأعلن أنه قد وصلته رسالة من الإمام المختفى تحمل تعليمات جديدة تقول إن إمام عصرنا يبعث إليكم تحياته وسلامه ، ويبلغكم أنه دعاكم خدمه الخصوصيين المختارين وأنه حرركم من أعباء قواعد الشريعة وأحضركم إلى القيامة ، ثم أعلن أن الإمام قضى بتعينه وكيلاً له وداعية وحجة وأن على حزبنا أن يطيعوه في شؤونهم الدينية والدنيوية ، وأن يعتبروا أوامره ملزمة ويعرفوا أن كلمته هي كلمتنا (يعني كلمة الإمام) . ثم نزل عن المنبر وصلى ركعتين سماها صلاة الاحتفال ، ثم أمر بالمائدة فمدت ودعا الناس إلى قطع صيامهم والمشاركة في الطعام والابتهاج وبعث الرسل يحملون هذه التعاليم السعيدة شرقًا وغربًا . وقد أقام حاكم قلعة مؤمن أباد في كوهستان حفلة مماثلة أعلن فيها تنصيب نفسه وكيلاً لحسن بن محمد بن بزرجميد . ولقد اعتبر حسن فترته فترة القيامة وأنه هو القائم وأن من يقوم بالالتزامات الدينية يقتل ويرجم ويعاقب كما كان يعاقب فيما لو تركها قبل أن حط تكاليفها عنهم وكيل الإمام حسب ادعائه . وكان ممن غضب لهذا التصرف المخزي صدر حسن وهو سليل أسرة نبيلة فأقدم يوم الأحد ٩ يناير ١١٦٦ على طعن حسن بخنجر أرداه قتيلاً في قلعة لاماسار .

٢ ـ فتولى الأمر ابنه محمد الثاني الذي التزم مبادئ أبيه التي لم تلاق رواجًا ولم يحدث في عهده شيء يذكر سوى بعض غارات الإسماعيليين على جيرانهم واغتيال أحد وزراء الخليفة في بغداد . وفي عام ١٢١٠ م مات محمد الثاني مسمومًا من قبل ابنه جلال الدين حسن الذي كان يناهض سياسة وأفكار والده فأعلن إسلامه وحرق كتب الإسماعيلية في قلعة آلموت وسمى أتباعه السلمين الجدد ، ثم ألغى القيامة وأعاد الشريعة وتزوج من أميرات مسلمات جيلانيات ودعّمه الخليفة العباسي ، كما أعلن عن ولائه للخليفة العباسي وأرسل الجيوش لفتح المدن والأقاليم . ولكن هنالك شبهة على تصرف جلال الدين وذلك كما يقول الجويني : (ولكن من الواضح أنه عندما دخلت جيوش جنكيز خان بلاد المسلمين كان أول حاكم يرسل إليه السفراء ويقدم الهدايا ويقبل الولاء هو جلال الدين) ، توفي جلال الدين ويقال أنه ـ مات متسممًا في نوفمبر عام ١٢٢١ بعد حكم دام

عشر سنوات .

٣ ـ فاستلم الأمر من بعده ابنه الوحيد علاء الـدين ، وكان صبيًّا في التـاسعـة وبقي وزير أبيه وصيًّا عليه والحاكم الفعلي للجماعة . بعد حكم الصبي بست سنوات أصابتـه لوثـة عقلية ولكن أحدًا لم يجرؤ على معارضته نظرًا لقداسة الإمام بنظرهم ، وسادت في المملكة السرقات والتسلط وقطع الطرق ، ولكن مع ذلك تحرك الدعاة للتبشير بالدعوة الجديـدة في شبه القارة الهندية التي يسيطر عليها فرع المستعلي فحققوا بعض النجاح .

ويصف الجويني وغيره علاء الدين بالـدنـاءة والسكر والعتـه والجنون ، وفي السنوات الأخيرة دخل في صراع مع ابنه الأكبر (ركن الدين خورشاه) الذي عينه والده خلفًا له في الإمامة فحاول والده تكليف أخيه الأصغر ، ولكن الإسماعيليين عـارضوه لأن تعـاليمهم لا تسمح بذلك ، وفي أول ديسمبر عـام ١٢٥٥ اغتيل علاء الـدين بينـما كان مخمورًا من قبل أوثق خلصائـه مع من كان معـه من أعوانـه وتبين أن حسن المـازنـداريني كاتم أسرار علاء الدين هو الذي قتله وأن زوجة حسن ـ التي كانت عشيقـة لعلاء الـدين هي التي كشفت الأمر بعد أن اعترف لهـا زوجهـا بفعلتـه ولم يمض أسبوع حتى أعـدم حسن وأولاده وحكم ركن الدين مكان أبيه . لم تسلم قلاع الحشاشين من هجوم التتار الذين بسطوا نفوذهم على العـالم الإسلامي وقضـوا على آخر خلفـاء العبـاسيين ١٢٥٨ م ، ولكن ركن الـدين حـاول كف الأذى بولائـه لهم فقبل المغول ولاءه كي يتمكنوا بـاستخـدام نفـوذه من استـلام بقيـة القلاع دون أي خسارة ، وما أن تم لهم ذلك حتى أرسلوا له من يغتالـه ، ويقـال إن ابن ركن الدين الصغير نجا من الموت وخلف والده في الإمامة وكان من ذريته أسرة أغاخـان ولئن استطاع أتباعه استعادة قلعة الموت إلا أنهم تحولوا إلى فرقة صغيرة لا أهمية لها .

شيخ الجبل والنشاط الإسماعيلي في سوريا

أثناء حكم حسن الصباح قامت قلة من أتباعـه برحلـة خطيرة كانت وجهتهم سوريـا بغية الاتصال بالإسماعيليين القدامى لتقوية مركزهم والاستعانة بهم ضد السلاجقـة . وقـد أصبحت سوريا مركزًا قويًّا للدعـايـة الإسماعيليـة وفي عـام ١٠٦٤ غزت سوريـا فصـائل التركمان وجيوش السلاجقة النظامية فسرعان ما خضعت سوريا لحكم السلاجقة بـاستثنـاء الشريط الساحلي . وفي عام ١٠٩٥ لقي ططش أمير السلاجقـة السلطـان الأكبر ملكشـاه

مصرعه في فارس فعاد التمزق السوري من جديد ، ثم دخلت قوات الصليبيين البلاد من أنطاكية واحتلت الساحل السوري وأنشأت أربع ولايات لاتينية : أديا ـ أنطاكية ـ طرابلس ـ القدس . وفي هذه الأثناء بدأ إسماعيليو قلعة آلموت نشاطهم بإثارة عواطف أنصارهم والتحالف مع الزعماء المحليين واحتلال مراكز حصينة في جبال النصيرية . ثم بدأوا حملات الاغتيال وكان أول ضحية لهم جناح الدولة حيث اغتالوه في حمص أثناء صلاة الجمعة عام ١١٠٣م .

استطاعت حركة الحشاشين استغلال الصراع بين أمراء السلاجقة ولاسيما الصراع القائم بين دقاق حاكم دمشق وأخيه رضوان حاكم حلب وصهرهم جناح حاكم حمص وقد تمكن الطبيب المنجم كبير دعاة الحشاشين في سوريا ورسول حسن الصباح أن يتحالف مع رشوان حاكم حلب بعد أن نزغ بينه وبين أخيه وصهره وما أن تحالف الحشاشون مع رضوان وكان عددهم حوالي المئتين اظهروا نشاطهم وجاهروا بعقيدتهم ولما اغتيل الداعية الإسماعيلي الطبيب المنجم خلفه أبو الطاهر الصائغ وكان من أصل فارسي (حركة الحشاشين ص ١٣٣) .

استطاع زعيم الحشاشين في حلب واسمه أبو طاهر الصايغ أن يلقى بعض العون من حاكم حلب ، ثم فكر بمركز يكون حصنًا لجماعته فوقع اختياره على قلعة آفاميا قرب معرة النعمان ، وكان حاكمها خلف بن ملاعب وهو شيعي وربما كان إسماعيليًا من أنصار المستعلي في القاهرة ، فكر أبو الطاهر باغتيال خلف واحتلال قلعته واشترك في المؤامرة بعض سكان أفاميا وزعيمهم أبو الفتح وهو قاض من سرمين القرية المجاورة وفي ٣ فبراير ١١٠٦ تم احتلال القلعة وقتل زعيمها خلف ملاعب واستلم أبو طاهر القيادة بنفسه . ولكن ما لبث تانكريد قائد الصليبين في أنطاكية أن تقدم لاحتلال أفاميا وصالحهم بادئ الأمر على دفع الجزية للصليبيين لكنه عاد في نفس العام واحتل القلعة وقتل القاضي أبا الفتح السرماني ، وأخذ أبا طاهر وزملاءه سجناء ثم افتدوا أنفسهم وعادوا إلى حلب ، ولكن صدام الحشاشين مع الصلبيين لم يحول خصومتهم نحو الصليبيين بل استمر صراعهم الأساسي متجهًا نحو المسلمين ، واستطاع أبو طاهر أن يكسب فروع الإسماعيليين الأخرى وتأييد سكان جبل السمان (النصيريين) وفي عام ١١١٤ هاجمت قوة إسماعيلية من أفاميا وسرمين شيزار قرب حماه على حين غرة وكانت معقلاً إسلاميًّا . ولكنهم

تعرضوا لهجوم معاكس أوقع بهم الهزيمة والدمار . وفي عام ١١١٣ حضر الأمير مودود حاكم الموصل السلجوقي على رأس جيش لمساعدة المسلمين ضد الغزو الصليبي فأرسل إليه الحشاشون من قتله في دمشق مما أثار حقد السكان عليهم ثم توفي رضوان حاكم حلب فخلفه ابنه ألب أرسلان وسار على سياسة أبيه في مداراة الحشاشين ثم وصلته رسالة من السلطان السلجوقي الأكبر محمد يحذره فيها من خطر الإسماعيليين فاستلم المبادرة ابن البديع قائد حرس المدينة فأقنع الحاكم باعتقال أبي طاهر وقتله ، كما قتل إسماعيل الداعي وأخا الحكيم المنجم وزعماء الطائفة واعتقل حوالي ٢٠٠ منهم وهرب آخرون . وفي عام ١١١٩ أوقع الحشاشون بين الملك وابن البديع فطرد ابن البديع من حلب واتجه إلى (ماردين) ولكن الإسماعيليين كانوا له بالمرصاد فقتلوه مع ولديه أثناء عبوره نهر الفرات وفي العام التالي طالب الحشاشون حاكم حلب أن يمنحهم إحدى القلاع ولكن خوفه منهم دفعه لتدمير القلعة مدعيًا أن أوامر سابقة صدرت بتدميرها فاغتالوا القائد الذي أشرف على تدمير القلعة وفي عام ١١٢٤ أنهى حاكم حلب الجديد نفوذ الإسماعيليين حين اعتقل الزعيم المحلي كبير الدعاة وطرده مع أنصاره . استلم بهرام الأمر بعد أبي الطاهر وبهرام فارسي الأصل وهو ابن أخ الأذربادي الذي أعدم في بغداد ويقال إنه ساهم في مقتل حاكم الموصل في المسجد ، وقد قتل مهاجموه باستثناء شاب من قرية كفر ناصح من منطقة أعزاز شمال حلب حيث تمكن من الهرب . في عام ١١٢٦ نقل بهرام نشاطه إلى جنوب سورية وتعاون مع حاكم دمشق التركي توتيجين فقد ظهر بهرام علنًا في دمشق ومعه توصية من الغازي حاكم حلب الجديد فأحسن استقباله ، وكان أول طلب تقدم به هو طلب الحصول على قلعة فمنحه توتيجين قلعة بانياس كما حصلوا على بناية أسموها (القصر) لتكون بيت الدعوة الإسماعيلية في دمشق نفسها واتخذوها مقرًّا لهم ساعدهم على ذلك الوزير المزرجاني والذي يقال عنه إنه ليس إسماعيليًا (ولكن الله أعلم بالنفوس) وكذلك توتيجين لا يحبهم ولكن كانت خطة منه ليضربهم في المستقبل . وفي بانياس أعاد بهرام بناء القلعة وتحصينها وبدأ سلسلة عمليات توسعية منها هجومه لاحتلال وادي التيم في إقليم الحصبية الذي يسكنه خليط من الدروز والنصارى والملاحدة ، فاغتالوا براق ابن جندل أحد الرؤساء المحليين في المنطقة ثم شرعوا في احتلال الوادي ، ولكنهم لقوا مقاومة عنيفة من دهاق بن جندل شقيق القتيل أسفرت عن مقتل بهرام وانهزم الحشاشون الغزاة

وتولى القيادة بعد بهرام فـارسي آخر اسمه إسماعيل ، سـار على خطـة سلفـه ومـا أن توفي توتيجين واستلم القيادة ابنـه بوري حتى أقنعـه حـاكم المـدينـة مفرج بن الحسن بن الصوفي وقائد الميذ يوسف بن فيروز بتوجيه ضربة قـاضيـة للإسماعيليين فكان يوم ٤ سبتمبر عـام ١١٢٩ حيث اغتيل نصير الإسماعيليين الوزير المزرجـاني بـأوامر من بوري ، ومـا أن أذيع النبأ حتى اندفع أهالي دمشق للقضاء على الإسماعيليين الحشاشين فمن المؤرخين من قال إنه قتل في ذلك اليوم من الحشـاشين حوالي ستـة آلاف شخص ومنهم من قـال عشرين ألفًـا وأدرك إسماعيل أن أمله في المقاومة ضعيف فهرب إلى أراضي الفرنجة وسلم قلعـة بـانيـاس للصليبيين وبقي عندهم حتى توفي عام ١١٣٠ ويقـال إنهم تـآمروا مع الوزير لتسليم دمشق إلى الصليبيين (الإفرنج) فكانت بذلك نهايتهم ولكن الحشاشين استطـاعوا اغتيـال بوري بتاريخ ٧ مايو ١١٣١ بتوجيه جنديين تسلّلا من قلعة آلموت .

استطـاع الإسماعيليون بعـد ذلـك الحصول على عـدة قـلاع سـوريـة في جبـل البهرة جنوب غرب جبل السماق فاشتروا قلعـة قـدموس في منطقـة الكهف عـام ١١٣٢ واستولوا على مصياف عام ١١٤٠ وكذا احتلوا قلعة الخوابي والرصـافـة والقليعـة والمنيقـة . ومـا أن احتل نور الدين الزنكي حلب ومنع الأذان الشيعي حتى شعر الحشاشون بالخطر ممـا جعل الحشـاشين يلجـأون إلى الصليبيين في أنطـاكيـة واشتركت كتيبـة منهم مـع الصليبيين في حرب المسلمين .

سنان شيخ الجبل

وتنـاوب إمرة الحشـاشين بعـد إسماعيل أبو الفتح أبـو محمـد كبير الـدعـاة ثم سنـان بن سلمـان بن محمـد المعروف برشيـد الـدين والملقب بشيـخ الجبـل ، وكان مـواطنًـا من عقر السودان قرب البصرة أرسله إمام قلعة آلموت إلى سورية فأقام في قلعة الكهف وبقي فيها عدة سنوات حتى توفي أبو محمد رئيس بعثة آلموت وخلفـه خواجـا علي بن مسعود ، فتـآمر عليه ابن أخ الشيخ أبو محمد أبو منصور والرئيس فهـد فـأرسلوا إليـه من اغتـالـه في بيتـه فـاعتقلوا القتلـة ، وجـاءت أوامر قلعـة آلموت بـإعـدامهم فـأعـدموه وأطلق سراح الرئيس فهد ، ولما أعلن حسن إمام قلعة آلموت القيامة وإلغـاء الشريعـة كان على سنـان أن يفتح الشريعة الجديدة في سورية وأُعلنت الشريعة الجديدة في سوريا ولمـا تقـدم جيش حلب لقتل أنصار العقيدة الجديـدة ، تظـاهر سنـان بعـدم رضـاه وأقنع الجيش بـالانسحـاب ثم

هاجم سنان أصحاب الشريعة الجديدة الذين أطلقوا على أنفسهم اسم (المتطهرين) ودمرهم وفرض نفسه حاكمًا للإسماعيليين .

يقول المؤرخ كمال الدين بن العديم في كتابه زبدة الحلب من تاريخ حلب : في عام ٥٧٢ انخرط سكان جبل السماق (جبل العلويين) في الآثام والفسوق وأسموا أنفسهم المتطهرين ، واختلط الرجال بالنساء في حفلات الشراب ولم يمتنع رجل عن أخته أو بنته وارتدت النساء ملابس الرجال ، وأعلن أحدهم أن سنان هو ربه فأرسل حاكم حلب جيشًا ضدهم فهربوا إلى الجبال حيث حصنوا أنفسهم ، أما سنان فقد أجرى تحقيقًا ونصل نفسه من المسؤولية وأقنع جيش حلب بالانسحاب ثم هاجم بنفسه هؤلاء المتطهرين ودمرهم . وما أن استلم سنان زمام السلطة حتى بدأ بإعادة بناء قلعتي الرصافة والخوابي ، كما استولى على قلعة العليقة وأعاد تحصينها - ويقول المؤرخ السوري كمال الدين بن العديم : إنه بنى قلاعًا في سورية للفرقة كان بعضها جديدًا وبعضها قديمًا حصل عليها بالخديعة ثم حصنها وغفل عنه الزمان ولم يهتم به الملوك خوفًا من الانتقام باغتيالهم فحكم ثلاثين سنة في سورية ، وخشي كبير دعاتهم في آلموت من أن يغتصب الرئاسة منهم فأرسلوا له مبعوثين لاغتياله ولكنهم وقعوا في يده جميعًا فقتل البعض واستمال البعض الآخر ، وبهذا انفصل إسماعيليو سوريا عن إسماعيلي قلعة آلموت ومما يؤكد ذلك عدم ورود أي ذكر لقلعة آلموت في سجلات إسماعيلي سوريا .

إن ظهور صلاح الدين الأيوبي وقضاءه على الدولة الفاطمية ومحاولته توحيد ديار الإسلام ليقف في وجه الغزو الصليبي دفع الحشاشين إلى التعاون مع الزنكيين ، وفي رسالة وجهها صلاح الدين إلى الخليفة في بغداد اتهم الزنكيين بالتحالف مع الحشاشين الملاحدة واستخدموهم وسطاء للاتصال بالفرنجة ووعدوهم بمنحهم قلاعًا وأرضًا وبيتًا لنشر دعوتهم في حلب .

لقد بدأت أول محاولة للحشاشين لاغتيال صلاح الدين في ديسمبر ١١٧٤ فاكتشفهم الأمير أبو قيس فقتلوه على الفور ولكن صلاح الدين لم يصب بسوء ، وفي العام التالي قام سنان بمحاولة أخرى في ٢٢ مايو ١١٧٦ أثناء محاصرة صلاح الدين لمدينة أعزاز ، ولكن صلاح الدين أصيب بجروح طفيفة وقتل في الاشتباك عدد من الأمراء . ويعزو البعض سبب هذه المحاولة إلى تحريض قمشطجين الزنكي لقاء المال وبعض الأراضي ،

ويعزو البعض الآخر سبب المحاولة إلى استفزاز الجناح الإسماعيلي الذي حكم القاهرة للانتقام من صلاح الدين الذي أسقط دولتهم الفاطمية في مصر. ويرى البعض أن السبب يعود للانتقام من صلاح الدين بسبب غزوه للإسماعيلية في الباب وبزاعة حيث شجع طائفة النبوية المعادية للشيعة على غزوهم فذبحوا منهم ثلاثة عشر ألفًا واستغل فرصة إرباكهم، فأرسل جيشه لغزو سرمين ومعرتمصرين - مدينتين قرب أدلب - فقتل معظم سكانها ثم تقدم صلاح الدين باتجاه مصايف مركز الحشاشين فحاصرها عام ١١٧٦ ولكنه ما لبث أن فك الحصار واتجه للقاء الصليبيين بعد وساطة خاله أمير حماه الذي كان جارًا لهم. وفي ٣١ أغسطس ١١٧٧ اغتال الحشاشون شهاب الدين بن العجمي وزير الملك الصالح الزنكي في حلب والوزير السابق لنور الدين ولكنهم فشلوا في اغتيال اثنين من كبار أصحاب الوزير، واستمر النزاع بين أمير حلب وسنان فاستولى الملك الصالح على الهجيرة ورد عليه الحشاشون بإشعال النار في سوق حلب، وفي عام ١١٩٢ تمكن الحشاشون من اغتيال المركيز كزنراد ملك بيت المقدس، ويعتقد البعض أن ملك إنكلترا هو الذي دبّر المؤامرة ودفع لسنان ثمن دمه ثم تزوج أرملته بسرعة وأعلن نفسه ملكًا على بيت المقدس، ويؤكد ابن الأثير أن صلاح الدين هو الذي دبّر هذا الاغتيال بل ويذكر كمية المال التي دفعها لسنان ثمنًا لقيامه بهذا العمل وهذا من أسرار مهادنة صلاح الدين لسنان، وفي عام ١١٩٤ مات شيخ الجبل المخيف سنان وخلفه فارسي آخر يدعى نصير وبذلك عادت سيطرة آلموت على إسماعيلي سوريا بعد انقطاع طويل، ووصلت التعليمات بمهادنة الخليفة وأوقفت الاغتيالات في سورية وتوجهت نحو الإفرنج وكان أولها حاكم أنطاكية، فحاصر والده قلعة الخوابي فاستغاثوا بأمير حلب ودمشق فأرسلوا جيوشًا لفك الحصار عنهم. كما وصلت الرسائل تأمر أتباعهم السوريين بعمارة المساجد وأداء الصلوات وتجنب الخمر والمخدرات والابتعاد عن المعاصي. واستطاع الإسماعيليون أن ينشروا الرعب بالتهديد بالاغتيال وأن يحصلوا على أجعال مالية من حكام مسلمين ومسيحيين ومن الزوار الموقتين للشرق حتى إن الإمبراطور فريدريك الثاني حين وصل فلسطين أحضر لمجد الدين دعاة الإسماعيليين هدايا بثمانية آلاف دينار بحجة أن الطريق إلى آلموت بالغ الخطورة، أقطع بيبرس أراضي الحشاشين إلى أحد كبار قواده ثم أمر بجمع الضرائب والرسوم على الهدايا التي تصل إلى الحشاشين ومن بينهم الإمبراطور ألفونسو - كما

يذكر المقريزي ـ فقبل الحشاشون ذلك صاغرين وأصبح للسلطان سلطة عليهم بعزل من يشاء من رؤسائهم ويعين بدلاً عنه من يريد . ففي عام ١٢٧٠ خلع بيبرس نجم الدين وعيّن مكانه صارم الدين زوج ابنة نجم الدين حاكم قلعة العليقة ، ولكن صارم الدين استطاع أن يضم مصياف بخديعة إليه فعزله بيبرس وسجنه في القاهرة حتى مات وأعاد بيبرس تعيين نجم الدين بعد أن طوعه على أن يشاركه في الحكم ابنه شمس الدين لقاء ضريبة سنوية ، وفي مارس ١٢٧١ اعتقل بيبرس اثنين من الحشاشين قيل إنها أرسلا لاغتياله ، ولكن حضور الزعيمين الإسماعيليين وقسمهما ببراءتها من التهمة أطلق سراحهما وطلب إليهما صحبته وتسلم قلاعهم فسلما قلاعهما ، كما احتل قادة بيبرس بقية القلاع كالعليقة والرصافة ثم الخوابي كما تم احتلال باقي القلاع عام ١٢٧٣ ، وأصبح بيبرس يهدد بهم خصومه من الصليبيين وبقي منهم حتى الآن سكان منطقة سلمية ومصياف مسالمين يعملون بالزراعة يدين بعضهم لأغاخان في فارس والبعض الآخر لمشايخ فرقتهم .

وتتلخص مواقف الحشاشين أثناء حكم الصليبيين بما يلي :

١ ـ قتلهم حاكم الموصل السلجوقي الذي حضر إلى دمشق لمساعدة إخوانه المسلمين في رد هجمات الصليبيين .

٢ ـ ومما يؤكد تعاونهم مع الصليبيين أنه لم يقع صليبي واحد من الغزاة بخنجر أحد الحشاشين الذين تمرسوا باغتيال رجالات الإسلام .

٣ ـ تسليمهم قلعة بانياس ولجوء قائدها إسماعيل إليهم حيث مات عند الصليبيين .

٤ ـ تآمرهم لتسليم دمشق للصليبيين .

٥ ـ اشتراك كتيبة من الإسماعيليين مع الصليبيين في أنطاكية بعد أن احتل نور الدين حلب .

٦ ـ محاولتهم إغتيال صلاح الدين الأيوبي الذي وقف في وجه الصليبيين مرتين .

إشهر دعاتهم مما تقدم نستطيع أن نعدد أشهر دعاتهم كما يلي :

١ ـ حسن بن الصباح توفي عام ١١٢٤ م .

٢ ـ كيابزرك آميد توفي عام ١١٣٨ .

٣ ـ محمد بن كيابزرك آميد توفي ١١٦٢ .

٤ ـ الحسن الثاني بن محمد توفي ١١٦٦ .

٥ ـ محمد الثاني بن الحسن الثاني توفي ١٢١٠ .

٦ ـ الحسن الثالث بن محمد الثاني توفي ١٢٢١ .

٧ ـ محمد الثالث بن الحسن الثالث توفي ١٢٥٥ .

٨ ـ ركن الدين خورشاه قتله المغول وسقطت قلاعهم ١٢٥٥ م .

غلاة الشيعة

(٢)

النصيرية

المراجع

١ ـ الملل والنحل للشهرستاني .

٢ ـ مذاهب الإسلاميين دكتور عبد الرحمن بدوي .

٣ ـ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي دكتور محمد أحمد الخطيب .

٤ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية الشيخ محمد أبو زهرة .

٥ ـ تقرير نائب دمشق المكلف من قبل المجلس بدراسة الطوائف : محمد المبارك .

٦ ـ دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية د . عرفان عبد الحميد .

٧ ـ إسلام بلا مذاهب الدكتور مصطفى الشكعة .

٨ ـ تاريخ العلويين محمد غالب الطويل .

٩ ـ النصيرية دراسة تحليلية تقي شرف الدين .

١٠ ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (الندوة العالمية) .

النصيرية

طائفة من غلاة الشيعة الذين ألّهوا عليّ بن أبي طالب ، وحجتهم في ذلك كما يروي الشهرستاني في الملل والنحل : أن ظهور الروح بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل . فمثله في جانب الخير : كظهور جبريل عليه السلام بصورة بشر مثله ، وفي جانب الشر كظهور الشيطان وكظهور الجن بصورة إنسان يتكلم بلسانه .

ويقولون : ولما لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين من بعده باعتبارهم خير البرية : فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم . لذا سموا بالإلهية .

وينتسب النصيريون إلى (محمد بن نصير) الفارسي الأصل ، الذي كان بابًا للإمام الحسن العسكري ، والذي ادعى أن الإمام الثاني عشر الغائب أوصى له بالإمامة من بعده ؛ وبذلك جمع الاسم والباب وورثّها من بعده لمشايخ المذهب النصيري . يقول النوبختي في فرق الشيعة ص ٧٨ : وقد شذت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته ـ فقالت بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير وكان يدعى أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري وكان يقول بإباحة المحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضًا ، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل وأنه أحد الشهوات والطيبات ولم يحرم شيئًا من ذلك ـ يقول ماسينيو : يمثل النصيريون الجناح المحافظ والحشوي للحركة الشيعية السلمانية بينما يمثل الإسماعيلية والدروز الجناح التقدمي لها .

معتقداتهم

١ ـ **الولاية والإمامة :** يعتقد النصيريون بولاية علي بن أبي طالب أمور المسلمين الدينية ويزعمون أن النبي ﷺ بايعه ثلاث مرات سرًا :

١ ـ يوم نام في فراشه ليلة الهجرة . ٢ ـ ويوم بيعة الشجرة . ٣ ـ وفي دار أم سلمة . أما البيعة الرابعة فجهرية كانت يوم غديرخم حيث أمره الله تعالى ببيعته كما يزعمون فقال يومها : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ونزلت الآية الكريمة : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ والولاية عندهم أعلى مرتبة من النبوة فإن الأنبياء يوحىٰ إليهم بواسطة جبريل أو يكلمهم الله مباشرة أما الإمام المعصوم

المطهر فهو مصدر الإرادة الإلهية دون وحي أو واسطة لأنه تحت تأثير الإرادة الإلهية مباشرة .

٢ ـ **عصمة الإمام** : والأئمة بنظرهم معصومون من أي خطأ فقد وردت الآيات بعصمتهم وطهارتهم ويقصدون الآية الكريمة ﴿ **ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا** ﴾ . أما الأنبياء بنظرهم فلم يرد نص بعصمتهم متجاهلين قول الله تعالى في عصمة رسوله الأمين ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ . عن تاريخ العلويين صفحة ١٧٤ ، ١٧٥ .

٣ ـ **تأليه الإمام** : الألوهية بنظر النصيريين مثلثة الأجزاء متحدة الحقيقة كما هي عند النصارى . فهي عندهم معنى واسم وباب ، كما هي عند النصارى أب وابن وروح قدس .

أما المعنى فهو علي بن أبي طالب وهو الله العلي القدير . وأما الاسم فهو محمد بن عبد الله وهو حجابها النوراني . وأما الباب فهو سلمان الفارسي الذي يوصل إلى الحجاب النوراني .

وبعد انتهاء دور النبوة أصبح هؤلاء الثلاثة يتنقلون في الأئمة الاثنى عشر حتى خلفوها إلى محمد بن نصير النميري حسب ادعائه .

أما التشهد عندهم فهو : أشهد أن لا إله إلا علي بن أبي طالب . وقد وصفوه في كتاب المجموع بأنه أحد صمد لم يولد ولم يلد وأنه قديم لم يزل . جوهره نور ومن نوره تسطع الكواكب ، وهو نور الأنوار تجرد من الصفاة يشق الصخور ، ويسجر البحور ويدبر الأمور ، ويخرب الدول ، خفي الجوهر ، (وفي كتاب الهداية الكبرى للخصيبي) : قال علي للشمس وعليك السلام ياخلق الله الجديد ثم همهم همهمة تزلزل منها البقيع فأجابت الشمس وعليك السلام ياأخ رسول الله ووصية أشهد أنك الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت بكل شيء عليم . (عن كتاب العلويين بين الحقيقة والأسطورة) .

ويعتقدون أن عليًا خلق عليه الصلاة والسلام وأن محمدًا خلق سلمان الفارسي وأن سلمان خلق الأيتام الخمسة وهم :

١ ـ اليتيم الأكبر المقداد بن الأسود الكندي الموكل بالرعود والعواصف .

٢ ـ أبو ذر الغفاري وهو موكل بحركات الكواكب والأفلاك .

٣ ـ عبد الله بن رواحة وهو موكل بالرياح وقبض الأرواح .

٤ ـ عثمان بن مظعون وهو موكل بالأبدان وأمراض الإنسان .

٥ ـ وقمبر بن كادان مولى علي وخادمه ، وهو موكل بالتناسل ، وهؤلاء الخمسة خلقوا العالم . فعلي عندهم رب العالمين وخالق الكون وباعث الرسل وهو يسكن السحاب ، الرعد صوته والبرق ضحكه ، ويرى الشماليون سكان الساحل السوري أنه يسكن القمر بينما يرى الكلازيوين سكان الجبال أنه يسكن الشمس .

ويقول الدكتور الشكعة في كتابه إسلام بلا مذاهب ص ٢٩٢ وما بعده : وتقدم هذه الفئة المضللة أدلة علي ألوهية علي بن أبي طالب لا تخلو من فكاهة في كثير من الأحيان فهم يقرأون الآية الكريمة من سورة يس ﴿ **أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم** ﴾ فيغيرون حرف الجر على إلى اسم علي بعد أن ينقطوا الألف المقصورة وأن عثمان حين جمع المصحف حولها من علي إلى على فتصبح السورة (أوليس علي بقادر على أن يخلق مثلهم) . ومن الطرائف حول التدليل على ألوهية ما ورد في الباكورة السليمانية ص ٨٧ ما يلي : (أن عليًا أرسل جابر بن يزيد الجعفي في قضاء غرض له ولما وصل إلى الموضع المقصود رأى عليًا بن أبي طالب جالسًا على كرسي من نور والسيد محمد عن يمينه والسيد سلمان الفارسي عن شماله ثم التفت إلى ورائه فرآه هكذا ثم نظر عن يمينه فرآه أيضًا ثم نظر إلى السماء فرآه في السماء والملائكة أمامه يسبحون بحمده ويسجدون له) .

ويذكر القوم أن عليًا ظهر بصورة بقرة بني إسرائيل كما ظهر بصورة ناقة صالح وعند بعض فرقهم ظهر بصورة كلب . ويعتقد هؤلاء القوم أن الرعد صوته ينادي قائلاً ياعبادي اعبدوني ولا تشكوا بي . وإذا كان الإله لم يلد ولم يولد فالحسن والحسين أولاده في الظاهر ولقد ذكر صاحب الباكورة السليمانية خمس عشرة سورة كلها مكرسة لتأليه (علي) والتوكيد على عقد ع.م.س الذي يرمز فيه حرف العين إلى علي الإله والميم إلى محمد والسين إلى سلمان الفارسي الذي يمثل عندهم الباب . وسنجد في نصوص كتبهم المختلفة بعد قليل ما يؤكد ألوهية علي بن أبي طالب .

٤ ـ **كتمان الدين والتقية** : جاء في تـاريخ العلويين لأمين غـالب الطويل : لقـد كان الأئمة من أهل البيت يحتمون بحماية الإسلام المعنوية ، ولم يكن ذلك متحققًا للأبواب ولا لمن معهم لذلك اضطروا إلى التقيـة والكتمـان فهم يتظـاهرون بـالإسلام تقيـة حتى يحضر الإمام الغائب صاحب الزمان وينتقم لهم من مخالفيهم أتبـاع الخليفتين ، عنـدهـا لم يعـد هنالك ضرورة للتكتم ويشبهون التقية بالثوب وديانتهم بالبدن ولا يضع البـدن ولا يغير حقيقته إذا لبس أي ثوب كان . ومن حجتهم في التكتم : أنه لمـا أعلن كال الإسلام كانت بعض العقائد مكتومة وخفية لذا بقيت مكتومة إلى يومنا هذا لخصوصيتها .

ويقولون : إن بني هـاشم كانـوا يعرفـون أحكامًـا لا يعرفهـا الأمـويـون ، وإن أهـل البيت تعلّموا علومًا لم يتعلمها غيرهم ، وإن بيعة غدير خم هي إفشـاء لبعض حقوق أهل البيت أما بقية الحقوق فبقيت مكتومة .

لذا كان إفشاء الدين خطيئة فهم يمنعونه عن أبنـائهم حتى يبلغوا سن الرشـد ، وبعـد تعهد أوليائهم على أنهم أهل لحفظ سر الدين ، عنـدهـا يقسم المرشح بسر (ع.م.س) على كتمان هذا الدين عن الآخرين .

٥ ـ **التناسخ** : عقيدة التناسخ قديمة في التاريخ فهي سمة مشتركة بين ديـانـات العـالم القـديم يقـول الشهرستـاني في الملـل والنحـل ج ٢ ، ص ٥٤ : والغـلاة على أصنـاف كلهم متفقون على التنـاسخ والحلول . كان التنـاسخ مقـالـة في كل ملـة من المجـوس والمـزدكيـة والبرهمية في الهند ولدى الفلاسفة والصائبة ويقول محمد فريد وجـدي في دائرة المعـارف : ولعل أوائل القائلين بها هم : أحمد بن ضابط وتلميذه أحمـد نـاقوس وأبو مسلم الخراسـاني ثم انتشر ذلك في القرامطة .

ولقـد لخص النـوبختي فكرتهم في كتـابـه فرق الشيعـة ص ٣٢ ـ ٣٥ بقـولـه : ومقتضى مـذهب هؤلاء الغـلاة أن لا دار إلا دار الـدنيـا وأن القيـامـة إنمـا هي خروج الروح من البـدن ودخـولهـا في بـدن آخر ، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر ، وأنهم مسرورون في هـذه الأبدان أو معذبون فيها . والأبدان هي الجنـات وهي النـار ، وأنهم منعّمون في الأجسـام الحسنـة الأنيسـة المنعمـة ، ومعـذّبـون في الأجسـام الرديئـة المشوهـة من كـلاب وقرود وخنـازير وحيـات ، وأن المؤمن عنـدهم يتحـول سبـع مرات قبـل أن يـأخـذ مكانـه بين النجوم ، أما نصوصهم في ذلك فهي :

أ ـ في الباب الرابع من الباكورة السليمانية يقول : إنهم كانوا قبل بدء العالم أنوارًا مضيئة وكواكب نورانية لا يأكلون ولا يشربون ولا يغوطون .

ب ـ وفي الباب السادس يقول : إن النصيرية تعتقد أن أرواح الشرفاء من المسلمين الراسخين في العلم تحل في هياكل الحمير ، وأرواح علماء النصارى تحل في أجسام الخنازير ، وعلماء اليهود في هياكل القرود .

جـ ـ في الباب السابع : متى خلصنا من هذه الكثايف البشرية ترتفع أرواحنا إلى ما بين تلك الكواكب المتلاصقة التي هي درب التبان وتلبس هياكل نورانية ، وحينئذ نرى السماء صفراء وإذا سكنا في هذه الحياة الفانية تحل أرواحنا في أجسام ؟ وليس لها حياة إلى أبد الآبدين .

لقد أجمع علماء المذاهب الإسلامية على إخراج من يقول بالتناسخ من دائرة الإسلام وحكموا عليه بالكفر لاصطدام هذه الفكرة مع ركن ثابت عرف من الدين بالضرورة ألا وهو الإيمان باليوم الآخر الثابت بنصوص يقينية .

كما أجمعت المجامع الكنسية المسيحية المنعقدة في ليون فرنسا عام ١٢٧٦ وفي فلورنسة عام ١٤٣٩ على إدانة القائلين بالتناسخ وتكفيرهم .

وكفّر المتكلم اليهودي المعروف سعديا الفيومي القائلين بالتناسخ من اليهود كما في كتاب الأمانات ص ٢٠٨ .

٦ ـ التأويل وعلم الباطن : يقول الدكتور الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون حـ ١ ص ١٨ : التأويل هو صرف المعنى الراجح إلى المعنى البديل يقترن به فإذا لم يكن اللفظ محتملاً المعنى الذي حُمل عليه ولم يبين المتأوّل الدليل الذي حمله على ذلك كان تأويلاً فاسدًا بل تلاعبًا بالنصوص . والتأويل الفاسد هو الذي اعتمده الغلاة مدعين أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا وأن المراد منه باطنه دون ظاهره .

ويقولون : إن الظاهر صدفة لابد من كسرها نهائيًا لنصل إلى حقيقتها الباطنية بالتأويل ، يقول أمين غالب الطويل في كتابه تاريخ العلويين : كان أهل السنة يظنون أن علم الباطن منحصر في الإسماعيلية والحقيقة أن علم الباطن هو علم مختص بالعلويين ، ويقول إن الأحكام الإسلامية لم تكن كلها ظاهرة كما يظن البعض ولقد نسبوا للإمام

الرابع على زين العابدين هذه الأبيات :

إني لأكتم من علمي جـــــواهره	كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقـد تقـدم في هـذا أبـو الحسن	إلى الحسين وأوصى قبلـه الحسنـا
ورب جـوهر علم لـو أبـوح بـه	لقيـل لي أنت من يعبـد الـوثنـا
ولا ستحـل رجـال مسلمـون دمي	يرون أقبح مـا يـأتـونـه حسنـا

ويقولون في تفسير الآية الكريمة ﴿ **منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وآخر متشابهات** ﴾بأن الآيات المتشابهات لها معنى ظاهر ومعنى باطن يريدون أن يدعموا آراءهم بتأويل هذه الآيات ، ويقولون بأن التفسير الصحيح منحصر في الإمام وحده ويستدلون على ذلك بالآية الكريمة ﴿ **وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ لذا فالإمام عندهم عارف بعلوم الأولين والآخرين - ولو كان جاهلاً - وذلك بسبب صلته المباشرة بالله تعالى . ويقولون بأن سيدنا محمدًا ﷺ خُص بالتنزيل وأن عليًا رضي الله عنه خُص بالتأويل ، وأن التأويل خير من التنزيل والباطن خير من الظاهر لذا سموا الشيعة الاثنى عشرية بالظاهرية القشيرية ورموهم بالكفر والردة لوقوفهم عند ظواهر النصوص كما ذكر الشيبي في الفكر الشيعي ص ١٣٠ و ٢٤٠ .

من تأويلاتهم : الجنة : رجل أُمرنا بموالاته وهو الإمام ، والنار : رجل أُمرنا بمعاداته وهو ضد الإمام .

الصلوات الخمس عندهم : علي والحسن والحسين ومحمد وفاطمة . وأن ذكر هؤلاء يغني عن الاغتسال من الجنابة والوضوء للصلاة أما الصوم فهو : حفظ سر الدين ، والحج زيارة الإمام ، والجهاد لعنة الخصوم (الباكورة السليمانية) .

يقول سالسري : لقد انتهى التأويل الباطن بالأحكام الشرعية أن تتحول إلى حطام من السخف الذي لا ينطوي على معنى ، إذ صار كل حكم من أحكام الشرع يمثل رمزًا أو تجسيدًا لذات من الأشخاص .

وفي فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص ١٤٨ يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي : من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذي ينكر حشر الأجسام وينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون وأوهام يجب تكفيره قطعًا .

يقول كولد زيهر في كتابه العقيدة والشريعة ص ٣٣٨ ما يلي : وهكذا أصبحنا لا نسطيع أن نتبين في مذهبهم قواعد الإسلام وأركانه وانتهى الأمر حقيقة إلى طمس معالم الإسلام وانحلال عقائده انحلالاً تامًّا .

٧ـ **إسقاط التكاليف وإباحة المحرمات :** نزعة قديمة تبيح لأتباعها تجاوز الأحكام الدينية والإلزامات الخلقية والاعتبارات الاجتماعية . ربطها مؤرخو الأديان بالمجوسية والزرادشتيه والمزدكية . ذلك أن للمجوس طبقة من الكهنة كانت تبيح الزواج بالأقارب المقربين . عن تاريخ حضارات الشرق ج ٢ ص ٤٢٤ ، ويقول الشهرستاني في الملل والنحل حـ ص ٢٨٦ ما يلي : عرف عن مزدك دعوته إلى الإباحية واستحلال النساء فقد تزوج يزدجرد الثاني الذي تولى الحكم في القرن الخامس الميلادي من ابنته كما عرف أن بهرام جور الذي حكم في القرن السادس الميلادي قد تزوج من أخته . ويذكر أيضًا أن عادة الزواج بالمحارم كانت عادة منتشرة في الزرادشتية وكانت أكثر شيوعًا بين أهل التقى إرضاء لآلهتهم . وقد تأوّل الجناحية الآية الكريمة ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا** ﴾ في إسقاط التكاليف ثم انتقلت هذه العادة وتأصلت في المجتمع النصيري . يقول حمزة الدرزي في الرسالة الدامغة يصف النصيريين بقوله : فيهم القتل والسرقة والكذب والافتراء والزنا واللواط . وفي كتاب المقالات والفرق ، يحذر الإمام أبو محمد الحسن العسكري أحد أتباعه من النصيريين فيقول له : إني أبرأ إلى الله من محمد بن نصير الطهري وابن بابا القمي . إني محذرك وجميع موالي ومخبرك أني ألعنهما عليهما لعنة الله ، يقول لاجانش في تحفة النظّار لابن بطوطة وفي خطط الشام ما يلي : إن النصيرية يشكلون فرقة غالية تذكرنا أخلاق المجوس حيث يبيحون إشاعة البنات والأخوات والأمهات لا يصلُّون ولا يتطهرون ولا يصومون متأوّلين قوله تعالى : ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم** ﴾ ﴿ **ويضع عنهم إصرهم والأغلال** ﴾ . ويقول القمي في المقالات والفرق : ولكن النصيرية أوغلوا في التأويل فلقد أوّل ابن نصير الآية بإسقاط التكاليف وإباحة المحارم وحل نكاح الذكور في أدبارهم ويزعم أن ذلك من التواضع وأنها من الطيبات الحلال .

لقد أحلوا الخمر بل إنهم يعظموها ويعظمون شجرة الكرمة التي هي أصل الخمرة لذلك يستعظمون قطعها . أما الاسم المقدس للخمرة عندهم فهو عبد النور لأن الله ظهر

فيها كما وأنهم يحبون ابن ملجم قاتل الإمام علي بن أبي طالب لأنه خلّص اللاهوت من الناسوت ويخطئون من يلعنه .

٨ ـ **العبادة عندهم :** نوع من الحب والطاعة والولاء لأئمتهم ورؤسائهم . أما العبادات الظاهرية التي يؤديها المسلمون السنيون فهي معرفة أشخاص من أئمتهم ورؤسائهم الدينيين وأصحاب المراتب عندهم ، وورد في الباكورة السليمانية أن الصلوات الخمس وأوقاتها عندهم كالآتي : الظهر لمحمد والعصر لفاطر أي فاطمة والمغرب للحسن والعشاء للحسين والصبح لمحسن الخفي . والزكاة دفع خمس ما يملكون لشيوخهم حتى من مهور بناتهم .

أما الحج فهو زيارة أئمتهم ورؤسائهم والصوم حفظ سر الدين والبعد عن النساء والجهاد سب الخصوم والنصيريون لا يؤدون صلاتهم في المساجد إنما يصلون في بيوتهم صلاة تشبه صلاة النصارى ويجتمعون أحيانًا في بيوت معلومة ويسمون اجتماعهم (عيدًا) يعظهم فيها شيوخهم ويتلون عليهم بعض القداسات التي نقلنا بعض نصوصها .

٩ ـ **السباب والشتائم على الشيخين وغيرهم ممن عادى أحد أئمتهم :** اعتقادهم أن مسبة المخالفين فريضة دينية وهي من الجهاد ويشملون بذلك كل من عادى الرسول ولو كان من أهل البيت ، وكل من عادى عليًا ولو كان من أصحاب الرسول ، وكل من عادى فاطمة ولو كان من أصحاب علي ، وكل من عادى الحسنين ولو صاحب أباهم ، ويعلل الطويل صاحب كتاب تاريخ العلويين سبب ذلك اعتقادهم عصمه الأئمة وآبائهم فمخالفة أحدهم مخالفة للعصمة ومعاداة أحدهم معاداة لصاحب الحق ، ويقولون : إن من أسلم من قريش بعد التحاق علي بالرسول الكريم ليس كامل الإيمان ولو لم يعاد أهل البيت ويقول صاحب الكتاب : بعد وقعة صفين اتخذ علي عادة بأن يلعن معاوية وعمرو بن العاص بعد صلاة كل ظهر وكذلك جعل معاوية شتم علي ووليه والأشقر وابن عباس من الفرائض وقد ظل الأمويون يشتمون عليًا حتى خلافة عمر بن العزيز الذي نهى عن ذلك لذا اعتبر العلويون شتم المخالفين والغاصبين لحقوق أهل البيت من الفرائض الدينية) . وهذا لا دليل عليه .

ويرى بعض الدارسين أن سبب تخصيصهم سيدنا عمر بمزيد من شتائمهم ونقمتهم ويدّعون أنه هو الشيطان نفسه وهو الشجرة المنهي عنها في القرآن . يرجع إلى الفتوحات

الساحقة التي تمت أثناء خلافته في بلاد فارس والمذهب النصيري كله تم تحضيره وتنسيقه ونشره في بلاد فارس وعلى أيدي أناس من فارس وأن عمر كان عونًا لأبي بكر في تولّيه الخلافة وحجبها عن علي . وأنه عارض عليًّا في منع السيدة فاطمة من ميراث فدك . وموقفه من جبلة بن الأيهم باني مدينة جبلة التي تقع في موطن إقامتهم بسوريا حين هروبه إلى بلاد الروم ، ومن أسباب ذلك أيضًا إيصاؤه بالخلافة من بعده لستة يختارون الخليفة من بينهم ؛ مما مَهّد لتولي عثمان ولتقوية نفوذ الأمويين . تلك أسباب كرههم للشيخين جزاهما الله عنا كل خير .

١٠ ـ **المرأة في عقيدة النصيريين** : ليس للمرأة عند النصيريين اعتبار إنساني لذا فهي ليست جديرة بتلقي الدين وتحمّل واجباته ، ذلك لأن المحارم عندهم كانت مباحة في الماضي حتى منعتها القوانين السورية . ولقد كنا نظن قبل الاطلاع على عقائدهم ـ بأن تساهلهم في الحفاظ على بناتهم وتأجيرهن كخادمات في بيوت الأثرياء يرجع لفقرهم ، ولكن نصوص ديانتهم التي تحط من قدر المرأة تفسر لنا هذه الظاهرة فقد ورد في الفصل السادس من درة الدرر : أن عليًّا قال في كتابه (الطاعة حتى تقوم الساعة) مخاطبًا سلمان الفارسي : واعلم أنني إنما ظهرت للخلق والعباد بصورة التأنيس (الإنسان) حتى أبيِّن لهم الخير والشر . فمنهم من سمع النداء وسكن في ضميره فنم على إقراره ، ومنهم من سمع النداء ولم يؤكد ولم يسكن في ضميره فنم على إنكاره على مدى الأدوار والأكوار .

ومنهم من لم يسمع النداء وهم النساء وسائر الإناث ، فمن ذلك اليوم حُرمت على النساء المعرفة وحُرمت على المؤمنين أكل لحوم الإناث (من الحيوانات) لهذا قلت وكل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه ، واعلم يا سلمان أن إسرائيل اسمي . انتهى . لذلك يسمون فاطمة بصفة المذكر فينطقونها فاطم . لأن المرأة ليست من أهل الدين والمعرفة في نظرهم ، وفي كتاب الباكورة السليمانية ص ٦١ ولعل من أهم العوامل التي ساهمت في تعميق عقدة النقص عند المرأة النصيرية هو اعتقادهم الديني بأنها لا تملك روحًا كما هي الحال بالنسبة لبقية الحيوانات الأخرى . ورد في كتابهم المصفت الشريف ص ١٦٨ : وقال منه السلام الشياطين من الامراة . وإن الإنسان في كفره وعتوه وتمرده وتناهى في ذلك صار إبليسًا ويرد في صورة امرأة .

١١ ـ **القيامة في عقيدة النصيرية** : القيامة عندهم هي قيام الإمام المحتجب صاحب

الزمان ليحكم بين أتباعهم وخصومهم ، ويحقق السيادة لهم وحدهم ضد خصومهم من أتباع الخليفتين الأول والثاني ومن شايعهم ، وعندها يعلن الدين ويظهر كل خفي ومكتوم منه . وهذه القيامة هي الرجعة الكبرى والكرة الزهرا . ومن نصوصهم في ذلك ما جاء في درة الدرر وفي الفصل السادس ما يلي :

عن جابر قال : أتيت مولانا الباقر عليه الصلاة فقلت : فما فعل الله بالأول والثاني (يعني أبا بكر وعمر) لعنهما الله قال : مزجهما بالخلق المنكوس حتى إذا قام القائم وصار إلى الغريب ودعي إلى ما دعى إليه السيد محمد ويجد الأول والثاني فيخرجهما ويأتي بهما إلى البقيع ثم يأتي بجذع من جذوع النخل ويأمر بشقه ويصلبهما عليه فيورق الجذعان من تحتهما فيفتتن بهما الناس في آخر أمرهما ، أشر مما فتنوا في أوله ثم ينادي القائم عليه السلام بأصحابها فيزجرهم زجرة واحدة .

وفي سورة الشهادة من نفس المرجع : وأقر في الرجعة البيضا والكرة الشقرا وفي كشف الغطا وجلا العمل وإظهار ما كُتم وإعلان ما خُفي وظهور علي بن أبي طالب من الشمس قابضًا على كل نفس ، الأسد من تحته ، وذو الفقار بيده ، والملائكة من خلفه والسيد سلمان بين يديه والماء ينبع من بين قدميه والسيد محمد ينادي ويقول هذا مولاكم علي بن أبي طالب فاعرفوه وسبحوه وعظموه وكبروه . هذا رازقكم وخالقكم فلا تنكروه .

١٢ ـ **قداسات النصيرية** : للنصيرية قداسات كما للنصارى ذكر منها كتفاجو ثلاثة قداسات : أ ـ قداس الطيب لكل أخ حبيب . ب ـ وقداس النجور في روح يدور في محل الفرح والسرور . ج ـ قداس الآذان وبالله المستعان ؛ جاء فيه : ديني مسلسل طاعة إلى القديم الأزل أقر كما أقر السيد سلمان حين أذن المؤذن في أذنه وهو يقول : شهدت أن لا إله إلا هو العلي المعبود ، ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود ولا باب إلا سلمان الفارسي ولا ملائكة إلا الخمسة الأيتام الكرام ولا رب إلا ربي شيخنا وهو شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبي سفينة النجاة وعين الحياة ، حي على الصلاة حي على الفلاح تفلحوا يا مؤمنون حي على خير العمل بعينه الأجل .

١٣ ـ بعض نصوص كتبهم :

وتحمل السور أسماء مختلفة بعضها قرآني مثل سورة الفتح أو السجود محرفًا عن السجدة ، وأسماء أخرى غير قرآنية مثل الحجابية ، والبيت المعمور ، والجبل ، والشهادة .

وقد تبدأ بعض السور بآية أو آيتين قرآنيتين ثم لا تلبث أن تتجه وجهتها في تأليه « عليّ» ففي الباكورة السليمانية ص ٢٦ نجد : إن سورة الجبل تبدأ بالقرآن الكريم على هذا النمط : ﴿ **شهد الله أنه لا إلهَ إلا هو والملائكة وأولو العِلم قائمًا بالقسطِ لا إلهَ إلا هو العزيزُ الحكيم • إنّ الدينَ عندَ الله الإسلام •** ربنا آمنّا بما أنزلتَ واتبعْنا الرسولَ **فاكتبنا مع الشّاهدين** ﴾ [1] . وحتى الآن فإن تلاوة هذه الآيات البينات سليمة تمامًا ، غير أننا لا نلبث أن نفاجأ بأن الآية قد وُصلت باللون النصيري مبتعدة كل الابتعاد عن قدسية المسرى القرآني وإذ بالفقرة القرآنية الأخيرة تصير هكذا « واكتبنا مع الشاهدين بشهادة ع م س ، اشهد عليّ أيها الحجاب العظيم ، اشهد عليّ أيها الباب الكريم ، اشهد علي يا سيدي المقداد اليمين ، اشهد عليَّ يا سيدي أبو الدر الشمال ... بأن ليس إلها إلا عليّ بن أبي طالب الأصلع المعبود ، ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود ، ولا باب إلا السيد سلمان الفارسي المقصود وأكبر الملائكة الخمسة الأيتام ، ولا رأي إلا رأي شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبي الذي شرع الأديان في سائر البلدان ، أشهد بأن الصورة المرئية التي ظهرت في البشرية هي الغاية الكلية وهي الظاهرة بالنوارنية وليس إله سواها وهي عليّ بن أبي طالب ، وأنه لم يُحَطْ ولم يحضر ولم يدرك ولم يبصر ، أشهد بأني نصيري الدين ، جندبي الرأي ، جنبلاني الطريقة ، خصيبي المذهب ، جليّ المقال ، ميموني الفقه ، وافر الرجعة البيضاء والكرة الزهراء ، وفي كشف الغطاء وجلاء العماء ، وإظهار ما كتم وإجلاء ما خفي ، وظهور عليّ بن أبي طالب من عين الشمس قابض على كل نفس ، الأسد من تحته وذو الفقار بيده والملائكة خلفه والسيد سلمان بين يديه والماء ينبع من بين قدميه والسيد محمد ينادي ويقول : هذا مولاكم علي بن أبي طالب فاعرفوه وسبّحوه وعظّموه وكبّروه . هذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه . اشهدوا عليَّ يا أسيادي أن هذا ديني واعتقادي وعليه اعتمادي وبه أحيا وعليه أموت وعليّ بن أبي

---

(١) نلاحظ أن الآيات الثلاثة من سورة آل عمران ولكنها غير متتابعة ، فالآية الأولى رقمها ١٨ ، تليها فقرة من الآية ١٩ ، تليها الآية ٥٣ .

طـالب حي لا يموت بيـده القـدرة والجبروت ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئـك كان عنه مسؤولا علينا من ذكرهم السلام » .

وحتى تكون الفكرة عن هـذا الفريق أوسع فلا بـأس من قراءة السورة الخـامسـة التي أطلق مؤلفهـا عليهـا « الفتـح » ، وهـو يستفتحهـا بسـورة الفتـح الكريمـة ، ثم لا يلبث كالعادة أن ينتقل إلى تأليه عليّ مع تعريج على جمل غير مترابطة إذا لم يخرج القارئ منها بما يقنعه فإنه يخرج بمزيد من الفكر عن طبيعة العقيدة النصيريـة حسبـا تقـدمهـا هـذه الجماعة (عن الباكورة السليمانية ١٨ . ١٩) .

﴿ **إذا جاءَ نصر الله والفتح * ورأيتَ النـاس يـدخلون في دين الله أفواجًـا * فسبّح بحمد ربك واستغفرهُ إنه كان توّابًا** ﴾ أشهد أن مولاي أمير النحل عليّ اخترع السيد محمد من نور ذاتـه وسماهُ اسمـهُ ونفسـهُ وعرشـهُ وكرسيـهُ وصفـاتـه متصلٌ بـه ولا منفصل عنـه ولا متصل بهِ بحقيقة الاتصال ولا منفصلٌ عَنهُ في مباعـدة الانفصـال ، متصلٌ بـه بـالنور منفصلٌ عنه بمشاهدة الظهور ، فهو منـه كحس النفس من النفس أو كشعـاع الشمس من القرص أو كـدويّ المـاء من المـاء أو كالفتق من الرتق أو كلمع البرق من البرق أو كالنظرة من الناظر أو كالحركة من السكون ، فـإن شـاءَ علي بن أبي طـالب بـالظهور أظهرهُ وإن شاءَ بالمغيب غيبهُ تحت تلالي نورهِ ، وأشهد بأن السيد محمد خلق السيـد سلمـان من نور نوره وجعله بآبه وحامل كتـابـه ، فهو سلسل وسلسبيل وهو جـابر وجبرايل وهو الهـدى واليقين وهو بالحقيقة رب العالمين ، وأشهد بأن السيد سلمان خلق الخمسة الأيتام الكرام ، فـأوّلهم اليتيم الأكبر والكوكب الأزهر والمسـك الأذفر واليـاقوت الأحمر والـزمرد الأخضر المقداد بن أسود الكنـدي وأبو الـذرّ الغفـاري وعبـد الله بن رواحـة الأنصـاري وعثمان بن مظعون النجـاشي وقنبر بن كادان الـدوسي هم عبيـد مولانـا أمير المـؤمنين لـذكره الجـلال والتعظيم ، وهم خلقوا هذا العـالم من مشـارق الشمس إلى مغربهـا وقبلتهـا وشمالهـا وبرهـا وبحرها وسهلها وجبلها مـا حـاطت الخضراء وحوت الغبراء من جـابلقـا إلى جـابرصـا إلى مراصد الأحقاف إلى جبل قاف إلى ما حاطت به قبة الفلك الدوّار إلى مدينة السيّد محمد السـامرة التي اجتمـع فيهـا المـؤمنـون واتفقـوا على رأي السيـد أبي عبـد الله ولا يشكـون ولا يشركون ولا في سر علي بن أبي طـالب يبيحون ولا يخرقون له حجـابًـا ولا يـدخلون إليـه إلا من بـاب اجعـل المـؤمنين مـؤمّنين ومطمانين ومـؤيّـدين مجبـورين على أعـدائهم

وأعدائنا منصورين ، واجعلنا بجملتهم مؤمنين مؤمّنين ومطمانين مستورين مجبورين ، على أعدائهم وأعدائنا منصورين بسر الفتح ومن فتح الفتح ومن كان الفتح على يده اليمين بسر سيدنا محمد وفاطم (أي فاطمة) والحسن والحسين ومحسن سر الخفي وأشخاص الصلاة وعدّة العارفين علينا من ذكرهم السلام صلوات الله عليهم أجمعين » .

ومن كتيب صغير محفوظ في باريس .

تحت رقم ٦١٨٢ يضم مئة سؤال وسؤال مع أجوبتها تتضمن عقيدتهم نورد نصوصًا منه : مَن الذي خلقنا ؟ الجواب : علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، من أين تعلم أن عليًّا إله ؟ ـ مما قاله هو عن نفسه في خطبة البيان « أنا سر الأسرار أنا شجرة الأنوار ، أنا دليل السماوات ، أنا أنيس المستجاب ، أنا سائق الدعوة ، أنا شاهد العهد أنا زاجر القواصف ، أنا محرك العواصف ، أنا فوق السحاب .. إلخ » .

من الذي دعانا إلى معرفة ربنا ؟ ـ محمد كما قال في خطبته إنه أي علي ربي وربكم .

إذا كان عليًّا الرب فكيف تجانس مع المتجانسين ؟ ـ إنه لم يتجانس بل احتجب في محمد في دور تحوله واتخذ اسم علي .

ما المعنى وما الاسم وما الباب ؟ هؤلاء الثلاثة لا ينفصلون كما في قولنا بسم الله الرحمن الرحيم ـ فالله هو المعنى والرحمن هو الاسم والرحيم هو الباب . ما اسم مولانا أمير المؤمنين في مختلف اللغات ؟ ـ سماه العرب عليًّا وسمى نفسه هو أرسطوطاليس وفي الإنجيل اسمه إيليا أي إلياس وسماه الهنود كنكره .

لماذا تسمى مولانا باسم أمير النحل ؟ ـ لأن المسلمين ويقصد النصيريين مثل النحل ولذا سمي أمير النحل ، ما أسماء المراتب السبع؟ ـ المرتبة الأولى وتحوي أربعمائة باب منها الأنوار والسحاب والشموس ، المرتبة الثانية الأيتام الخمسة ، والثالثة النقباء وعددهم ستائة نقيب ، والرابعة النجباء وعددهم سبعمائة ، والخامسة المختصين وعددهم ثمانمائة والسادسة المخلصين وعددهم تسعمائة والسابعة المحسبين وعددهم ألف ومائة . ما اسم الخمر المقدس ؟ ـ عبد النور لأن النور ظهر فيها . ما معنى الكلمة الظاهرة والباطنة ؟ ـ الكلمة الظاهرة قدرة مولانا والباطنة هي ألوهيته .

وهناك نص آخر أورده ابن الفضل العمري في كتاب التعريف بالمصطلح الشريف

نقله عنه القلقشندي في صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٥٠ وهو كما يلي : إنني وحق العلي الأعلى وما اعتقده في المظن الأسنى وحق النور وما نشأ منه والسحاب وساكنه وإلا برئت من مولاي علي العلي العظيم وولائي له ومظاهر الحق وكشفت حجاب سلمان من غير إذن وبرئت من دعوة الحجة نصير ، وخضت مع الخائضين في لعنة ابن ملجم وكفرت بالخطاب ـ يعني دين النصيرية ـ وأذعت السر المصون وأنكرت دعوى أهل التحقيق وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتى أجتث أصولها وأمنع سبيلها وكنت مع قابيل على هابيل ومع النمرود على إبراهيم وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه إلى أن ألقى العلي العظيم وهو علي ساخط وأبرأ من قول قنبر وأقول إنه بالنار ما تطهر، ويعلق الدكتور الشكعة على هذه النصوص فيقول ص ٢٩٦ : قد تستبد الحيرة بالمسلم وهو يقرأ هذه الصفحات التي سطرت عن العقيدة المنسوبة للعلويين ولقد هممت أن أنكر هذه المعلومات جملة وتفصيلاً ، وأوشكت أن أفعل ذلك حتى ولو كان الأمر متعلقًا بعدد قليل من العلويين ، ولقد أسهم في تزكية إنكاري هذا أن مصدر أكثر هذه المعلومات التي ذكرت مأخوذة من كتاب « الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة العلوية » لمؤلفه سليمان الأذني (نسبة إلى أدنه) نشأ علويًا ثم تحول عن العلوية إلى اليهودية ، ثم ما لبث أن تحول إلى البروتستانتية ، ثم حلا له أخيرًا أن يتحول إلى راهب كاثوليكي (تاريخ العلويين ٣٩٣) .

الواقع أن هذا التحول في حد ذاته يحمل معنى التقلب والتحدي الذي يجعل المرء يتردد في اعتماد ذلك الكتاب كمصدر يعتمد عليه ، خاصة وأن الرأي العلوي في سليمان هذا أنه كان سكيرًا عربيدًا ، الأمر الذي أدى إلى طرده من الجامعة العلوية . أما الرجل من ناحية وجهة نظره فيذكر أنه لم يستطع أن يتقبلٰ عقائد القوم وغلوهم الشديد المقرون بالجهل ، الأمر الذي زعزع عقيدته أو بالأحرى جعله وقد وجد نفسه بغير عقيدة ، ومن ثم أخذ يبحث عن دين ، وينتقل من عقيدة إلى أخرى بين الإسلام واليهودية والمسيحية ، بل تأرجح بين فرقتين من الفرق المسيحية نفسها .

إن صاحب الباكورة السليمانية ربما كان معذورًا من الناحية الشكلية في تخبطه بين الديانات ، شأن غيره من العلويين الذين افتقدوا التوجيه الديني الرشيد فتحولوا كلية عن الإسلام ، وإن الشيخ الجليل عبد الرحمن الخيّر ، وهو ممن نجلهم من إخواننا العلويين

دينًا وعلمًا وحسن إسلام يقول في هذا المقام : إن المخلصين من رجالات العلويين الأفذاذ ظلوا يجالدون سياسة الاستعمار الغاشمة التي كانت ترمي بين ما ترمي إليه تنصير جهلائهم ومن البداهة أن الاستعمار لا يقدم على تنصير مسلم إلا إذا كان بين هذا المسلم وبين الإسلام شأو بعيد ، مسافته جهل وغفلة ، ولقد كان عدد كبير من مشايخ العلويين ـ ناهيك عن عوامهم ـ غارقين في تيارات الغلو ، سالكين متاهات الجهل بحقائق العقيدة ، هذا فضلاً عن كثرة عددهم الذي كان يناهز عدد العوام (عن تاريخ العلويين ٤٧٧) .

نقول : إننا أوشكنا أن نرفض كل ما جاء في كتاب الباكورة سالف الذكر ـ وما جاء فيه مفزع خطير ـ لولا أننا رأينا اتفاقًا ومطابقة في الكثير الذي أورده مع آراء محمد بن الحسن العاني الخديجى المشهور باسم المنتجب العاني المتوفى حوالي سنة ٤٠٠ هـ . والمنتجب العاني واحد من أعلام المذهب العلوي وشعرائه .

إن كلا من المنتجب العاني وسليمان الأدني يذكر « أيتام سلمان الخمسة » ويعدد أسماءهم ، وهم المقداد الكندي ، وأبو ذر الغفاري ، وعبد الله بن رواحة الأنصاري ، وعثمان بن مظعون ، وقنبر بن كادان ، وذكرهم مقرون بالتمجيد والإجلال عند كل من المصدرين [١] .

وكل من المنتجب العاني وسليمان الأدنى يتفقان في ذكر الآراء الشديدة الغلو حول ما أسمياه « ظهورات الإله في المظاهر التي اصطفاها » « فهابيل وشيت ويوسف ويوسف ويوشع وآصف وشمعون وعليّ كلهم ظهورات تتجلى فيهم ذاتية الله حينا وتغيب حينًا آخر عن الأبصار » [٢] .

ويتفق كل من المنتجب وسليمان في تأليه علي بن أبي طالب وظهوره من عين الشمس على أسد ، وسيفه بيده ، والملائكة خلفه ، وسلمان بين يديه ، المنتجب يذكر ذلك في قصيدة أطلق عليها جذوة التوحيد ، وصاحب الباكورة يذكر ذلك في سورة الشهادة أو الجبل [٣] . الحق أنني لا ألوم بعض « المشايخ » فضلاً عن العوام إذا ما قورن موقفهم

---

(١) انظر الباكورة السليمانية ص ١٨ ، ١٩ والمنتجب العاني ص ١١١ ، ١١٢ .

(٢) المنتجب العاني ص ٨٩ ، والباكورة السليمانية ص ٤٧ .

(٣) المنتجب العاني ص ٨٩ ، والباكورة السليمانية ص ٢٧ .

بموقف عالم كبير كالمنتجب العاني .

وكل من سليمان الأدنى والمنتجب يتفق في مثلث ع م س ، أن هذا المثلث : علي . محمد . سلمان ـ يكاد يطفو على كل صفحات باكورة الأدنى ، وهو في نفس الوقت . يجري على لسان المنتجب في أكثر من قصيدة ، إن قصيدة المنتجب التي أسماها كأس الوفاء ينثرها ويعلق عليها مؤلف المنتجب على هذا النحو قائلاً : « والحق ما دعا إليه محمد بن عبد الله في رسالة الإسلام ، فالميم ويعني به محمداً هو استمرار الحقيقة الثانية في الأزل وبه يستجير ، ويعني به سلمان الذي جعله محمد من آل البيت هو استمرار الحقيقة المحمدية كما فاض نور الحقيقة المحمدية الأحدية الجليلة التي لا تقاس ولا نسب لها ... وتظهر مغالاته ـ أي مغالاة المنتجب ـ من جهة مقالته بإفراد عليّ بإمارة المؤمنين ، ولعله كان يرى في علي المظهر الإنساني للذات الإلهية مما يجعل القارئ يتصور أن الهدف من قول المنتجب هو عقد ع م س صريحًا كل الصراحة .

ويتفق كل من المنتجب والأدني في هجاء الصحابة البررة والتطاول على أم المؤمنين السيدة عائشة ، وسوف نعف عن ذكر نصوص التطاول على أم المؤمنين إجلالاً لمقامها الشريف ، ونضرب صفحًا عما وصف به الصحابة الكرام إكرامًا لمقامهم ، وإنما يستطيع القارئ أن يراجع النصوص في مصادرها إذا أراد [١] .

ليس مقصودنا إجراء مقارنة بين فكر المنتجب وعقيدته وبين ما جاء به صاحب الباكورة ، فذلك أمر يطول مداه ، وإنما نحن نريد أن المنتجب العاني لا يمثل العقيدة العلوية ذات الصفاء والسلامة والنقاء ، عقيدة شيعة آل البيت ، ولو تتبعنا أقواله وآراءه فيما جرى على لسانه شعرًا أو نثرًا وأردنا أن نجعل منه أنموذجا للعقيدة العلوية لكانت الشقة بعيدة بينهم وبين الإسلام .

ويتفق سلمان الأدنى مع المكرون السنجاري في ذكر أشخاص الصلاة ، وأعترف أنني حتى الآن ما فهمت أن هناك أشخاصًا للصلاة وأشخاصًا للصوم وأشخاصا للحج [٢] .

الحق أن المنتجب شاعر بارع متمكن موهوب ، أما أن يكون المنتجب نفسه ذا صلة

---

(١) المنتجب العاني ص ١٩٣ ، ١٩٤ والباكورة السليمانية ص : ٤٤ .

(٢) المكزون النجاري ٢ / ٢٧٠ والباكورة السليمانية سورة الفتح ص ١٨ ، ١٩ .

وثيقة بالديانين فهذا أمر يكون الرجوع عنه بكثير من اليسر في ضوء النماذج السابقة التي أوردناها كأمثلة على تفكيره وعقيدته ، خاصة إذا كان هذا الفكر يُلْصَقُ بالعلويين ويستهدف استكناه ما يرويه البعض حول عقيدتهم .

إن أولى قصائد ديوان المنتجب على الرغم من عمده فيها إلى الإلغاز والتخفّي والإغراق في المصطلحات الباطنية والوقوف وراء الرموز لم يستطع أن يكون بمنجاة عن اقتناص القارئ اللبيب لأهدافه ومعانيه . إن أولى قصائده ـ وكانت في مدح المهاجري ـ مطلعها :

إن كنت لي صاحبًا قف لي بهبّود	وقل لعينيك في إطلالها جودي
بني نمير رضاكم منتهى أملي	وأنتم دون خلق الله مقصودي
أيامكم فهي أيامي وقولكم	قولي ومعبودكم بالسر معبودي
وللحجاب سجودي مع سجودكم	وللعلي العظيم الشأن توحيدي
والباب سلمان منه أصل معرفتي	كما به طاب في الفردوس تخليدي

عن مستدرك الأعلام ص ١٩٥

وفي كتاب الإسلام في مواجهة الباطنية لأبي الهيثم نشر دار الصحوة نصوص كثيرة مأخوذة عن مخطوطات ينشر بعضها لأول مرة لا تخرج في فحواها عن هذا الخط .

١٤ ـ أشهر المؤلفات والمؤلفين في النصيرية : المؤلفون الخمسة الذين أدرجوا في التراث الكتابي للنصيرية في رأي ماسينيبون هم :

أ ـ المفضل الجعفي (المتوفى ١٨٠ هـ) يُلقب بالعالم وهو معتمد بوصفه راويًا للكتب المنسوبة للإمام جعفر الصادق أشهرها السراط والعقود والأساس والأشباه والأظلة وهي مخطوطات باريس .

ب ـ يونس أو يوسف بن ظبيان الكوفي له حقائق أسرار الدين .

جـ ـ محمد بن سنان الظاهري (متوفى ٢٢٥ هـ) له الأنوار والحجب .

د ـ جعفر بن محمد بن المفضل الجعفي . له آداب عبد المطلب .

هـ ـ أبو شعيب محمد بن نصير النميري البصري (متوفى ٢٧٠ هـ) له الأمثال والصور مخطوط باريس .

و ـ محمد بن حبان الجنبلاني (المتوفى ٢٨٧ هـ) له الإيضاح في سبيل النجاح .

أما مؤلفو النصيرية الأقدمون فهم .

١ ـ الخصيبي : (أبو عبد الله الحسين بن حمدان) ويلقب بالشيخ يبراق توفي في حلب ٣٥٧ هـ له الهداية الكبرى . أهداه لسيف الدولة ـ وكتاب المائدة والمجموع . وكتاب أسماء النبي وأسماء الأئمة وكتاب الإخوان .

٢ ـ والحلي محمد بن أحمد وله رسالة في باطن الصلاة وشرح المجموع والفتن والرتق وغيرها .

٣ ـ والقطيعي أبو الفتح محمد بن حسن البغدادي له الرسالة الاسمية .

٤ ـ والجسري علي بن عيسى له كتاب الأوحد .

٥ ـ وأبو ذهبية إسماعيل بن خلاد : من بعلبك وهو من الإسحاقية : له كتاب الفحص والبحث .

٦ ـ والشيخ الطبراني أبو سعيد ميمون بن قاسم : له مجموع الأعياد والحاوي والدلائل والرد على المرتد وغيرها .

٧ ـ أبو يعقوب إسحق النخعي الملقب بالأحمر ألف كتابا في التوحيد أسماه (الصراط) ملأه خرافات وتدجيلاً .

وأما مؤلفو النصيرية الحديثون : فمنهم الكركي علي بن الحسين له السر الخفي والإفادة في إيضاح الشهادة . ومحمد بن يونس كلازوجراني من أنطاكية له التأييد والجدول النوراني والباطن . والشيخ إبراهيم مرهج ، والشيخ حسين الأحمد همين تلميذ المرهج له البنية والزبدة والابتهالات والمنهل المورود وغنية السفر . والشيخ علي ماخوس له الوراثة . ومحمد أمين غالب الطويل الآدني متوفى ١٩٣٢ في اللاذقية وله تاريخ العلويين . وسليمان الآدني من أدنه كان نصيريًا ثم تنصّر بتأثير المبشرين الأمريكان ، جاء اللاذقية وألف فيها الباكورة السليمانية وطبعه المبشرون غير أنه سُحب من السوق وبسرعة ثم تظاهر أهله بالتسامح معه ودعوه للعودة إليهم ولما وصل إليهم حرقوه حيًّا لكشفه أسرارهم . كما ورد في دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي .

١٥ ـ **تشكيلاتهم الدينية** : يعتقدون أن الأجزاء الثلاثة (الاسم والمعنى والباب) لم تنته بعد انتهاء الرسالة بل بقيت متجسدة في أشخاص ثلاثة فظهر المعنى بصورة الإمام والاسم بولي عهد الإمام ، الذي سيحل محله بعد وفاته ، والباب هو الذي يقف بجانب الإمام يدعو له ويجمع الناس حوله ويبلغهم تعاليم الإمام .

فعلي بن طالب أبي بابه سلمان الفارسي ولقبه زوربة ، والحسن بن علي بابه قيس بن ورقة ولقبه سفينة ، والحسين بن علي بابه رشيد الهجري ، وعلي بن الحسين بابه عبد الله بن أبي غالب الكابلي (كنكر) ومحمد الباقر وبابه يحي بن معمر بن أم الطويل الثومالي . وجعفر الصادق بابه جابر بن بريد الجعفي . موسى الكاظم وبابه محمد بن أبي زينب الكاهلي . وعلي الرضا بابه المفضل بن عمر . محمد الجواد بابه محمد بن المفضل بن عمر . وعلي الهادي بابه عمر بن الفرات الملقب بالكاتب . الحسن العسكري بابه محمد بن نصير البصري النميري مؤسس المذهب النصيري أما محمد الحجة المهدي المنتظر فقد اختفى في زعمهم عام ٢٦٥ هـ .

رجال الدين عندهم أربع عشرة مرتبة فيقسمون إلى قسمين : الأول خمسة عشر ألف شخص يتكون منهم العالم العلوي النوراني الكبير وهم السماوات السبع وهم الكواكب التي تقع خارج درب التبانة وهم سبعة : الأبواب والأيتام والنقباء والنجباء والمختصون والمخلصون والممتحنون . والقسم الثاني منهم تسعة عشر ألف شخص يتكون منهم ، العالم النوراني الصغير وهم : الأرضون السبع مجموعة كنجوم في درب التبانة ، تتخلص أرواحهم من الهياكل البشرية وتتطهر من الأدناس بالتناسخ ، ثم تلبس الهياكل النورانية وتلتحق بالنجوم السماوية وتذهب إلى الجنة أما مراتبهم فسبعة كذلك هي : المقربون ـ الكروبيون ـ الروحانيون ـ المقدسيون ـ التابعون ـ المستمعون ـ اللاحقون .

١٦ ـ **أعيادهم** : أما أعيادهم فهي خليط من أعياد الديانات المختلفة كالنصرانية والهندوكية وغيرها وهي :

أ ـ عيد الغدير في ١٨ ذي الحجة وهو عيد عند الشيعة عامة ، وسر تقديسه في اعتقادهم أن النبي الكريم آخى في حجة الوداع بين الصحابة ولم يؤاخ بين علي وأحد منهم فرأى الرسول في علي انكسارًا لخاطره فضمه إلى صدره وقال له : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » والتفت إلى الصحابة وقال لهم : « من كنت مولاه فعلي

مولاه » وبيعة الغدير عند النصيرية هي ذكرى استخلاف النبي ﷺ لعلي وفيها كال الدين الذي عنته الآية الكريمة ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ .

وفي صبيحة هذا اليوم يصلون صلاة العيد ركعتين قبل الزوال ويلبسون الجديد ويذبحون الأغنام ويلحقون الأجانب بالأهل في الإكرام كا روي في صبح الأعشي .

ب - عيد الفطر : ويسمى عيد الفطاير يحتفلون به في ٦ كانون الثاني يناير بعد انتهاء الصوم الخاص بهم (عن الدسم) .

جـ - عيد الأضحى : يحتفلون به في الثاني عشر من ذي الحجة أي بعد احتفال المسلمين بيومين ، كا يحتفلون ليلة العاشر من ذي الحجة باعتبارها الليلة التي ولد فيها سيدنا علي بن أبي طالب .

د - عيد الفراش : وهي ذكرى جلوس سيدنا علي في فراش ابن عمه رسول الله ليلة الهجرة (رأس السنة الهجرية) .

هـ - عيد عاشوراء : في العاشر من محرم وهي ذكرى مصرع الحسين في كربلاء وهو عيد عند سائر الشيعة غير أنهم يعتقدون أن الحسين لم يمت بل اختفى كعيسى بن مريم .

و - عيد الغدير الثاني : في التاسع من ربيع الأول وهي ذكرى ضم الرسول للحسن والحسين في ردائه . وهو يوم المباهلة حيث اجتمع الرسول الكريم بوفد نصارى نجران وضم إليه أهله وقال ﴿ تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ﴾ والآية من آل عمران .

ز - عيد النوروز : أو العيد الجديد يحتفلون به في أول الربيع وهو عيد فارسي الأصل مدته ستة أيام . والظاهر أن بعض المسلمين قد تأثروا به في بعض الأقطار فشاركوا بالاحتفال به حتى مُنع في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

حـ - عيد المهرجان : في ١٦ تشرين الأول أكتوبر ويصادف أول الخريف . وهو عيد فارسي كذلك .

ط - عيد رأس السنة الميلادية : وهو عيد النصارى ويسمونه عيد (القُوزَلّة) يجتمعون فيه وهم سكارى ويطفئون الأنوار . كا يحتفلون بعيد البربارة وعيد الميلاد النصرانيين .

ي ـ عيد الصليب : يحتفل فيه النصيريون ويجعلونه بداية معاملاتهم كدفع الأجور وبدء الزراعة وقطف الثار ثم يتجهون إلى المعارض المقامة في الأديره لشراء لوازمهم كمعرض دير الحميراء في تكعاغ ويعرض دير مار الياس في صافينا كما يروي مصطفى الشكعة في الإسلام بلا مذاهب .

ك ـ عيد ليلة النصف من شعبان : ويعتقدون أن التجلي الأعظم سيكون فيها .

١٧ ـ طوائف النصيريين وعشائرهم :

أ ـ الحيدرية : نسبة إلى حيدر وهو لقب سيدنا علي رضي الله عنه .

ب ـ الشمالية : أو الشمسية ، وهم الذين يقولون إن عليًّا في السماء يسكن الشمس وإن الشمس هي محمد .

جـ ـ الكلازية : أو القمرية : يعتقدون أن عليًّا يقيم في القمر ويعتقدون أن الإنسان إذا شرب الخمر الصافية يقترب من القمر وينتسبون إلى الشيخ محمد بن كلازي .

د ـ الغيبية : يقولون إن الله تجلى ثم غاب والزمان الحالي هو زمان العودة . وهم يجردون الله من صفاته مثل الإسماعيلية .

أما من ناحية أصولهم القبلية : فيعتبر اليعقوبي أن أصل النصيريين المتواجدين في جبال النصيرية (جبل السمان سابقًا) تنحدر من القبائل اليمنية همدان وكندة ويزيد الهمذاني قبائل غسان وبهرا وتنوخ وهم ممن اعتنق المذهب الشيعي في وقت مبكر ، فلقد هاجرت غسان إثر الحروب الصليبية مع أميرهم الحسن بن مكزون وَهَوَ جدُ الحدادين ، وفرضوا سيطرتهم على جبل سنجار كما ورد في تاريخ العلويين للطويل إلى أربعة أقسام :

١ ـ الكلبية في قرداحة ومعهم عدة عشائر منها الرشاونة والرسالنة والنواجره والجلقية والقراطلة .

٢ ـ الخياطين في المرقب ومعهم عشائر أخرى . نسبة للشيخ علي الخياط . وتشمل : البساتره والخزرجية والسوارخة والعبدية والبغدادية .

٣ ـ الحدادين ومعهم المهالبة وغيرهم في سنجار . والحدادين نسبة إلى المعلم محمد الحداد

بن الأمير ممدوح السنجاري بن أخ الأمير محمد المكزون وهم أصل عشائر بني علي والمتاورة والمهالبة والدراوسة .

٤ ـ المتاورة (أو المتاولة) والنيلاتية قرب حلب والمتاورة نسبة إلى قرية متوار أول موطن نزل به المكزون .

ومن العشائر التي تنسب إلى أمكنة إقامتها : الرشاونة نسبة إلى قرية الرشية في جبل الشعراء ، والجردية نسبة لجرود الجبال التي سكنوها ، والفقاورة نسبة إلى قرية فقرو في جنوبي مصياف ، والمتاورة نسبة إلى قرية متوار وهي أول موطن نزل إليه المكزون ، والدراوسة نسبة إلى جبل دريوس وقد سبق القول أنهم من الحدادين .

ومن العشائر التي نسبت إلى صفة عرفت بها أو إلى شخص تولى زعامتها : عشيرة الغيبية أي الذين رضوا بما كتب عليهم في الغيب وانقادوا للمقادير ، وجماعة الجرانة لأنه حفروا أجرانا في الصخور حيث كانوا يدخرون الماء الذي يشربونه أيام انقطاعهم للدعاء ، ثم يتغلب اسم الكلازية على الجرانة نسبة إلى الشيخ محمد بن يونس كلازو ، من قرية كلازو التابعة لأنطاكية ، وبنفس الطريقة يتغلب اسم الحيدرية على الغيبية نسبة إلى الشيخ علي حيدر الذي تولى رئاسة الغيبية ، وهناك الماخوسية أو المواخسة نسبة إلى الشيخ على الماخوس الذي انشق على الكلازية واتبع الحيدرية فسمي الذين اتبعوه الماخوسية ، وهي اسم قرية في جهات اللاذقية . (عن تاريخ العلويين ٣٧٣ / ٤٧٤)

ومن أكبر العشائر العلوية عشيرة الكلبية ، وهم يسكنون قلب جبال العلويين في عديد من قراه ، وهي تضم الرشاونة والرسالنة والنواصرة والجلقية والقراطلة .

وواقع الأمر أن قضية العشائر العلوية قضية معقدة ، لأنها لا تخضع للنظام العشائري المعروف من حيث الانتماء العرقي ، وإنما هي مجموعات من القوم ارتبطت برباط الإقامة أو المصلحة المشتركة أو العقيدة أو الوشيجة الصوفية أو الحلف ضد الأخطار ، فإذا أخذنا مثلا عشيرة الدراوسة وجدنا نسبتهم إلى جبل دريوس حسبما مرّ بنا قبل قليل ، ولكنهم في نفس الوقت يمثلون فروعاً من الحدادية ـ وقد ذكر ذلك ـ والمهالبة وبني علي وفرعا من القراطلة ، وهؤلاء الأخيرون من الأتراك وليسوا عربا على عكس المهالبة وبني علي ، ويمكن القياس على ذلك في تكوين أكثر العشائر توزيعهم في البلاد الإسلامية كما ورد في

دائرة المعارف الإسلامية .

يستوطن في جبل العلويين (النصيرية) / ٢١٣٠٠٠ / نسمة حسب إحصاء عام ١٩٥٦

وفي لواء اسكندرون بتركيا / ٥٨٠٠٠ / نسمة . ومنهم فيلسوف القومية العربية / زكي الارسوزي) .

وفي محافظة حماة وحمص وبعض أحياء حلب وريف جسر الشفور وشمالي بحيرة الحولة / ٣٠٦٠ / نسمة (بانياس الفلسطينية وعين فيت) .

وفي فلسطين شمالي نابلس / ٢٠٠٠ / نسمة .

وفي قيلقية أوكيلكيا وطرسوس في تركيا / ٨٠٠٠٠ / نسمة . ويعرفون باسم التختجية والحطابون ويطلق عليهم في شرق الأناضول اسم القزل باشيه / .

وفي كردستان من إيران قبائل تتشابه عقائدهم مع النصيريين ويسمون بالنصريين ، أو (العلي الهية) كذلك . وفي البانيا باسم البكتاشية .

الأقليات وإحصاؤها في سورية حسب إحصاء عام ١٩٤٩ م

الطوائف	اللاذقية	حماة	حمص	السويداء
السنيون	٩٢١٣١	١٦١٩٣٢	٢٢٥٧٧٤	٢٠٠٠
النصيريون	٢٨١٧٩٨	٦٢٥٣٠	٥٧٥٧٢	
الإسماعيليون	٥٢٠٠	٣٣٥٥٧	٢٣٨	
الأرثوذوكس	٤٥٠١٥	٢٨٢٨٢	٧٢٤٩٥	
الكاثوليك	١٥٠٢	١٠٥٩	١٢٤٤٢	
بروتستانت	٣٢٨٠٦	٨٦٠	٢٦٤٢	
طوائف أخرى	٨٦٧٥	١٣٥٣	٧١٤٩	
الدروز	—	—	—	١٨٥٠٠

وأما بقية المحافظات فغالبية السكان الساحقة مسلمون سنيون .

فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية

هؤلاء القوم الموصوفون المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية : أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين ، مثل كفار الترك والإفرنج وغيرهم . فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت ، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ، ولا بأمر ولا بنهي ولا بثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ولا بملة من الملل السالفة ، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند المسلمين ويتأولونه على أمور يقرونها ويدعون أنها علم الباطن من جنس ما ذكر السائل ، ومن غير هذا الجنس فإنهم ليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته ، وتحريف كلام الله ورسوله عن مواضعه إذ مقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريق ، مع التظاهر بأن هذه الأمور حقائق يعرفونها هي من ما ذكر السائل ، ومن جنس قولهم أن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم والصيام المفروض كتمان أسرارهم وحج البيت العتيق زيارة شيوخهم ، وأن يدي أبي لهب هما أبو بكر وعمر وأن النبي العظيم والإمام المبين هو علي بن أبي طالب ، ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة ، فإذا كانت لهم مكنة (استطاعة) سفكوا دماء المسلمين كما قتلوا مرة الحجاج وألقوهم في زمزم وأخذوا مرة الحجر الأسود ، وبقي معهم مدة وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم وأمرائهم من لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وصنفوا كتبًا كثيرة فيها ، وصنف علماء المسلمين كتبًا في كشف أسرارهم وهتك أستارهم وبينوا ما هم عليه من الكفر والزندقة ، وبالإلحاد الذي هم فيه أكفر من اليهود والنصارى ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام . ويقول : إن التتار إنما دخلوا بلاد المسلمين وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين بمساعدتهم ومؤازرتهم . فإن منجم هولاكو سلطان التتار والذي كان وزيره هو النصيري الطوسي بآلاموت وهو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء ويقول : وهم إذا كانوا في بلاد الإسلام التي يكثر فيها أهل الإيمان قد يخفون على من لا يعرفهم ، وقد اتفق علماء الإسلام على أن مثل هؤلاء لا تجوز مناكحتهم ولا يجوز أن ينكح الرجل مولاته منهم ولا أن يتزوج منهم امرأة ، ولا تباح ذبائحهم ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ولا يصلي على من مات منهم أبداً ، فإن الله

نهى نبيه عن الصلاة على المنافقين كعبد الله بن أبي ونحوه ممن يتظاهرون بالصلاة والزكاة والصيام والجهاد مع المسلمين . ولا يظهرون مقالات تخالف دين المسلمين فقال تعالى : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره ﴾ فكيف هؤلاء الذين هم مع الزندقة والنفاق ويظهرون الكفر والإلحاد ويقول : وأما استخدام هؤلاء في ثغر من ثغور المسلمين أو حصونهم وجندهم فهو من الكبائر بمنزلة من استخدم الذئاب في رعي الغنم ، فإنهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمرهم ومن أحرص الناس على إفساد الملة والدولة ، فالواجب على ولاة الأمور قطعهم من الدواوين المقاتلة لا يغزو ولا يغيره ولا يجوز لهم تأخير هذا الواجب مع القدرة عليه . (عن فتاوى ابن تيمية) .

رأي من عرف عقائدهم من النصارى

رأي الدكتور فيليب حتى فيهم والوارد في كتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ الجزء الثاني يقول : إن مذهبهم مذهب سري الطابع كهنوتي النظام باطني التعليم ، وعن عقائدهم يقول : إن النصيرية شأن غلاة الشيعة يؤلهون عليًّا وهو فيما يرون آخر مراحل التجسد الإلهي وأهمها ، ويتمثل مذهب هذه الملة في آراء شيعية متطرفة ثابتة من أصل وثني ، أو هو بتعبير آخر رواسب من ملل سورية وثنية مغلفة بغلاف من التعليم الشيعي المنحرف ، ويقول : ويسمى النصيريون أحيانًا بالعلويين وقد اشتهروا بهذا الاسم عندما حول الفرنسيون هذه المنطقة إلى دويلة منفصلة سموها دولة العلويين عام ١٩٢٠ ، ويقول لامانس : إن النصيريين يشكلون فرقة غالية تذكرنا بأخلاق المجوس حيث يبيحون إشاعة البنات والأخوات والأمهات . لا يصلون ولا يتطهرون ولا يصومون ، وإذا ألزموا ببناء المساجد فإنهم لا يدخلونها ولا يعمرونها وربما أوت إلى المسجد مواشيهم ودوابهم ، وربما وصل إليهم الغريب فينزل في المسجد ويؤذن للصلاة فتقول له : لا تنهق علفك يأتيك (تحفة النظار ابن بطوطة) وخطط الشام ج ٣ ص ١٠٧ ـ ١٠٩ ويقول نولدكه في كتابه جوتينكان ص ٢٩ : وأدى بهم التأويل إلى نسيج سقيم من الأكاذيب والجهالات .

وفي المرجع السابق صفحة ١٥٢ يقول لا مانس بعد زيارته للشيخ الأعلى للنصيرية الحيدرية : ومما جعلني أشك في النظام الديني للنصيرية أن كثيرًا من طقوسهم وعباداتهم مبني على تشويه الآيات القرآنية ومسخها .

وفي المصدر السابق صفحة ١٢٢ يقول ايفاتو : لقد انتهى التأويل الباطني بالأحكام الشرعية إلى أن تتحول إلى حطام من السخف الذي لا ينطوي على معنى إذا صار كل حكم من أحكام الشرع يمثل رمزًا أو تجسيدًا لذات من الأشخاص . راجع الباكورة السليمانية ص ٣٧ . عن سالسبري يقول كولد زيهير في كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٣٣٨ ما يلي وهكذا أصبحنا لا نستطيع أن نتبين في مذهبهم قواعد الإسلام وأركانه وانتهى الأمر حقيقة إلى طمس معالم الإسلام وانحلال عقائده انحلالا تامًا .

رأس الشيعة الاثني عشرية بالنصيرية :

ولو رجعنا إلى المصادر الشيعية الاثني عشرية وتتبعنا رأيها في ادعاءات واعتقادات ابن نصير لوجدنا إجماعًا على بطلان هذه الادعاءات والاعتقادات ، وهذا سعد بن عبد الله القمي - المتوفي عام ٣٠١ هـ يقول : وقد شذت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته ، فقالت بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير النميري كان يدعي أنه نبي رسول ، وأن علي بن محمد العسكري أرسله ، وكان يقول بالتناسخ ، ويغلو في أبي الحسن (علي بن أبي طالب) ويقول فيه بالربوبية ، ويقول بالإباحة للمحارم ، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضًا في أدبارهم ، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل في المفعول به ، وأنه من الفاعل والمفعول به إحدى الشهوات والطيبات ، وأن الله لم يحرم شيئًا من ذلك ، وكان محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات [١] يقوي أسبابه ويعضده . أخبرني بذلك عن محمد بن نصير أبو زكريا يحيي بن عبد الرحمن بن خاقان أنه رآه عيانًا وغلام له على ظهره ، قال فلقيته فعاتبته بذلك ، فقال : إن هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبر [٢] . وهذا الرأي نجده أيضًا في كتاب فرق الشيعة للنوبختي المتوفى عام ٣١٠ هـ ، فيوافق القمي على قوله في ابن نصير [٣] . ويصف الفقيه الشيعي أبو جعفر الطوسي ابن نصير بالإلحاد والجهل [٤] .

---

(١) من المحتمل أن المقصود هنا الوزير ابن الفرات الذي سيأتي ذكره بعد قليل ، فقد كان بالفعل من المتعاطفين مع العلاة ، ولذلك سجن ثلاث مرات وقتل بعد ذلك .

(٢) كتاب المقالات والفرق / سعد بن عبد الله القمي ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٣) فرق الشيعة / الحسن النوبختي ص ٧٨ .

(٤) كتاب الغيبة / للطوسي ص ٢٤٤ .

والحقيقة أن محمد بن نصير لم يكن أول من زعم هذه المعتقدات ، فلو تتبعنا تاريخ الغلاة والباطنيين ، لوجدنا السبئية ـ أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي ـ أول من ادعى أن عليًا إله في الحقيقة ، ثم تبعهم في ذلك (بيان) الذي زعم أن جزءًا إلهيًا حل في علي ، واتحد بجسده وبه كان يعلم الغيب [١] . وجاء بعد البيان أبو الخطاب ، والذي يعتبر من الأصول التي اعتمد عليها ابن نصير ، فادعى أن الأئمة آلهة ، فلما بلغ ذلك جعفر الصادق لعنه وطرده ، فادعى الألوهية لنفسه بعد ذلك [٢] .

لمحة تاريخية عن نشأة المذهب النصيري ومؤسسيه

لقد اتخذ محمد بن نصير مدينة سامراء مقرًا له إلى أن هلك ٢٦٢ هـ ، وكان محمد بن نصير البصري النميري بابًا للإمام الحسن العسكري وبعد وفاة الإمام العسكري ووفاة أو غيبة ابنه محمد ـ حسب اعتقادهم ـ استقل ابن نصير بزعامة الطائفة وادعى لنفسه الخصائص التي كانت للأئمة من أهل البيت فجمع بذلك الباب والإمامة ، وبعد وفاة ابن نصير تولى الزعامة من بعده محمد بن جندب ، ومن بعده أبو محمد عبد الله ابن محمد الجنان الجنبلاوي الفارسي نسبه إلى جنبلان في العراق العجمي وكان عالمًا بالفلسفة والنجوم والتصوف وبقية علوم عصره . وقد أحدث النصيريون طريقة خاصة بهم نسبوها للجنبلاوي سموها الطريقة الجنبلانية وكان الجنبلاوي معاصرًا للجنيد بن محمد بن حبيب الخراز البغدادي الصوفي . سافر الجنبلاوي إلى مصر وتعرف فيها بالحسين بن حمدان الخصيبي المصري وضمه إلى طريقته واصطحبه معه إلى جنبلان حيث صاحبه بقية حياته ، واستلم رئاسة الطائفة من بعده ، ثم رحل الخصيبي إلى بغداد حيث قام بمعظم أعماله الدينية وألف كتابًا أسماه ـ زست باش ـ أهداه إلى تلميذه عضد الدولة ابن بويه ويعرف عند النصيريين باسم الرسالة الرستباشية ومعناه الطريق إلى الاستقامة . وفي بغداد نظم الخصيبي طريقته الجنبلانية ومذهبه النصيري وعين وكلاء عنه لقيادة الطريقة والمذهب ، ثم سافر إلى خراسان وبلاد الديلم ومضارب بني ربيعة وتغلب لنشر أفكاره وجمع الأنصار حوله . ثم ازدادت جذور التصوف عمقًا عند المنتجب العاني والمكزون السنجاري وغيرهم من زعماء النصيرية .

---

(١) الملل والنحل / الشهرستاني جـ ٢ ص ١١ على الهامش ، والفرق بين الفرق / البغدادي ص ٢٥٥ .

(٢) كتاب المقالات والفرق / سعد القمي ص ٦٣ .

لقد تمكن البويهيون من التسلط على مركز الخلافة العباسية سنة ٣٣٤ هـ وكانوا كسائر المواطنين الفرس والديلم يعتنقون المذهب الزيدي إلا أنهم لأسباب سياسية أعلنوا المذهب الشيعي الاثنى عشري مذهبًا رسميًّا للدولة ، وقد رافق هذا الحدث تحول فكري أدى إلى التواصل والتفاعل بين التشيع والاعتزال بلغ غايته في وزارة الصاحب بن عباد الذي ورث الاعتزال عن والده ، فنتج عن ذلك نشاط علمي قام به صفوة علماء الاثنى عشرية أمثال ابن بابويه القمي والشيخ المفيد والشريف الرضي والمرتضي علم المهدي لتحديد معالم المذهب ورفع الاشتباه بينهم وبين المذاهب المتداخلة معه . بعد هذا التطور السياسي والفكري اضطرت الجماعات الغالية التي كانت تدعي التشيع زورًا وبهتانًا إلى الانتقال إلى بلاد الشام ، علها تبعد عن رقابة فقهاء الإمامية ، وخاصة بعد أن فقدت وزيرها ابن الفرات الذي عرف بنزعته الباطنية وبانتمائه للقرامطة ، والتي سوغت له ادعاء الوحي والنبوة كما ورد في صفحة ٣١٣ من كتاب الوزراء للصابي ، دخل الخصيبي دمشق فلم يرتح لها ولم يجد فيها مبتغاه فغادرها بعد أن ذم أهلها في قصائده ، واستقر في حلب وألف كتابه الهداية الكبرى وقدمه هدية إلى سيف الدولة الحمداني وبقي في حلب حتى توفي ٣٤٦ هـ ، ودفن شمالي حلب ولا يزال قبره حتى الآن معروفًا باسم قبر الشيخ يابراق ، ويعتقد النصيريون أن الخصيبي هو الإمام العظيم الذي نفخ فيهم روحًا عالية رفعتهم من حضيض الأسر والهوان إلى الاستقلال والحاكمية . كما ورد في كتاب تاريخ العلويين ص ١٩٥ وفي صفحة ١٩٩ ، ٢٠٠ يقول : لقد دأب الخصيبي ووكلاؤه في الدين إرشاد بعض أفراد من بقية الأديان إلى دينهم ، وهؤلاء يبقون بصفتهم مسلمين شيعة أو جعفرية والذين يشاهد فيهم الكفاءة يدخلهم في الطريقة الجنبلانية التي استحال أفرادها في يومنا هذا إلى الشعب العلوي النصيري الذي أصبح يملك سجايا وميزات نبويّة تقارب جميع الطوائف العربية والتركية من مسيحية ويهودية .

فقد كان للخصيبي وكلاء في العراق والشام وله تلاميذ من الملوك والأمراء من بني بويه وبني حمدان والفاطميين ، لذا كانوا يسمونه شيخ الدين . مما تقدم يتضح أن الخصيبي كان يتظاهر بتشيعه لآل البيت ويكتم نصيريته حتى إذا وثق من أتباعه أدخلهم في الطريقة الجنبلانية ومن ثم ينقلهم إلى دين الطائفة النصيرية .

بعد وفاة الخصيبي نشأ للنصيريين مركزان أحدهما في بغداد يرأسه السيد علي الجسري

ناظر جسور بغداد والذي انقرض بعد حملة هولاكو على بغداد ، والثاني في حلب يرأسه محمد بن علي الجلي الذي استلم رئاسة الطائفة بعد أبي سعيد الميمون سرور بن قاسم الطبراني فنقل مركزه إلى اللاذقية عام ٤٢٣ هـ وبقي فيها حتى توفي عام ٤٢٦ هـ وله مقام في مسجد الشعراني باللاذقية معروف باسم قبر الشيخ محمد البطرني أو الطبراني . والجلي نسبه إلى جلية قرب أنطاكية حيث تضم زعيم الفرع الجيلاوي من النصيرية ، حتى اليوم . حين انتقل أبو سعيد الميمون إلى اللاذقية كانت جبلة مركزًا للإسحاقية وهي فرقة باطنية غالية تنتسب إلى أبي يعقوب إسحاق النخعي الملقب بالأحمر لأنه كان يستر برصه بصبغة حمراء . ألف كتابًا أسماه الصراط وجعل موضوعه التوحيد أكثر فيه من الخلط والزيغ (كما في تاريخ بغداد وتاريخ العلويين والبداية والنهاية) والذي تولى الزعامة بعده الأعسر ثم اللقيني ثم الحقيني ثم إسماعيل بن خلاد - الملقب بأبي ذهيبه لكثرة غناه - ولما نقل أبو ذهيبة مركز إقامته إلى اللاذقية خاف منه أبو سعيد الميمون الطبراني . وتصادف قدوم جماعة من عشيرة الهلاليين مهاجرين بزعامة الأمير دياب بن غانم طلبًا للكلأ ، فنزلوا على ضفة نهر العاصي الغربية فاستعان بهم أبو سعيد الميمون الطبراني لقتل إسماعيل بن خلاد أبو ذهيبة زعيم الإسحاقية . فقتلوه عام ٢٤٥ هـ وله قبر في اللاذقية يعرف بقبر الشيخ قرعوش وبقتله انحلت زعامة الإسحاقية وانفرد ابن ميمون بزعامة الطائفة وبعد وفاة أبي سعيد الميمون الطبراني تناوب على رئاسة الطائفة عدة مشايخ إلى أن جاء الأمير حسن المكزون السنجاري إلى اللاذقية بناء على طلب الشيخ محمد اليانياسي والشيخ على الخياط اللذين شرحا له مضايقة الأكراد والأتراك لهم فزحف لجيش قوامه خمسة وعشرون ألفًا وعسكر قرب قلعة أبي قبيس على جبل الكليبة فتنبه الأكراد والأتراك لخطره فتجمعوا في مصياف وأغاروا عليهم فهزموهم فرجع إلى سنجار وبعد ثلاثين عامًا أغار على جبال النصريين واتخذ قلعة أبي قبيس مقرًّا هدفيًّا له وقرية سيانو قرب جبلة يقرأ شفويًّا ثم بدأ للتأليف في قواعد المذاهب حتى هلك عام ٦٣٨ هـ ودفن في كفر سوسة وصار قبره مزارًا للجاهلين .

وفي الأسماء الكبيرة التي تولت رئاسة العلويين أبو الحسن الطرسوسي الصغير المتبتل العابد الزاهد الصائم وأبو الحسن الطرسوسي الكبير .

كان أبو سعيد الميمون الذي ولد في طبرية أعظم رجل بعد الخصيبي ألف كتبًا عديدة

في المذهب وكان مشهورًا بالسباب على الشيخين وأتباعهما ، ثم انفرط عقد الطائفة من بعده لعدم وجود من يحل محله في العلم والقيادة ، وبقي للطائفة مجلسهم الطائفي الذي يخطط للوصول إلى الحكم ، كما وأن لجوءهم إلى الجبال الحصينة في محافظة اللاذقية ليؤكد شعورهم بالعزلة الدينية أولاً بسبب احتقار المسلمين لهم في وقت يعتبرون فيه أنفسهم شعب الله المختار ، كما يؤكد عزلتهم عن المجتمع الذي ناصبوه العداء فكانوا مع الغزاة ممن يكيدون له ولوطنه ولعقيدة شعبه .

أ ـ مواقفهم من القضايا القومية والوطنية :

أول هذه المواقف تواطؤهم مع الصليبيين ضد العرب والمسلمين ، إذ الثابت كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في رسائله : إن السواحل الشامية إنما استولى عليها الصليبيون من جهتهم ولتأكيد صلتهم بالغزاة ، ورد قول محمد كرد علي في خطط الشام ص ٥٣ : (دبروا محاولة مزدوجة لقتل البطل صلاح الدين الأيوبي وإنهاء حياته ولو وفقوا لقتلوا أمة بأسرها) ويعترف محمد أمين غالب الطويل بأن مدينة أنطاكية سقطت بعد الصليبين بفعل الاتفاق والذي وقع بين الزعيم النصيري فيروز وبين قائد الصليبين بوهموند .

وفي تحفة النظار ص ٦٥ ورد ما يلي : (عندما تصدى الملك الظاهر بيبرس لحملات التتار المغول وأفلح في صدّ اجتياحهم الأسود للبلاد العربية كان النصيريون عونًا للتتار ولم يتمكنوا من دخول حلب ودمشق إلا بمؤازرتهم ، ولما انتهى الظاهر بيبرس من التتار عام ٦٧٦ في عين جالوت توجه إلى حصون النصيرية فعمل فيها هدمًا وتخريبًا . يقول ابن تغري بردي : ثم خرج الظاهر من دمشق يوم السبت عاشره وتوجه بطائفة من العسكر بجهة وولده ويبليك الخازندار بطائفة أخرى إلى جهة ، وتواعدوا الاجتماع في يوم واحد وبمكان معين ليشنوا الغارة على جبلة واللاذقية والمرقب وعزفة ومرقية والقليعات وصافيتا ومجدل الطرطوس ، ويتم في رحلة ابن جبير ثم ألزمهم ببناء المساجد وتعميرها علّهم يعودون إلى دين الإسلام ، ثم لم يلبثوا أن تركوها خربة لا يدخلونها ولا يعمرونها وربما أدت إليها مواشيهم وربما أدى إليها مستطرق فأذن فيها فيقولون له لا تنهق علفك يأتيك (النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٥٠) .

ثم أعادوا الكرة فحمل عليهم المنصور سيف الدين بن قلاوون حملة شديدة وأمرهم بتشييد المساجد والإنفاق عليها ، ورد في البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الجزء الرابع

الصفحة ٥٣ ما يلي :

وفي مطلع القرن الثامن للهجرة عام ٧٠٧ هـ خرجت النصيرية عن الطاعة وقام بينهم رجل اسمه محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله ، فكان تارة يدعي أنه علي بن أبي طالب وتارة يدعي أنه محمد بن عبد الله صاحب البلاد ، تزعم شن حملة من التكفير على المسلمين فتبعه الكثيرون من النصيرية ثم هاجموا المسلمين في مدينة جبلة فقتلوا الكثيرين من أهلها وهم يصيحون لا إله إلا علي ولا حجاب إلا محمد ولا باب إلا سلمان ، وأمر أصحابه بتخريب المساجد واتخاذها خمارات وسبوا الشيخين وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين : قل لا إله إلا علي واسجد لإلهك المهدي الذي يحيي ويميت حتى يحقن دمك . ويقول صاحب كتاب تاريخ العلويين ص ٣٢٨ وهو نصيري لاذقاني : ثم سافر تيمور إلى الشام وهو كمصيبة سماوية وقبل سفره جاءت هذه العلوية ـ درة الصدف ـ بنت سعد الأنصار ومعها أربعون بنتًا بكرًا من النصيريين وهي تنوح وتبكي وتطلب الانتقام لأهل البيت ، وسعد الأنصار هذا هو من رجال الملك الظاهر ، فوعدها تيمور بأخذ الثأر ومشت معه إلى الشام والبنات النصيريات معها تنوح وتبكي وينشدن الأناشيد المتضمنة للتحريض والأخذ بالثأر ، فكان ذلك سيجيء للشام بمصائب لم يُسمع بمثلها . ويقول : (ولم ينج من بطش تيمورلنك بالشام إلا عائلة واحدة من المسيحيين وأمر تيمور بقتل أهل السنة واستثناء العلويين النصيرين وبعد الشام ذهب تيمور إلى بغداد وقتل بها تسعين ألفًا) .

وتشير ملفات السياسة للدولة العثمانية في كتاب باش وكالة أرشيفي مهمة دفتري ٧٠ و ٨٠ إلى ما يلي : أن التدابير الوقائية التي تعتمدها السلطنة ضد النصيريين كان دافعها وباستمرار تحقق العثمانيين من وقوف النصيرية إلى جانب الفرس ؛ ذلك لأن الشيخ جنيد الجد الأعلى للشاه إسماعيل الصفوي كان قد أقام ردحًا من الزمن في قلاع النصيرية القريبة من جبل أرسوس بخليج إسكندرون . ودخل في علاقات مصاهرة وزواج معهم كما أكدت ذلك دائرة المعارف الإسلامية . لذا أرسلت الدولة العثمانية أكثر من حملة ضدهم لأنهم كانوا رديفًا يعين الصفويين الفارسيين في حربهم ضد السلطنة ، وكانت المعركة الفاصلة بينهم معركة جالديران عام ١٥١٤ انتصر فيها ياروز سليم على الصفويين وأنصارهم من النصيريين .

ويبرر محمد أمين غالب الطويل خيانتهم في كتابة التاريخ العلوين يقول :

ولما كان لابد للضعيف المظلوم من التوسل والخيانة لكي يحافظ على حقوقه أو يستردها وهذا أمر طبيعي يساق إليه كل إنسان كان العلويون كلما غصب السنيون حقهم يتوسلون بغدر السنين عند سنوح الفرصة . إن كارثة بغداد عام ٦٥٦ هجرية حيكت بيد الوزير الباطني ابن العلقمي ومساعده ابن أبي الحديد والرافضي النصير الطوسي الذي ما زال يتزلف لهولاكو حتى أصبح مستشاره المفضل .

مواقفهم في عهد الانتداب الفرنسي : سكن النصيريون جبال اللاذقية المنيعة وقلاعها الحصينة ، كقلعة صهيون قرب الحفة وقلعة المرقب قرب بانياس وقلعة الحصن قرب تلكلخ مما ساعدهم في الحفاظ على شخصيتهم الانعزالية وعقيدتهم الطائفية وتعصبهم لبعضهم كأقلية . ومما شجعهم بالتالي على التعاون مع القوى الخارجية الغازية في سيطرتها على سكان البلاد الأصليين [١] ولئن شجع المجلس الملي النصيري أتباعه على النزوح للمدن بغية تضليل المسلمين والسيطرة عليهم ، إلا أن الغالبية العظمى ظلت محتفظة بطابعها الطائفي وبعزلتها الشعورية وبولائها لكل مستعمر دخيل . ورد في كتاب تطور الحركة الوطنية لزوقان قرقعط « درزي قومي » .

ففي كانون أول ١٩١٢ م صرح بوانكاريه رئيس وزراء فرنسا في البرلمان الفرنسي آنذاك قائلاً : لست بحاجة أن أقول للمجلس : إن لنا في لبنان وسورية مصالح تقليدية وأننا لعازمون على جعلها موضع احترام .

ولكي لا تتداخل خارطة التجزئة الفرنسية مع خارطة التجزئة البريطانية كانت الاتفاقات التي تمت بينهما بعد الحرب العالمية الأولى تهدف إلى الحفاظ على حصة كل منهما ، فلقد استثنت بريطانيا في مراسلاتها مع الشريف حسين المناطق الداخلة في حصة فرنسا والتي منها منطقة النصيريين في اللاذقية والإسكندرونة وبيروت ، كما تم الاتفاق بين لويد جورج وكليمنصو على أن يتم انسحاب الإنكليز من كليلكية وسورية وجبل لبنان في ١ تشرين الثاني ، على أن يحل محله الجيش الفرنسي والذي انتشر بالفعل في الساحل السوري وكليلكية ، كما انتشر الجيش العربي في دمشق وحمص وحماة وحلب ،

---

(١) لقاء حمايتهم وبسط نفوذهم بدعم السلطه المستعمرة .

وقد أثار هذا الاتفاق مشاعر الغضب والاحتجاج لدى الملك فيصل والحركة الوطنية . وسافر فيصل إلى باريس في ٢٠ تشرين الأول ١٩١٩ لإجراء محادثات تهدف إلى وحدة القطر السوري واستقلاله ، ولكن الجنرال غورو المفوض السامي الفرنسي في بيروت أرسل إلى فرنسا يحذرها من التساهل مع فيصل لعدم رغبة النصيريين بالاتحاد مع السوريين ، فقال في برقيته كما ورد في كتاب بلاد الشام للكوثراني ص ٢١١ ما نصه : وأفيدكم بهذا الصدد أن النصيريين الذين يستيقظ حسهم الإقليمي الذاتي قد ساعدوني كثيرًا في قمع الفتنة التي أثارها الشريف حسين في منطقة تلكلخ ، ولقد تلقيت برقية تفيد أن ٧٣ زعيمًا نصيريًّا يتحدثون باسم جميع القبائل يطالبون بإنشاء اتحاد نصيري مستقل تحت حمايتنا المطلقة .

وبانتهاء الحرب قسم الفرنسيون سوريا إلى ثلاث حكومات منتدبة هي : حكومة بيروت وحكومة اللاذقية وحكومة الإسكندرونة . أما بالنسبة لحكومة اللاذقية فقد ضمت إليها كافة النصيريين الملحقين بريف المحافظات المجاورة حماة وحلب وحمص . وجعلت لها كيانًا مستقلاً وسمتهم باسم حكومة العلويين وذلك بتاريخ ١ / ٩ / ١٩٢٥ . وذلك تغطية لواقع هذه الطائفة الغريبة عن المجتمع السوري ؛ وذلك استجابة لرغبة النصيريين أنفسهم كما يذكر يوسف الحكيم في كتابه سورية والعهد العثماني ص ٦٨ ، لقد أشار الملك فيصل على رجال الحركة الوطنية ضرورة عقد مؤتمر يضم ممثلين عن سوريا بمناطقها الثلاث يهدف إلى إثبات رغبة الشعب السوري في الوحدة والتحرر .

ويقول الحكيم الذي شغل مناصب وزارية في عهد فيصل في الصفحة ٩٩ من المرجع السابق : إن النصيرية أخلصوا للانتداب الفرنسي ولم يبعثوا بنائب عنهم إلى المؤتمر السوري ويبرر موقفهم بأنه كان متفقًا مع مزية العرفان بالجميل حيث شملهم الفرنسيون بالعناية والعدالة والعطف البارز .

وقد يتوهم البعض بأن ثورة صالح العلي النصيري كانت بدافع الوطنية مما يدل على وجود وطنيين بينهم وخونة كغيرهم من الطوائف الأخرى ولكن المطلعين على تاريخ هذه الطائفة ليدللون على أنها لم تكن لدافع وطني بل كانت بدوافع شخصية وحجتهم في ذلك :

١ ـ أن ثورة صالح العلي كانت محصورة في منطقته ولم تعم كافة مناطق النصيريين .

٢ ـ يقول محمد كرد علي في خطط الشام ج ٣ ص ١٧٤ ، ١٧٥ : أما مبعث ثورة صالح العلي ، فإن الدراسة التحليلية لها قادتنا إلى القول بأنها ترتبط أساسًا بالصراع الذي كان قائمًا بين النصيريين والإسماعيليين ، وهو صراع قديم اشتد حين استولى الإسماعيلية على بلدة القدموسي التي تعد من أهم مراكز النصيرية ، وكان صالح العلي يشن هجماته عليها لطرد الإسماعيلية منها ، ولما جاء الفرنسيون وتحالفوا مع الإسماعيليين فكان طبيعيًا أن يهاجم صالح العلي الإسماعيلية وحلفاءهم الفرنسيين .

٣ ـ استغلت الحكومة العربية برئاسة الملك فيصل النزاع القائم بين صالح العلي وخصومه الإسماعيليين وحلفائهم الفرنسيين ، فعينته نائبًا عن جبل النصريين لقاء تعاونه معهم كما اتصلت به حركة الاتحاديين في تركيا وأمدته بالسلاح لتضغط على فرنسا فتجبرها على الانسحاب من كيلكيا وتقطع كل صلة لها بالعروبة والإسلام وكان لها ذلك حيث انسحبت فرنسا من كيلكيا عام ١٩٢٠ م .

٤ ـ وما أن تخلى الاتحاديون عن صالح العلي بعد انسحاب فرنسا من كليكية واشتدت هجمات الفرنسيين على صالح العلي حتى استسلم عام ١٩٢١ م بعد وساطة زعماء النصريين دون أن يمسوه بأذى بينما أعدموا كل من وقع في أيديهم من قادة الجهاد الوطني من المسلمين .

٥ ـ وقامت الثورة السورية في المحافظات عام ١٩٢٥ واستمرت حتى عام ١٩٢٧ م ولم تحرك نداءات المجاهدين وقادة الحركة الوطنية الشعور القومي والوطني لدى صالح العلي ، مما يؤكد أن ثورته لم تكن بدوافع وطنية بل بدوافع شخصية وطائفية ، ولو كانت بدوافع وطنية لاستجاب صالح لنداءات المجاهدين ولضم جهوده إلى جهودهم . ولكن صلحه مع المستعمرين أخمد في نفسه رغبته في تحرير وطنه ، ولم يبق في الميدان سوى رجال الحركة الوطنية يتجاوب معهم كافة أفراد الشعب المسلم ، وتحرك يوسف العظمة وزير الحربية السوري ليقاوم زحف الجيش الفرنسي في معركة غير متكافئة القوى ، نال خلالها شرف الشهادة في الوقت الذي كان فيه صالح العلي يعلن ولاءه للمستعمرين ، واضمحلت روحه الوطنية التي تتاجر بها طائفته والجاهلون ممن حولهم .

وفي استعراض ميليران رئيس وزراء فرنسا لخطته المرسلة ببرقيته بتاريخ ٦ آيار سنة ١٩٢٠ يقول : وبالنسبة لهؤلاء المقيمين في المنطقة الساحلية ، والذين يتكلمون جميعًا اللغة

العربية فيشكلون جماعة دينية مرتبطة نظريًا بالإسلام لكنها في الواقع منفصلة عنه تمامًا ويجب أن لا تندمج بالمسلمين .

وجاء قرار غوروا في أيلول ١٩٢٠ كما يقول يوسف الحكيم في كتاب الوثائق التاريخية ص ٢٥٤ وثيقة رقم ٤٣ : (إنه لما كان النصيرية قد صرحوا جليًا ومرارًا بآمالهم بأن يكون لهم إدارة قائمة بذاتها تحت رعاية فرنسية ؛ لأجل ذلك يجب أن تنشأ مقاطعة تجمع أكثرية هؤلاء ليتاح لهم أن يواصلوا السعي في سبيل مصالحهم السياسية والاقتصادية ، وتحقيقًا للأماني التي صرحوا بها) وأصر الفرنسيون على تقسيم سوريا إلى دويلات طائفية ، فسموا جبل العرب بحكومة الدروز وحكومة اللاذقية بحكومة العلويين ، وضمت إليها أقضية صهيون وجبلة وبانياس وصافيتا ولواء طرابلس الشام القديم ومصياف وطرطوس بلغت مساحتها آنذاك حوالي سبعة آلاف كيلو متر كما ورد في كتاب بلاد الشام ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ للكوثراني .

وما أن بدأت فرنسا تتخذ سلسلة الإجراءات التمهيدية للاعتراف باستقلال سوريا حتى تقدم زعماء النصيرية بمذكرتهم إلى الحكومة الفرنسية يطالبون بالإبقاء على انفصال منطقتهم ، ففي الوثيقة ١٢٤ من وثائق الخارجية الفرنسية ذكر المفوض السامي بونسو في خطابه لوزير الخارجية بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٣٣ م أن وفدًا من وجهاء النصيرية برئاسة رئيس المجلس التمثيلي في اللاذقية وصل بيروت لإبداء وجهة نظره بالوحدة السورية ، وقد حدد رئيس المجلس موقفه بقوله : إننا لا نريدها بل على العكس نعارضها فالسوريون يعادوننا من الوجهة الدينية وأكدوا معارضتهم حتى لاتحاد كونفدرالي .

وفي مذكرة بتاريخ ١٢ مارس ١٩٣٣ تحمل اسم محمد سليمان الأحمد الابن الأكبر للشيخ سليمان الأحمد والمعروف باسم بدوي الجبل جاء فيها : أن النصيريين ليسوا بمسلمين ، ويذكر العالم الشهرستاني الذي يشكل أكبر موسوعة في الأديان يذكر في كتابه الملل والنحل أن النصيرية من المذاهب الإلحادية ولا صلة لهم بالدين الإسلامي وأن تسمية أنفسهم مسلمين محض افتراء لجئوا إليه لتغطية زندقتهم .

وعن ثورة الشيخ صالح العلي تقول المذكرة : إنها حتمية نتيجة سوء التفاهم بادئ الأمر ، لكن الفرنسيين استثمروا هذه الثورة استثمارًا نبيلاً حيث شملوا زعيمها بالعفو

وعاملوه معاملة نبيلة . ثم حددوا موقفهم من الوحدة السورية بقولهم : إننـا نعلن تمسكنـا بالاستقلال وإننا نرى في فرنسا منقذتنا في هذا المجال / وثيقة ٢٠٥ / .

أما الوثيقة ٤٩٢ والمؤرخة في ٨ حزيران ١٩٣٦ فقد جاء فيهـا مـا يلي : لقـد جـاءت حكومة الانتداب إلى بلادنا ونحن مستقلون عن كل سلطة بقوة سلاحنا ومنعة جبالنـا ، هذا الأستقلال الغريزي دفع فريقًا منا بـادئ الأمر إلى محـاربـة الجيش الفرنسي ، ولكن الفريق الأكبر منا وثق بشرف فرنسا ، فوضعنا أيدينا بيد الانتداب الذي قـدر لنـا هـذه الثقة فحفظ لنا استقلالنا ونظمه ، ومنذ ذلك الحين أخلصنا لفرنسا إخلاصًا لا حـد لـه ، وزاد هذا الإخلاص أن جميع المفوضين السامين كانوا يصرحون ويعدون باسم فرنسا بضمان هذا الاستقلال وحمايته ، وكنا نتقبل هـذه الوعود والتصريحـات كما نتقبل كلام الله ، وكم كانت دهشتنا عظيمة حين رأينا الفرنسيين ولأول صدمة يتلقونهـا من السوريين يتنـاسون جميع وعودهم السابقة ويعدون السوريين بـإمكانيـة إلحـاقنـا بسوريـا . إننـا لا نسمح حتى لفرنسا الكريمة المحسنة أن تتصرف باستقلالنا وتهبه هدية لمن تريـد ، متنـاسيـة إخلاصنـا وتضحيتنا وثقتنـا من جهـة ووعودهـا وتـأكيـداتهـا من جهـة أخرى ، وفي الملف ٤٩٣ من سجلات الخـارجيـة الفرنسيـة يسجل كتـاب رئيس حكومـة النصيريين النصيريين إبراهيم الكنج المؤرخ في ٢٥ / ٦ / ١٩٣٦ ، إلى وزير خارجية فرنسا يقول فيه :

كانت فرنسا وعدتنا بالاستقلال تحت حمايتها وقد حافظت على هذا الاتفاق ونظمتـه خـلال الست عشرة سنـة المـاضيـة ، ونحن لا نرى إلا أنهـا تنسى التزامـاتهـا ومهمتهـا التحريرية عندما توافق الآن على التضحية بنا إلى أعـدائنـا القـدمـاء ، خلافًـا لمصلحتهـا ومصلحتنا ولأجل أن أثبت حسن نوايانا واهتمامنا بالمصلحة العامة وفي حالـة الاستحـالـة كليًا للإبقاء على استقلالنا من وجهة النظر الـدوليـة فنحن نوافق على بحث اتحـاد دولتنـا مع لبنان البلد الجار الذي يتألف مثل بلادنا من أقليات سنتوصل دون شـك إلى التفـاهم معها وسنعرض مبررات هذا الاتحاد اللبناني النصيري بما يلي :

١ ـ أن البلدين كانا مرتبطين بولاية بيروت في العهد العثماني .

٢ ـ كان لهذين البلدين صلات اقتصادية واسعة .

٣ ـ التشريعات الواردة في حكومة اللاذقية وحكومة لبنان بخلاف التشريعات السوريـة .

٤ ـ يتألف لبنان من أقليات دينية وهذا يشبه حكومة اللاذقية .

٥ ـ باتحاد حكومة اللاذقية ولبنان سيصبح لبنان الوطن الأوسع للأقليات في كل المشرق فيصبح عدد نفوسه ما يقارب ١,٧٠٠,٠٠٠ .

وفي الملف ٤٩٣ تشير الوثيقة ٨٥٢ إلى ما يلي : أن المجلس التمثيلي لدولة العلويين الذي يضم سبعة عشر عضوًا وفق عدد السكان إلى اثنى عشر عضوًا نصيريًا يؤيدون الاستقلال خمسة منهم يؤيدون الوحدة مع سورية ومن هؤلاء الخمسة ثلاثة مسلمين سنيين واثنان نصيريان.

أما الوثيقة ذات رقم ٣٥٤٧ في وزارة الخارجية الفرنسية والتي وقع عليها سليمان الأسد ومحمد سليمان الأحمد ، ومحمود أغا حديد ، وعزيز أغا هواش ، وسليمان مرشد ، ومحمد بك جنيد ، وفيما يلي نص هذه الوثيقة نورده لأهميته :

« دولة ليون بلوم ، رئيس الحكومة الفرنسية : إن الشعب العلوي الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس ، هو شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم (السني) . ولم يحدث في يوم من الأيام أن خضع لسلطة من الداخل .

إننا نلمس اليوم كيف أن مواطني دمشق يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم على عدم إرسال المواد الغذائية لإخوانهم اليهود المنكوبين في فلسطين ، وإن هؤلاء اليهود الطيبين الذين جاءوا إلى العرب المسلمين بالحضارة والسلام ، ونثروا على أرض فلسطين الذهب والرخاء ، ولم يوقعوا الأذى بأحد ، ولم يأخذوا شيئًا بالقوة ، ومع ذلك أعلن المسلمون ضدهم الحرب المقدسة بالرغم من وجود انكلترا في فلسطين وفرنسا في سوريا .

إننا نقدر نبل الشعور الذي يحملكم على الدفاع عن الشعب السوري ورغبته في تحقيق استقلاله ، ولكن سوريا لا تزال بعيدة عن الهدف الشريف ، خاضعة لروح الإقطاعية الدينية للمسلمين .

ونحن الشعب العلوي الذي مثله الموقعون على هذه المذكرة ، نستصرخ حكومة فرنسا ضمانًا لحريته واستقلاله ، ويضع بين يديها مصيره ومستقبله ، وهو واثق أنه لابد واجد لديهم سندًا قويًا لشعب علوي صديق ، قدم لفرنسا خدمات عظيمة » (عن العلويون أو

النصيرية ص ٥٥ و ٥٦) .

النصيريون والنصيرية في العصر الحديث

من المبالغة أن تقول بأن النصيريين اليوم يدينون كلهم بالمذهب النصيري الذي عرضنا تعاليمه . ومن الخطأ أن نقول بأن صلتهم قد انقطعت بهذا المذهب . إذ من الواضح أن المذهب قد تشكل لأهداف سياسية وطالما وجد بين شعب مسلم كان لابد له من أن يأخذ صبغة دينية حتى يحافظ على أنصاره وأعوانه .

وقد ساعد تفشي الجهل بين هذه الطائفة على رواج هذه الخرافات والأباطيل التي تنتهي بأن تجعل للزعماء من أهل البيت وخلفائهم سلطة إلهية تخولهم حق تغير العقائد والعبادات ، وأنه لا قيمة لأي تفسير عندهم إلا إذا كان عن طريق الأئمة أو من ينوب عنهم وإن لم يكونوا من أهل البيت ، وبذلك يسهل طمس معالم الدين وهذا ما يهدف إليه تأسيس أمثال هذه المذاهب . والنصيريون إزاء هذا المذهب ثلاثة أصناف :

١ ـ المتعلمون وهؤلاء لا يدينون بالمذهب النصيري لمخالفته أبسط الحقائق العلمية ، لذلك فقد تأثروا بالمبادئ المستوردة والدخيلة التي أوجدت لكي تكون البديل للأفكار الدينية ، كالماركسية والوجودية والقومية العربية والقومية السورية وقليل منهم من تأثر بالإسلام .

٢ ـ الطبقة العامة : وهي متمركزة في قرى الجبل وهؤلاء لا زالوا يتأثرون بالخرافات الدينية ويخضعون لسلطة رجال الدين والزعماء الطائفيين .

٣ ـ طبقة شيوخ الطائفة والرؤساء : وهو صنفان المتعلمون منهم لا يقتنعون بدينهم النصيري ، غير أنهم لا يبصرون أتباعهم من العامة وذلك لكي تبقى لهم السيطرة الكاملة عليهم ، والجاهلون منهم لا زالوا يأخذون بحظ من هذه الخرافات بحكم التوارث حفاظًا على شخصيتهم المتميزة ، ففي العصر الحديث وفي قرية الجوبة التابعة لقضاء الحفة في محافظة اللاذقية السورية ، وفي عهد الانتداب الفرنسي ادعى سليمان المرشد الألوهية وآمن به أتباعه سنين عددًا ، ولقد ساهم المستشار الفرنسي في إيهام نصيري الحفة بهذه الألوهية حيث قيل بأنه كان يسجد للرب سليمان أمام أتباعه ليوهمهم بصدق نبوءة سليمان ، وكان يكشف بعض الحقائق التي لا يعرفونها بالوسائل الحديثة ، كالراديو

والهاتف وغيرها فينبئ أصحابه بها فيزدادون إيمانًا به وبهذا يمكن للاستعمار أن يشتري عشيرة كاملة بشراء رئيسها الذي يدين له أنصاره بالطاعة العمياء . وما أن أخذ الشعب السوري استقلاله حتى عاش النصيريون في مواقعهم الحصينة منعزلين لا تعرف السلطة حقيقة ما يجري بينهم . وما أن اغتر الرب سليمان بقوته حتى راح يطالب بالحكم الذاتي وبتعيين وزير نصيري لمدينة اللاذقية ، وتمرد على الدولة وأعلن العصيان المدني وهدد بالانفصال إن لم يستجب لطلبه فكان أن جهزت الحكومة السورية قوة عسكرية وهاجمته في مركز ربوبيته ، وألقت القبض عليه وحكم عليه بالإعدام بعد محاكمة علنية ونفذ الحكم فيه زمن الرئيس شكري القوتلي عام ١٩٤٦ وتولى الربوبية من بعده ابنه مجيب . لاحظ النصيريون أن انعزالهم واعتمادهم على الأجنبي لم يحقق شيئًا من أهدافهم بل زاد في تسويد صفحتهم وتدني سمعتهم ، فقرروا أن يغيروا خطتهم ليسدلوا ستارًا على ماضيهم الأسود ويوشحوه بوشاح الوطنية علّهم يصلون إلى هدفهم بالسيادة التي دغدغت أحلامهم طويلاً . جاء في الملف ٥١٥ من سجلات الخارجية الفرنسية أن التنظيمات العشائرية والتي كان اعتمادنا عليها لتشكيل العمود الفقري للاستقلال الذاتي والتي يشكل زعماؤها أعضاء المجلس التمثيلي بدأت الآن تفقد قدرتها ، كما أخذت الدعاية الوحدوية الدمشقية تستقطب الزعماء العشائريين الثانويين الطموحين هذا إضافة إلى أن انتشار التعليم الابتدائي صار يهدد الرابطة الباطنية القديمة التي لم يعد جهازها الوعظي الساذج يرضي الأجيال الجديدة .

إزاء مخاوف الرؤساء من فقد سيطرتهم على أتباعهم كان لابد من رسم خطة ماكرة تستهدف استقطاب هؤلاء الأتباع باسم مصلحة الطائفة والتخطيط لسيادتها فكان أن رسموا لهم الخطط التالية :

١ ـ الخروج من عزلتهم التي لم تحقق لهم أي مكسب سياسي وذلك بالهجرة إلى المدن المجاورة كي تضيع هويتهم الطائفية ويتغلغوا بين أوساط المسلمين البسطاء فينخدعوا بهم ويتألفوا معهم ويتزاوجوا فيا بينهم ويسخروهم لخدمة الطائفة .

٢ ـ الولاء والانصياع لشيوخ الطائفة : وخشية أن يتناسى النصيريون طائفتهم نتيجة هذا الاختلاط كان لابد لهم من الولاء لشيوخ الطائفة للأسباب التالية :

أ ـ إرضاء لله وطاعة للإمام واستجابة لدوافع الحقد التي رضعوها ضد المسلمين منذ

نعومة أظافرهم .

ب ـ التسلل إلى المراكز الهامة في الدولة والتخطيط لملئها واحدًا بعد الآخر بهدوء وصمت ، فهم أقلية منظمة ، الجيل الناشئ فيها مجهول الهوية الطائفية ، يسهل شغل المناصب الهامة بهم دون لفت نظر المسلمين الأكثرية الساحقة لأنهم غير منظمين ومتفرقين يسهل تمرير المخططات عليهم .

ج ـ حسمًا لأي خلاف ينشب فيما بينهم لأن في خلافهم ضياعًا لسيادتهم وفقدانًا لمناصبهم ومكاسبهم الدنيوية .

٣ ـ الإقبال على التعليم لملء مراكز التوجيه الهامة وللسيطرة على المؤسسات الثقافية العليا وتوجيهها لقطع كل صلة بين الجيل الجديد وتراثه الحضاري .

٤ ـ الانتساب إلى الأحزاب القومية باعتبارها مظنة الوصول إلى الحكم ، وبوصولها يصل أبناء الطائفة إلى الحكم ويعملون على السيطرة عليه والانفراد به كما أن رفع هذه الأحزاب لشعارات الوطنية والقومية يضفي عليهم صفة الوطنية ، وبذلك يسدلون الستار على ماضيهم التآمري الخياني المخزي .

٥ ـ الإقبال على التطوع في الجيش والانتساب للكليات العسكرية وذلك لكي يتمكنوا من السيطرة على الأسلحة الفعالة وأجهزة الأمن فيكونوا دعمًا لأي تحرك عسكري أو سياسي أو حزبي لهم فيه ضلع .

ومما ساعدهم على التغلغل في صفوف القوات المسلحة وبسرعة أن فرنسا في عهد الانتداب السوري شكلت فرقة عسكرية خاصة أسمتها (فرق الشرق الخاصة) اعتمدت فيها على أبناء الأقليات عامة وعلى النصيريين خاصة ، مما جعل المسلمين يحجمون عن التطوع فيها ، فكانت الأقليات هي الأكثرية فيها ، ولما نالت سورية استقلالها أصبحت هذه الفرق نواة جيش الاستقلال ، تعج بأبناء الطوائف وأكمل النصيريون بتخطيطهم السيطرة الكاملة على القوات المسلحة ، وعلى حين غفلة من المسلمين الذين اتخذوهم مطية للسيطرة والتسلط ولا حول ولا قوة إلا بالله

غلاة الشيعة

(٣)

الدروز

المراجع

١ ـ الملل والنحل للشهرستاني .

٢ ـ مذهب الإسلاميين الجزء الثاني دكتور عبد الرحمن بدوي .

٣ ـ طائفة الدروز دكتور محمد أحمد الخطيب .

٤ ـ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي دكتور محمد أحمد الخطيب .

٥ ـ تقرير نائب دمشق محمد المبارك المقدم للمجلس النيابي السوري .

٦ ـ دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية دكتور عرفان عبد الحميد .

٧ ـ إسلام بلا مذاهب دكتور مصطفى الشكعة .

٨ ـ مذهب الدروز والتوحيد عبد الله النجار .

٩ ـ الكامل في التاريخ ابن الأثير .

١٠ ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة الندوة العالمية .

نشاة الدروز

يقول الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه إسلام بلا مذاهب ص ٢١٧ وما بعدها : الدروز فرقة إسماعيلية اتسمت بطابع الباطنية حيث أخفوا عقيدتهم عن غيرهم من الفرق الإسلامية وقد نشأوا إبان العهد الفاطمي وظلوا منطوين على أنفسهم ينأون بعقيدتهم أن تذاع أو بأن تشيع وتعرف بين الناس وقد اختلف المؤرخون في لفظة درزي هل هي دُرْزي أم دَرَزي ذلك أن هناك شخصين ارتبط بها نسب الدروز أحدهما : محمد بن إسماعيل الدرزي وهو أحد الداعين لتأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي والذي بشر بمذهبه في وادي تيم الموطن الأول للدروز وكانت له ميول يهودية مجوسية ويقال إن الدروز قتلوه

وهو المعروف باسم نشنكين الدرزي وهنـاك اسم آخر أبو منصور أنوشتكين الـدرزي أحـد قواد الحـاكم بـأمر الله ولا زال الـدروز يلعنون الأول الـذي خرج عن طـاعـة حمزة داعي الدعاة .

والدروز عرب خلص ، فهم من لخم وتنوخ وهما قبيلتـان عربيتـان لكل منهما مـاض مشرق وإن لم يكن كل أبناء القبيلتين ممن اعتنقوا المبادئ الدرزية حتى أننا نجـد أحيـانًـا الأسرة الواحدة وقد ضمت فروعها سنيين وإمامية ودروزًا .

موطن الدروز في لبنان

يسكن الدروز حاليًا بعض مناطق جبل لبنـان مثل منـاطق الشوف والمتن والجنوب ولهم مدن ذات تاريخ مجيد مثل عبية والشويفات ويعقلين .

وكان لهم في هذه المدن أمارات وهنـاك قرى كانت درزيـة في المـاضي مثل دير القمر التي كانت بلدة رئيسية لهم في القرن التاسع عشر وكانت في يوم ما عـاصمـة للمفين والأمر كذلك بـالنسبـة ليسكنتـا وبكفيـا بل وكثير من قرى كسروان . ومـن أشهر المـدن التي يتمركزون فيها عالية وسوق الغرب وبحمدون قرنايل بشامون والمختارة قرية كمال جنبلاط زعيمهم في لبنان .

موطن دروز فلسطين

يتوزع دروز فلسطين على ثماني عشرة قرية . اثنتا منها في جبل الكرمل وهما دالية الكرمـل وعفيـا وست عشرة قريـة في الجليـل هي : شفـا عمرو ـ المكر ـ جـولس ـ أبـو سنان ـ جت ـ بركا ـ يـانوح ـ كفر سميع ـ كسرى ـ البقيعـة ـ حرفيش ـ بين جن ـ عين الأسد ـ الرامة ـ ساجور ـ المغار ـ وهي قرى وعرة المسالـك فقيرة التربـة ـ كما أن إسرائيل أسكنت منهم ٥٠٠ عامل منهم مع أسرهم قرب ميناء إيلات حيث يعملون في الميناء .

ويبلغ عدد الدروز في فلسطين عام ٤٨ حوالي أربع عشر ألف نسمة . أما عـدد دروز الجولان المحتلـة فيبلـغ عشرة آلاف نسمـة مـوزعين على القرى التـاليـة مجـدل شمس ـ عين قنية ـ مرمره ـ بقعانـا وقـد سمح لهم بـالبقـاء في موطنهم بينمـا طرد عرب الجولان البـالغ عددهم مئة ألف عربي .

موطن الدروز في سوريا

يتكون الشعب الدرزي ، أو أبناء الديانة الدرزية من حوالي ٢٥٠ ألف نسمة يمكن توزيعها كالآتي :

١٢١ ألفًا في سورية ، وحوالي ٩٠ ألفًا في لبنان ، والباقون بفلسطين وهم حاليًا ضمن المنطقة المحتلة منها . وهم ممثلون في الكنيست (البرلمان الصهيوني) ، بنائبين أحدهما عز الدين الزعبي ، وتتكون منهم إحدى فرق الجيش الإسرائيلي وهي التي تقوم بمهاجمة الحدود العربية في الغالب ، والمشاع أن من هذه الفرقة كانت القوات التي هاجمت المراكز السورية عند بحيرة طبرية والتي هاجمت الأردن عند قلقيلية والتي دخلت غزة أثناء الهجوم الثلاثي على سيناء وبور سعيد . وهم يتمركزون في صفد وعكا وجبل الكرمل وطبرية .

وهم يتمركزون في مناطق جبلية غالبًا ، وتوجد منهم أعداد كثيرة في العواصم ؛ ففي سورية مثلاً نجد أكثريتهم في جبل الدروز في جنوبي البلاد ويبلغ أقصى ارتفاع هذا الجبل ١٨٠٠ متر وأقله ١٥٥٤ مترًا ويوجد منهم في هذا الجبل ٩٨,٥٠٠ نسمة ويوجد في محافظة دمشق منهم في قرية جرمانا ١٩ ألفًا ، وفي مدينة دمشق ١١٠٠ وفي أدلب ٢,١٢٥ في قرى كفر بني ومعارة الأخوان وبعض القرى الصغيرة أما بقية المحافظات فيوجد فيها أعداد ضئيلة هي أسر الموظفين في هذه المحافظات . أشهر مدنهم في هضبة الجولان مسعدة ، مجدل شمس ، عين قنية .

وجبل الدروز بحوران عبارة عن هضبة بركانية وهو بيضاوي الشكل يبلغ طوله ١٢٥ كم وعرضه ٦٠ كم . وهو وعر المسالك كثير المتاهات مما يجعله صالحًا للاعتصام والتخفي وهو يشرف من الشرق على بادية الشام ومن الغرب على وعرتي الصفا واللجاة . وعلى سهل حوران الممتد إلى حدود إسرائيل والمحاذي لحدود لبنان ومن الجنوب على وعرات شرقي الأردن ونظرًا لارتفاع الجبل فإنه يحصل على كميات غزيرة من الأمطار وتتساقط عليه الثلوج وكله صالح للتشجير وبه مساحات كبيرة صالحة للزراعة ، وتزرع فيه الحبوب والفواكه وتوجد المراعي بكثرة على سفوحه العليا ومن أمطاره وعيونه تتجمع عدة سيول وتُحفظ للصيف في آبار ومخازن منحوتة في الصخور ، وبه آثار رومانية كثيرة ومن أشهر مدنه السويداء وهي مقر المحافظة وتقع في سفح الجبل الغربي

وعددها حوالي ١٢ ألفًا وبها مسجد صغير للسنيين القليلين المقيمين بها وللموظفين . وبها متحف آثار ، ومبانيها بعضها قديم مقام على أنقاض آثار وبعضها حديث كان للجيش الفرنسي .

شهباء :

وهي مركز قضاء في شمال الجبل وتغطي الكروم جنوبها وفي شرقها يقع وادي اللواء وبها أطلال مسرح روماني ولها سور بيزنطي وسكانها ٢٣٥٠ نسمة .

صلخد :

تقع على المنحدرات الجنوبية وهي فوق تل مرتفع كان بركانًا قديمًا وتشتهر بقلعتها ومناخها جيد لأنها على ارتفاع ١٢٠٠ م وسكانها ٤٣٠٠ وتحيط بها الكروم .

والنظم الحكومية بسوريا لا تفرق في الحقوق المدنية والسياسية والخدمة العسكرية ووظائف الجيش ودواوين الحكومة وعضوية البرلمان بين المواطنين تبعًا لمذهبهم ، ولهذا فهم يشاركون في الحياة العامة في جميع نواحيها ومظاهرها .

ويتولى الزعامة السياسية فيهم بيت الأطرش بسوريا وأرسلان وعسيران وجنبلاط بلبنان ، ويتولي الزعامة الدينية بيتّا الهجري والحلبي بسوريا والشقرا بلبنان وهم معتبرون رسميًّا من المسلمين ، ولكن لا تسري عليهم قوانين وأحكام المحاكم الشرعية بل لهم قاضي مذهب يفصل في أحوالهم الشخصية ، ومعلوماتهم الدينية مكتومة سرية لا يصرحون بها ولا يعلمها أحد ، وقد نشأ عن هذا كثير من الحدس والتخمين والإشاعات فيما يتصل بعقائدهم وعباداتهم حتى كانت حملة الجيش السوري على جبل الدروز في أواخر عهد الشيشكلي فهوجمت القرى والخلوات فجأة مما مكّن أفراد الجيش من العثور على بعض مخطوطاتهم .

ومما تهيأ لى الاطلاع عليه والاحتفاظ بصورة منه مجموعة رسائل كتبها حمزة بن عليّ كبير الدعاة المسمى بهادي المستجيبين ، وفيها شرح لفلسفة المذهب ومعظم مبادئهم الدينية ومجموع هذه الرسائل ومعها رسالتان لاثنين من الدعاة يُسمى كتاب الحكمة . وقد أكملت معلوماتي في هذا الصدد بالاتصال بعدد من أصدقائهم وكبار الموظفين السابقين بجبل الدروز ، وفيما يلي خلاصة واضحة موجزة لجملة المعلومات التي استخلصتها من

المخطوطات التي اطلعت عليها والتي سمعتها وناقشت فيها مَنْ أثق بمعلوماتهم ودقتها في هذه الناحية . وقد أهملت جميع الأشياء التي تذكرها الإشاعات ولا دليل عليها من نص رأيته أو قول أطمئن إلى دراية صاحبه ودقته ثم تهيأ لي بعد ذلك الاطلاع على كتاب جديد لهم أضخم من الأول فيه جملة أخرى من مبادئ المذهب ورسائله وهو لحمزة بن عليّ وبعض الدعاة الآخرين خصوصًا إسماعيل التيمي ، والله نسأل أن يعصمنا من الخطأ والتجني وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه . (عن تقرير نائب دمشق محمد المبارك) .

عقائدهم

١ ـ هم يؤمنون بألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي حكم مصر من سنة ٣٨٦ إلى ٤١١ هـ وكانت الدولة الفاطمية شيعية وقد حرصت على نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي في الأقطار الإسلامية كلها وصادفت نجاحًا ملحوظًا في اليمن وبعض بلاد الشام ، وكان يقوم بهذا العمل جماعة من الدعاة الذين يتم إعدادهم وصقلهم بالجامع الأزهر .

ومعروف أن الحاكم قد زيّن له عقله وحسّنت له بطانته أن يتظاهر بمعرفة الغيب مستعينًا على ذلك بجهازه الدقيق في التجسس على بيوت العظماء وذوي المكانة ومفاجاتهم بأسرارهم وما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، مما دفع بعض الدعاة إلى أن يشيع أن روح الإله قد حلّت في الحاكم ، ومن أشهر من تولى التمهيد لذلك والإشراف على إخراجه وزيره يعقوب بن كلس وهو من أصل يهودي ، وكبير الدعاة حمزة بن علي الفارسي وأنوشتكين الدرزي ، وأبو منصور البرذعي ، والحسن الفرغاني المشهور بالأخرم .

وقد قام الدرزي والبرذعي بنشر هذه الفكرة في بعض ربوع الشام . واستجاب له أهل وادي تيم في لبنان وجبل السماق شمال حلب وعُرفوا من ذلك التاريخ باسم الدروز ، وفي القرن الثامن عشر نزح جماعة من لبنان إلى جبل حوران بسوريا وتركزوا به وكثروا ، وقد أصبح معروفًا بجبل الدروز وأخذوا لهم مبدأ للتاريخ سنة ٤٠٨ هـ وهي السنة التي أعلن الدعاة فيها ألوهية الحاكم . وقد فُقد الحاكم في ظروف غامضة كما هو معروف فقال الدعاة إنه غاب محتجبًا وسيعود وقد وقع خلاف أو تنافس بين حمزة بن عليّ وبين أنوشتكين . وقُتل أنوشتكين بيد أتباع حمزة ومثله البرذعي وانفرد حمزة بزعامة الجماعة وسمى نفسه بقائم الزمان ، ونادى المستجيبين يساعده نواب له يسمون الحدود الخمسة وستأتي أسماؤهم .

٢ - ولا يكون الإنسان درزيًّا إلا إذا كتب أو تلى الميثاق ، هذا نصه نقلاً عن كتاب الحكمة :

ميثاق ولي الزمان

(توكلت على مولانا الحاكم الأحد . الفرد الصمد . المنزّه عن الأزواج والعدد . أقر فلان بن فلان إقرارًا أوجبه على نفسه . وأشهد به على روحه . في صحة من عقله وبدنه . وجواز أمره طائعًا غير مكره ولا مجبر أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلها على أصناف اختلافاتها . وأنه لا يعرف شيئًا غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره . والطاعة : هي العبادة وأنه لا يشرك في عبادته أحدًا مضىٰ أو حضر . أو ينتظر . وأنه قد سلّم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملك لمولانا الحاكم جل ذكره . ورضي بجميع أحكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله . ساءه ذلك أم سره . ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره ، الذي كتبه على نفسه وأشهد به على روحه ، أو أشار به إلي غيره أو خالف شيئًا من أوامره كان بريئًا من الباري المعبود ، وحُرِمَ الإفادة من جميع الحقوق . واستحق العقوبة من الباري العلي جل ذكره . ومن أقر أنه ليس له في السماء إله معبود . ولا في الأرض إمام موجود إلا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين) . كتب في شهر كذا وكذا من سنين عبد مولانا جل ذكره ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين والمنتقم من المشركين والمرتدين . بسيف مولانا جل ذكره وشدة سلطانه وحده) .

وادعاؤهم بألوهية الحاكم يقوم على أن للحاكم بأمر الله طبيعتين : طبيعة لاهوتية خفية لأن الله سبحانه وتعالى اتخذ الحاكم حجابًا له ، وطبيعة ناسوتية ظهر بها بصورة الحاكم بأمر الله المتجسد أمام الناس ، ليعبد الله ظاهرًا موجودًا رحمة منه بعباده . يقول قائم الزمان حمزة بن عليّ هادي المستجيبين في الرسالة الموسومة بكشف الحقائق : (لكنه سبحانه أظهر لنا حجابه الذي هو محتجب فيه ، ومقامه الذي ينطق منه ليعبد موجودًا ظاهرًا رحمة منه لهم ورأفة عليهم ، والعبادة في كل عصر وزمان لذلك المقام الذي نراه ونشاهده ونسمع كلامه ونخاطبه) ويقول الدكتور محمد كامل حسين في كتابه طائفة الدروز ص ١٠٧ : يتفق ذكر التوحيد في رسائل الدروز وحديثهم عن لاهوتيه المعبود تمام الاتفاق مع ما ورد في كتب الدعوة الإسماعيلية وفي كتابهم راحة العقل للكرماني

الذي قرر فيه (أنه تعالى ليس آيسًا وليس ليسًا . وأنه لا ينـال بصفـة من صفـاتـه وأنـه لا يجسم ولا في جسم ولا يعقـل ذاتـه عـاقـل . ثم نفى عنـه الصفـات المـوجـودة في الموجودات) ومما يؤكد أخذهم لهذه العقيـدة من الإسماعيليـة كون حمـدان القرمطي أسبق بظهوره من القائم بأمر الله . ويرى الدروز أن الصورة الناسوتية للإلـه المعبود ظهرت في الماضي في سبعة أدوار والإله المعبود أظهر ناسوته في عشرة مقـامـات وهو واحـد لا يتغير في هذه المقامات فهو القائم وهو المعز وهو العزيز وهو الحاكم يظهر لهم في أي صورة شـاء كيف شاء كما ورد في رسالة السيرة المستقيمة .

فروح الله عندهم حلت بالإمام علي وروح الإمـام علي حلت في العزيز ثم انتقلت إلى ابنه الحاكم بأمر الله وإذا فالحاكم بنظر حمزة واتباعه إله بطريقة الحلول وقد أدى ذلـك إلى فتنة في صفوف الإسماعيلية الذين أحاطوا بالحـاكم لـذا ترك كبير علمـاء الإسماعيليـة حميـد الـدين الكرمـاني مقره في العراق وسافـر إلى مصر ليسـاهم في القضـاء على تلـك العقيـدة الجديدة وأصدر الرسالة الواعظة كفر فيها من قال بألوهيـة الحـاكم ويقول الـدكتور أحمـد الخطيب في كتابه ص ٢١٤ : تبين لنا أن هذه الحركة قامت على أيدي دعاة الفرس ومن كان على شاكلتهم الذين يقدسون ملوكهم ويؤمنون بنظرية (الحق الملكي المقدس) .

فالنظر في اللاهوت والناسوت جعلتهم يؤمنون بأن الله تعالى ظهر بصورة إنسان لآن الإنسان أفضل المخلوقات . وأن الحاكم هو الصورة الناسوتية الأخيرة لله منهم لهذا يعبدونـه ويقدسونه .

٢ - **عقيدتهم في التناسخ :** يعتقد الدروز بأن النفس لا تموت بل يموت قميصهـا وهو الجسم البشري فتنتقل الروح منه إلى جسم بشري آخر يولد حديثًا فتحلّ فيـه ، والخلاف بينهم وبين النصيرية أن النصيرية تعتقد بأن الروح الشريرة قـد تحل في جسم حيوان أو جماد بينما يرى الدروز أن النفس الإنسانية لا تحل إلا في إنسان لأن مقتضى العدل الإلهي بنظرهم أن الثواب والعقـاب لا يكون بمحـاسبـة الأرواح عن مـدى الحيـاة الـواحـدة بـل يكون بعد مرورها في الدهر الطويل وبعد أن تتناسخ عـدة مرات بحيث يمنحهـا الـدهر فرصة الاكتساب والتطور . وقد أكد ذلك عبد الله النجار في كتابه مـذهب الـدروز ص ٦٢ ، وعقيدة التناسخ تعتمد على نظرية أن العالم لا يزيد ولا ينقص فكلما مـات إنسـان وُلد آخر لتحل فيه روح المتوفى قبله وهكذا . ورد ذلك في رسالة من دون قـائم الزمـان

والهادي إلى طاعة الرحمن للبهاء يقول فيها : أليس قد صح عند كل ذي عقل ومعرفة بالحقيقة والفضل أن هذه الأشخاص ـ أعني عالم السواد الأعظم ـ لم يتناقصوا ولم يتزايدوا بل هي أشخاص معدودة من أول الأدوار إلى انقضاء العالم والرجوع إلى دار القرار إلى أن يقول : فصح عند كل ذي عقل راجح أن الأشخاص لم تتناقص ولم تتزايد بل تظهر بظهورات مختلفة الصور على مقدار اكتسابها من خير أو شر) وفي الرسالة ٤٤ يقول : (معشر الإخوان الحذر الحذر أن تكونوا ممن يخشون تمزيف أقمصتهم وغيبة صورهم) .

فالنفس الصالحة بنظرهم تتطهر بانتقالها من منزلة إلى منزلة أعلى وهذا ثوابها ، والنفس الشريرة بنظرهم تتعذب بانتقالها من منزلة إلى منزلة أدنى وهذا عقابها ، والنفس بنظرهم تنتقل من جسم إلى جسم وهي على نفس المذهب الذي فُطرت عليه وماتت عليه لذا أغلقوا باب الدخول في مذهبهم فإذا طلب أحد اعتناق ديانتهم رفضوه لأن روحه بعد موته ستعمل في شخص جديد على نفس العقيدة التي نشأ عليها ، كما يعتقدون أن الذكر تحل روحه في ذكر مثله والأنثى تحل روحها في أنثى مثلها ، كما يرون أن النفس الثانية تتذكر أعمال النفس الأولى وهم على هذا ينسجون الأساطير عن ذكريات نفس في الجسم السابق ، ولكن بعض المتنورين مثل عبد الله النجار الكاتب الدرزي المعاصر كذّب هذا الاعتقاد واعتبره أمرًا خرافيًّا ومن نسج العامة ويستشهد على ذلك بنصوص من رسائلهم (عن كتابه مذهب الدروز والتوحيد) .

ويرد عليه الدكتور سامي مكارم الناطق باسم مشيخة الدروز قائلاً بأن منطق عملية التقمص لا يتعارض مع تذكر الماضي ، فلابد لبعض الأذهان إذا صادفت بعض الحالات المناسبة أن تتذكر الماضي المباشر الذي كانت تعيش فيه (عن أضواء على مسلك التوحيد ص ١٢٧) وعقيدة التقمص هذه أوحت إليهم أن الأنبياء والمرسلين تنتقل نفوسهم من دور إلى دور بجميع صفاتها ، فحمزة بن عليّ في دور الحاكم هو نفسه سلمان الفارسي في دور النبي كما ورد في كتاب أصل الموحدين الدروز لأمين طليع ، وأن حلول الذات الإلهية في الإنسان نوع من أنواع التقمص الذي يؤمنون به .

وقد أول الأستاذ فؤاد الأطرش بعض الآيات القرآنية لتوافق رأية في عقيدة التقمص فأوّل الآية الكريمة ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي** ﴾ .

وخلاصة القول : أن عقيدة التقمص والتناسخ مخالفة للإسلام بإجماع العلماء لمخالفتها النصوص الثابتة في القرآن والسنة .

ومصدر عقيدة التناسخ هذه يرجع إلى الديانات الوثنية ، فالبوذيون يعتقدون أن بوذا ظهر على هيئة حيوانات وطيور وشجر أو صور إنسية حوالي ألف مرة (انظر كتاب البوذية للزعبي) والهنادكة يعتقدون أن إلههم شيفًا ظهر بعدة صور إنسانية وكذا آلهة اليونانيين ظهرت إليهم بصور مختلفة (انظر كتاب طائفة الدروز محمد كامل حسين ص ١٠٩) .

٣ ـ عقيدتهم في اليوم الآخر والبعث والجنة والنار :

إن يوم الحساب عندهم هو نهاية مراحل الأرواح وتطويرها في الأجساد إذ يبلغ التوحيد في هذا الوقت غاية الانتصار على العقائد الشركية وينتهي الانتقال والمرور في الأقمصة المختلفة . (عن مذهب الدروز للنجار ص ١٢٤) .

وإن يوم الحساب في تصورهم سيكون يوم ظهور المعبود (الحاكم بأمر الله) . وقد ورد في رسالة الأسرار أن ذلك سيكون في بلاد الصين يخرج وحوله يأجوج ومأجوج ويسمونهم القوم الكرام ، ويكونون مليونين ونصفًا من العساكر مقسمة إلى خمسة أقسام كل قسم منها يترأس عليها أحد الحدود فيدخلون مكة المكرمة ، وفي صباح ثاني يوم وصولهم يتجلى لهم الحاكم بأمر الله على الركن اليماني من الكعبة ويتهدد الناس في سيف مذهب يدفعه إلى حمزة فيقتل فيه الكلب والخنزير ـ يريدون الناطق والأساس ـ ثم يدفع حمزة السيف إلى محمد الكلمة أحد الدروز الخمسة وحينئذ يهدمون الكعبة ويفتكون بالمسلمين والنصارى في جميع جهات الأرض ويستولون عليها إلى الأبد ومن يبقى يكون عندهم في الذل والهوان وتصير الناس أربع فرق :

١ ـ الموحدون : وهم عقال الدروز وهم الوزراء والحكام والسلاطين .

٢ ـ أهل الظاهر : وهم المسلمون واليهود .

٣ ـ أهل الباطن : وهم النصارى والشيعة .

٤ ـ المرتدون : وهم جهال الدروز .

ويجعل حمزة لكل طائفة غير أصحابه سمة في جبينه أو يده وعذابًا يتأذى به وجزية يؤديها كل عام ونحو ذلك من الهوان (عن مخطوطة في تقسيم جبل لبنان والمؤلف مجهول) ويصور لنا مصحف الدروز هذا اليوم بقوله : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصارهم أبصار الذين كفروا ياولينا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ، لقد نسي هؤلاء هذا اليوم وقد وقع لهم ووقعوا فيه وهم لا يشعرون ، وكبكبوا على وجوه قبلتهم (الكعبة) حتى غشيتهم الغاشية أولم ير هؤلاء كيف مد لهم مولانا الحاكم الحياة مدًّا الآن حصحص الحق . عن المصحف المنفرد بأنه عُرف باسم كتاب أبي إسحاق أو مراتب العباد ص ٨٥ .

ويسخر التميمي بإيمان المسلمين بالجنة والنار فيقول في رسالة الزناد ما يلي : وأما زعمهم بأن الجنة عرضها السماوات والأرض فقد جهلوا معنى هذا القول فإذا كان عرضها السماوات والأرض ، فكيف يكون طولها . وأين تكون النار منها . ثم يقول إن معنى الطول العرض فإن طولها هو الفعل الكلي الذي هو قائم الزمان أما النار فهي من حيث المحسوس المحرقة للأجسام وأما النار الكبرى والنار الموقدة التي تطلع على الأفئدة فإنها مثل العقل لأنه مطلع على سرائر العالم . انتهى .

٤ ـ شريعتهم في الأحوال الشخصية :

أ ـ في الطلاق إذا كانت الزوجة خارجة عن طاعة الزوج وطلبت طلاقها منه فللزوج نصف ما تملكه الزوجة وإذا طلب الزوج الطلاق دون مبرر فللزوجة نصف ما يملكه الزوج ، أما إذا شهد شهود بظلم الرجل لامرأته أخذت كل مالها وليس له شيء . كما أنه لا رجعة عندهم في الطلاق فتبين المرأة عندهم من الطلقة الأولى ولا يحل له أن يعيدها إلى عصمته .

ب ـ يحق للمرأة عندهم أن تطلق زوجها إذا كان مصابًا بعلة أو جنون أو انقطع عن الإنفاق عليها سنتان وهو معها أو غاب عنها وانقطع عن الإنفاق عليها ثلاث سنوات أو إذا غاب عنها خمس سنوات وإن أنفق .

ج ـ لا يعترفون بحرمة الأخت والأخ من الرضاعة .

د ـ البنت عندهم لا ترث .

هـ - لا يجوز عندهم تعدد الزوجات .

و - لا يجوز زواج الدرزية من غير درزي ولا زواج الدرزي من غير درزية .

ز - الوصية عندهم واجبة وتجوز بجميع المال ، كما تجوز لوارث وغير وارث إذا كان من ماله الذي جناه بتعبه ، أما إذا كان من مال ورثه فلأولاده الذكور أن يطلبوا القسمة منه .

٥ - إسقاط التكاليف والشعائر الدينية :

يعتقدون أن ديانتهم روحية فقط لهذا فليس في ديارهم مساجد إطلاقًا إلا مسجد صغير بناه المقيمون والموظفون من أهل السنة لأنفسهم في السويداء ، ويدللون على إسقاطها ترك الحاكم بأمر الله لها سنين طويلة ، ويستعيضون عن المساجد بخلوات يجتمعون فيها ولا يسمحون لأحد بدخولها ولا يصومون وإن كان يقال إن شيوخ العقل يصومون بعض الأيام ولكنها ليست في رمضان على كل حال ، وقد حدد بعضهم صيام تسعة أيام الأولى من شهر ذي الحجة ، كما لا يحجون إلى بيت الله الحرام إطلاقًا وإنما يحجون إلى خلوة البياضة في بلدة حاصبية في لبنان ويسمونها خلوة الخلوات وليس لهذا الحج وقت معين . ولا يزورون مسجد رسول الله ﷺ ، ولكنهم يزورون الكنيسة المريمية في قرية معلولاً بمحافظة دمشق . وقبر هابيل قرب عين الخضرا في غوطة دمشق وقبر النبي شعيب وهو موضع إقامتهم في إسرائيل وقبر النبي يحي بالمسجد الأموي بدمشق . ليس غريبًا أن يسخر الدروز من أركان الإسلام والتشكيك فيها ؛ فقد أعلن حمزة إسقاط التكاليف الخمسة وألزم أتباعه سبع خصال توحيدية تفنى عنها ؛ يقول حمزة في رسالة ميثاق النساء ما يلي : ويجب على سائر الموحدات أن يعلمن أن أول المفترضات عليهن معرفة مولانا جل ذكره وتنزيهه عن جميع المخلوقات ، ثم معرفة قائم الزمان وتمييزه عن سائر الحدود الروحانية ، ثم معرفة الحدود الروحانية بأسمائهم ومراتبهم وألقابهم ، فإذا علمن ذلك وجب أن يعلمن أن مولانا جل ذكره قد أسقط عنهن السبع دعائم التكليفية الناموسية وفرض عليهن سبع خصال توحيدية دينية أولها :

١ - صدق اللسان .

٢ - حفظ الإخوان .

٣ ـ ترك ما كنتم عليه وتعتقدوه من عبادة العدم والبهتان .

٤ ـ ثم البراءة من الأبالسة والطغيان .

٥ ـ ثم التوحيد لمولانا جل ذكره في كل عصر وزمان ودهر وأوان .

٦ ـ ثم الرضا بفعله كيف كان .

٧ ـ ثم التسليم لأمره في السر والحدثان فيجب على سائر الموحدين والموحدات حفظ هذه السبع خصال والعمل بها وسترها عمن لم يكن من أهلها ويشرح الدكتور الشكعة هذه الفكرة في كتابه إسلام بلا مذاهب ص ٢٥٤ فيقول :

الأركان الجديدة أو البديلة :

من المعروف أن الإسلام بني على خمس هي : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، غير أنه يتبين لنا من النص السابق أن العقيدة الدرزية بنيت أيضًا على خمس نقضت الفرائض الإسلامية وأسقطتها ، وفي مقدمتها توحيد الحاكم بأمر الله بدلاً من توحيد الله .

فالإسقاط والنقض اللذان أشير إليهما في هذا المقام يتمثلان في خمس فرائض أولها توحيد الحاكم بأمر الله ، وأما الفرائض الأربعة الأخرى فهي : سدق اللسان (يعني صدقه) ، وحفظ الإخوان ، وترك العدم ، والبراءة من الأبالسة ، ويذهب مؤلف « كتاب النقط والدوائر » إلى مزيد من التوضيح في شأن الفرائض الجديدة التي حلت محل الفرائض الأصلية فيقول : إن السدق هو الإيمان والتوحيد بكماله ، وبحفظ الإخوان يكمل الإيمان أي التوحيد ، وعن ترك العدم يقول : إن العدم مضاد للوجود ، وسبيل يستدرج إلى الإنكار والتعطيل والجحود ، وعن البراءة من الأبالسة يقول : من اعترف منكم منهم بولد أو والد أو أخ ذكر أو أنثى فهو ملعون ناكث للدين بريء من عظائم الحجج والآيات (عن كتاب النقط والدوائر ٤٩ ـ ٥٠) .

وهذه الفرائض الأربعة التي مر ذكرها وهي (سدق اللسان) أي صدق اللسان بديلة عن الصلاة وحفظ الإخوان بديلة عن الزكاة وترك العدم بديلة عن الصوم والبراءة من الأبالسة بدل الحج عن المسلمين وتوحيد الحاكم بدل لا إله إلا الله ومعرفة قائم الزمان بدل

محمد رسول الله (عن إسلام بلا مذاهب ص ٢٥٤) .

٦ ـ سرية العبادة :

ويعرف المكان الذي يجتمع فيه الدروز للعبادة بالخلوة . والخلوة عبارة عن غرفة كبيرة في وسطها مصطبة بشكل طاولة يعلوها ستار من القماش يقسم الخلوة قسمين قسم للرجال وقسم للنساء لكل قسم منها باب ونافذة . يجلس شيخ عقل القرية أو البلد في الوسط وظهره إلى المصطبة والشيوخ عن يمينه وشماله وأمامه فسحة لأداء الطقوس ، يبدأ الوعظ العام مساء الخميس للجميع ثم يخرج الجهال ثم يقدم وعظ خاص للأجاويد ، ثم يخرجون ويبقى العقال يدرسون ما لا يحق لغيرهم الاطلاع عليه .

ويصنف الدروز ضمن الفرق الباطنية لإيمانها بالتقية والقول بالباطن وبسرية العقائد ، والحقيقة أن السرية جاءت إلى الدروز عن طريق الإسماعيلية لقولهم بالظاهر أمام الجمهور وعامتهم وبالباطن أمام من ارتفع تفكيره فوق عقول العامة .

والدروز يأخذون السرية على أنها نهج أساسي وأصل من أصول عقيدتهم وليست تقية فهي كما يزعمون وقاية للحقيقة والمستضيئين بها ولمن لا يستطيعون إدراكها (أضواء للدكتور سامي مكارم) .

يقول حمزة في الرسالة الموسومة : إن أكبر الآثام وأعظمها إظهار سر الديانة وإظهار كتب الحكمة . ويقول في رسالة التحذير والتنبيه : (صونوا الحكمة عن غير أهلها ولا تمنعوها لمستحقها فإن من منع الحكمة عن أهلها فقد دنس أمانته ودينه ، ومن سلمها إلى غير أهلها فقد تغير في اتباع الحق بيقينه فعليكم بحفظها وصيانتها من غير أهلها والاستتار المألوف عند أهله) . ولما أخرج الدرزي عبد الله النجار كتابه عن الطائفة ثارت ثائرة المشايخ لكشفه أسرار الطائفة وحاكموه وردوا عليه بكتاب أصدره الدكتور سامي مكارم قدم له كمال جنبلاط . ثم جمعوا نسخ هذا الكتاب وحرقوها ، ويقال إنهم استغلوا أحداث لبنان فقتلوه .

٧ ـ المحرمات عندهم :

١ ـ إفشاء الدين لغير أهله وربما تعرض فاعله للقتل .

٢ ـ القتل سيما إذا كان لنفس درزية .

٣ ـ الزنـا ويشتـد جرمـه إذا كان بين درزيـة وشخص أجنبي أو بين درزي وغير درزية مما ينشأ عنه من دخول روح في جماعة الدروز أو خروجها منه .

٤ ـ شرب الخمر والدخان سرًّا أو جهرًا وخاصة على الأجاويد المتـدينين ولعل السر في ذلك خوفهم من إباحة سر الدين أثناء سكره .

قائم الزمان والحدود الخمسة : يتضح من مخطوطاتهم أن معبودهم لـه نـائب اسمـه قـائم الزمـان وتحت هـذا القـائم أبـدع من نوره حـدودًا خمسـة ظهروا مع هـذا المعبود في جميع ظهوراته وأخرها الحاكم بأمر الله . هؤلاء الحدود باعتقالهم ليسوا مولودين ولا يمسهم الموت لأنهم الروح الحقيقي الذي لا يخلو منه عصر وأنهم أخذوا أسماء مختلفة وأقمصة مختلفـة على مر العصور (عن مذهب الـدروز للنجـار) وتوحيـد الله لا يكمل إلا بمعرفـة وحب جميع الحدود وطاعتهم طاعة تامة وكتمان أسمائهم على غيرهم وأن لكل حد ألقابًا روحـانيـة ولهم بين الناس اسم معروف وهو اسمهم الجسماني .

٨ ـ أهل التنزيل وأهل التأويل وعالم الهدى ومسيرة الدعوة :

هذه فرق ثلاثة أوردها كتـاب النقـط والـدوائر ولكنـه خص الفرقـة الثـالثـة ـ أعني ما أسماه عالم الهدى ـ بالإيمان دون الفرقتين الأخريين [١] . ويسوق الكتـاب هـذا التقسيم من خلال « نقطة الاعتقادات ودائرة العبادات » وهو في هـذا السيـاق يركز على ألوهيـة الحاكم التي يحرص على تأكيدها في كل صفحة من صفحات الكتاب على وجه التقريب .

الذي تفهمه من النص الذي سوف نعرضه بعد قليل من السطور هو أن الإلـه ـ يعني الحاكم بأمر الله حسبمـا يـذهب مؤلف كتـاب النقـط والـدوائر ـ قـد ظهر أكثر من مرة ثم غاب في دورات متتابعة . لقد ظهر بعد غيبته الأولى التي كانت مدتها سبعمائـة ألف سنـة عدة دعوات كاذبة عددها ست ، وهي دعوات كاذبة عبّر عنها المؤلف بأنها دعوات عـدم ، مدة كل دعوة سبعمائة ألف سنة ، وأن لهذه الدعوات سبعـة نطقـاء ـ المفرد نـاطق ـ يعني سبعة أنبياء ، وبين كل ناطق وآخر سبعة أئمة مدة كل إمام مائة ألف سنة .

فإذا مـا انتهت المرحلـة أو الـدورة ظهر الحـاكم بـأمر الله بكشف ثـان ، أي ظهر مرة أخرى ، وهكذا دواليك سبعين دورًا مدتها ثلاثمائة وثلاثة وأربعون مليون سنة ، ثم غـاب

---

(١) النقط والدوائر صفحة ٤٣ .

الحاكم مرة أخرى وظهر بعد غيبته ناطق شريعة - أي رسول - هو أخنوخ الذي هو آدم الذي استمرت دعوته نحو ألف سنة .

وبعد آدم ظهرت ست دعوات عدم - أي رسالات غير صادقة - هي دعوات نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد بن عبد الله ومحمد بن إسماعيل بن جعفر الذي اعتبرت شريعته آخر الشرائع ، وسوف يتضح لنا أن العقيدة الدرزية تعتقد أن كل ناطق - أي كل نبي - له ممدّ وأساس ، فأما الممدّ فهو الذي يمدّ الناطق بالشريعة وأما الأساس فهو بمثابة الوصي على الرسالة ، والممدون هم الحدود وأمرهم أقرب إلى الخفاء وهم الذين « كانت تربية نفوسهم بالطبائع الدينية التوحيدية العلمية الفيضية »[١] .

٩ - وأصول العقيدة الدرزية خليط من نظريات الفلاسفة القدامى وأفكارهم من يونان وإيرانيين وهنود وفراعنة ، ولعل الدروز قد عمدوا إلى السرية التي ضربوها على مذهبهم تمشيًا مع بعض آراء الفلاسفة القدامى الذين كانوا يوصون بحجب آرائهم وسترها عن جمهور الناس ، فقد أوصى بالسرية كثير من الحكماء في العصور السالفة مثل هرمس وفيثاغورث وأفلاطون وبعض حكماء الهند وفارس ، وهؤلاء جميعًا يكرمهم الدروز ، ويعتبرون فلسفاتهم ونظرياتهم من جملة مصادر المذهب .

بل هناك من الآراء ما تذهب إلى أن دار الحكمة التي أنشأها الحاكم بأمر الله في القاهرة كانت على مثال أكاديمية أفلاطون[٢] . وكما أن الدروز أخذوا من حكمة الهند قدرًا غير قليل ، وارتبطت مبادئهم بها ارتباطًا وثيقًا ، فإن كتاب بلوهر الحكيم المنتشر بين الدروز ليس إلا رواية « للبوذا السعيد » بعد تحريف الاسم ، ومن خلال هذا الحقل الهندي أيضًا أخذ حمزة بن علي مبادئ دعوته من حكيم هندي قديم يدعى الحاكم الحكيم[٣] .

وأخذت العقيدة الدرزية من الفراعنة ممثلين في أمحوتب الذي ألهه المصريون القدماء ، فقد ورد ذكره مرات عديدة - فيما يروي الدكتور مكارم - مقرونًا بالتمجيد والتعظيم في إحدى المخطوطات المكتشفة حديثًا المنسوبة إلى حمزة .

---

(١) المصدر السابق صفحة ٤٧ .

(٢) ، (٣) مقدمة السيد كمال جنبلاط « للأضواء » ص ٥١ ، ٥٢ .

(٣) الأضواء ص ١٠٠ .

وإجمالاً فإن العقيدة الـدرزيـة تنبع في الأصل من حكمـة اليونـان ممثلـة في أفلاطون وأفلوطين وفيثاغورث ، معرجة على الحكمة القديمة في كل من الهند وفـارس ومصر ، وهي في نفس الـوقت فيما يعتقـد الـدروز امتـداد لكل هـذه الفلسفـات إلى الحـد الـذي يجعـل فلاسفة اليونان يحتلون مكانة قريبة من مكانة الأنبياء ، بل هي مكانة الأنبيـاء بعينهـا ، ولا يكاد يذكر اسم أفلاطون أو فيثاغورث أو هرمس [1] أو أموتحب عنـد المعـاصرين من المؤلفين الدروز إلا مقرونًا بعبارة (عليه السلام) تمامًا كما لو كان نبيًّـا من أنبيـاء الكتب السماوية والسمة اليونانيـة تعتبر سببًـا للربـط بين الـدرزيـة وإخوان الصفـا والإسماعيليـة الباطنية (إسلام بلا مذاهب ٢٤٥) .

١٠ ـ الرقم ٧ لهـذا الرقم دلالـة رمزيـة لمعنى خفيّ بـاطنيّ فـالأدوار . كما رأينـا ، سبعـة والسماوات سبعة . والمقامات سبعة . والأئمة سبعـة . و « علل العـالم الروحـاني ٧ » (وهم الحـدود الخمسـة والنـاطق والأسـاس) والمـدبّرات ٧ (زحلٍ . مشترى . مريـخ . شمس . زهَرَة . عطارد . قمر) .. والأيام ٧ . والنطقاء ٧ . والأوصياء ٧ . والشرائع الظاهرة ٧ . والشرائع الباطنة ٧ . والدعائم الظاهرة ٧ . والدعائم الباطنة ٧ . والفرائض التوحيديـة ٧ (أما تفريع هـذه في « ميثـاق النسـاء » إلى ١٠ فهو زيـادة إيضـاح . إذ إنّ معرفـة الله وهي أولى فرائض الميثاق ، متفرعـة عن الفريضـة ٥ التي هي التوحيـد . وهكـذا معرفـة القائم ومعرفة الحدود متفرعتان من حفظ الإخوان) أضِفْ إلى ذلك أنّ الحاكم أنار الشموع ٧ سنوات . ولبس الصوف ٧ سنوات . وألزم النسـاء منـازلهنّ ٧ سنـوات ... إلـخ . فقـد ذُكِر : « كل شيء إذا بلـغ ٧ انتهى ووجب تغييره وحـدوث غيره » ... (عن كتـاب مذهب الدروز والتوحيد ٩٤) .

١١ ـ سبع سماوات ومدلولاتها : هذا تشبيه رمزي ، لأمكنه وأشخاص وحالات ، حفلت به الأديان والأشعار في الشرق والغرب . واستعارة الأدب الباطنيّ لمعاني ومنازل روحية . أمّـا في علم البـاطن فـإنّ « ... سبْع سماوات طبـاقًـا ...[في الآيـة ٣ سـورة المُلْـك] هم : إسماعيـل . **محمد** . **أحمد** . عبـد الله . **محمد** . الحسين . عبـد الله . ابنًـا عن أب خلفـاء بالتسلسل .

---

(١) أضواء على مسلك التوحيد ص ١٤٥ ينظر الدروز إلى هرمس « بعين التقديس ويجعلونـه في صف الأنبيـاء كما يفعل الصابئة أو كما يعده المانويون » .

هؤلاء هم « أئمّةُ السِّتْر » السبعة . جدّهم الأعلى الحسين بن عليّ بن أبي طالب . سُموا سماوات . وهم المستودَعون لسرّ الحقيقة . كان آخرهم عبد الله في القرن الثالث للهجرة . وقد استتروا تحذُّرًا من أعدائهم الحكام العبّاسيين .

في وقت « السماء الثالثة » ، أحمد ، ظهر « مقام » أبي زكريا بدون ملك دنيويّ . وظهر معه « العقل » في شخص قارون الذي كان عجميًّا . [الرسالة ٣٦] .

وفي وقت « السماء الرابعة » ، عبد الله ، ظهر « **مقام** » عليًّا . وعبد الله هذا هو أوّل الأئمة الذين سابعهم « المعزّ » وثامنهم العزيز . وتاسعهم « الحاكم » آخر الأئمة وخاتمهم .

وفي وقت « السماء الخامسة » محمد ، ظهر « مقام » المعلّ بديار تدمر .

أما « السماء السابعة » عبد الله فقد سُمّي أيضًا **أحمد والمهدي** . ابنه سعيد المهدي . **فهو** أبو سعيد المهدي . وسعيد المهدي هو الملقَّب « عبيد الله » ..

١٢ـ المقامات السبعة والإمامات العشر

المقامات ، عند الدروز والإسماعيلية ، هي الظهورات أو التجلّيات . وهي في نفس الوقت إمامات . وهي الترتيب الناسوتي للصور التي ظهر فيها معبودهم

١ ـ العليّ .

٢ ـ البارّ .

٣ ـ أبو زكريا : ظهر في وقت السماء الثالثة . في آخر عهد البار سنة ٢٢٠ هـ .

٤ ـ عليًّا : ظهور في وقت السماء الرابعة .

٥ ـ المعلّ : ظهر في وقت السماء الخامسة . في وقت الإمام المستتر عبد الله (السماء السابعة) .

هؤلاء الثلاثة الأخيرون ، معروفون أبًا وابنًا وحفيدًا ، من مقامات الستر .

٦ ـ القائم : كان طفلاً استودعه ، مع سرّ إمامته ، أبوه المعلّ برعاية سعيد المهدي الملقب « عبيد الله » (ابن السماء السابعة) سنة ٢٨٠ هـ ، وكان سعيد في العشرين من عمره . هرب بالقائم من وجه العباسيين إلى مصر سنة ٢٨٩ هـ . فإلى شمالي أفريقيا غربًا

سنة ٣٠٨ هـ . مما سيأتي ذكره في فصل الفاطميين . فهو مؤسس دولة الخلافة الفاطمية في مصر . وهي امتداد للدولة « العبيدية » التي أنشأها « عبيد الله المهدي » ، وسمّاها المؤرّخون باسمه ، في المغرب .

٧ ـ تلاه المنصور الذي حكم من ٣٣٤ إلى ٣٤١ هـ .

٨ ـ ثم المعزّمن ٣٤١ إلى ٣٦٥ هـ . وهما مع القائم . يُعتَبَرون ، في المذهب ، روحيًّا ، ذاتًا واحدة .

٩ ـ العزيز : من سنة ٣٦٥ إلى ٣٨٦ هـ . وأخيرًا .

١٠ ـ الحاكم (المنصور) الذي سنفرد له فصلاً خاصًّا . وهما ، في حساب المذهب ، واحد . كقول الإنجيل : « أنا والأب واحد : » . (وفي إحدى رسائلهم المخطوطة توجب على الدرزي معرفة الله تعالى في هذه المقامات السابقة الذكر) . (إسلام بلا مذاهب ٩٦).

١٣ ـ الامامات السبع

في الدور السادس المار ذكره ظهر الأئمة الظاهرون والمستترون . المستترون هم « السماوات » ابتداءً بإسماعيل وانتهاء بعبد الله ، سلالة واحدة خلافية من الأب إلى الابن . ومثلهم الأئمة الظاهرون . لمدة ١٨٠ سنة وهم :

١ ـ علي بن أبي طالب : الإمام « المرتضىٰ ».

٢ ـ الحسن : « المُجْتَبي » . ولد سنة ٢ هـ . فلما قُتِل والدُه الإمام عليّ بايعه أربعون ألفًا من أهل الكوفة سنة ٤٠ هـ . ثم بعد سبعة أشهر تخلى لمعاوية . ومات بالسم سنة ٥٠

٣ ـ الحسين : (شقيق الحسن من فاطمة الزهراء) شهيد كربلاء . وهو بحساب الإسماعيلية ، أبو الأئمة السبعة الباقين . ولكن أبو الاثني عشر إمامًا ، بحساب الموسوية « الاثنى عشرية » ، أتباع موسى « الكاظم » ، أخي إسماعيل الإمام السابع ، باعتبار أنّ الثامن هو عليّ « الرضى » ، والتاسع محمد « التقي » ، والعاشر على « النقيّ » ، والحادي عشر حسن « الزكيّ » ، والثاني عشر محمد « الحجة » (بالتسلسل) وهو « الغائب المنتظر » أي المهدي الذي سيعود . وكانت مدّتهم جميعًا ٢٥٠ سنة .

٤ ـ **علي** : ابن الحسين الأصغر . فإن الابن الأكبر قُتِل في كربلاء . لُقبَ عليّ « زين العابدين » . مات بالمدينة سنة ٦٤ هـ . عن ٥٨ عامًا ابنه زيد الذي تنسب إليه الزيدّية باليمن .

٥ ـ **محمد الباقر** : ابن علي . مات بالمدينة سنة ١١٧ هـ . عن ٧٣ عامًا . إليه تُنْسَب « الباقرية » .

٦ ـ **جعفر الصادق** : ابن الباقر . مات بالمدينة سنة ١٤٨ هـ . إليه تُنْسَب « الجعفرية » .

٧ ـ **إسماعيل** : ابن جعفر . آخر أئمة الدور السادس . إليه تنسَب « الإسماعيلية » أو « السبعية » (نسبة إلى هؤلاء الأئمة السبعة) ، وهم القائلون بسبعة أئمة مستورين وسبعة ظاهرين . من هنا نشأت « الباطنية » والقول بأن لكل قول ظاهرًا وباطنًا . والموحدون ـ الدروز ـ يسمّون الإسماعيليين الإخوان المقصرين بعدما انفصلوا عنهم .

هكذا أخذت الفِرقَ الإسلامية تتألّف وتفترق . منها الغلاة الذين اعتقدوا الألوهية في بعض أئمتهم . ومن الغلاة « الحمراوية » و « النصيرية » و « الشمطية » و « الكيسانية » إلخ (عن عقيدة التوحيد ٩٧) .

١٤ ـ **الحدود** :

يمرّ قارئ الرسائل ، في مواضع كثيرة منها ، على أسماء وألقاب ، مختلفة المطابقة ، ملْتبسة الأداء ، كما هو الشأن في الرموز الباطنية . بعضها لنفس المسمى بصيغة المذكّر حينًا ، وبصيغة المؤنث حينًا آخر . وبعضها يجعل « العقل » أوّل الحدود الخمسة ، أو يجعل الحدود أربعة ، مستثنيًا العقل ، باعتباره فوقهم جميعًا .

في اختلاف الترتيب هذا ، تُعطى النعوت للمرتبة دون الحدّ نفسه . فيقع الالتباس عند من تفوتهم معرفة الطريقة الباطنية ومواضع استعمالها . وإليك بعض هذه النعوت : العقل ـ النفس ـ الكلمة ـ السابق ـ التالي .

١ ـ « العقل » = العقل الكليّ . الإرادة . ذو معة . السابق الحقيقي . عين الزمان . قائم الزمان . علة العلل . الأمْر . الإمام . الباب . إلخ ... هذه الألقاب أطلقت في زمن الحاكم على حمزة بن على بن أحمد الزوزني .

١ ـ العقل « حمزة »

وهو « العقل » أوّل « الحدود » . ظهر في جميع الأدوار بأسماء مختلفة :

١ ـ في دور آدم كان اسمه شطنيل .

٢ ـ في دور نوح كان اسمه فيثاغورث .

٣ ـ في دور إبراهيم كان اسمه داود .

٤ ـ في دور موسى كان اسمه شعيب .

٥ ـ في دور عيسى كان اسمه المسيح يسوع ، صاحب الإنجيل ، الذي ظهر على تلاميذه . (سنذكره في فصل خاص) .

٦ ـ في دور محمد كان اسمه سلمان الفارسي .

٧ ـ في دور الحاكم كان اسمه حمزة . أي أنه كان مشخَّصًا فيه ، ويجب الانتباه أنّ حمزة نفسه ، في رسائلهِ يمجد « العقل » ، كما في الرسالة ٣٠ بقوله : « سبحانك يا مُبْدِعَ العقل التام » ...

كان حمزة فارسيًّا .ولُد بمدينة زَوزَن في خراسان من بلاد فارس سنة ٣٧٥ هـ . مساءَ الخميس في ٢٣ ربيع الأوّل . وهو اليوم (والتاريخ) الذي « ولد » فيه « الحاكم » بمصر ، ولعلّ ذلك كان السبب في أنّ الموحّدين يقيمون الصلاة الأسبوعية مساء كل خميس . أي ليلة الجمعة . إذ إن الحساب القديم كان يُتبِع الليلَ النهارَ الذي يليه .

في العشرين من عمره في السنة العاشرة من خلافة الحاكم جاءَ إلى مصر ، وتبع الحاكم ، وصار يلقَّب ، بالفاطميّ ، بعدما كان « الزوزني » ، ويشار إليه في رسائل « الحكمة » بعبارة « عبد مولانا ومملوكه » . ذُكِرت أكثر من مئة مرة .

تنمّ على فارسيته تعابير دخيلة على أسلوب الإنشاء العربي . مع أنه كتب ببيان بليغ يغلب فيه السجع . فإننا نجد له في رسائله عبارات مثل « العليّ الأعلى » و « تعالى سلطانُه علوًّا عاليًا عليًّا » [الرسالة ١٧] . و « جل ثناؤُه » و « جل اسمه » « الحاكم الحكيم » [الرسالة ٣٩] وتعابير فارسية مُدخلَة ، مثل « هرمز » أو « هرمس الهرامسة »

و « بـارخُـذاي و « كرديو بكرديو ، وحقّ ميزة بَتْزديـو » . وهي على قلـة ورودهـا لهـا دلالاتها .

بظهور حمزة بن عليٍّ بن أحمد بدأت الـدعوة « التوحيـديـة » ، وبهـا بـدأ تـاريخ من يسمّون اليوم « الـدروز » ، سنـة ٤٠٨ هجريـة . فقـد ورد في ختـام « الكتـاب المعروف بالنقص الخفيّ » ـ ولعلّه أوّل كتب حمزة ـ كما يلي :

« رُفع هـذا الكتـاب إلى الحضرة اللاهوتيـة في شهر صفر سنـة ثمـان وأربـع مـائـة من الهجرة ، وهي أولى سني ظهور عبد مولانا ومملوكه هـادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا جلّ ذكره ، لا شريك له ولا معبود سواه . وحسْبُنا مولانـا وحـده . قوبِل بها وصحّت » .

فإن حمزة قبل أن يُلَقَّبَ بالإمـام سنـة ٤٠٨ هـ كان قـد أخـذ يوفـد دعـاتـه ويوجّـه رسائله سرًّا إلى البلدان الإسلامية وغير الإسلامية ، استعدادًا لإعلان الدعوة في تلك السنة التي فيها حدث السخط على نشتكين الـدَّرَزي بعـدمـا افتضح أمره واشتـدت النقمـة على أعماله ، مما أدّى إلى فتور في بثّ الدعوة تلك السنة ، ومهّد للتخلص منه فيما بعد .

استغرق نشـاط حمزة بـدعوتـه الظـاهرة ثلاث سنوات ، هي ٤٠٨ و ٤١٠ و ٤١١ هـ . أما السنة ٤٠٩ فإنها ، كما سبَق ذكرها . كانت سنة استتار له ، زاول فيها اتصـالاتـه سرًّا . وسمّيت سنة الامتحان والخفية . فقـد كان ، بعلم الحـاكم ، وبموافقتـه على الأرجح ، ينتقل في خلالهـا خفيـةً ، من موضـع إلى آخر ، ربمـا تجنُّبًـا لثـورة الشعب عليـه ، أو استعـدادًا للظهور بقوّة التنظيم والتحضير لسنة ٤١٠ التالية الحافلة بالأحداث العقائدية .

فـإن الشعب كان يثور على كلّ انحراف عن السنّـة وفي ثـورة سنـة ٤٠٩ ، يقـول أبـو المحاسن بكتابة « النجوم الزاهرة » [ج ٤ صفحة ١٨٣] إن حسَن الأخرم . لمـا أعلن لأول مرة ألوهيـة الحـاكم ثـار عليـه النـاس ورفعوا شكواهم إلى القـاضي أحمـد بن العـوام وظلـوا يتعقبونـه حتى قبضـوا عليـه وقتلـوه وحـل محلـه تلـك السنـة الـدرزي الـذي اضطر إلى الخروج من مصر إلى بلاد الشام حيث نشر دعوته .

٢ ـ النفس « إسماعيل بن محمد التميمي »

النفس الكلية ، المشيئة ، ذو مصّة ، التـالي : حجـة الإمـام ، داعي الإمـام ، صفوة المستجيبين ، هرمس ، أخنوخ ، إدريس ، يوحنّـا ، إلـخ ... في زمن الحـاكم أُطْلِقَت على « المجتبَى » إسماعيل بن محمد بن حامد التيمي (أبو إبراهيم) .

ثاني الحدود . وجّه إليه حمزة كتابَ تعيين ، أو مرسومَ « تقليد » ، مدونة نسختُـه في « سجـل المجتبي » ، جعلـه بـموجبـه خليفتَـه وسمّـاه « صفـوة المستجيبين » و « كهف الموحّدين » . يأمر وينهى . ويولّي ويعزل . فقـد قـال لـه فيـه : « فما رأيت فيـه من صلاح وعملتَـه فهـو أمري ومـا نهيتَ عنـه فهـو نهْيِي . من خـالفـك فقـد خـالفني ، ومن أطاعك فقد أطاعني » ...

في هذا الكتاب ، وفي غيره ، يذكر أنه صهرُه . هـذه اللفظـة بمعنى القرابـة المعنويـة لا المصاهرة . والكتاب لا يحمل تاريخًا . ولكن فحواه تدلّ على أن حمزة عهـد بـالسلطـة إلى التميمي وهو على أهبة الاعتزال .

والتميمي في رسالتـه ٣٩ ، التي كُتِبَت على أثر « التقليـد » المـذكور ، يقول إن الإمـام جعله « تـاليَـه ، وحجّتـه ، وقـابِل صورتـه ، ومودعَ سرّه وحكمتِـه ، وأوجَـد مني حـدودَ دعوتِه (الحدود الثلاثة الباقين) ... فـأنـا النفس . ومنزلتي من إمـام الهـدى بمنزلـة القمر من الشمس » ..

وفي رسالته ٣٦ يقول إن قائم الزمان أمرَه بتصنيفه فوجد نفسـه عـاجزًا . لكنـه تيقن أن القوّة منه واصلة إليه . فألّفهٔ بما أيـده بـه روحـانيًّـا . « فمـا كان فيـه من صواب فهو منه . وما كان فيـه من خطـأ وزلل فهو مني » ... وسمّى نفسـه « ذا مصّـة » لأنـه يمتصّ منه العلم . هذه الرسالة تاريخها محرّم الثالث سنة ٤١١ هـ .

ولـه رسـائـل في « الحكمـة » . منهـا الرسـائـل ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ . ومن نظمــه « شعر النفس » [٤٠] فقد كان شاعرًا وعالمًا معًا .

ويطلق عليه أحيـانًـا لقب « التـالي » كما قـال هو عن نفسـه في الرسـالـة ٣٩ . لهـذا يقتضي تكرار الإيضاح منعًا لوقوع الالتباس عندمـا يطلق اسم « السـابق » أو « التـالي » في الرسائل . فالتالي هو « النفس » عندما يُقصَد بالسابق « العقل » . أما عندمـا يُقصَد

بالسابق رابع الحدود الخمسة فالتالي ، أي تاليه ، يكون آخرهم ، وهو بهاء الدين في دعوة حمزة .

واستنادًا إلى بعض المراجع ، ومنها كتابات بهاء الدين ، يكون إسماعيل التميمي لم يزل حيًّا سنة ٤٢٧ هـ .

٣ ـ الكلمة « محمد بن وهب القرشي »

الجناح ، الجناح الرباني ، سفير القدرة ، صاحب السفارة والكلام ، بشير المؤمنين ، كلمتهم العليا ، داعي القائم ... إلخ ... في زمن الحاكم أطلِقتَ على « المرتضى » **محمد بن وَهب القرشيّ (أبو عبد الله)** .

ثالث الحدود ، وأوّل الثلاثة الذين أضيفوا إلى العقل والنفس اللذين يسميان عند أهل الباطن السابق والتالي . وقد أشرت إلى الالتباس الذي يقع فيه القارئ عند محاولة التمييز بينهما وبين السابق والتالي ، أي الرابع والخامس ، عند الموحّدين .

معلوماتنا عنه نجدها في الرسالة ٢١ المؤرّخة ،« في شهر شوّال الثاني ، حين رُفعت درجته وعُيّن خلفًا لسلفِه « المرتضي » المتوفَّي . إذ إن التقليد يقول : « .. هي المنزلة التي كانت للشيخ المرتضي قدس الله سره وأنت تسلمت علومَهُ وحده ، وواريتَه تربتَه ولُحدَه . وقد سلمت إليك جميع كتبه التوحيدية ، وجعلتك مقدمًا على جميع الدعاة والمأذونين والنقباء والمكاسرين والمستجيبين الموحّدين . لا أحد فوقك أعلى منك غير صفوة المستجيبين ، أخي وصهري (أي حليفي) إسماعيل بن محمد التميمي . فاستخِرْ مولانا سبحانَه ، واخدمه حقَّ ما يجب عليك من مذهب مولانا .. والطف بالدعاة وجميع الموحّدين ، ومُرْهُمْ بالمعروف ، وانهَهُمْ عن المنكَر .. ومُر النقباء برفع ما يكون من الأخبار إليك ... وأوصيك بالمستجيبين . كنْ لهم أبًا شفيقًا ، ومربيًا رفيقًا » ...

ولم تتضّمن الكتبُ « التقليد » الأوّل الذي تشير إليه عبارة : « أمرتك به في تقليدك الأوّل » التي وردت في هذا التقليد (الثاني) الذي به رفعت درجته . أما « تقليد المقتنَى » [الرسالة ٢٢] ففيه ذكر للرضى « عماد المستجيبين وكلمتهم العليا » . وفي سنة ٤١٨ هـ . إشارة ثانية في الرسالة ٦٥ إلى « الرضى » عن ادعاء « سكين » منزلتَه .

٤ ـ السابق « سلامة بن عبد الوهاب السامري »

الصغير ، الباب السابق ، باب حجة القائم ، الباب الأعظم ، الجناح الأيمن ... إلخ ... في زمن الحاكم أطلِقت على « المصطفى » سلامة بن عبد الوهاب السامَرِيّ (أبو الخير) .

رابع الحدود ، في عهد الحاكم ، ليس في الكتب المجموعة ، وهي ستة بين يدي الدروز اليوم ، ذكر خاصّ للسابق أسوةً بسواه ممن قُلّدوا من قِبَل حمزة . وهذا مما يثبت أن هذه الكتب الستة ليست مجموعة كاملة لرسائل المذهب وهي مكاتبات ، بينها بضعة منشورات ، أشبه برسائل بولس الرسول إلى أهل رومية وكورنثية ، وغلاطية ، وأفسس ، وفيلبّي . ورسائل بطرس ويوحنا وغيرهما .

ولكن لا شك في أن « السابق » قُلّد السلطة برسوم لَمْ يُنْقَل إلينا دليلنا في « تقليد المقتني » ، اللاحق ، عبارة « تالي السابق سلامة بن عبد الوهاب السامُرّي » . وقوله ، عند تعيينه جناحًا أيسر « إذ كان الأيمن قد تقدّمك وهو سلامة بن عبد الوهاب (المصطفى) ... ولا يكون أخْذُك على المستجيبين خارجًا عما في تقليد أخيك المصطفى » ...

في صدد التسميات الباطنية التوحيدية ، نستشفّ من خلال الرسائل أن « العقل » يرمز إلى أساس الوجود الإنساني بانبثاقه من نور الله مصدر كلّ وجود . و « النفس » مصدر الحياة الروحانية والحسية ، منبثقةً من العقل علّة الوجود . و « الكلمة » ترمز إلى المنطق المنطلق من اتحاد العقل والنفس . هنا نصل إلى المعرفة ، نور الوجود الإنساني ، وهي تنقسم إلى « السابق » و « التالي » من العلم لإكمال المعرفة . فالسابق والتالي هما الينبوع الذي يجري بالمعرفة الإنسانية .

لذلك تقول الرسالة ١١ :

« السابق هو دكّةُ العالم . وعلومهم منه . إذ كانوا لا يعرفون فوقه شيئًا ... والمستجيب إذا بلغ علْمَ السابق ومعرفتَه ، حسب أنه بلغ الغاية والنهاية ... الناطق يعصر علْمَ التالي ... » . يعني بذلك أن التالي يكمل علم السابق .

٥ ـ التالي « علي بن محمد السحوقي »

الجناح الأيسر : رابع الحدود ، آخر الحدود .. إلخ .. في زمن الحاكم أطلِقت على « المقتني » بهاء الدين .

هو أبو الحسن على بن أحمد السحوقي. خامس الحدود . « المقني » . اشتهر باسم بهاء الدين . وبالإضافة إلى الأسماء والنعوت التي أطلقت عليه ، فإنه يسمى نفسه ، في الرسالة ٤٦ ، « لسان ا المؤمنين » و « سند الموحّدين » و « الجدّ الرابع الأصغر » . وفي الرسالة ٤٨ « رابع الأعداد » و « مملوك الإمام » و « العبد الطائع » . وفي الرسالة ٤٩ « العبد المقتني » و « الناصح » و « أصغر عبيد القائم » ...

قام بأعظم قسط من نشر الدعوة ، وكتب أكبر عدد من رسائلها ، زاول أعماله فيها من سنة ٤١١ هـ ، حين قلده حمزة المرتبة الخامسة بين الحدود ، حتى سنة ٤٣٤ هـ ، كما يُستدلّ من الرسائل التي كتبها في تلك السنة . لذلك فإن سيرتّه تستحق بعض الإسهاب لما تخللها من نشاط في تنظيم الدعوة ونشرها بعد غيبة الحاكم وحمزة ، إذ أصبحت دعوة روحية صِرْفًا ، في حذر وخفاء تام . منذ ٤١٧ هـ حين وصلت إليه رسالة من حمزة باستئناف الدعوة بعد سكوته خلال ٧ سنوات من حكم « الظاهر » وهي سنون المحنة والاضطهاد .

قارئ تلك الرسائل يدرك مبلغ تأثيرها ، ومتانة تعابيرها ، وبراعة كاتبها في المناقشة والإقناع والاسترسال . وقد نوّه بهذه الموهبة حمزة في تقليده [« تقليد المقتني »] بقوله له إنه جعله من « الحدود العالين و « الملائكة المقربين » .

...« عند سماع لفظك ، ومعجز تنيقك ، وإحكام تأليفك ... فكأني ّ نظرت إليك قديمًا ، وعرفتك بالذكاء والفطنة ... فاستحقّيت بذلك علوّ المنزلة . ورفيع الدرجة » . ثم يقول له إن درجات الحدود كانت قد تقدمته فلم يمكن قطعُها أو تبديلها لتعلو فيها رتبتّه . لذلك جعله « الجناح الأيسر » لأنّ « الجناح الأيمن » كان قد تَقدّمَ (وهو السابق سلامة ...) .

عن بهاء الدين لا نملك من المعلومات إلا ما تضمنته الرسائل . رسائله على الخصوص . وأكثرها بدون تاريخ . أما المؤرخة منها فأسبقُها تحمل تاريخ السنة العاشرة

من سني حمزة ، أي ٤١٨ هـ ، في شهر محرّم ، موجهة إلى الشيخ المختار وهي الرسالة ٤٥ [« تقليد لاحق » ـ الأوّل] .

ولعلّ الرسالة ٤١ أولى رسائله . كُتبت بعد غيبة الحاكم ، واستتار حمزة الذي ظل على اتصال بالمقتني بهاء الدين ، يزوّده بتعليماته وتوجيهاته . بها يقول :

« لما غابت صورة المعبود (الحاكم) . وامتنع قائم الزمان (حمزة) عن الوجود ، أيسَتْ كثيرٌ من النفوس .. و . و ... خشيتُ أن يُخْرِجهم الإياس ... فتأمّلت كتابًا وصلني من قائم الزمان ... يرسم لي فيه ... ويُجيز لي الكلام ... ويأمرني بإيضاح .. فوضعتُ هذا الكتاب ... » .

فقد كان بهاء الدين على اتصال مستمّر بحمزة ، ومعرفة بمقرّه السرّي سنين طويلة ، كما تدلّ الرسالة ٨٨ . وتاريخها على الأرجح سنة ٢١ من سني حمزة (٤٢٩ هجرية) . وكان يتلقى منه الأوامر والتوجيهات . ويكتب الرسائل المشجعة . ويؤيد بها الدعوة ، ويثبّت على الإيمان . ويعد بانكشاف اللّمّة ، وزوال الغُمّة ، وانفراج المحنة ...

أما سائر الحدود (النفس والكلمة السابق) فقد اختفوا مع حمزة . فلم يبق سوى بهاء الدين يتصل بالموحّدين ويُعنَى بشؤونهم . على ذلك تدلّ مجموعة الرسائل أنه منذ « الغيبة » انفرد بالزعامة الروحية يأمر وينهى ، ويعيّن ويعزل ، في أقطار كثيرة ، منها مصر ، وسوريا ، والعراق ، والعجم ، والهند ، واليمن . إلخ ... في كل عمل يتعلّق بشؤون الدعوة « التوحيدية » .

يلي الرسالة الأولى الموجّهة إلى الشيخ المختار [الرسالة ٤٥] سنة ٤١٨ هـ . رسالة موجهة في جمادى الآخر من السنة نفسها ، إلى « سكين » [الرسالة ٤٦] يمنحه بها لقب « الشيخ المرتضى » . ويكل إليه شؤون الدعوة في : « جزيرة الشام العليا ، وحدُّها من الشجرتين ، إلى الأردن ، إلى ما ضامَّهُ من بلد الشراه مع عمان ، وأرض البلقاء ، راجعًا إلى السواحل وكورها جبالها شاملاً لعَرْقَة (قيل إنها طرابلس) وجُونِها . إلى رفنيّة وما ضامّها . مع حمص وأعمالها . آخذًا إلى حَماة ، وتدمر ، مع سَلَميَّة منبت الزعفران ... راجعًا فيما قِبَلها . حاويًا لدمشق وعملها ، مع بلاد البَثَنِيَّة وحوران » .

سكين هذا انقلب فيما بعد على رئيسه ، وأفسد في المذهب ، وأدخل فيه حشوًا

وتحريفًا ، لا نعلم مداهما حتى الآن ، مما استوجب النقمة والتنديد . وأصبح يَنْسُبُ إليه كلّ ناكث مَريد . وينعتُ بأنه « سُكَيْنِيّ » .

وعيّن بهاء الدين أبا الكتايب [الرسالة ٤٧] في البيضاء وجميع بلدان الصعيد . وعيّن « الأمير ابن يوسف أبا الفوارس معضاد » [الرسالة ٤٨] الساكن بفلَجين ، داعيًا تابعًا لأمر سُكَيْن بقوله :

« أوْرِد وأصدرِ في مآربك عنه ... فهو الضامن لعَمارة هذه الجزيرة ، ومتى أردتَ مواصلتنا برسول ، فأنت ، بعد مشورة سُكَين واطّلاعه ، مسامَحٌ » ... أي أن معضاد لا يخابر بهاء الدين مباشرةً ، بل بواسطة سكين الذي لُقِّبَ بالشيخ « المرتضى صفوة الموحّدين » . هذا قبل انحرافه .

وتلاه « تقليد بني جرّاح » الذي به عَيَّن بهاء الدين الأميرين جابر وزمّاخ ، ولدَىْ مفرِّج . دون تعيين الأمكنة . ولا شك أن مثل هذا التقليد كثير لم يصل إلينا . فإن تنظيم الدعوة كان على نطاق واسع في أقطار عديدة . منها ما كان خاضعًا للفاطميين ، ومنها ما كان خارج رقعة دولتهم الواسعة . في بلدان بعيدة كالهند . كما تدل الرسالة ٦١ ، والرسالة ٥٣ الموجهة إلى الإمبراطور قسطنطين الثامن سنة ٤١٩ .

وقد كان لكلّ داع « مأذونون » ومساعدون . وكانت الدعوة منظمة تنظيمًا مُحْكَمًا في جهاز دقيق ، كما رأينا في أتبَاع الأمير معضاد لسكَين . والمخابرات تجري بالتسلسل ، وإن كان معظمها مفقودًا ، تدل على بعضه عبارات واردة في قليل من الرسائل ، ولكن ما لدينا منها يثبت أن زمام السلطة ، في غياب حمزة ، كان بيد بهاء الدين . ولا أخالني أعدو الصواب إذا قلت إن جميع رسائل الكتابين الخامس والسادس ، ابتداءً بالرسالة ٧١ .

انتهت دعوة بهاء الدين في السنة ٢٦ من سني حمزة (٤٣٤ هـ) على أقرب تقدير . فإن رسالة « المواجهة » [الرسالة ٨٨] والرسالة ٩٨ كتبتا سنة ٤٢٩ هـ . والرسالة ٧٤ مؤرخة سنة « ٢٢ » أي ٤٣٠ هـ .

وكانت آخر رسائله ، التي لم يُسمَع به بعدها ، « منشور الغيبة » الذي يبدو بداهة أنه كان رسالة الوداع .

قيل في غيبة بهاء الدين إنها « كانت محنة عظيمة على الموحّدين ، بانقطاع الدعوة ، وإبطال نصّ الحكمة ، وحصل عندهم بهذا ضعف عظيم في نفوسهم » .

ومما يذكر في هذا المقام أن لكل حد من الحدود الخمسة لون خاص به . فاللون الأخضر مخصص لحمزة واللون الأحمر مخصص للتيمي والأصفر للقرشي والأزرق لسلامة السامري أما الأبيض فهو لبهاء الدين ولهذا حين أعلن الاستعمار الفرنسي قيام (إمارة جبل الدروز المستقلة) ارتفع علم ذو خمسة ألوان مكون من الأخضر والأحمر والأصفر والأزرق والأبيض على المراكز الرسمية في الجبل ولا زال هذا العلم يرتفع على بيت الطائفة الدرزية في بيروت (مذكرة أيها الدرزي ١١٢) .

جميع هؤلاء مشخصون أو ممثّلون ، كما جاء في « الحكمة » ، ليس في زمن الحاكم وحسب ، بل في جميع العصور . فإن الرسالة ٣٤ تقول بلسان حمزة : «لا يخلو منّي عصر » . بمعنى أنهم يتقمّصون الثوب البشري كسائر البشر. كما تصفهم الرسالة ٣٢ . دون أن يعرفهم الناس .

ولهم أسماء ونعوت رمزية غير ما ذكرنا . كالناطق للعقل ، والأساس للنفس ، و « الأساسين » و « الأصلين » لكليهما معًا ، كما جاء في الرسالة ٣٠ : « سبحانك يا مبدع العقل التام ... وخالق النفس المنبعثة منه ... الأساسين اللذين بهما قامت التدابير في هذا العالم الجسماني ... الأصلين الأعليين الأنورين » .. وفي الرسالة ٣٧ : « النفس غير منفصلة عن العقل لقبول المادّة الإلهية ، فمن تغذّي وروّى من علوم هذين الأصلين ، فقد أكل من ثمار الجنة ، وشرب من مائها ، بالحقيقة والمعرفة » ...

إن الحدود الثلاثة الأخيرين يسمّون أحيانًا « الجد » و « الفتح » و « الخيال » . وأحيانًا تضاف هذه الأسماء الثلاثة (الجد والفتح والخيال) إلى الحدود الخمسة المصنّفة في هذا الفصل . فيصبح الجميع ثمانية . كما جاءَ ذكرهم في الرسالة ٣٨ . وفي هذا تَشابُك محيّر لغير الراسِخين في علم التوحيد ورموزه . فمن هذه الرموز تسمية الحدود « آيات » أو « آيات التوحيد » أو « الآيات المحكمات » [كما في الرسالة ٣٨] أو « الأشياء الحقيقية » . كما جاء في الرسالة ١٧ : « الأشياء الحقيقة هم الحدود الذين من قِبَل الإمام » . أما في الرسالة ٦٧ فإن « الأشياء هم أهل التوحيد » . ومن ازدواجيّة بعض الألقاب أن الغقل يسمّى « الحجة الكبرى » والنفس « حجّة » العقل . كما أن بهاء الدين من الحجج . وقس

على ذلك أسماء وألقابًا ونعوتًا وكنايات متكرّرة لا مجال لتعدادها .

١٥ ـ الدرجات الاجتماعية في الديانة

الناس فيهم على درجات ثلاث :

١ ـ العُقّل : وهم طبقة رجال الدين الدارسين له الحفّاظ عليه وهم أهل الوعظ والإفتاء . وبيدهم رحمة الموتى أو تركهم خارجها . ولهم نفوذ كبير عليهم وهو موضع الهيبة والخشية وزيهم العمامة واللحية الطويلة ومنديل يعصب على العمامة وعلى الأذنين . وهم ثلاثة أقسام رؤساء وعقلاء وأجاويد ويسمى رئيسهم الديني شيخ العقل .

٢ ـ الأجاويد : وهم الذين اطلعوا على تعاليم الدين والتزموا بها .

٣ ـ الجهال : وهم عامة الناس . يستمرون على غير دراية بشيء من الدين فإذا رغب الواحد منهم في معرفة دينه : أكثر من التردد على بعض دروس الوعظ في الخلوات . ويلاحظه شيخ العقل . فإذا لمس منه الحرص على تعلّم الدين . استبقاه بعد انصراف الناس . وسأله عن حاله . فيطلب من الشيخ أن يعطيه دينه . ويبدي استعداده للمحافظة عليه وكتمانه عن غير أهله . فيسأله الشيخ عن أنواع من الجرائم سيأتي الحديث عنها . فإن كان يلم بشيء منها استتيب وكلّف ببعض الأشياء . وترك مدة للتطهير تختلف باختلاف الذنب . وبعدها يعطي الدين . ويصبح من الأجاويد ويتحتم عليه عدم التفريط فيه أو التصريح به . وقد يعيش الشخص ويموت من غير أن يعطي دينه فيكون من الجهال ولو كان ابن ستين عامًا .

١٦ ـ المسلمون والمؤمنون والموحدون

أو

السنيُّون والشيعيُّون والدروز

هم يعتقدون أن المسلمين هم أهل الظاهر لأنهم يتبعون أشباحًا بلا أرواح كما سبق ، ويسمونهم عباد العدم لأنهم يعبدون إلهًا غير مجسّد في شخص بل هو وراء المادة . ويسمون أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة أئمة الكفر والتلحيد ، ويعتقدون أن سيدنا محمدًا كان

ناطقًا بلسان علي ، فهو الناطق والأساس الذي ينطق عنه أو لحسابه هو علي .

ويعتقدون أن فرق الشيعية الإمامية الباطنية أصلح حالاً من المسلمين ولذلك يسمونهم المؤمنين وهم أهل الباطن وإن كانوا في موضع الذم عندهم كالمسلمين السنيين .

أما الموحدون الحقيقيون فهم لأنهم تركوا الأساس والناطق أي ديانة محمد وتبعية علي إلى الإله الحق في نظرهم وهو عبادة الحاكم وتأليهه ، ومن نصوصهم في ذلك ما يأتي :

١ ـ جاء في رسالة النساء الكبيرة : (ألم يقل المجلس لكن لا يجوز للمصلي أن يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا يرفع رأسه ، ولا يلتفت إلى وراء ظهره ولا يكون نظره إلا إلى موضع سجوده ، اعلموا أن الصلاة هي الصلة بالمولى والألتفات عن يمينه هو الرجوع إلى حد الأساس والألتفات عن شماله يشير إلى حد الناطق ورفع رأسه يرجع إلى العدم ، والالتفات وراء ظهره يرجع إلى القهقرى (العمل بالشرائع السابقة قبلهم) والنظر إلى موضع سجوده فهو ليومه وعصره وزمانه ، فأي شيء تريدون أبين من ذلك لو تدبرتموه ألم يقل لكن : بأن الطهر حدان الغسل والمسح ، فأما المسح فهو على الإقرار بمن تقدم لا غير ، وأما الغسل فهو دليل على الطاعة لولي عصركن وزمانكن) .

وجاء في رسالة الشمعة قوله : (فليعلم الموحدون ذلك ويعتقدوه ولا يعبدوا المولى بلا معرفة فقد قال : ﴿ **وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه** ﴾ فأشار إلى المسلك الثالث الذي نطق القرآن به في قوله وضرب بينهم بسور له باب : السور الشريعة والباب الأساس ، كما قال الناطق : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، وقال : باطنه[1] فيه الرحمة فدل على أن الرحمة غير الباطن وقال : وظاهره من قبله العذاب ، الناطق : صاحب الظاهر ، والأساس : صاحب الباطن ، والقائم : صاحب الرحمة ، وقال صاحب الرحمة ، وقال منها خلقناكم يعني الظاهر ، وفيها نعيدكم يعني الباطن ، ومنها نخرجكم تارة أخرى ، يعني إخراج الموحدين من الظاهر ، والباطن ، إلى المسلك الثالث وهو مسلك التوحيد :

والناس ثلاثة أجناس فأهل الظاهر يقال لهم مسلمون ، وأهل الباطن يقال لهم مؤمنون ، وأهل قائم الزمان يقال لهم الموحدون) ويجب على الموحدين الكفر التام بكل من المسلمين والمؤمنين ، فقد جاء في نفس الرسالة ما يأتي :

فكل من ذكر عن نفسه أنه موحد وهو متمسك بشيء من الشرع فقد أبطل وكذب في قوله . بل هو ملحد كافر ، ومن كان من أهل الباطن تأويليا وذكر عن نفسه أنه موحد فقد كذب وأبطل في قوله بل هو مشرك كافر) .

وجاء في رسالة التنزيه عند تأويل المقصود بصلاة الجمعة قوله : (ويسقط من الصلاة ركعتين . وهو دليل من إسقاط الناطق والأساس) .

وقد سبق النص الذي يقول فيه : (أليس المسلمون للناطق والمؤمنون للأساس - إلى أن قال : فقد بينا لكن إنهما محمد وعلي فلا يجوز لكن أن تطعن أحدًا منهما . وقد نهى الدين عنهما) إلخ ...

١٧ - وخلاصة المذهب

لذلك أكتفي بما سبق لأذكر خلاصة المذهب والديانة بعد أن أوردت ما يؤيد ذلك في مخطوطاتهم فهم يعتقدون :

أولاً : بالحلول والتجسد . فالله سبحانه قد حل وتجسد في الحاكم الفاطمي والعبادة أصبحت للحاكم لأنه هو الموجود ويعبد العدم .

ثانيًا : أن الحاكم الذي هو معبودهم لم يمت وإنما غاب اختبارًا لهم أو غضبًا منهم .

ثالثًا : إن دينهم روحاني فقط أي مجموعة اعتقادات لا تتبعها تكاليف بدنية من صلاة أو صيام أو حج . ولذلك فهم لا يفعلون شيئًا من ذلك .

رابعًا : أن ديانتهم باطنية مستورة لا يصح أن يطلع عليها أحد من غير أبنائها ، وأبناؤها لا يطلعون عليها إلا بشروط خاصة .

خامسًا : وهم لذلك يقولون بالتقية أي التظاهر بما عليه الآخرون اتقاء لشرهم حتى تسمح الظروف بالانقضاض عليهم .

سادسًا : إن أهل الشرائع الأخرى خصوصًا الإسلام إنما يتبعون مظاهر باطلة وهم وحدهم الذين يتبعون الحق .

سابعًا : وإنهم ينتظرون يومًا موعودًا سوف تنطلق فيه سيوفهم في أعناق الآخرين

بقدرة الحاكم فتحصد الرقاب وترمل النساء . ومن بقي كان خادمًا وألزم الجزية والزي الخاص بهذا تزول الشرائع وتبطل الديانتان وتلغى الشهادتان وتهدم القبلتان .

ثامنًا : يرون أنه في كل عصر يقوم خمسة روحانيون هم أهل الحقيقة وحدودها وهم عباد الحاكم وأولياؤه . فهم في عصر النبي عليه الصلاة والسلام مثلاً سلمان الفارسي . والمقداد بن الأسود . وعمار بن ياسر . وأبو ذر الغفاري وعثمان بن مظعون ـ بينما يقوم بجانب هؤلاء الخمسة الروحانيين خمسة آخرون هم حدود الشريعة الناسوتية . وهم أهل التلحيد والجهالة أشباح بلا أرواح . وهم في عصر السابقين . سيدنا محمد ﷺ وعلي ، وأبو بكر وعمر ، وعثمان ، رضي الله عنهم .

تاسعًا : يرون أن أئمة المسلمين وعلماءهم أهل ضلال وجهالة ولذلك يجب التبرؤ منهم وقتالهم بالقلوب حتى يأتي الوقت الذي ينجز فيه الوعد السابق ومن هؤلاء الأئمةُ الأربعةُ وسفيانُ الثوري وأمثالُهم .

عاشرًا : وأن مولاهم الحاكم (الشنطيل) له نائب وهو قائم الزمان ومعاونون لهذا النائب ، وهؤلاء مع قائم الزمان هم الحدود الخمسة . فقائم الزمان هو حمزة بن علي بن أحمد الزوزني الملقب بهادي المستجيبين وبقية الحدود هم : إسماعيل بن محمد التيمي ، ومحمد بن وهب القرشي ، وسلامة بن عبد الوهاب السامري ، وعلي بن أحمد الطائي ، ولكل واحد منهم لقب يرمز به إليه كما مر .

حادي عشر : وهؤلاء الخمسة لم يموتوا وإنما ذهبوا إلى اليمن خلف سد يأجوج ومأجوج وأنهم سيحضرون حينما يحل اليوم الموعود . ويكنون عنهم ببنات الشمس ، ويقسمون بهم ولا يصح عقد الزواج عندهم إلا بذكر الخمسة بنات شمس .

ثاني عشر : وأرواح رؤساء الديانة في كل عصر عقب مفارقتها للأبدان أن تذهب إلى الصين لتقيم مع هؤلاء الخمسة . أما بقية الأفراد فأرواحهم تتناسخ .

ثالث عشر : فالقول بالتناسخ من عقائدهم الأصلية ، وكل درزي يموت تنتقل روحه لتحل في أول مولود منهم لا من غيرهم . وهم جميعًا من أهل الجنة . والمسيء فيهم تطهر روحه يتنقلها في أجسام فقراء أو مرضى ، فإذا طهرت تلبست أجسام السعداء من الرؤساء والأغنياء .

رابع عشر : يعتقدون أنهم شعب الله المختار فليس على الحق غيرهم وأرواحهم تتناسخ فيهم ولا يجوز أبدًا إدخال روح غريب بينهم ولا التسبب في خروج روح منهم من بينهم ولهذا لا يحل التصاهر مع غير الدروز . وتشتد جريمة الزنا إذا كانت بين طرفين أحدهما غير درزي .

خامس عشر : وهم يعتقدون أنه في اليوم الموعود سوف يظهر الحاكم ثانية وينتظرون خروجه من تحت صخرة بيت المقدس . ويكنون عن ذلك بالفرج . وحينئذ يحضر الحدود الروحانيون ومن معهم من بلاد الصين ثم يباد غيرهم وتقوم القيامة لهم وحدهم وهم أصحاب الجنة .

١٨ ـ نواياهم نحو أهل الشرائع

أما نواياهم بالنسبة للشرائع كلها فهم لا يعترفون بشيء منها ويتنكرون للشريعتين الإسلامية والنصرانية معًا ، ويعد بعضهم بعضًا بأنه سيأتي اليوم الذي يبيدون فيه غيرهم ويهدمون القبلتين ويبطلون الشهادتين ولا يبقي على الأرض إلا هم وخدامهم ، ومن نصوصهم الصريحة في هذا ما جاء في رسالة التحذير والتنبيه على لسان قائم حمزة بن علي : (فالحمد لمن أبدعني من نوره وأيدني بروح قدسه . وخصني بعلمه . وفوض إلىّ أمره . وأطلعني على مكنون سره فأنا أصل مبدعاته . وصاحب سره وأماناته المخصوص بعلمه وبركاته . أنا صراطه المستقيم . وبأمره حكيم عليم . أنا الطور والكتاب المسطور . والبيت المعمور . أنا صاحب البعث والنشور . أنا النافخ بإذن المولى سبحانه إنه في الصور . أنا إمام المتقين والعلم المبين . ولسان المؤمنين . وسند الموحدين . أنا صاحب الراجفة وعلى يدي تكون النعم المترادفة . أنا ناسخ الشرائع . ومهلك أهل الشرك والبدائع . أنا مهدم القبلتين . ومبيد الشريعتين . ومضحد الشهادتين . أنا مسيح الأمم . ومني إقامة النعم . وعلى يدي يحل بأهل الشرك النقم . أنا النار الموقدة التي تطلع على الأفئدة . أنا حد الحدود . والدال على توحيد المعبود . مفني أهل الشرك والجحود . أنا مجرد سيف التوحيد . ومهلك كل جبار عنيد . أنا قائم الزمان . وصاحب البرهان . والهادي إلى طاعة الرحمن . فالويل كل الويل لمن حاد عن طاعتي وصدف . وبتوحيد المولى سبحانه وبإمامته لم يعترف . فقد أوحى إلىّ سبحانه أنه لابد حتمًا من إنجاز الوعد المحتوم وقتل كل كافر مذموم وأفني أهل الشرك والعناد والمنافقين والأضداد وأملك بسيفي

جميع البلاد . وأحكم على جميع العباد . ففريق يسعد وفريق يحل به العذاب السرمد) .

ولما اخفقت رسالة الأعذار والإنذار بجلب اليهود والنصارى إلى الدرزية توجه إليهم بهاء الدين برسائله الرسالة الموسومة بالإسرائيلية الدافعة) ليقنعهم بأن حمزة هو المسيح المنتظر الذي سيكون الفرج على يديه . وأن المسيح بن مريم الذي صلب إنما هو ابن يوسف النجار وإن حمزة كان يعلمه الإنجيل ولما خالفه ألقي في قلوب اليهود بغضه ولهذا صلب (أعن رسائل الديانة بطريقة السؤال والجواب) .

ثم أرسل بهاء الدين رسالة إلى قسطنطين الشامن إمبراطور الروم حاول فيها أن يقرب بين الدروز والنصارى جاء فيها أن الغار قليط الذي أعلن المسيح قدومه هو حمزة بن علي .

كما حاول حمزة برسالته خبر اليهود والنصارى أن يشدهم إلى الدرزية فادعى أن زعماء اليهود والنصارى قد اجتمعوا بالحاكم بأمر الله وناقشوه في أمور الدين فأطلعهم وبرهن لهم أن النبي الذي كانوا ينتظرونه هو حمزة بن علي وقد أثبت الدكتور بدوي في كتابه مذاهب الإسلاميين ج ٢ كذب هذه الرواية ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل لذا فقد اعتمد الدروز سياسة الود والتعاون . يقول الكاتب الدرزي يوسف أبو شقرا في كتابه الحركات في لبنان ج ٢٥ لم يكن بين الدروز والنصارى ما كان بينهم عام ١٨٠٠ م الانشقاق والنفور بل كانت الطائفتان محبة إحداهما الأخرى آنسة إليها وبعبارة أخرى كانت الجماعتان كجماعة واحدة تعملان على وتيرة واحدة . يقول المستشرق بول هنذي بودو وأعجبت بتساهل هذا الشعب الدرزي وإرسال صغاره إلى المدارس المارونية وصلاته في الكنائس والمواقع على السواء) عن ابزة بابلية لدى الدروز ص ٧٤ ويصف الدكتور فيليب حتى هذه العلاقة بقوله : وقد دهش فولتي وهو كونت وعالم فرنسي من شدة الشبه بين الدروز والموارنة في أساليب العيش وفي العادات وفي الآداب العامة فإن عائلات درزية ومارونية تعيش جنبًا إلى جنب متصافية متوادة ، وأحيانًا يصطحب الموارنة جيرانهم الدروز إلى الكنائس . ويؤمن الدروز بفعل الماء المقدس الذي يصلي عليه الكاهن وأحيانًا إذا ألح المبشر في تبشير الدرزي فقد يقبل الدرزي سر المعمودية . وقد لاحظ ماريتي الراهب الإيطالي الذي زار البلاد سنة ١٧٦٠ م قبل مجيء فولتي بقليل : أن الدروز يظهرون خالص الود والاحترام للنصارى ويحترمون دينهم ،

والدرزي يصلي في كنيسة للروم الأرثوذكسي كما يصلي في مسجد تركي ، ولا يزال الدروز إلى يومنا هذا يشتركون مع جيرانهم النصارى في كثير من الاحتفالات والأعياد ، ولهذا مغزاه العميق . ويقول فريدرك بلس : إن الدروز لكي يتخلصوا من الخدمة العسكرية التركية كانوا يعلنون أنهم بروتستانت ، ويؤكد ضابط فرنسي كان مقر خدمته حوران : أن العائلات الدرزية الأرستقراطية إذا فقدت طفلاً أو أكثر يعمدون الطفل الذي يولد بعده ، وقد عمد الابن الثاني لسلطان الأطراش سنة ١٩٢٤ م ، وقد تكون ممارسة هذه التقاليد نوعًا من التقية ، وليس بمستغرب أن يتبرع درزي يقطن قرية أكثر سكانها من النصارى بالمال لكنيسة القرية » [١] .

علاقتهم بالنصيرية :

ومع أن النصيرية من الطوائف الباطنية ، إلا أن التنافس بينهما كان على أشده في كثير من الحالات وخاصة بسبب الاختلاف الرئيسي في العقيدة ، فالدروز يؤلهون الحاكم ، بينما النصيرية تؤله علي بن أبي طالب .

ويزعم الدروز أن النصيرية فرقة انفصلت عن الدروز [٢] ، وهذا الزعم ليس له أي أساس تاريخي ، فالنصيرية فرقة قبل الدروز بفترة طويلة تزيد على قرن من الزمان ، وانفصلت أيضًا عن الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ، بينما الدروز فرقة انفصلت عن الإسماعيلية .

وبسبب التنافس الذي حصل بينهما ، بعد التجاء الدروز إلى بلاد الشام ووجود النصيرية قبل ذلك هناك ، فقد ألف حمزة رسالة يحصن بها أتباعه من النصيريين وأسماها بـ (الرسالة الدامغة للفاسق في الرد على النصيري لعنه المولى في كل كور ودور) ، يرد بها على النصيرية في كثير من اعتقاداتها ، ومنها موضوع ألوهية علي ، وكذلك قضية التناسخ التي يختلفون بها حيث تقول النصيرية بإمكانية التناسخ إلى حيوان وجماد ونبات ، ثم يأتي بعد ذلك إلى موضوع إيمان النصيرية بألا يمانع النصيري أخاه في زوجته ومحارمه ، وكذلك وجوب أن لا تمنع النصيرية أخاها في فرجها ، فيرد

(١) لبنان في التاريخ / د . فيليب حتى ص ٤٩٥ ، ٤٩٦ .

(٢) رسالة في معرفة سر ديانة الدروز على طريقة السؤال والجواب .

حمزة على هذا الاعتقاد ، ويبين بعد ذلك أن الطريق الصحيح هو الإيمان بالحاكم ونبيه حمزة لأنه طريق الخلاص للنصيريين ؟ ! .

وعلاقة الدروز بالإسماعيلية ليست واضحة كل الوضوح رغم أن الدروز فرقة انفصلت عن الإسماعيلية ، إلا أن بعض كتابهم في الوقت الحاضر ينفي هذا الارتباط كليًا ، مع أن كل متمعن في عقائدهم يجد التشابه الكبير بينهم وبين الإسماعيلية ، لكن الحساسية القديمة الموجودة منذ ظهور حمزة لا تزال موجودة إلى الآن ، ولهذا فإن الكره والحقد قائم بينهم لا يدارونه إلا عندما نلتقي المصالح مع بعضها البعض في بعض الأحيان فلا يجدون مفرًّا من التفاهم فيما بينهم ليقفوا أمام أعدائهم ؟ ! .

١١ ـ رسائلهم وكتبهم المقدسة

تعرف رسائل حمزة التميمي وبهاء الدين عند الدروز بـ (رسائل الحكْمة) أو (كتاب الحكمة) ، وهذه الرسائل هي المصدر الرئيسي لمذهب الدروز بالإضافة إلى الكتب الأخرى الشارحة لها ، وتتألف هذه الرسائل من (١١١) رسالة ، مقسمة إلى أربعة مجلدات . والملاحظ في هذه الرسائل أنها تتوالى بصورة مطردة في جميع المخطوطات المعروفة لهذه الرسائل قديمها وحديثها ، ومثل هذا الاضطراد لا يمكن أن يكون قد تم عرضًا ، وهذا يدل على أن تقنينها في هذه الصورة قد تم في وقت لاحق (عن مذاهب الإسلاميين ج ٢ ص ٥١٤) .

ومن الملاحظ أيضًا في هذه الرسائل ، أن بعضها يحتوي على سجلات صدرت في عصر الحاكم ، وبعضها يحتوي على رسائل بعث بها حمزة بن علي إلى أشخاص كانوا يحتلون مكانة في الدولة مثل ولي العهد عبد الرحيم بن الياس ، والقاضي أحمد بن العوام ، أو رسائل بعث بها لدعاة الدعوة ، ومنها ما كتبه حمزة عن العقيدة نفسها ، ثم نجد بعد ذلك رسائل لمحمد بن إسماعيل التميمي ، ورسائل لبهاء الدين (عن طائفة الدروز ص ١٩٢ .

ومن الملاحظات كذلك على هذه الرسائل ، أن أكثر رسائل حمزة كتبت في سنة غيابه عام ٤٠٩ هـ ، وهي السنة التي أراد بها أن يقوي مذهبه بعد ثورة الناس عليه ، ثم إن غالبية هذه الرسائل كتبت من قبل بهاء الدين ، الذي قاد المذهب بعد اختفاء عام ٤١١ هـ .

وللدروز مصحف يسمونه (المصحف المنفرد بذاته) ، وقد صدر حديثًا ، ويعتقد أن كاتبه هو الأستاذ كمال جنبلاط الزعيم اللبناني المعروف والذي اغتيل قبل عدة سنوات ، ويقال إنه تعاون في وضعه ووضع رسائل أخرى مع عاطف العجمي وبخط الشيخ عبد الخالق أبي صالح (عن أيها الدرزي عدال عرنيك ص ٤٩) لا شك أن من مصلحته كي تستخر زعامته لهم أن يحافظ على طائفتيهم فاخترع لهم هذا المصحف .

ويتألف هذا المصحف من أربعة وأربعين عرفًا ، يحاكي فيه كاتبه القرآن الكريم بترديد ما في رسائل الدروز القديمة ، فيحاول أن يقلد أسلوب القرآن ويقتبس منه تارة ويضمن كلامه بعض آيات القرآن الكريم تارة أخرى ، وخاصة آيات النعيم والعذاب ، حيث جعلها خاصة بمن يعبد الإله المعبود عندهم ـ الحاكم ـ فمن عبده فله النعيم ، ومن كفر به فقد حق عليه العذاب ، ويعلق أحد كبارهم (عاطف العجمي) على هذا المصحف بقوله : « يكاد يفوق القرآن بلاغة (نفس المصدر ص ٥٢) .

ومن الكتب التي وضعها جنبلاط مع العجمي هذا أيضًا : رسائل بعنوان (الصحف الموسومة بالشريعة الروحانية في علوم البسيط والكثيف) وهي تشبه المصحف المنفرد بذاته ويتكون من خمس رسائل .

وهناك كتب أخرى تهتم بشرح عقائد الدروز من خلال رسائل حمزة وغيره منها (شرح ميثاق ولي الزمان) من تأليف محمد حسين ، ويدل هذا الكتاب على كثير من اعتقادات الدروز وبشكل أوضح من الرسائل .

ومنها كذلك كتاب (النقط والدوائر) والذي يتحدث عن الكثير من العقائد الدرزية ، وقد طبع في البرازيل سنة ١٩٢٠ م ، ويقال إن مؤلفه هو الشيخ عبد الغفار تقي الدين البعقليني المقتول سنة ٩٠٠ هـ (عن أيها الدرزي عدال عرنيك ص ٥٤) .

وهناك أيضًا كتاب معهم من كتب الشرح بعنوان (ذكر ما يجب أن يعرفه الموحد ويعتقد به ويسلك بموجبه) ، وهو عبارة عن تفصيل لكثير من عقائد الدروز .

١٩ ـ تاريخ « التوحيد » (التأريخ الدرزي)

للدروز تأريخ خاص بهم :

يبدأ هذا التاريخ سنة ٤٠٨ هـ ، وهي سنة « الكشف » أي السنة الأولى لظهور حمزة بالدعوة . لذلك نجد رسائل المذهب مؤرخة بسنين تسمّى « سني حمزة » . لا الحاكم . هكذا في آخر بعضها : « كُتِبَت في شهر كذا ... من سنة كذا ... من سني عبد مولانا جلّ ذكره ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين ... إلخ » . أو هكذا ، مثلا ، في الرسالة ١٦ : « رفُعِت نسختها إلى الحضرة اللاهوتية في شهر ربيع الآخر الثاني من سنة عبد مولانا ومملوكه حمزة ... » إلخ . وهي سنة ٤١٠ هـ ، السنة الثانية من سني حمزة . لأن السنة ٤٠٩ غير محسوبة من سني حمزة إذ إنه لم يمارس سلطته فيها . فقد كان غائبًا . كما سنوضح فيما بعد .

كانت السنة الأولى ابتداءً من شهر صفر سنة ٤٠٨ هـ ، ورد ذكرها أوّلاً في أولى رسائل حمزة ، ثمّ أرخت بموجبها رسائل « الحكمة » أو « المعلوم الشريف » تباعًا ، حيث يُذكر التاريخ .

في تلك السنة أعلن حمزة ألوهية الحاكم ، بُعدما ظهر من حماقات نشتكين « الدرَزي » ، الداعي الذي نُسِب الدروز إلى اسمه في ديار الشام . مما يدلّ على أن الدعوة بدأت سرّية قبل ٤٠٨ هـ . في السنة التي سبقتها ، على ما أرجح ، أو ربما قبلها . إذْ بَثَّ الدعاة سرًّا ، تمهيدًا لإعلانها فيما بعد . فكان السبب في التعجيل بها الفضائح المنسوبة إلى نشتكين وسوء تصرّفه واستعماله للسلطة منافَسَةً لحمزة وتمرُّدًا عليه .

ظهر حمزة بالدعوة في خلال ٤٠٨ و ٤١٠ و ٤١١ هـ . أما سنة ٤٠٩ فقد استُثنيتْ من سني حمزة ؛ لأنه كان مختفيًا من نقمة طوائف المسلمين عليه (عن مذهب الدروز والتوحيد ص ١١١) .

٢٠ ـ تاريخ دعاة الدروز

لقد بدأت الدعوة لأُلوهية الحاكم بأمر الله على يد ثلاثة من دعاة الإسماعيلية هم حمزة بن علي الزوزني ومحمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بنشتكين والحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع .

١ ـ نشتكين الدرزي : الأرجح أنه من أصل تركي كما يقول الدكتور الخطيب في كتابه ص ٢٧٣ : كان نتشتكين الدرزي من الدعاة الأول قبل إعلان الدعوة ثم إنه في سنة ٤٠٨ دعا « البرذعي » ، أبا منصور ، إلى التوحيد . ذِكْرُ ذلك ورد في رسالة حمزة ١٦ : « وأما البرذعي فأنا أرسلت إليه ودعوته إلى التوحيد ... فأقسم أنه لا يدخل في هذا المذهب إلا بتوقيع من مولانا . فلمّا أرسَل إليه ودعوته إلى التوجيد ... فأقسم أنه لا يدخل في هذا المذهب إلا بتوقيع من مولانا . فلمّا أرسل إليه الدّرزي رسوله ومعه ثلاثة دنانير وأوعده بالمركوب والخلّع ، مضى إلى عنده ، وفتح له أبواب البلايا والكفر » .

يُستدل ممّا نقلت أن الدّرزي بعد استجابته على يد الحبّال أصبح رئيس الدعاة في ديار الشام ثم انقلب على حمزة الذي يقول فيه : « حذّرتكم من نشتكين الدّرزي والبرذعي وأصحابها ، وما كانوا فيه من الأفعال الردية » . وكان نشتكين ينافسه وينازعه على السلطة . فقد تنكر لإمامة حمزة ، فوجّه إليه حمزة التنبيه التالي عند نهاية سنة ٤٠٨

... « إنْ كنتَ تدّعي الإيمان فأقِرَّ لي بالإمامة كما أقررت في الأول .. كم غير أن تلعن أحدًا .. لأن اللعنة لا تزيد في الدين ، ولا تنقِص منه . وخاطب الناس بالتي هي أحسن . فإن مولانا يحبّ المحسنين . فإذا فَعلتَ مالت قلوب العالم إلينا ... » .

كانت سنو حمزة حافلةً بالدعوة ، والارتدادات ، ومكافحة المرتدّين بعد استجابتهم ، ومواجهة المقاومين للدعوة . ونجد حمزة يقول بالرسالة ١٩ :

« ـ إلى معاند ومن معه في الاعتقال . المصابين من عالم الضلال ، أما بعد فقد وصل إليَّ رقعة من أبي القاسم مبارك (أحد الدعاة) أنه التقى ولد معاند وغلامه ، ومعهما رقعة بالسؤال عني ، وتذكارهم للحضرة اللاهوتية التي لا تحتاج إلى تذكرة . ولا تخفى عليها مَخْبَرَة » ... ثم يشكو بها حمزة ممن استجاب ثم نكث « مثل علي بن أحمد الحبّال الذي كان مأذونًا لي ، وعلى يده استجاب نشتكين الدرزي ... وأما أنت ، يامعاند ، وأبا منصور البرذعي ، وأبا جعفر الحبّال ، فما منكم أحد إلا وقد دعوتُه إلى التوحيد . فأبيتم ذلك ، إلا أبو جعفر الحبّال فإنه كان قد أجاب إلى مبارك الداعي أيده المولى . والذي منعه ولده علي ... وأما أنتم فمِلتُمْ إلى الحطام الفانية .. » .

ولكن الدرزي تسرع وأعلن عن عقيدتهم بتأليه الحاكم مخالفًا تعليمات حمزة بعدم البوح

بها قبل إذنه مما سبب لهم المتاعب ومحاربة الناس . فلقد حاول الجنود الأتراك قتل الدرزي ففر إلى قصر الحاكم ثم هرب إلى بلاد الشام فدعا لعقيدتهم فاستجاب له سكان وادي تيم بالشوف بلبنان ولكنه انحرف عن مبادئ حمزة فأمر حمزة بقتله .

ولأن نشتكين كان يسعى ليَحلّ محل حمزة مستعينًا بالبرذعي وغيره من الدعاة الذين انقلبوا معه على حمزة . وضرب السكة وزيف الدنانير والدراهم في سبيل الوصول إلى السلطة . فردّد فيهم حمزة الآية :

﴿ **ولو شاء ربُّك لآمن مَن في الأرض كلهم جميعًا أفأنت تُكْرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله** ﴾ ...[الآية ٩٩ و ١٠٠ سورة يونس] .

وقال إن الغطريس « هو نشتكين الدرزي الذي تغطرس على الكشف » ... وإنّه « الضد الذي سمعتم بأنه يظهر من تحت ثوب الإمام ، ويدّعي منزلته ... وادّعى منزلتَه حسَدًا له ... وسمّى روحَه (أي سمّى نفسَه . بلهجة مصر حتى اليوم) في الأوّل « سيف الإيمان » ... وزاد في عصيانه ، فقال أنا سيّد الهادين ... وغرّه ما كان يضربه من زَغَل الدنانير والدراهم ... وأبى أن يسجد لمن نَصَبه المولى وجعله خليفته في دينه وأمينَه على سرّه وهاديًا إلى توحيده وعبادته » .

في الشهر نفسه ، ربيع الآخر « الثاني » (سنة ٤١٠ هـ) وجّه رسالة ثانية إلى الموحّدين [الرسالة ١٦] جاءَ فيها :

« ... وأوّل ما حذّرتكم من نشتكين الدرزي والبرذعي وأصحابها ... اعلموا بأن الدرزي والبرذعي نطقًا بغير معرفة ولا علم ، وعملاً لغير وجْه مولانا جلّ ذكره ، وأعليا البناءَ بغير أساس ، وما أصاب أحدهما (الدرزي) ما أصابه إلا باستحقاق وعدل من المولى سبحانه على يدي ... وكان قد سألني مرارًا بكثرة أن أدفع إليه شيئًا من كُتب التوحيد مما ألفتُه . فلم أفعل . وذلك مما تفرّستُ فيه من العاقبة الرديّة . وقد قال صاحب الشريعة : « احذروا من فراسة المؤمن فيكم ، فإنه ينظر بنور الله » [حديث] .. فنظرت إليه بنور مولانا ولم أفعلْ أسَلِّمْه شيئًا مما طلبه فتردّى بالكبرياء وقال : « أنا خير منه وأقوى وأعلى » . ولم يعلم أن الغالب أعانَه المولى جلّ ذكرهُ » .

قتل نشتكين :

كان نشتكين قد أثار نقمة أهل السنة بما وجّهه من الشتائم ضدّ أعداء عليّ رضي الله عنه ، كما أثار نقمة الموحّدين . وكتب عنه إسماعيل التميمي (النفس) في كتابه « اليونان » : أنّ « الدرزي تكبّر فسقط إلى الحضيض لأن الكبرياء أصل المآثم ... إياكم وهذا الشقيّ . لكونه عصى دعوة المولى وخالفه .. واعتقد الحلول [مذهب المنصور الحلاج الصوفي] ... » إلخ .

ففي شهر شعبان الثاني . أي السنة الثانية لدعوة حمزة وهي ٤١٠ هـ . وجه حمزة إلى أعوان نشتكين وهم في السجن ، الرسالة ١٩ التي سبق ذكرها واصفًا بها تعاليم نشتكين بأنها « الطوارق . والبوائق » لأنه أدخل بها تحريفًا وتشويهًا على رسائل حمزة بقصد التنفير والاستعداء . كما فعل الداعي المرتد الآخر **سكين وابن البربرية** « المعتوه الذي ادّعى منزلة الإمام المسيح » و « **لاحق** » الذي استوجب النقمة بالتحريف وزخرفة الآيات المكذوبة ، و « **مَحَلاً** » . و « **مصعب** » ، وغيرهم .

قال حمزة في الرسالة نفسها إنّ الإمامة لا يشترك فيها اثنان في وقت واحد . فإنها نور كليٌّ لا يقبل الانقسام ، وأشار إلى القصاص الذي أنزِل بالمرتدين أمثال علي بن أحمد الحبّال ، والعجمي ، والأحوال ، وخطلخ ماجان . وغيرهم .

بها يعلن حمزة نبأ قتلهم نشتكين الدرزي سنة ٤١٠ هـ ، ويَعِد معاند ، الذي وُجِّهَت إليه الرسالة ، بأن يذكره ورفاقَه في السجن « للحضرة اللاهوتية من أجل العفو عنهم « ففي هذا إجابة سؤلكم فأبشروا واعلموا أن الفرج قريب » .

٢ ـ أما الداعي الآخر الحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع : فقد كان وسيلة مهمة من وسائل الإعلام للمذهب الجديد فكان يبعث بالرقاع إلى الناس يدعوهم فيها إلى العقيدة الجديدة وكان يطلب من العلماء وكبار رجال الإسماعيلية أجوبة على رقاعه مما حمل الحاكم على إكرامه واركابه في موكبه وهذا ما آثار أهل السنة عليه فرفعوا أمره إلى القاضي أحمد بن العوام وظلوا يتعقبونه حتى ظفروا به راكبًا على فرسه فتقدم منه رجل كرخي وألقاه عن فرسه ثم قتله فما كان من الحاكم إلا أن أمر بقتل الكرخي وبدفن الأخرم على حساب القصر وانتهز الناس هذه الفرصة فهاجموا دار الأخرم

ونهبوها (كما ورد في كتاب الدولة الفاطمية لحسن إبراهيم ص ٣٥٦) .

وممن كتب إليهم الأخرم الداعية الإسماعيلي أحمد حميد الدين الكرماني جاء في رسالته « من عرف منكم إمام زمانه حيًّا فهو أفضل ممن مضى من الأمم من نبي أو وصي أو إمام ... وإن من عبد الله من جميع المخلوقين فعبادته لشخص لا روح فيه ... فقد قامت قيامتكم وانقضى دور ستركم) .

ورد عليه الكرماني برسالة عنوانها الرسالة الواعظة .

٣ ـ حمزة : بعد موت الفرغاني أصبح الجو خاليًا لحمزة الذي يقول عنه الأستاذ مصطفى غالب الإسماعيلي بأنه وفد على مصر عام ٤٠٥ هـ ، وانتظم في سلك دعاة الفرس الذين يترددون على دار الحكمة وأصبح ممثلاً لدعاة الفرس وهمزة الوصل بينهم وبين الحاكم بأمر الله ، الذي ضمه إلى حاشيته وأسكنه في قصره . ولما خلا له الجو سمي نفسه هادي المستجيبين وقائم الزمان والعقل . ولقد هاجمه الناس في مسجد ريوان في القاهرة مقر إقامته ومع اثنا عشر رجلاً ولو لم يصدر أمر من الحاكم بوقف القتال لكان في عداد الموتى (الحركات الباطنية ٢١٢) .

غيبة حمزة الأولى :

بعد أحداث السنة الأولى ، ٤٠٨ هـ ، اختفى حمزة فلم نقف له على ذكر عَلَني مدى سنة ٤٠٩ التي وُصِفَت في مواضع كثيرة من الرسائل بأنها سنة المحنة أو الامتحان والعذاب ، لم يمارس فيه حمزة سُلطتَه . فقالوا إنّ القصد من الغيبة امتحان الموحّدين ، كما ذُكِر : « إنَّه يمتحن الخلق بغيبته في التاسعة » ، والمحنة هي غيابه الذي عاقبهم به ، وقصَر اتصالاته في أثنائها على أعوانه من الدعاة ، فكان يكتب لهم ويبثّ الدعوة سرًّا إلى مذهبه الجديد في حذر شديد لم تُنْقَل إلينا أسبابُه ، ولعلّ الغيبةَ تدبير سياسي .

وصفها حمزه بقوله [الرسالة ١٦] : ـ « وقد سمعتم ما تُلي عليكم في مجالس الحكمة من امتحان الإمام . وخِفْيّتِهِ ، وتُقْلّتِه من موضع إلى موضع نُقْلةَ الخفيَة . لا نقلة التغيير والغيبة ... وهي محنة عاقبكم بها المولى ... لأنه سبحانه أنعمَ عليكم ما لم يُنعِم على أحد في الأدوار .. وأعزّكم في وقت عبده الهادي ما لم يُعِزّ أحدًا في الأقطار » .

لم يَقصر اتّصالاته على المراسلة . بل جاوزها إلى انتقاء دعاته الذين وكل إليهم نشر العقيدة . فإننا ، مثلاً ، نجد في الرسالة ٢١ أنه في شهر شوّال قلد أبا عبد الله محمد بن وهب القرشي الداعي فرفع درجته إلى منزلة « الكلمة » بقوله :

« فرفعت درجتك . وأضفْتُ إلى منزلتك ، وهي المنزلة التي كانت للشيخ « المرتضى » قدّس المولى روحه ، وأنت تسلمتَ علومَه و « حدّه » وواريتَه في تربته . وقد سلّمتُ إليك جميع كتبه التوحيدية ... لا فوقك أحد أعلى منك غير صفوة المستجيبين (النفس) الشيخ « المجتَبى » ، أخنوخ الأوان ، وإدريس الزمان ، هرمس الهرامسة ، أخي وصهري ، أبي إبراهيم إسماعيل بن محمد التميمي الداعي ... فاستخِرْ مولانا سبحانَه . واخدم حقّ ما يجب عليك من مذهب مولانا ، والطُفْ بالدعاة وجميع الموحّدين ، وأمُرهم بالمعروف ، وانههم عن المنكر . واستحثّهم على الخدمة اللاهوتية ، وأمُر النقباء بملازمة خدمتك ، ورفْعِ ما يكون من الأخبار إليك ، وما يتجدّد بالقاهرة وأخبارها و ... فمن رأيتَ طريقَه مستقيمًا ، فأحسِنْ إليه وقرّبْه منك ، وعرّفنى حالَهُ » ...

وكان حمزة قد قلد « المجتبي » المذكور ، قبل هذا ، كما يُسْتَدلّ من النصّ ، وإنْ لم يَذكَر التاريخ في « سجلّ المجتبى » [الرسالة ٢٠] إذ قال فيه : « فجعلتك خليفتى ... وجعلت لك الأمر والنَّهْيَ على سائر الحدود ، تُوَلي من شِئْت . وتعزِل مَن شئْت ... من خالفك فقد خالفني ، ومن أطاعك فقد أطاعني » ...

يبدو أن حمزة لم يكن في القاهرة حيث يقيم الحاكم ، بل كان مختفيًا في مكان آخر ، فإنه يقول بالرسالة ١٩ : « ورسُلي واصلة بالرسائل والوثائق إلى الحضرة اللاهوتية » .

كما يبدو أنه كان حائزًا تأييد الحاكم . إذ إنه يقول : « والآن فتأييد مولانا سبْحَانَه واصلٌ إليّ . ورحمته وأفضاله ، ظاهرةً وباطنةً ، عليّ وجميع أصحابي المستجيبين عزيزون مكّرمون . وفي الشرطة والولاية وأصحاب « السيارات » مقضيُّو الحوائج دون سائر العالمين ».

وكان يُصدر الأوامر من مُعْتَكَفِه ، كالأمر الذي أصدره إلى القاضي أحمد بن العوّام [الرسالة ٢٨] يوبّخه على تسمية نفسه « قاضي القضاة » . ويمنعه به من النظر في

قضايا الموحدين . قائلاً : « إياك أن تنظر لموحّد في حُكْم ... أرسله إليّ لأحكم أنا عليه بحكم الشريعة الروحانية التي أطلقها أمير المؤمنين » . مما يدلّ على أنه كان للموحدين قانون خاص ، كقانون الأحوال الشخصية ، في ذلك الحين . وقد يكون هذا الأمر كُتب عند نهاية اعتكافه أو بعدها .

عودته :

عاد حمزة في السنة التالية (٤١٠ هـ) بقوّة ونشاط ، يشدّ أزْر أتباعه ، بما خصّه الحاكم به من التأييد . وفوّض إليه من أمور الرعية . وأطلق يدَهَ في شؤون تدبير الملك فإنه يقول بعزم بالغ [الرسالة ٣٣] « ... أنا صاحب سرّهِ وأماناته . أنا ... أنا مسيح الأمم ، ومِنّي إفاضَة النعم . أنا ... فالويل كلّ الويل لمن حاد عن طاعتي ... فقد أوحى إليَّ سبحانَه أنه لا بُدَّ من إنجاز الوعد المحتوم . وقتل كلّ كافر ظلوم ... وأملك بسيفي جميع البلاد ... فمن آمَن قبْل ظهور الوعد ، نال المفاز مع الأبرار ، وحلّ في دار النعيم والقرار ... فاصبروا على الامتحان ... وصونوا « الحكمة » عن غير أهلها ... اقبلوا ما أمرتكم ، وانتهوا عما نهيتكم . وارتقبوا ما عدتكم ... » .

ويفسّر الخفية والظهور قائلاً [الرسالة ١٨] : « لما خفي أخفيناه ، ولما ظهر أظهرناه » ... فالمولى « ستر توحيدَه وقتَ شاء . وأظهره كما شاء ... إلى أن بلغ الكتاب أجلَهَ ، وجاءَ الوعد المعلوم ، وظهر المكتوم ... فأظهرناه عند إظهاره ، وسترناه عند استتاره » .

ثم يقول [الرسالة ١٦] : « ... ومولانا جل ذكره لا يستر عبدةَ الهادي إلى عبادته عن عبيده أيامًا يسيرة (سنة ٤٠٩) إلا لما يريد من إظهار على سائر العبيد (سنة ٤١٠) ويؤيّده بالقدرة والتأييد » . وهي السنة التي أظهر فيها بطشه بقتل الدرزي والبرذعي وعدد كبير من أعوانها . فقد أطلق الحاكم يده في الحكم حتى قال : « الويل كل الويل لمن حاد عن طاعتي » .

منذ تلك السنة (٤١٠) أخذ ثاني الحدود (النفس) يوجّه رسائله في نشر الدعوة ، أشهرها كتابه « تقسيم العلوم » . وتمّ تقليد المقتني بهاء الدين ، أبي الحسن على بن أحمد السموقي [الرسالة ٢٢] . وتقليد ، أو تعيين ، سائر الحدود والدعاة . كما نستنتج . لأنه

ليس من المعقول تعيين خامس الحدود بهاء الدين ، قبل رابعهم الذي لم يَرد في كتب الحكمة نبأ تقليده في سجلّ خاصّ ، بل ورد في تقليد المقتني أنه الرابع . الشيخ « المصطفى » ، حيث يقول الكتاب : فجعلناك الجناح الأيسر ، إذ كان الأيمن (المصطفى) قد تقدّمك ، وهو سلامة بن عبد الوهاب » أبو الخير السامُرّيّ . وهذا مما يجعلنا نقول إنّ ما لدينا من الرسائل قليل من كثير ، بعضه لا شكّ مفقود وبعضه ما لا سبيل إلى الحصول عليه لإكمال النواقص في هذا التاريخ .

غيبة حمزة الثانية بعد اختفاء الحاكم بأمر الله

كان ذلك سنة ٤١١ هـ ، وهي السنة الرابعة لظهور حمزة بالدعوة ، الثالثة من تاريخه الديني أي من الكشف أو تاريخ نشاطه الظاهر وممارسته السلطة . لم يعلن فيها عن نشاط كبير . فيها اختفى الحاكم في ٢٧ شوّال . وبعد اختفائه أو غيبته وجه حمزة منشوره التاريخي المسمّى « السجلّ الذي وجِد معلّقًا على المشاهد في غيبة مولانا الإمام الحاكم » ، المؤرخ في « شهر ذي القعدة سنة إحدى عشرة وأربع مائة » . وقد يكون أولى رسائله في تلك السنة . وهي الرسالة ١ من كتاب « السِّيَر » ، أوّل كتب « الحكمة » دعا فيها إلى الثبات على الإيمان .

عُلّق هذا المنشور في المساجد للتعميم ، فقد جاء في نهايته : « حرام حرام على من لا ينسخه ويقرؤه على التوّابين ... حرام حرام على من قدر على نسخه وقصّر » .

وهرب حمزة كبير الدعاة بعد مقتل الحاكم خوفًا على نفسه إلى بلاد الشام حيث يكثر أتباعه وترك إدارة توجيه الطائفة إلى بهاء الدين . ولما مات حمزة وكثرت الفرق والآراء بين صفوفهم هددهم بهاء الدين بالاعتزال ثم اعتزل فعلاً عام ٤٣٤ هـ .

هنالك رسائل غير مؤرّخة قد تكون كتبت بعد هذا السجلّ ؛ فإنّ حمزة ظلّ على اتصال سرّي بدعاته ، واعِدًا بقرب عودة الحاكم كما تدلّ إحدى تلك الرسائل التي كُتِبت بُعَيْد الغيبة ، وهي الرسالة ٣٥ . كتبها حمزة ، وحملها أبو يعلى إلى أهل جزيرة الشام ، بعد بضعة شهور من غيبة الحاكم ، في آخر ٤١١ . ذكّرهم بها ما جرى لوليّ العهد الأمير عبد الرحيم ابن إلياس بعد إشراكه « في الخطبة على المنبر ، وفي السكّة على الدينار » . وكان الحاكم سنة ٤٠٤ أوصى له بولاية العهد ، وهو ابن عمّه ، بدلاً من ابنه « الظاهر » ، خلافًا لتقالبد الإمامة الفاطمية التى تقضي بانتقالها من الأب إلى الابن ، ثم غضب الحاكم

عليه فأمر بإحضاره من الشام فأحضره بهاء الدين في قفص من حديد بعدما كان الحاكم قد عينه واليًا في دمشق ، فأخذ يدّعي القرابة . ويظلم ويسفك الدماء ويحلل الحرام . لذلك كان غضب الحاكم عليه .

ولما تولى الخلافة « الظاهر » أرسلت ستّ الملك مَن قتل عبد الرحيم في سجنه .
عن هذا الأمير تقول الرسالة ٤٤ [« رسالة بني أبي حمار »] إنه كان « ذا مال ، وملْكٍ ، ورجال ، وضَبْنَة ، ورهط ، وعبيد ، ومماليك ... فلم يمنع منه سلطانُه ولا ماله ولا رجالُه .. فأخِذ أخْذ العبد الذليل ... والعلّةُ في ذلك إنكارُه لمبدعه ، وجحودهُ للمنعم عليه ... » .

كاتب هذه الرسالة بهاء الدين ، وإن كان أسلوبها كأسلوب رسالة « الغيبة » ومطلعها ، كمطلع تلك ، خاليًا من تمجيد حمزة . دليلنا على ذلك ما الحق بآخرها من (الشكر لقائم الزمان) وفي نهاية الرسالة قال فيها :

« معشر الإخوان ، تيقّظوا قبل ظهور الصورة . فكلّ عبادة عند **ظهورها مجبورة** ...

« معشر الإخوان ، قد قرب إليكم ما تباعد عنكم ... تَوقّوا الظلمة عند طلوع الفجر ، فإنها أشدّ الليل سوادًا ... تَوَقُّوا المحنة في آخر الفترة ، فإن في آخر الفترة ، يكون ثوران القُدرة ...

« معشر الإخوان ، لا يكُنْ مَثَلُكم مثَل مسافرٍ من بلدة يريد وطنَه ، توانَى في الحفظ من زاده ، ففرغ زاده في الطريق . فرام الرجوع إلى البلدة التي خرج منها ، فلم يقد . ورام الوصول إلى وطنه ، فلم يستطع ...

« معشر الإخوان ، احذروا غِرَّةَ الشيطان . **فإن الضدّ يظهر من بيت الولي** ، ظاهرُه ديانة ، وباطنُه خيانة ...

« معشرَ الإخوان ، إن أعلى ما يكون الباطل ، يأتي عليه الحقّ فيُخْمِده إنّ عبد مولانا ومملوكَه قائم الزمان قد أوفاكم الحجّة ، وأرشدكم إلى المحجّة فتيقّظوا من رقدتكم ، وأفيقوا من غفلتكم ... حينئذٍ توفون أجوركم وأنتم لا تُظْلَمون » ...

وقد أزيح الستار قليلاً عن نشاطه ، برسل أرسلت إلى سواه وذكر فيها ، أو وُجهت إليه ، بعد قرابة عشرين سنة من غيابه . منها الرسالة ٧٩ التي كتبت على الأرجح سنة ٤٢٧ هـ . إذ تقول : « فقد أقمنا عليكم حجج الله من مدّة سبع عشرة سنة » ... ومنها الرسالة ٨٨ [« المواجهة »] التي يتبيّن منها أن حمزة كان لا يزال على اتصال سرّيّ بدعاته ، على الخصوص « بالمقتي » بهاء الدين كانت الرسالة وهو يبدؤها « بالسلام على الإمام » موجّهًا إليه « عبيده الزائرين ... رسل العبد الذليل » . ومنها الرسالة ٩٠ الموجهة « من المستَقَرّ بالحضرة الطاهرة الشريفة » . وبها يشجّعهم على احتمال الأذى والضيق ويحثّهم على التمسّك بالإيمان ويَعدُ « بالاجتماع عند ظهور وليّ الحق .. وقد شاعت أخبارُه ... وتباشرت بها كافّة الموحّدين .. وهجمت الليلة التي نحن فيها ننتظر الصباح ... ولو أمكن لشرحنا ما هو أكثر » ... وردد الجواب [الرسالة] ٩١ بشرى عودة الإمام : « فالخفيّ قد ظهر إلى الإعلان ، واشتهر بظهور قائم الزمان ، باليمن الأقصى ، وقرُبَ ما كان نائيًا .. فلتكن الكلمة واحدة ، والألفة مجتمعة ، والمذاكرة دائمة » ...

غيبة حمزة هذه الثانية النهائية سمّيت غيبة الامتحان ، كما يقول بهاء الدين في « رسالة السّفَر » [الرسالة ٦٨] مخاطبًا « الموحّدين المظلومين المتحنَين ... المؤمنين الطهرة المسلمين » ؛ وكما سميت في مواضع كثيرة من « المعلوم الشريف » أي كتب « الحكمة » . بقصد دعوة الموحدين إلى الإيمان برجوع حمزة . وإلى « طاعة وليّ الحق الإمام القائم المنتظر » كما تقول الرسالة ٦٨ التي كتبت بعد ١٩ سنة من غيبته أي سنة ٤٣٠ هـ . وهي السنة الثانية والعشرون من سني حمزة .

كرّرت هذه الرسالة عبارة « الهادي القائم المنتظرَ » وعودته « الثابتة .. بظهور وليّ الحق عند تمام الإرادة ... فقد غاب سلام الله على ذكره ، بعد إيجاب الحجة على العوالم ... إلى أجل يتمّه بمعالم حكمته ، وينْهيه إثباتًا لحجّته على العالمين .

والرسالة ٤٣ تصورّ غياب حمزة بأنه سفر أو رحلة يعود منها . وفي الرسالة ٤١ « إشارة إلى استتار الإمام ... (الذي) لما غابت صورة المعبود . وامتنع قائم الزمان عن الوجود (الظهور) . أيِستْ كثير ـ من النفوس ، من عدم العيان المحسوس ... فتأمّلْتُ كتابًا وصلني من مولاى قائم الزمان ... » .

حمزة نفسه بالرّسالة ٣٤ يعلن هذا الاستتار ، حاثًّا أتباعه على الثبات على العقيدة والولاء للمذاهب . والمناصحة ، والمؤالفة والارتباط . متحدّثًا عن غيبته العتيدة المقبلة بُعَيْد اختفاء الحاكم ، وعن رجوعه هو قريبًا . محذّرًا ممن سيدّعون الإمامة في غيابه . ويقول : « اعلموا أن غيبتي عنكم غيبة امتحان ... فسوف يرد إليكم أمر ترونه عن قليل ... فقد أزف الظهور ، وحان الوقت المقدور . وقد أنفذتُ إلى أهل طاعتي ، ومن هو متمسك بإمامتي ، هذه الرسالة ، إعذارًا وإنذارًا ، وهدًى واستبصارًا ، فكونوا أيها الإخوان على أهبة من أمركم » ... .

يُستدلّ بالرسالة ٧٦ على أن حمزة كان بهذا « الإعذار والإنذار » يحذّر من ابن البربرية المدّعي الإمامة . وهو عليٌّ الذي ينكر حمزة أنه ابن الحاكم بأمر الله . ويَنْهَى المستجيبين بالرسالة ٩ عن أن يقولوا بأنّ الحاكم أبوه . وقد تولّى الخلافة بعد الحاكم . ينعته بهاء الدين بالرسالة ٧٦ بأنه « المعتوه المدّعى لمنزلة الإمام المسيح ... النغل الشيطان ابن البربرية ... الذي حذّر العالَم من أفْكِه قائمُ الحق قبل غيبته » . يقصد رسالة حمزة ٣٤ ورسالته ٣٣ التي مهدّت لها وتضمّنت اعتزاز حمزة بما أولاه الحاكم من ثقة وسلطان وإطلاق يد في حكم الرعيّة ، بالرغم من محاولة أخصامه الفاشلة ، وفي مقدمتهم مزاحمُه « ابن البربرية .

كان حمزة يعيّن معاونيه ، « الحدود » الأربعة ، بموجب مرسوم تعيين يسمى « التقليد » أي تقليد السلطة . من ذلك « سجل المجتبي » (النفس . إسمعيل التيمى) و « تقليد الرضى » (الكلمة . محمد القرشي) و « تقليد المقتنى » (التالي . على السموقي) ولم يرد نصّ تقليد ثالثهم « المصطفى » (السابق . سلامة بن عبد الوهاب السامُرّيّ) .

وكان المقتنى ، بعده ، يعيّن معاونيه من الدعاة . مثل « تقليد لا حق » و « تقليد سكين » و « تقليد أبي الكتايب » ، والأمير معضاد . وبني جرّاح . يُشير التقليد إلى المهمة الموكولة إلى الداعي . كقوله : « ادْعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلْهم بالتي هي أحسن » [آية] ويأمر بالدعوة إلى التوحيد ، وأخذ الميثاق ، ونصب الدعاة والمأذونين ، والحذر من الفِتَن ، وحفظ اللحظ واللفْظ . وجعل اللسان بِقول الحقّ هاديًا ودليلاً ... وما إلى ذلك من الوصايا والتعابير .

ويقسّم جهاز الدعوة إلى إلى مناطق ، فتقليد سكين يشمل بالدعوة جزيرة الشام

العليا ، والأردن ، وبلاد الشراه وعمان ، والبلقا ، وحمص ، وحماه ، وتدمر ، وسلمية ، وحوران . ويأذن بتعيين الدعاة والمأذونين ، ويحذّر « من الاستكثار ممن لا خير فيه » بما يشبه الانتقاء للجهاز الماسوني .

وتقليد الأمير معضاد يشمل عين صوفر ، والمروج ، وعين عار ، والبيره ، وكفر سلوان . إلخ .

وهكذا سائر « التقاليد » أو المراسيم ، ونقتطف من متْن تقليدين ما يدل على ما يتضمنه التقليد من فحوى . فقد جاء في سجلّ « المجتَبى » ما يلي : « ... جعلتك خليفتي على سائر الدعاة ، والمأذونين ، والنقباء ، والمكاسرين ، وجميع الموحدين ، بالحضرة الطاهرة وفي سائر جزائر الأرض وأقاليمها ... وجعلت لك الأمر والنهي على سائر الحدودِ ، تولى من شئت ، وتعزل مَن شئت ... من خالفك فقد خالفني » ... .

وفي تقليد الرضى : « ... فرفعت درجتك .. لا أحد فوقك غير صفوة المستجيبين (أي المُجْتَبَى) ... مرهُم بالمعروف ، وانههم عن المنكَر ، ومر النقباء بملازمة خدمتك ، وارفْع ما يكون من الأخبار إليك . ومن رأيته قصّر عن الخدمة ، وبان لكَ منه زلّة ، فأبدلْه بغيره » ... واشتَرَطَ في إثبات الزلة شاهدَين « ثقتين يشهدان في وجهه . فإن تاب فتُبْ عليه » ...

وكان « التقليد » يُنْسخ ويُسجَّل في ديوان الموحّدين وديوان النقباء . هذا هو بإختصار جهاز حمزة في نشر دعوته .

فلننظر أوّلاً في حمزة والمسيح .

ثم في رسالته وحدوده .

ولما مات حمزة وكثرت الفرق والآراء بين صفوفهم هددهم بهاء الدين بالاعتزال ثم اعتزل فعلاً عام ٤٣٤ هـ .

وقد بقيت العقيدة الدرزية جامدة على أصولها إلى أن ظهر الزعيم الدرزي اللبناني كمال جنبلاط والذي حاول أن يطور دينه بكافة الطرق . فحاول أن يرجع أصول مذهبه إلى مسالك الحكمة في التاريخ القديم من فرعونية وهندية وفارسية والنصرانية واليهودية ، لأن الحكمة في نظر جنبلاط لا تختلف في جوهرها ، لهذا قام بكتابة المصحف المنفرد

بذاته ليعزز بذلك وجهة نظره ولفق مصحفه من القرآن الكريم والحكمة اليونانية والهندية محافظًا عى الأصول والعقائد التي وضعها حمزة وبهاء الدين .

١٧ ـ الحاكم بأمر الله وتاريخ الدروز

لقد استطاع عبد الله المهدي أن يؤسس الدولة العبيدية في المغرب عام ٢٩٦ هـ والتي تم لها فتح مصر على يد جوهر الصقلي في عهد المعز لدين الله الفاطمي ، الذي نقل إدارة ملكه إلى مصر فبنى القاهرة وجعلها عاصمة له . ولما توفي عام ٣٦٥ هـ خلفه ولده العزيز بالله وتولى الحكم بعد وفاته عام ٣٨٦ هـ ولده أبو علي المنصور لقب الحاكم بأمر الله ، وكان عمره أحد عشر عامًا وتولى شئون الدولة معه ثلاثة من الأوصياء . وفي عام ٣٩٠ هـ قتل الحاكم أحد الأوصياء عليه وتولى زمام الأمور . بدأ الحاكم بأمر الله حكمه بقتل عدد من كبار رجال الدولة وأصدر أوامر شاذة حرم فيها أشياء كثيرة ثم عاد فأباحها ، كما أعدم كثيرًا من المقربين إليه من خدم وكَتَبَة ، وأسس دار الحكمة لإعداد دعاة الإسماعيلية إليها ، فزينوا له فكرة الألوهية التي كانت تتوق إليها نفسه فتعاطف مع مشجعيه واتخذ عددًا كبيرًا من الجواسيس رجالاً ونساءً يندسون في البيوتات ويرفعون إليه الأخبار يوميًا فكان يحدث أصحابه بخصوصياتهم حتى خيل إليهم أنه يعلم الغيب . وصفه المؤرخ ابن تغري بردي بقوله : .وكانت خلافته متضادة بين شجاعة وإقدام وجبن وإحجام ومحبة للعلم وانتقام من العلماء وميل إلى الصلاح وقتل للصلحاء ، وكان الغالب عليه السخاء وربما بخل بما لم يبخل به أحد قط . وأقام يلبس الصوف سبع سنين وامتنع عن دخول الحمام وأقام سنين في ضوء الشمس اللامع ليل نهار ثم عَنّ له أن يجلس في الظلمة فجلس . قتل من العلماء ـ والكتاب والأماثل ما لا يحصى وكتب على المساجد والجوامع سب أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ثم محاه بعد سنين (عن النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٧٦ ـ ١٧٧) لا شك أن هذه صفات مجنون . أليس من الغريب أن يكون الحاكم مجنونًا ومن الأغرب أن يكون المجنون إلهًا . أمر عام ٤٠٠ هـ بإلغاء الزكاة كما أمر بإلغاء الحج بعض السنوات . وأمر بإلغاء صلاة التراويح ثم سمح بها . لقد بدأت الدعوة الجهرية لألوهية الحاكم عام ٤٠٨ هـ على يد ثلاثة من دعاة الإسماعيلية هم : حمزة بن علي الزوزني ومحمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بنشتكين والحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع .

من سيرته :

يصفه المؤرخون بأنه كان غريب الأطوار ، مستبدًا ، متقلّبًا ، كثير السخاء والجود ، متصوّفًا ، زاهدًا ، لبس الصوف الخشن تنسكًا وقنوتًا ٧ سنوات ، وأنار الشموع ليلاً ونهارًا ٧ سنوات ، وألْزَمَ نساء القاهرة بيوتَهنّ ٧ سنوات ، ومنع فتح نوافذ للبيوت تطلّ على الشوارع ، ونهى عن أكل الملوخية ، وحرّم من البقول الجرجير ، كما حرّم الخمر بموجب « سجلّ » قُرِئ على المنابر [الرسالة ٢] . ومنع صلاة التراويح عشرين سنة ثم أباحها .

ويصفونه بأنه كان ، جبارًا ، هائل المنظر ، مهيب الطلعة ، ذا هيبة ونظرات نفاذة ، وصوت مجلجل مخيف ، شديد المراس والسطوة ، كثير الرحمة . عظيم الشجاعة والإقدام منذ تولى الخلافة وعمره ١١ سنة .

إلى جانب بطشه وقسوته كان متحليًا بالوداعة والتواضع والسهر على الرعية فقد كان ينتقل وحده في القاهرة وضواحيها بدون مرافقين ولا حَرَسَ . في ذلك يقول « كتاب اليونان » [« رسالة الدر المكنون »] إنه « كان ، إذا أراد الطواف في المدينة ، يركب على أتان » . ويُروَى أنه كان يأمر أن تظل الحوانيت مفتوحة طول الليالى في غياب أصحابها دون حراسة . ويستردّ كلّ ما يُسرق منها فورًا بعلْم خارق . وكان يُجري تفتيشًا دقيقًا لأعمال الدولة ، كثيرًا ما يقوم به بنفسه ، لمكافحة الغشّ والإهمال والفساد ، وللإشراف على حاجات شعبه وتصرّفاتهم .

تقول الرسالة ١٢ [« السيرة المستقيمة »] إنه كان يمشي أنصافَ الليالي في أوساط الذين أعدم آباءَهم وذويهم ، بدون سيف ولا سكين . ويذهب إلى صحراء الجبّ وحدَه حيث كان أعداؤه (مفرّج بن جرّاح وأعوانه) يتربصون له ... وكان يجعل أخصامه يحملونه على محفّة (محارة) ويسيرون به بين أعدائه .

ويروَى عنه أنه علم سنة ٣٩٣ هـ بأنّ عدوّه ملك الروم باسيل يحج في القدس متنكرًا ؛ فبعث إليه برقعة سرّية يُعرّفه بها أنه عالم بوجوده في بلاده وفي متناوَل يده ، وأنه مع ذلك يهبه نفسه ويتركه يتم حجة . (عن تاريخ الدروز ١٠٦) .

لقد تولى الحاكم بأمر الله أمر الخلافة وهو صغير السن وأحيط بهالة من التقديس

أسبغتها عليه عقيدة الإسماعيليين تجاه أئمتهم . ورأى حاشيته يسجدون له كلما مر بهم فنشأ طموحه لكي يكون إلهًا كغيره من ملوك الفراعنة الأقدمين وتصرفاته في إعدام الناس والإنعام عليهم مصدرها أنه إله يحي ويميت وأطلق يد دعاته للتبشير بألوهيته .

أختفاؤه :

ولكن قادة الحركة الباطنية سخطوا عليه لبوحه بالأفكار الباطنية لكل الناس كما خاف الكثيرون منهم على أرواحهم أن يبطش بها في نزوة من نزوات غضبه فنصحته أخته (ست الملك) بتعديل تصرفاته فنهرها واتهمها بسوء سلوكها ، فخافت على نفسها أن يبطش بها كذلك ، فاتفقت مع أبي يعلى حمزة بن القلانسي زعيم قبيلة كتامة المغربية ، التي كانت سندًا للفاطميين بإقامة دولتهم فأوعز أبو يعلى إلى عبدين من عبيد الحاكم أن يقتلاه بعد أن ينزل عن حماره في الليل حين يخرج إلى جبل المقطم ، فقطعوا يديه ورجليه وحملوه إلى أخته التي دفنته في فناء دارها (عن الكامل في التاريخ ٣١٤ / ٩) وفي اختفائه روايات كثيرة . منها أنه لما علم بدنوّ الأجل جمع القضاء والعلماء والفقهاء والأمراء والقادة في قصره ـ مثلما جمع المسيح تلاميذه على العشاء « الرباني » ـ وأوصاهم بالطاعة وبموالاة جماعته ، مستحلفًا إياهم « بحقّ محمد رسول الله » .... وأنه خرج ليلة الاثنين ، في السابع والعشرين من شهر شوّال سنة ٤١١ هـ . وحصل في ذلك اليوم كسوف الشمس ـ شبيه بما حصل عند صلب المسيح ـ توجّه إلى شرقيّ حلوان ، ومعه رَكّابيان ، أعادهما إلى القاهرة . ومضى .

وبعد ثلاثة ايام من انتظار عودته ، وقد تعودوا منه مثل هذا الغياب ، خرجت حاشيته إلى دير القصر والمكان المسمى « سلوان » . للبحث عنه . فوجدوا في ظاهر الجبل حمارَه الأشهب . ثم تبعوا الأثر ، حتى انتهوا إلى البركة والمقصبة شرقي « حلوان » . فوجدوا عندها ثيابه ، وهي مزررة ، لم تُحَلّ أزرارها .

والمقريزي هو الوحيد الذي ينفي هذه المؤامرة . إلا أن جميع المؤشرات والدلائل تفيد أن الحاكم بأمر الله قتل عام ٤١٥ هـ . ويقول الدكتور الخطيب في كتابه ص ٢١٤ : لعل رسالة مباسم البشارات التي كتبها الكرماني أحد أكابر دعاة الإسماعيلية مما يؤكد قولنا أن قتل الحاكم كان مؤامرة معدة بإحكام من قبل سلطات الدولة الاسمية وبمباركة الإسماعيليين أنفسهم فالرسالة تبين اضطراب الأحوال في مصر بعد دعوة تأليه الحاكم بعد

ما تقلبت أحوال الناس فالعالي اتضع والسافل ارتفع وكل واحد يرمي صاحبه بالإلحاد وخاصة بعد المقتلة التي أعدها لأهل مصر بعد ما قتلوا دعاة تأليهه حيث أمر جنوده بسلب وقتل أهل مصر وبعد سبعة أيام ضج الناس ولولا خوفه من تهديد الجنود الأتراك والمغاربة باقتحام القاهرة لوضع حد لهذه الجرائم لما انتهت تلك المقتلة وكان لابد من وضع حد لتصرفاته التي قد تقضي عليهم وكان الخلاص منه .

وحين تأكد قتل الحاكم سارع دعاة تأليهه إلى القول بأنه لم يقتل ولم يمت ولكنه اختفى أو رفع إلى السماء وسيعود إلى الأرض ويملؤها عدلاً .

لقد اكتنف الغموض حياة الحاكم ونهايتها . أما ما يؤمن به أتباعه عن تلك النهاية فقد ورد في الرسالة ٧٣ ما يلي : نقول عن غيبة الحاكم بعد « التجلي » إنه احتجب بنوره عن خلفة فلم يُقتفَ له أثر ، واستتر لغيبته وليُّه وصفيُّه (أي حمزة) ، وخلّف دعاةً » .

وفي الرسالة ٧٦ يُنسب إليه القول التالي :

« ... واعلموا أنّ غيبّي عنكم غيبة امتحان لكم ولجميع الأديان ، فمن وفى منكم بما وُثق عليه ، ولم ينكص على عقبَيْه ، فسأوتيه أجرًا عظيمًا » .

ويقول « السجلّ المعلّق » بعد غيبته إنّ من دلائل غضبه عليهم غيابه عنهم . وإنهم بالتوبة والتوسل بالصفح والمغفرة « قد ينالون غفرانه » . وها هي مقتطفات من صلاة الغفران :

صلاة :

« ها أنا يا إلهي متوجّه إليك ، متكل في النجاة عليك ، نجني يا إلهي من الغفلة عن الحق القاصد ، والاشتال بالغرور البائد ، إليك هربتُ من ذنوبي ، وأمّلْتُك لكشف كروبي ، وستر عيوبي ، فامْنُنْ عليّ برضاك . وأعنّي على ولاك ، والبراءةَ من أعداك . لك زيارتي ، وإليك معنى إشارتي ، فتصَدَّق عليَّ بنظرة منك تُحييني ، وتعطُّف يُغنيني ، ورضىً يُنَجّيني . أنت صاحب العاجلة ، وإليك حُكْم الآجلة ، مَن طلب مِن الدنيا أعطيتَه ، ومَن طلب مِن الآخرة دلَلْتَهَ وهدَيْتَه . سماءُ مجدِك مُطِلّة ، وسحائب جودِك مُنْهَلّة . أنت المُغْني من كل قِلّة ، والشافي من كلّ عِلّة ، وأنا عبدُك اللائذُ بِحَرَمِكِ ، الشاكر لنِعَمك ، المستقيل من نِقَمِك ، المستجيرُ بك في الدنيا من الحيرة

والفقْر ، وفي الآخرة من عــذاب القبر . احفظني من فتنــةِ الــدّجــالين ، ومن غرور الغـاوين ، ومن بَلّسِ كلّ شيطــان مــارد رجيم ، وهَب لي النصرَ والغلبَـة على شهـوات نفسي ، وخبائث وساوسِها وشرورها . إنك حميد مجيد ، جوّادٌ كريم . تَجاوزْ عمّـا مضى . واعفُ عنا . واغفر لنا ذنوبنا . وبدّل سيئاتنا بوعدك الصادق ، وإحسانك القـديم ، بـك اهتدينا ، وبنورك أبصرْنا ، وعليك اتكلنا ، إنك أهل التقوى ، وربّ المغفرة ، لك الحمد على ما مننت يا مولانا . وإنك نعْمَ النصيرُ المعين » .

وصفه المؤرخ ابن تغري بردي بقوله : وكانت خلافتـه متضـادة بين شجـاعـة وإقـدام وجبن وإحجـام ومحبـة للعلم وانتقـام من العلمـاء وميل إلى الصلاح وقتل للصلحـاء ، كان الغالب عليه السخاء وربما بخل بما لم يبخل به أحد قط . وأقـام يلبس الصوف سبع سنين وامتنع عن دخول الحمـام وأقـام سنين في ضوء الشمس اللامـع ليـل ونهـار . ثم عنّ لـه أن يجلس في الظلمة فجلس . قتل من العلمـاء ـ والكتـاب والأمـاثل مـالا يحصى وكتب على المساجد والجوامع سب أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعـاويـة وعمرو بن العاص ثم محـاه بعـد سنين (عن النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٧٦ ـ ١٧٧) لا شـك أن هـذه صفـات مجنـون . أليس من الغريب أن يكـون الحـاكم مجنـونًـا ومن الأغراب أن يكـون المجنون إلهًـا . أمر عـام ٤٠٠ هـ بـإلغـاء الزكاة كما أمر بـإلغـاء الحج بعض السنوات . وأمر بإلغاء صلاة التراويح ثم سمح بها .

وحين تأكد قتل الحاكم سـارع دعـاة تـأليهـه إلى القول بـأنـه لم يقتل ولم يمت ولكنـه اختفى أو رفع إلى السماء وسيعود إلى الأرض ويملؤها عدلاً .

وهرب حمزة كبير الدعاة بعد مقتل الحاكم خوفًا على نفسه إلى بلاد الشـام حيث يكثر أتباعه وترك إدارة توجيه الطائفة إلى بهاء الدين . ولمـا مـات حمزة وكثرت الفرق والآراء بين صفوفهم هددهم بهاء الدين بالاعتزال فعلاً عام ٤٣٤ هـ .

وقد بقيت العقيدة الدرزية جامـدة على أصولهـا إلى أن ظهر الزعيم الـدرزي اللبنـاني كمال جنبلاط والذي حاول أن يطور دينه بكافة الطرق . فحاول أن يرجع أصول مذهبه إلى مسالك الحكمة في التاريخ القديم من فرعونية وهندية وفـارسيـة ونصرانيـة ويهوديـة ، لأن الحكمـة في نظر جنبلاط لا تختلف في جوهرهـا ، لهـذا قـام بكتـابـة المصحف المنفرد بـذاتـه ليعزز بـذلـك وجهـة نظرة ولفـق مصحفـه من القرآن الكريم والحكمـة اليـونـانيـة

والهندية محافظًا على الأصول والعقائد التي وضعها حمزة وبهاء الدين .

الدروز عبر التاريخ : عندما زحف المغول على بلاد الشام سنة ٦٥٧ هـ بزعامة هولاكو كانت السيطرة في لبنان بيد الأمراء التنوخيين الدروز ، ولما دخل كتبغا بن هولاكو دمشق جاء أمير الدروز جمال الدين حجي الثاني معلنًا ولاءه وخضوعه له فتركه كتبغًا أميرًا في المقاطعة الغربية ، ولما جاء بيبرس من مصر على رأس جيش المماليك لمحاربة المغول انضم الأمير الدرزي زين الدين إلى جيش المماليك بحيث يحافظون على طائفتهم في حالة انتصار أي من الطرفين ، بعد انتصار المماليك على المغول واستيلائهم على بلاد الشام لم يتعرضوا للدروز بسوء ولما علم بيبرس باتصال الدروز بوالي طرابلس الصليبي توجس منهم خيفة وأمر بسجن أمرائهم ليأمن غدرهم ، واستمر في مهمته بالاستيلاء على المناطق الساحلية . ولما قامت الدولة العثمانية وضمت إليها البلاد العربية حاول الأمير فخر الدين أن ينفصل عن الخلافة الإسلامية ، فأنشأ معاهدة تجارية مع دوق فوسكانا تضمنت بنودًا عسكرية سرية ضد العثمانيين فقرر السلطان التخلص منه فجرد عليه حملة سنة ١٦٠٣ م فهرب إلى أوربا . كان عطف فخر الدين على الموارنة من أبرز مظاهر سياسته الداخلية حتى سمي / حامي النصارى في الشرق /. وفي عام ١٢٥٣ هـ قام الدروز بتمرد على محمد علي باشا في جبل الدروز بسبب تجريدهم من السلاح وتجنيدهم في الجيش حتى أخمده عام ١٢٥٦ هـ .

وفي أثناء ولاية مدحت باشا على الشام تمرد الدروز على العثمانيين وامتنعوا عن دفع الضرائب فجردت الدولة العثمانية حملة لتأديبهم ، فتدخلت بريطانيا لدي الباب العالي لحل الأزمة سياسيًا ، مما شجعهم على الاعتداء على جيرانهم في الكرك وأم الولد والمسمية في حوران وحرقوا زرعهم عام ١٢٩٦ هـ ، وقد أثيرت مشكلة اعتداء الدروز على سكان حوران في مجلس المبعوثان عام ١٣٢٨ هـ والموقف الوطني الوحيد يسجله سلطان باشا الأطرش بانضمامه إلى الثورة السورية ضد الفرنسيين التي انتهت بجلاء القوات الفرنسية عن سوريا والحمد لله تعالى .

ودروز اليوم ثلاثة أصناف :

١ ـ **قسم الزعماء السياسيين والروحيين :** هؤلاء متمسكون بديانتهم تمسكهم بمصالحهم فكلما تمكن أفراد الطائفة من دينهم ، دانوا بالولاء والطاعة العمياء لرؤسائهم فهم

يحافظون على الدين حفاظًا على مراكزهم ومكاسبهم .

٢ ـ وعامة الطائفة : وجدوا آباءهم على ملة آثارهم مقتدون فهم عناصر طيعة بيد الرؤساء لا يُعملون فكرهم في صلاح عقيدتهم أو سلامتها بل يأخذون من شيخ العقل الذي أخذ عن أسيادهم المعصومين .

٣ ـ **المثقفون** : وهم القسم الثالث ، جلهم لا يؤمنون بعقائد الطائفة لأنها مرفوضة بمنطق العقل السليم تراهم بعيدين عنها دون أن يتعرضوا لها بسوء حفاظًا على ترابط الطائفة وقد التزم الكثيرون منهم الأحزاب القومية والسياسية والدروز من حيث ولائهم لوطنهم قسمان :

١ ـ **القسم الأول** : وهم سكان جبل العرب حوران هؤلاء وطنيون لا يوالون الصهاينة وقد نجد بين صفوفهم بعض العملاء شأنهم شأن أي أمة من الأمم .

٢ ـ القسم الثاني : سكان الجولان وجبل الشيخ امتداد جبال لبنان الشرقية كقرى مجدل شمس وعين قنية ومسعدة . وبعضهم موالون للصهيونية وأكثر شبابهم متطوعون في جيش الدفاع الإسرائيلي ولهم فرقة خاصة بهم .

وللحق فإن صفوفهم لا تخلو من المواطنين الذين لم يوالوا إسرائيل ولكنهم أقلية ، ولا بد لي من تذكير العناصر المثقفة المتنورة بمسؤوليتهم في توعية الأقسام الأخرى ؛ علَّهم يفيئون إلى الحق ويخرجون من هذه العزلة إلى رحابة الإسلام وسماحته وسمو تشريعه ونبل غايته .

من زعمائهم المعاصرين كمال جنبلاط وابنه وليد جنبلاط الذي خلف والدهُ بزعامة الطائفه في لبنان والدكتور نجيب العراوي رئيس الرابطة الدرزية في البرازيل وعدنان بشبر رئيس الرابطة الدرزية في أستراليا وسامي كرم الذي ساهم في عدة تآليف مع كمال جنبلاط .

١ ـ سيطرتهم على جبل حوران : يقول المؤرخ محمد كرد علي في خطط الشام ص ٣ ، ١٠١ ، ١٠٢ ما يلي :

لما وقعت حوادث لبنان عام ١٨٦٠ قضت الطبيعة على بعض رجال الدروز أن يهاجروا إلى جبل حوران فرحلوا إليه في فريق من إخوانهم أهل وادي تيم ، والجبل الأعلى ، وصفد ، وعكل ، وغوطة دمشق ، وإقليم البلان وكان منهم طائفة فروا من وجه القضاء في الأصقاع الأخرى وكان أول نزول لهم في حوران بعد وقعة عين دارة المشهورة في لبنان سنة ١٧١٠ م فتألفت منهم كتلة قوية راحوا بعدها يناوشون النصارى والسنيين من أهل القرى والبادية حتى استقلوا بها استقلالا تامًا . فقد هجموا على أهل بسر الحرير سنة ١٢٩٦ وقتلوا من أهلها ثمانية أو عشرة أشخاص وفي سنة ١٢٩٨ هجموا على قريتي الكرك وأم ولد وذبحوا سكانها عن بكرة أبيهم ولم يبقوا حتى على الأطفال الرضع ومازالوا يهاجمون أهالي حوران حتى استقلوا بالجبل وأجبروا سكانه الأصليين على النزوح عنه كآل سويدان نسبة إلى السويداء ، والصلاخدة نسبة إلى صلخد ، وآل الكفري نسبة إلى الكفر . وهؤلاء يسكنون القرى القريبة من الجبل حتى أصبح الجبل منيعًا لا تجرؤ الدولة على دخوله نظرًا لمناعته . والذي زاد الطين بلة أن فرنسا تحمي الموارنة الكاثوليك وانكلترا تتشيع للدروز لتوزيع نفوذهما في سوريا أو لضرب أحداهما بالآخر . فلما أخذت الدولة العثمانية أهبتها لتأديب الدروز قام سفير انكلترا في الأستانة يشكو من ذلك ويكرر التردد على المابين (الباب العالي) حتى أصبحت الأوامر ترد بحل هذه القضية حلا سلميًا . أشهر عائلاتهم آل الأطراش في سوريا ، وآل جنبلاط ، وآل يزبك ، وآل شهاب في لبنان ، وآل كنج في الجولان .

٢ ـ دروز لبنان في خدمة نابليون : يقول نابليون بونابرت :ـ « بينما كنت أحاصر عكا أتت إليّ مفرزة من الخيالة الدروز تحت إمرة الشيخ عمر الضاهر ودهشت وأسرت لمنظرهم وشعرت بدافع قوي يشدني إلى كل منهم ، كنت أتخيل أن للدروز طابعًا تركيًا قويًا (إسلاميًا) ولكنني رأيت أنهم لا يحملون أي طابع تركي . وأكثر من ذلك شعرت بأواصر قوية تشدنا نحن الفرنسيين إليهم » . ويقول بورون : إن الدروز والموارنة آزروا نابليون ، وأن الأمير بشير أمده بالقادة والمستشارين وأن فارس بك الأطرش قال له إن

جده إسماعيل الأطرش كان يملك عدة رسائل بإمضاء نابليون موجهة إلى والد إسماعيل ولكن هذه الأوراق أتى عليها حريق في المنزل . (عن كتاب الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي ص ٢٢٣) والمرة الوحيدة التي وقف فيها دروز لبنان ضد فرنسا حين أمرهم القائد البحري الانكليزي بذلك . يقول الكاتب الدرزي فريد أبو مصلح : إن سيدني سميث القائد البحري البريطاني وجه نداء إلى الشعب في لبنان يدعوه للقيام بواجبه تجاه السلطان وأن يمنع وصول المؤن والمساعدات إلى المحتل الفرنسي ونتيجة ذلك سلم الدروز القائد البريطاني ثمانين أسيرًا فرنسيًّا ، ويعلل الكاتب هذا الموقف أنهّ كان استجابة لأمر الضابط البريطاني لأن الدروز برأيه لا يمكن أن يكونوا إلى جانب السلطان العثماني .

٣ ـ موقف دروز سوريا من انكلترا وفرنسا : كتب سليم الأطرش قائد الجيش التركي رسالة إلى ابن عمه سلطان باشا الأطرش يحذره فيها من الوقوف ضد السلطان العثماني فأجابه سلطان باشا بالرسالة التالية يعلن فيها ولاءه لإنكلترا : لجناب معالي قائد الجيش التركي سليم باشا الأطرش الأفخم بعد السلام عليكم أبدي أنني اطلعت اليوم على رسالتكم الوهمية التي لقنت عليكم من صناع الترك . وكنت أريد أن أجيبكم على كل حرف منها غير أن وقتنا الثمين لا يسمح لنا وخاصة على ذكركم الدولة التركية البائدة ووصفكم إياها بأسماء وصفات هي لا تقبلها على نفسها . إلى أن يقول : ونحن أعلنا الحرب المقدسة على بواقي جيوش الترك الجائعة وننصحك أن تعود إلى جادة الصواب لئلا بعد قليل تندم حيث لا ينفع الندم . وأن الأخبار التي سمعناها عن سقوط بلاد نابلس والناصرة وطبريا بيد دولة العالم وسيدة البحار بريطانيا العظمى صديقتنا القديمة وحاضنة دماء طائفة الدروز هي حقيقة وليست أخبارًا مصنوعة في ألمانيا ، أو آتية بطريقة الأجانس العثماني . أما الأتراك اللئام فهم قوم جالطة بوك أي كل شيء عندهم مفقود حتى الجند . وعليه باسم عائلتنا الكريمة التي أريد أن أخرج من صف رجالها كما تريد أنت أنصحك أن ترعوي وتعود إلى صوابك لئلا تصبح محرومًا من أن تكون طرشانيًّا بطبيعة الحال . أما جيش علبة العطارة فهو جيشك الفار ونحن الآن بصف الدول العظمى . ونحن إن شاء الله سنكون خير سلف وسنحافظ على شرف الدروز ومستقبلهم ولا نجعلهم يداسون كما تريد أن تضعهم أنت تحت أقدام أسقط وأوحش دويلة في العالم ودمتم ١٩ ذي الحجة ١٣٣٦ هـ ابن عمكم سلطان الأطرش .

قال الدكتور زوقان قرقوط « وقد عرضت الرسالتين التاليتين المتبادلتين بين زعيمي هذين الاتجاهين .. على سلطان باشا الأطرش فتذكرهما وصادق على صحتها » (تطور الحركة الوطنية في سوريا ص ٢٦٤) .

ويقول الدكتور زوقان قرقوط الدرزي في كتابه تطور الحركة صفحة ٦٤ ما يلي :ـ (وعندما عين الجنرال غورو مفوضًا سياسيًا وقائدًا عامًا لجيوش فرنسا بعد معركة ميسلون اختار حرسه الخاص من الدروز بمعرفة متعب الأطرش (صديقهم) وخص الجبل بأكثر من ثلاثة آلاف صورة من صوره وهو في زيه العسكري ويحيط به حرسه الدروز بثيابهم العربية المزركشة وسيوفهم المتوهجة) .

وما أن دالت دولة الخلافة وسيطرت حكومة تركيا الفتاة حتى أعلن القائد الدرزي سليم بن يحي الأطرش ولاءه لفرنسا فوثق به المندوب السامي الفرنسي الجنرال غورو وعينه حاكمًا على الجبل وسموه جبل الدروز بدل جبل حوران . أما والده يحي الأطرش فقد كتب رسالة إلى القنصل الفرنسي في رودس حيث نفاه الكماليون يرجوه فيها التدخل لإطلاق سراحه جاء فيها :ـ سيدي القنصل أتشرف أن أعرض لكم ما يلي : فإن حكومة تركيا الفتاة قد نفتني لمعارضتي لها في بلادي داخل سوريا فلقد كنت دائمًا صديقًا لفرنسا التي تتمتع في بلادي بأعظم نفوذ وأنني إذا أنعم الله علي بالرجوع إليها سأعمل كذلك على نشر المزيد من هذا النفوذ ، إن الجنرال أمفليو يريد أن يسوقني من منفاي هنا إلى إيطاليا مع سائر المنفيين وبودي أن لا أحشر مع الآخرين . وإكرامًا لاسمي أن يطلق سراحي وأن أغادر رودس لوحدي . ولما كنت أعرف مدى اقتدارك جئت أرجوك أن تقول للجنرال بأن لا يسوقني مع المنفيين الآخرين وإنني إذا حظيت بهذا المعروف لن أنساه أبدًا وسوف تكون بقية حياتي وقفًا على إجلالكم وعلى تقدير فرنسا . الختم يحي الأطرش وبعد وساطة قنصل فرنسا وعودته إلى سوريا جدد عهده لفرنسا في اجتماع سري بالقنصل الفرنسي في منزل الأمير عمر الجزائري بدمر وعلى أثر ذلك قدمت وزارة الحربية مسدسين هدية له رمزًا لولائه (تطور الحركة ص ٢١٧)

عند بداية الحرب ضد الأتراك أرسل سلطان باشا الأطرش رسالة إلى المعتمد البريطاني في القدس يستأذنه فيها بإعلان الثورة علىالأتراك إلا أن الجواب جاءه من المعتمد الفرنسي حداد باشا . وكرر الكتابة إلى المعتمد البريطاني فأجابة المعتمد الفرنسي حداد باشا مرة

أخرى . قال الدكتور زوقان لقد أكد لي سلطان باشا الأطرش هذه المعلومات عندما ورده جواب حداد باشا قال لزملائه إن الدولتين متفقتان على اقتسام النفوذ وأن سورية نصيب الفرنسيين (نفس المصدر ٦٢) .

٣ ـ دولة جبل الدروز : منذ أن سيطر الدروز على جبل حوران وهم يحلمون بإقامة دولة مستقلة لهم فيه وما أن قويت صلة الدروز بالفرنسيين إثر الاحتلال الفرنسي لسورية حتى تقدم الرؤساء الروحيون ومشايخ الجبل بكتاب إلى رئيس البعثة الفرنسية بدمشق يرجونه رفع برنامج الاستقلال المقترح للمندوب السامي الفرنسي للتصديق عليه نقتطف بعض بنوده :

١ ـ حكومة جبل الدروز حكومة شورية مستقلة استقلالا داخليًا تامًا .

٢ ـ تقبل حكومة جبل الدروز الانتداب الفرنساوي بشكل لا يمس استقلالها .

٣ ـ تسمى هذه الحكومة مشيخة جبل حوران ويدخل ضمنها كامل ، وعرني ، واللجاة ، والصفا وتمتد إلى حدود دير علي من الجهة الشمالية وإلى حدود الأزرق من الجهة الجنوبية .

٤ ـ يرأس هذه الحكومة حاكم أهلي تنتخبهُ الأهالي وفقًا لقانون مخصوص مرة كل ثلاث سنوات ويكون لها مجلس استشاري كبير ينتخب أعضاؤه وفقًا لقانون مخصوص مرة كل ثلاث سنوات أيضًا .

٥ ـ يقوم هذا المجلس مقام المجلس الملي ولا يقل أعضاؤه عن الثلاثين عضوًا .

٦ ـ تعين وتحدد صلاحية ووظيفة كل من الرئيس والمجلس بقانون خاص يوافق عليه عموم أهل البلاد بجمعية عامة .

٧ ـ تستمد حكومة الجبل ما تحتاج إليه من المساعدات المادية والفنية والاقتصادية من الحكومة المنتدبة .

٨ ـ لا يحق للحكومة المنتدبة المداخلة بأمور الجبل الداخلية ولا تجنيد أهالي الجبل ولا تنزع الاسلحة منهم .

٩ ـ يعهد بأمور الجبل السياسية والخارجية لمأموري الحكومة المنتدبة ولا يكون

للحكومة الوطنية مأمورون سياسيون في الشام أو فلسطين أو جبل لبنان .

١٠ ـ واردات الحكومة :ـ من الجمارك السورية الفلسطينية وواردات المصالح والضرائب .

١١ ـ ينحى الرئيس إذا أخل بالقوانين والمصالح الأساسية وأصدر المجلس قرارًا بتنحيته وأفتى مشايخ العقل بذلك .

١٢ ـ مشايخ العقل ينصبون مدى الحياة ولا يعزلون ولا يحق لحكومة الانتداب المداخلة بوظائفهم (تطور الحركة ٢٢٦)

وفي مطلع آذار ١٩٢١ وقع المندوب السامي الفرنسي في دمشق اتفاقية مستمدة من برنامج الاستقلال وأنعم على سليم باشا الأطرش بتعيينه أميرًا للجبل وفي ٢٤ / تشرين أين أول / ٩٢٢ أصدر الجنرال غورو قراره رقم ١٦٤١ بإعطاء جبل حوران استقلاله باسم دولة جبل الدروز المستقلة ، يقول زوقان قرقوط وهكذا خلقت دولة لم يكن عدد سكانها يتجاوز الخمسين ألفًا ووجد لهم علم مستمدة رموزه من رموز طائفية ، ومجلس تمثيلي يكاد يكون جميع أعضائه أميين ، وتكريسًا لهذا الكيان الطائفي صارت تقام احتفالات تبدأ من ٥ نيسان في كل عام تمتد خمسة عشر يومًا باسم أعياد الاستقلال تشترك فيه كافة القرى بتقديم الضيافة وألوان الفولكلور الشعبي يحضرها المندوب السامي الفرنسي بنفسه أحيانًا .

٤ ـ أسباب ثورة سلطان باشا الأطرش ضد الفرنسيين :ـ

أ ـ ألقت السلطات الفرنسية القبض على أدهم خنجر الذي كان ملتجئا إلى القريا عند سلطان باشا في ٢٢ / ٧ / ١٩٢١ فغضب سلطان لخرق الأعراف وعدم إكرامه بإجارة من أجاره .

ب ـ إن تعيين الفرنسيين لسليم الأطرش حاكمًا عامًا أثار غضبه والمقربين إليه ولما توفي سليم عينوا مكانه عمه حمد الأطرش زعيمًا للجبل ورفض أنصار سلطان هذه الزعامة فقال عبد الغفار : كل واحد زعيم بيته .

جـ ـ أدى التنافس بين آل الأطرش على الزعامة إلى فقدانهم منصب الحاكم الوطني

ففي تموز ١٩٢٣ عين الكابتن كاربيه مستشارًا للحاكم وبعد وفاة الحاكم استطاع أن يضغط على المجلس الاستشاري فانتخبه حاكمًا عامًا .

د ـ بدأ كاربيه حاكم الجبل يتصرف دون الرجوع إلى زعماء الجبل مما أثار غضبهم . كما أنه ألحق بهم بعض المظالم فذهبوا إلى الجنرال سراي يشكون حاكمهم الفرنسي فطردهم سراي ولم يستقبلهم فبدأوا يثيرون الاضطرابات في الجبل فدعا الجنرال سراي زعماءهم حمد ، ونسيب ، وعبد الغفار وسلطان من آل الأطراش لزيارته في دمشق في ١١ / ٧ / ١٩٢٥ فحضر الجميع باستثناء سلطان فغدر سراي بالثلاثة ونفاهم إلى تدمر ونفى آخرين إلى الحسكة وحاول الفرنسيون القبض على سلطان فاعتصم بالجبل وأثار بني قومه وكانت معركة المزرعة التي انتصر فيها الدروز وأطلق بنتيجتها سراح زعمائهم وسويت العلاقة بين فرنسا والدروز بعد عامين وعادت العلاقات إلى طبيعتها ولو أن سراي كان لبقًا معهم واستمع لأقوالهم وحل مشكلاتهم لما كان هنالك ثورة .

هـ ـ وهناك من يقول إن لهذه الثورة أسبابًا سياسية خفية فقد كانت صلة سلطان باشا بالإنكليز وثيقة كما أوضحنا ولما ساءت العلاقة بين فرنسا وانكلترا بسبب رغبة إنكلترا بإقامة وحدة الهلال الخصيب تحت زعامتها وهذا يعني إنهاء دور فرنسا في سوريا ويشير سامي الصلح إلى التنافس البريطاني الفرنسي بقوله : (استعمرنا الفرنسيون وحررنا الإنكليز) ، لذا فقد شجعت انكلترا سلطان باشا على التحرك ضد فرنسا لخلق متاعب لها عن طريق كلوب باشا جاره الذي يسهل عيه الاتصال به ومما يعزز هذا الرأي أن سلطان حين انتهاء ثورته واستتباب الأمن لفرنسا غادر الجبل في ٢٨ / ٥ / ١٩٢٧ إلى قريات الملح ثم لجأ إلى الأردن وأقام في الكرنك حتى عام ١٩٣٧ حيث عاد إلى الجبل بعد صدور العفو عنه وكان كلوب باشا الإنكليزي آنذاك قائدًا في الجيش الأردني فلو طلبته فرنسا من كلوب باشا لأمكنه القبض عليه وتسليمه إلى فرنسا .

و ـ صلة سلطان الحسنة بأقاربه المعروفين بصلاتهم الوثيقة مع فرنسا عبد الغفار ، وحسين وتعيينهم عضوين في اللجنة العليا المشرفة على الثورة الدرزية ليثير الشك حول دوافع هذه الثورة هل هي ثورة سورية وطنية أم ثورية درزية بحتة ؟ ومما يزيد الأمور وضوحًا أن الحكم الوطني حينما عين نسيب البكري حاكمًا لجبل الدروز رفضه الوطنيون في الجبل لأنهم كانوا يريدون حسن الأطرش أخا سليم ولم يقبلوا بذلك إلا بعد

رغبة سلطان بـالاستجـابـة لقرار التعيين بعـد وسـاطـة رجـال الحكم الوطني ولقـد تطوع الكثيرون من الدروز في جيش الاحتلال الفرنسي وساهموا مساهمـة فعـالـة في قمع الحركـة الوطنية .

يقـول المـؤرخ الـدرزي الـدكتـور زوقـان في كتـابـه ص ٦٣ مـا يلي : (فكان يحيى الأطرش حقًّا وفيًّا للفرنسيين مقيمًا على العهد وورثه خلفاؤه (سليم ومن جاء بعده) هـذا الوفاء بعهده . ويقول الحاكم الفرنسي سارازان لسكرتيره عن الدروز : إن المحتحبين علينـا يقيضون في الليل ويثورون في النهار والرجل الوحيد الذي رفض أن يتعـاون معنـا وأن يقبض منا هو يوسف هلال الاطرش) (عن الـدروز لفؤاد الأطرش ص ٢٩٠) وفي عـام ١٩٥٦ استعانت انكلترا وأمريكا بنوري السعيد وعملائها في سوريـة لتنفيـذ مشروع الهلال الخصيب وكان أبرز المتعاونين معهـا من الـدروز فـارس الـدوير ، فضل الله أبو منصور ، شكيب وهاب ، سليمان حمزة ، بالإضافة إلى حسن الأطرش عضو البرلمـان السوري الـذي اعترف بـالمـؤامرة وبـالمهمـة التي أسنـدت إليــه كما اعترف أن رئيس وزراء العراق نـوري السعيد زود الدروز بثمانيـة آلاف بنـدقيـة (الصراع العربي الإسرائيلي الجزء الأول صفحـة ٨٧) .

أمـا مـوقف دروز الجـولان فمعظم شبــابهم مجنــدون في جيش إسرائيـل قبـل سيطرة إسرائيل على الجولان ولعل وقوع بلـدانهم في المنـاطـق الجبلية المتصلـة مـع جبـال لبنـان وجبال فلسطين سهل لهم عملية التسلل كما أن وجود لواء خاص في جيش العـدو الصهيوني من الدروز زاد الأمر سهولة هذا إلى جانب الإغراءات المالية والتسهيلات التي تقدمهـا لهم حكومة العدو الإسرائيلي مما يجعلهم لا يشعرون بغرابة الأمر أو خطورته فـدروز فلسطين ورؤسـاؤهم الروحيون وقـادتهم السيـاسيون متعـاونون مع اليهود وموثوقـون من قبلهم ولا حاجة للتدليل على ذلك فهذه حقيقة لا ينكرها إلا مكابر وهـذا لا ينفي أن في الجولان والجبل عددًا كبيرًا من الدروز الشرفاء الذين يرفضون الولاء للصهيونية الغاشمة .

اليَزِيدية (عَبَدة الشيطان) (*)

اليزيدية طائفة ينتمي معظمها إلى الجنس الكردي ، ويقطن أتباعها في بعض نواحي الشرق الأدنى وخاصة في المناطق التالية :

١ ـ قضاء الشيخان في الشمال الشرقي من الموصل ، وفيه أهم مراكزهم السياسية والدينية كباعدري وقاعدة أميرهم ؛ وقبر الشيخ عادي وهو أعظم مقاماتهم الدينية ، وبأحْزّاني وبعشيقة وغيرها قضائي دهوك وزاخوا .

٢ ـ قضاء سنجار الواقع في الشمال الغربي من العراق على الحدود بينه وبين سوريا ، وهو منطقة جبلية منيعة ومعقل حصين ؛ كانوا يعتصمون به في أبي أيام الاضطهاد .

٣ ـ ديار بكر ، وماردين ، وجبل الطور .

٤ ـ منطقة حلب حول كلّس وعنتاب .

٥ ـ البلاد الأرمنية الواقعة على الحدود بين تركيا وروسيا ، وخاصة في منطقتي قرص وإيراون ، وحول تفليس من بلاد القوقاس . وباطوم .

إن اليزيدية أنفسهم يجهلون سبب تسميتهم هذه . وبعض الباحثين نسبهم إلى يزيد ابن أنيسة . وقد ذكر الشهرستاني في فرق الخوارج اليزيدية فقال : « أصحاب يزيد بن أنيسة : الذي قال بتولي المحكمة الأولى قبل الأزارقة ، وتبرأ ممن بعدهم إلا الإباضية فإنه يتولاهم . وزعم أن الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم ، وينزّل عليه كتابًا قد كُتب في السماء ، وينزل عليه جملة واحدة ، ويترك شريعة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام ، ويكون على ملة الصائبة المذكورة في القرآن ؛ وليست هي الصائبة الموجودة بحران وواسط » .

ويميل بعض الباحثين إلى القول بأن اليزيدية ينتسبون إلى مدينة يزد أو يزدان الفارسية وهي بمعنى ايزد ومعناها خليق بالعبادة وتطلق في دين المجوس على الملائكة التي تتوسط بين الله والبشر وتنقل مشيئتهم .

---

* هذا البحث ملحق بكتاب الملل والنحل للمحقق محمد سيد كيلاني.

(اليزيديون في التاريخ)

كان يسكن في مواطن اليزيدية ، شمال الموصل ، قبيل يدعى « ترهايا » وكان هذا القبيل ينتحل « دين المجوسية » والمظنون أنه من بقايا الأقوام التي نزحت من بلاد إيران المجاورة ، عندما طغى عليها سيل الإسلام الجارف ، فأنها اتخذت من (جبال حلوان) مأوى وملجأ منعزلا ، فكانت بمأمن من كل تجاوز أو اعتداء ، إلا أن انتشار الإسلام ، ومجاورة الأقوام العربية لهذه الأماكن والملاجئ ، أوجب أن تختفي تلك المعتقدات ، وأن يعتنق أولئك الأقوام الديانة الجديدة السمحة ، أو أن يتظاهروا أمام العرب الفاتحين بعقائدهم الإسلامية . ولكن استمرار هذا القبيل المنعزل على هذا النوع من الاعتقاد ، أوجب أن يضعف فيه الدين القديم ، وأن يأتي جيل جديد لا يعرف أبناؤه إلا خليطا من المعتقد البائد ومظاهر الدين الجديد وانتشرت الطرق الصوفية بين الأقوام البسطاء فكان حظ هذا القبيل منها وافرًا وكان للشيخ عدي بن مسافر الأموي النسب العدوى الطريقة عندهم المنزلة الرفيعة والمقام المقدس الذي لا يصح أن يمنح لبشر .
الشيخ عدي بن مسافر شيخ الزيدية . (عن كتاب اليزيديون ص ١١)

في ترجمة القاضي أحمد الشهير بابن خلكان ، المتوفى عام ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) في كتابه « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » ص ٣١٦ ٣١٦ من المجلد الأول قال :

الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان ، كذا أملى نسبه بعض قرابته ، الهكاري مسكنًا ، العبد الصالح المشهور ، الذي تنتسب إليه الطائفة العدوية .

« سار ذكره في الآفاق وتبعه خلق كثير ، وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها ، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها ، وكان قد صحب جماعة كثيرة من أعيان المشايخ والصلحاء المشاهير مثل : عقيل المنبجي ، وحماد الدباس ، وأبي النجيب عبد القاهر السهروردي وعبد القادر الجيلي ، وأبي الوفاء الحلواني ، ثم انقطع إلى جبل الهكارية من أعمال الموصل ، وبني له هناك زاوية ، ومال إليه أهل تلك النواحي كلها ، ميلا لم يسمع لأرباب الزوايا مثله ، وكان مولده في قرية يقال لها بيت فار من أعمال بعلبك ، والبيت الذي ولد فيه يزار إلى الآن ، وتوفي سنة سبع وقيل خمس وخمسين وخمسمائة في بلدة الهكارية ، ودفن بزاويته رحمه الله تعالى :

وقبره عندهم من المزارات المعدودة ، والمشاهد المقصودة ، وحفدته إلى الآن بموضعه يقيمون شعاره ، ويقتفون آثاره ، والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد ، وتعظيم الحرمة . وذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل . وعدّه من جملة الواردين على إربل . وكان مظفر الدين صاحب إربل رحمه الله تعالى ، يقول : رأيت الشيخ عدي بن مسافر وأنا بالموصل ، وهو شيخ ربعة أسمر اللون ، وكان يحكي عنه صلاحًا كثيرًا ، وعاش الشيخ عدي تسعين سنة رحمه الله تعالى »ا.هـ .

عرّب الأستاذ البحّاثة ، يعقوب سركيس نصًّا آراميًّا لمخطوطة كتبها الراهب راميشوع في سنة ٨٥٥ هـ (١٤٥١ م) ونقلتها « مجموعة نو » إلى الفرنسية ورد فيها ذكر اليزيدية هذا نصه : .

« وكان اسم الوالد الطبيعي لعادي مسافر بن أحمد ، وهو من الأكراد التيراهية [(١)] TAIRAHITES الذين كانوا يقضون اعتياديًّا فصل الصيف في زوزان ، وينزلون منه شتاء إلى ضواحي الموصل ، وكان في ذلك العهد عشيرة اليزيدية جدوده ـ جدود عادي ـ سكنة زوزان تتبع أقارب عادي في ذهابهم إلى جبال زوزان وإيابهم منها ، وكان النظر إليهم كخدمة لهذه الأسرة الكبيرة ، وحينما كان يرجع اليزيدية من زوزان في أول تشرين الثاني ، كانوا في طريقهم يجتازون بعادي ابن أميرهم ومعهم هدايا وعطايا ثمينة ، فكان عادي يكافأهم عنها بالضيافة من مأكول ومشروب مع أفراح على ضروب كثيرة ، وكان هؤلاء يحبون الشرب ـ أي الخمر ـ وكان عددهم ٦٥٠ بيتًا . أما رجال عادي الذين كانوا مسلمين ، وهم أكراد تيراهية ، فكان عدد خيامهم يتجاوز الألف » [(٢)] .

نقل الشيخ أحمد راغب الطباخ الحلبي في ص ٥٢٥ من الجزء الخامس من كتابه « أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » الحديث الآتي عن كتاب « درر الحبب » المخطوط للرضي الحنبلي ، أحد رجال القرن العاشر للهجرة .

---

(١) المذهب التيراهي هو مذهب زرادشت القديم ، وقد ذكر التيراهية ابن الأثير في ص ٨٢ من المجلد الثاني عشر من كامله ـ الطبعة المصرية ـ وقال عنهم : إنهم كانوا كفارًا ـ لا دين لهم يرجعون إليه ، ولا مذهب يعتمدون عليه ـ وكانوا خرجوا إلى حدود سوران للغارة على المسلمين فأوقع بهم نائب تاج الدين ، مملوك شهاب الدين ـ وكان ذلك في سنة ٦٠٢ هـ ١٢٠٥ م .

(٢) الأستاذ يعقوب سركيس في كتابه ـ مباحث عراقية ـ ص ٢١٨ .

« عز الدين بن يوسف الكردي العدوي ، أمير لواء حلب في آخر الدولة الجركسية وأوائل الدولة العثمانية ، كان من طائفة ينتسبون إلى الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه ويعرفون ببيت الشيخ مند . وفي أيامه كان صلب الأمير حبيب بن عربو تحت قلعة حلب . وذلك أنه كان بين الأمير عز دين وبين أولاد عدي عداوة بينة من جهة الدنيا وكذا من جهة الدين لأن بيت عربو كانوا من أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم وبيت الشيخ مند كانوا يزيدية فكان يغدر بهم حتى سعى في قتل جماعة منهم . توفي الأمير عز الدين سنة ثمان وأربعين بعد التسعمائة .

قال ابن تيمية في مجموعته الكبرى ٣٣٨ / ١ ما يلي :

وفي زمن الشيخ حسن زادوا أشياء باطلة نظمًا ونثرًا وغلوا في الشيخ عدي وفي يزيد بأشياء مخالفة لما كان عليه الشيخ عدي الكبير قدس الله روحه فإن طريقته كانت سليمة ولم يكن فيها من هذه البدع .

إن أول من نبّه الأذهان إلى أصل هذه الطائفة ، وفطن إلى اسمها الأول هو المغفور له أحمد تيمور باشا في رسالته الخالدة « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » إذ قال :.

« ولم يكن لهذه الطائفة ـ اليزيدية ـ وجود ولا ذكر في التاريخ قبل القرن السادس حتى اشتهر الشيخ عدي بن مسافر بالزهد والورع وكثرة المجاهدة ، وتسامع به الناس فقصدوه من الأطراف للاسترشاد ، ثم انتقل إلى جبال هكار ، موطن الأكراد ، فتبعه منهم خلق كثير اتخذ منهم المريدين ، وأحدث الطريقة العدوية .. فيتضح من هذا ، ومما تقدّمه ، أصل منشأ هذه الطائفة ، وأنها كانت تسمى في أول الأمر بالعدوية ، نسبة إلى شيخها . أما تسميتها بعد ذلك باليزيدية فلم نقف على زمنها ، والظاهر أنها حدثت في القرون الأخيرة »ا.هـ [١] .

١ ـ قال أبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) أي بعد وفاة الشيخ عدي بنحو خمس سنوات ، في الورقة الـ (٦٠٠) من كتابه (الأنساب) الذي طبعه المستشرق البريطاني ماركليوث في عام ١٩١٢ م ما نصه :.

« وجماعة كثيرة لقيتهم بالعراق في جبال حلوان ونواحيها من اليزيدية ، وهم

(١) أحمد تيمور في رسالته (اليزيدية ومنشأ نحلتهم) ص ٥٧ مع الطبعة الثانية .

يتزهـدون في القرى التي في تلـك الجبـال ، ويـأكلون الحـال [١] وقلّما يخـالطون النـاس ، ويعتقدون الأمانة ـ يريد الإمامة ـ في يزيـد بن معـاويـة ، وكونـه على الحق ، ورأيت جماعة منهم في جامع المرج [٢] . وسمعت أن الأديب الحسن بن بنـدار البروجردي ، وكان فاضلا مسفارًا ، نزل عليهم بسنجار ، ودخل مسجدًا لهم فسـألـه واحـد من اليزيـديـة مـا قولك في يزيد ؟ فقـال أيش أقول فيمن ذكره الله في كتـابـه في عـدة مواضع حيث قـال يَزِيدُ فِي الخَلْقِ ـ مَا يَشَاءُ) و(يَزِيدُ الله الذينَ اهْتَدَوْا هُدًى) قال فـأكرموني وقـدموا لي الطعام الكثير ... » انتهى .

(خلاصة الفصل)

كان اليزيدية في بداية أمرهم من المجوس فاعتنقوا الإسلام بعد مجوسيتهم ، كما اعتنقتـه الطوائف الأخرى . ولمـا حل الشيـخ عـدي بن مسـافر الأمـوي بين ظهرانيهم في منتصف القرن السـادس للهجرة ، وأسس طريقتـه العـدويـة ، كان اليزيـديـون أول من والاهـا واعتنقها . وقد غلوًّا في هذا الشيخ الزاهد غلواً كبيرًا ، ونسبوا إليه ما لا يصح نسبتـه إلى مخلـوق مثلـه ، ولمـا انتقـل الشيـخ إلى جـوار ربـه في عـام ٥٥٧ هـ (١١٦١ م) ظهر بين خلفائه بعض من أضلّهم ، وأبعدهم عن التعاليم الإسلاميـة الصحيحـة ، فظهرت فيهم براعم الـدين القـديم ، وعـاد القوم إلى معتقـدات توارثوهـا كابرًا عن كابر ، ولكنهـا كانت الآن مزيجًـا من عبـادات منوعـة ، وتعـاليم غير ثـابتـة . وإنمـا سموا بـاليزيـديـة ، لأنهم كانـوا يعتقدون بصلاح يزيد بن معاوية اعتقادًا تجاوز الحد حتى قالوا فيه إلها .

---

(١) الحال لغة لطين والحماة ، وقد اعتـاد اليزيـديون أن يـأكلوا التراب النـاعم من تربـة مرقـد الشيخ عـدي تبركًـا ، ويسمونه براتا ، كما يـأكل بعض الشيعيين أحيـانًـا الطين المجبول من تربـة الحسين بن علي عليهما السلام . ويسمونـه تربة الشفاء للتبرك .

والحال عند الصوفية رقية (وهي أن يرقي الشيخ مما يؤكل ويطعمه من أراد أن لا تؤثر فيه لـدغـة الحيـة أو لسعـة العقرب .

(٢) يريد حامع المرج ليستقيم المعنى . قال ياقوت الحموي ٨ / ١٦ .

(مرج القلعة بينه وبين حلوان منزل) وقال في ٣ / ٣٢٢ .

« حلوان العراق ، وهي في آخر حدود السواد ، مما يلي الجبال من بغداد » .

(خلفاء عدي)

قال اللخمي في « بهجة الأسرار » إن أول من أقيم خليفة على هذه الطائفة ـ العدوية ـ بعد الشيخ عدي ـ الأعزب ـ هو ابن أخيه أبو البركات بن صخر بن مسافر. والمعروف أن صخرًا الثاني كان قصد عمه الشيخ عدي في الهكارية ، وتودد إليه ، وسار على نهجه . ومما يؤثر عن الشيخ عدي أنه قال « أبو البركات يخلفني » بعد أن أنس فيه الصلاح والزهد والورع ، فكان خير خلف لخير سلفٍ في زعامة الطريقة العدوية ، وفي العلم والإرشاد والتقوى . وتوفي أبو البركات في سنة غير معروفة لكن الذين ترجموه ذكروا أنه كان مسنًّا ، ودفن عند عمه ، وقبره ظاهر الآن يزار . فإن في تربة الشيخ عدي ثلاثة قبور بارزة : أولها قبر الشيخ الكبير : الشيخ عدي بن مسافر . والثاني قبر ابن أخيه صخر الثاني ، وهو على يمين الباب المؤدي إلى مضجع عمه . أما القبر الثالث فينسبونه إلي الشيخ حسن بن عدي الثاني . فقد خلف صخرًا هذا ، ولده « عدي بن أبي البركات الملقب بأبي المفاخر والمشهور بالكردي » وكان صالحًا مثل أبيه « انتهت إليه الرئاسة. قضى وقته في تربية المريدين بجبل هكار وما يليه، وتخرج بصحبته غير واحد، وكان كريمًا ظريفًا ذا سمت وحياء ، محبًّا لأهل الدين ، مكرمًا لأهل العلم ، وافر العقل « شديد التواضع » [1] وكانت الطريقة العدوية في أيامه ـ كما كانت في أيام أبيه ـ على غاية من الصفاء في جوهرها ، ثم انتقلت إلى الشيخ حسن بن عدي أبي البركات بن صخر بن مسافر الملقب بتاج العارفين شمس الدين أبو محمد شيخ الأكراد . وكانت ولادته في سنة ٥٩١ هـ ووفاته في سنة ٦٤٤ هـ ، وهو ابن ٥٣ سنة ، ولكن لا تعرف سنة توليه هذه الرئاسة لعدم معرفة تاريخ وفاة أبيه الشيخ عدي الثاني . وفي زمانه « زمن الشيخ حسن » ظهر الغلو في الشيخ عدي بن مسافر الأموي وفي خلفائه ، كما كثر الضلال في تعاليمه ، وهو الذي قال عنه ابن شاكر الكتبي : « وكان شمس الدين من رجال العلم رأيًا ودهاءً ، وله فضل وأدب وشعر ، وتصانيف في التصوّف ، وله أتباع ومريدون يبالغون فيه » [2] ونعته اليزيديون « بالبصري » جهالة منهم . وفي زمن هذا الشيخ « المزعوم بالبصري » بدأ الزيغ في العقيدة العدوية ، وظهر الضلال بين معتنقيها فخاف منه بدر

---

(١) قلائد الجواهر ص ١١٠ .

(٢) فوات الوفيات ص ١٥٨ / ١ .

الدين لؤلؤ صاحب الموصل فقبض عليه وحبسه ثم خنقه بوتر في قلعة الموصل سنة ٦٤٤ خوفا من الأكراد الذين يشنون الغارات عليهم .

١ ـ مصدر الديانة :

اختلف الباحثون في سبب تسمية هذه الطائفة باليزيدية ، كذلك اختلفوا في أصل دينهم ؛ فاليزيدية أنفسهم لهم في هذا الباب اعتقادات قد اشتبكت على مر الأيام بكثير من الخرافات والأساطير حتى تعذر على الباحث معرفة الأصل الذي ترجع إليه هذه الديانة . وفي رواية لليزيدية في مصحف رش تصريح بأنهم من نسل آدم فقط : لا نتيجة لاجتماعه من حواء ، قالوا [١] : « وبعد مدة من الزمان لما رأى آدم وحواء أن التناسل يصير بمشاركة الذكر مع الأنثى ، فآدم كان يقول النسل هو مني . وهكذا حواء كانت تقول النسل مني ، وعلى هذا صار النزاع بينهما . وبعد البحث الدقيق صار الرأي والاتفاق بينهما على أن كل واحد منهما يلقي شهوته في جرة ، وهكذا عملا وختما الجرتين إلى مدة تسعة أشهر . وعند نهاية التسعة أشهر فتح آدم جرته فطلع بها ولدان : ذكر وأنثى ، واسمها : شيث ، وهورية ، ومنهما تناسلت الأمة اليزيدية . ولما فتحت جرة حواء إذا بها دود عفن كريه الرائحة وسائر الحشرات النجسة . وأنبع الله لآدم ثديين وأرضعهما مدة سنتين ، ولهذا صار للرجل أيضًا أثداء . وبعد هذا ولدت حواء ولدين : ذكرًا ، وأنثى ، واسمها : قاين ، وقليومة . ومنهما تناسلت باقي الطوائف مثل النصارى واليهود ، والإسماعيليين » بينما تجد رواية أخرى لهم ؛ وقد مرت بنا ؛ تصرح بأن مؤسس ديانتهم هو يزيد بن معاوية . والحق أن اليزيدية خليط من عناصر وثنية قديمة ، وعناصر إيرانية زرادشتية ، وأخرى يهودية ونصرانية وإسلامية .

٢ ـ عقيدتهم في الكون والتكوين ودور إبليس وتقديسه :

وهم يؤمنون بوجود إله أكبر خالق لهذا الكون ، إلا أنه الآن لا يعني بشئونه بعد أن فوّض أمر تدبيره وإدارته إلى مساعده ومنفذ مشيئته « مَلَكَ طاووس » الذي يرتفع في أذهان اليزيدية إلى مرتبة الألوهية حتى إنهم يسبحونه ويضرعون إليه ، ويكادون ينسون من أجله الإله الأكبر المتعالي عن هذا العالم . وملك طاووس هذا هو الملاك الأعظم

---

(١) اليزيدية قديمًا وحديثًا ـ معتقدات اليزيديين ص ١٥ ط الجامعة الأمريكية ـ بيروت سنة ١٩٣٤ م .

الذي عصى الله في بدء الخليقة فعاقبه الله على خطيئته فظل يبكي سبعة آلاف سنة حتى ملأ سبع جرار من دموعه وألقاها في جهنم فأطفأ نارها . فأعاده الله إلى مركزه الرفيع في إدارة الكون . ولذلك فإن أهل الديانات الأخرى يخطئون في نظر اليزيدية حين يدعون هذا الملاك الأعظم « الشيطان » ويلعنونه ويعتقدون أنه خالق الشر ، والأحرى بهم أن يسبحوه ويمجدوه ، إن لم يكن حبًّا له وتعظيمًا لذاته ، فعلى الأقل دفعًا لغضبه وأذاه . وهو المدبر الحقيقي لهذا العالم ، قادر على أن ينزل بالبشر جميع أنواع العذاب . ومن هنا نرى شيطان اليزيدية يختلف عن شيطان سائر الأديان .

أما كيف دُعي هذا الملاك الأعظم مَلَك طاووس ، ومثل بشكل هذا الطائر ؛ فهذا من الأمور الغامضة التي لم يستطع الباحثون الكشف عنها ، فقال بعضهم : إن طاووس محرف عن « تموز » أحد آلهة البابليين ، إلا أن أكثرهم لا يخرجونه عن الأصل العربي ، وإن كانوا يختلفون في تعليل سبب إطلاقه على الملاك الأعظم ، وتمثيل هذا الملاك بشكل طاووس . وقيل الكلمة محرفة من تيئوس التي تفيد معنى الإله في اللغه اليونانية حسب رأي الفرنسي ف . نو .

ومن هؤلاء الباحثين من أرجع هذه التسمية إلى ما ورد في روايات المسلمين (في الإسرائيليات) عن غواية الشيطان لآدم وحواء ، واشتراك الطاووس بها كواسطة بين الشيطان والحية .

٣ ـ تقديس الشيخ عادي :

أما نبي هذه الديانة فهو الشيخ عادي الذي يروي عنه اليزيدية أخبارًا وروايات عديدة ، ويرفعونه أحيانًا إلى ما فوق درجة النبوة والقداسة حتى يتحد بملك طاووس ويشترك معه في الألوهية . ومن هذه الروايات ما ينطبق على أحد شيوخ المسلمين ومتصوفيهم الشيخ عدي بن مسافر ، والمعروف أن الشيخ عديًّا ولد قرب بعلبك في الشام ، ثم رحل إلى الجبال الواقعة شرقي الموصل حيث بنى له زاوية ، وجمع حوله طلبته ومريديه ، فعظمت شهرته ، وعلا صيته إلى أن توفي سنة ٥٥٥ هـ وقيل سنة ٥٥٧ هـ ودفن بزاويته في « الشيخان » ، وفيه يقول ابن خلكان : « سار ذكره في الآفاق وتبعه خلق كثير ، وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحدّ حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها ، وذخيرتهم في الآخرة التي يعوّلون عليها » .

على أننا إذا رجعنا إلى الكتب التي خلّفها هذا الشيخ المتصوف ، أو التعاليم الدينية التي نشرها تلامذته وقابلناها بمعتقداتهم اليزيدية لم نجد بينهما علاقة خاصة تسترعي الانتباه فشخصية الشيخ عادي وعلاقته بعدي بن مسافر غامضة جدًّا ، ومع ذلك فإن اليزيدية يقدسون ذكره ويحجّون لقبره في « الشيخان » حيث يدور قسم كبير من حياتهم الدينية والقومية .

ومن الشخصيات المقدسة عندهم : شخصية منصور الحلاج ، والشيخ عبد القادر الكيلاني ، والحسن البصري ، والشيخ المنسوب إلى الحسن البصري يقوم بخدمة ضريح الشيخ عادي ، وله الفتوى ، ولا يُمضي شيئًا إلا بعد موافقته .

٤ ـ بعض معتقداتهم :

واليزيدية لا يأكلون الخس ، لأنهم يزعمون أن الشيخ عادي مر ذات يوم ببستان مزروع خسًّا ، فسأل عن صاحب البستان فلم يردّ عليه أحد ، ولعله طلب شيئًا من الخس فلم يعطه أحد . ومن ذلك اليوم حرم عادي أكل الخس ، فهو محرم على كل يزيدي ، بل إنهم لا يقربون من الأرض التي يُزرع بها ، ولا يأكلون لحم الغزال لزعمهم أن عيونه تشبه عيون الشيخ عادي .

ويقولون إن الصلاة بالقلب وبالسر ، لذلك لا يحددون مواعيد وفرائض للصلاة ، ولم يضعوا لها نظامًا معينًا ، ويحللون شرب الخمر .

* * *

ولما أرادت الدولة العثمانية العلية أن تجندهم رفضوا رفضا باتًّا ، وبنوا رفضهم على أسباب منها :

١ ـ من واجب كل يزيدي أن يزور ضريح الشيخ عادي مرة في كل سنة وذلك من ١٢ أيلول (سبتمبر) إلى عشرين منه ، وإذا لم يقم بهذه الزيارة فهو في نظرهم كافر .

٢ ـ يجب على كل يزيدي كل يوم وقت طلوع الشمس أن يقف في موضع شروقها بشرط أن لا يراه مسلم ، وإذا لم يفعل ذلك فهو كافر . ويجب عليه أن يبوس يد أخيه ويد شيخه كل يوم .

٣ ـ ينبغي على اليزيدي ألا يسمع صلاة المسلم لأن فيها ما يتعارض مع العقيدة اليزيدية ، وهي الاستعاذة من الشيطان . وعلى حسب تعاليم الديانة اليزيدية يجب قتل المسلم ، أو أن يقتل اليزيدي نفسه ، أو بصوم أسبوعًا كفارة ويذبح ذبيحة لوجه الملك طاووس المكرم .

٤ ـ لكي يؤدي اليزيدي فريضة الصيام يجب أن يكون في موطنه . ولا يصح صيامه في أي مكان آخر ، لأنه ينبغي عليه أن يذهب في صباح كل يوم من أيام صيامه إلى شيخه ليعلن أنه صائم . وفي المساء يذهب إليه أيضًا ليتناول الخمر المقدس من يده قبل الإفطار . وإذا أهمل هذا فلا يقبل صيامه واعتبر كافرًا .

٥ ـ إذا سافر يزيدي إلى خارج بلاده وأمضى في غيابه نحو سنة أو أزيد فإن امرأته تحرم عليه ولا يمكنه الزواج من غيرها .

٦ ـ على كل يزيدي اشترى ثوبًا جديدًا أن يُعمده بماء زمزم المبارك الموجود بحضرة الشيخ عادي ، وإذا لم يفعل ذلك فقد كفر .

٧ـ غير مرخص لليزيدي أن يلبس ثوبًا كحليًا قط ، ولا أن يتمشط بمشط مسلم أو يهودي ، ولا أن يحلق رأسه بموسى هؤلاء . وإذا اضطر إلى الحلاقة بهذا الموسى فعليه أن يغسله أولا بماء الشيخ عادي . وإذا لم يفعل ذلك فهو كافر .

وبناء على هذا أعفتهم الدولة من الخدمة العسكرية ، واكتفت بأن تأخذ من كل منهم مبلغًا من المال .

* * *

واليزيدية يؤمنون بالتناسخ ، والحلول .

٥ ـ **كتبهم المقدسة :** أحدهما اسمه الجلوة فيه وعد ووعيد ، وترغيب وترهيب .

والثاني اسمه مصحف رش ، أي الكتاب الأسود ، فيه قصة خلق العالم ، وعقائد اليزيدية وما حلّل لهم وما حرّم عليهم . ومما جاء فيه :

« في البداية خلق الله درة بيضاء من سره العزيز . وخلق طيرًا اسمه الفخر ، وجعل الدرة فوق ظهره ، وسكن عليها أربعين ألف سنة ، وخلق الأيام السبعة . وفي أول يوم

خلق ملكًا اسمه عزرائيل وهو ملك الشحن أي شحن الدين وسره من سر المسيح ويوم الاثنين خلق الملك دردائيل وهو الملك فخر الدين ، أي ملك القمر . ويوم الثلاثاء خلق الملك إسرافيل وهو ملك أمادين . ويوم الأربعاء خلق ملك ميخائيل وهو الشيخ أبو بكر . ويوم الخميس خلق زرزائيل وهو سجادين [1] . ويوم الجمعة خلق الملك شمخائيل وهو نصر الدين . ويوم السبت خلق الملك نورائيل وهو يزيد ملك طاووس ، وجعله رئيسًا عليهم . وبعده خلق السبع سموات والأرض والشمس . وسبع طبقات الأرض والقمر والطيور والوحوش وخلق الإنسان والطيور ووضعهم في جيوب الخرقة . وطلع من الدُّرَّة ومعه الملائكه وصار صياح . سبحت عظمة الدرة وانفصلت وصارت أربعة بروج ، ومن بطنها خرج الماء وصار البحر . كانت الدرة دائرة بلا قرار ، وخلق جبرائيل بصورة الطير ، وأرسل بيده وصنع أربع قراني : الشرق ، والغرب ، والشمال ، والجنوب . ثم خلق مركبًا ونزل بالمركب ثلاثين ألف سنة » .

« بعده صاح في جبل لآلش بالدنيا فجمد الحجر ، وصارت الدنيا أرضًا ، وبقيت تهتز ، فأمر جبرائيل فأحضر قطعتين من الدرة البيضاء ، ووضع الواحدة تحت الأرض ، والأخرى في باب السماء فسكنت . ثم جعل منهم الشمس والقمر ، وخلق النجوم من فتات الدرة البيضاء ، وعلقهم بالسماء للزينة » .

وجاء في موضع آخر « ولازم على كل يزيدي في كل صباح أن يقوم أمام الرب ، وأن يسجد بعض الأوقات قدام ربه بطلوع الشمس ، ويدعو قائلا : آمين ، آمين ، الله يبارك الدين . يا الله ، يا دائم ، ياموجود ، يافتاح ، يامدبر الكون ، ياساتر ، ياأمدين ، ياشمس الدين ، يافخر الدين ... ياربي أنت تبارك الدين ، ياربي على شأنك ، على مكانك ، على سلطانك ، على عظمتك أدعو وأسجد . أنت كريمي ، أنت دوامي ، أنت موجود ، أنت معبود » . (عن ملحق الملل والنحل لمحمد سيد الوكيل) .

وجاء في الفصل الثاني من كتاب الجلوة ما يلي : أنا كافئ وأجازي نسل آدم بأنواع أعرفها . بيدي قوى وتسلط على جميع ما في الأرض من فوقها ومن تحتها . ما أقبل مصدافه غير عوالم . وما أمنع خير الذين هم خاصتي وبطوعي أسلم شغلي بيد الذين جريتهم وهم حسب مرامي . أظهر ببعض الأنواع والأشكال للذين هم آمنون وتحت

(١) رئيس الجراد .

شورى . آخذ وأعطي أغني وافقر . أسعد وأشقي . وفي الفصل الخامس يقول : يا أيها الذين آمنون أكرموا شخصي وصورتي - لأنهم يذكرونكم بي احفظوا سنتي وشرايعي . طيعوا وأصغوا لخدامي بما يلقنوكم من علم الغيب الذي هو من عندي . احتفظوا بالعلم الذي يلقنوكم إياه ولا تحبوا به قدام الأجانب كاليهود والنصارى والإسلام وغيرهم لأنهم لا يدرون ما هو تعليمي ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يفسدوها عليكم وأنتم لا تعلمون . احفظو أكثر الأشياء غيبًا لئلا تتغير عليكم (عن كتاب اليزيديون ص ٥٥) .

رأيهم في يزيد بن معاوية :

تشعبت الآراء فيه ، فذهبت الشيعة فيه مذهبًا معروفًا ، وافترق أهل السنة فمنهم من غالى في بغضه وأجاز لعنه ، ومنهم من اقتصد ، ومنهم من خالف وحسّن الظن ، وكان من هؤلاء الشيخ عدي بن مسافر . فقد ظفرنا بنسخة عتيقة من عقيدته ناقصة من آخرها ، رأيناه يقول فيها - وأن يزيد بن معاوية رضي الله عنه إمام وابن إمام ، ولي الخلافة ، وجاهد في سبيل الله ، ونقل عنه العلم الشريف والحديث ، وأنه بريء مما طعن فيه الروافض من أجل قتل الحسين رضي الله عنه ، وغير ذلك منبوذ ومهجور الطاعن فيه - فمن هذا القول نشأ اعتقاد اليزيدية في يزيد ، فإنهم تولّوه أولا تبعًا لرأي شيخهم ، ثم جروا فيه على ما جروا عليه من الغلو في غيره فجعلوه وليًّا ثم نبيًّا ، وما زالوا به حتى اتخذوه إلهًا من الآلهة السبعة ، حين تمادوا في الضلال واستغرقوا في السخافات والأوهام »[١].

وقد لخص (ابن تيمية) قوله في يزيد « أنه لم يدرك النبي ﷺ ولا كان من الصحابه ، ولا كان من المشهورين بالدين ... ولا كان كافرًا ولا زنديقًا . وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين ، ورضى من بعضهم . وكان فيه شجاعة وكرم ولم يكن مظهرًا للفواحش كما يحكي عنه خصومه »[٢] .

على أن المتشرّعين من اليزيدية يعتقدون أن يزيد بن معاوية كان مجدّدًا أرسله (طاووس ملك) لإصلاح الخلل الذي أصاب الديانة اليزيدية ، بعد ظهور النبي العربي الكريم محمد ﷺ . أما الديانة اليزيدية بحدّ ذاتها فيقولون إنها أقدم عهدًا من الإسلام ، وأنها ترتقي إلى أيام إبراهيم الخليل الذي هو من آبائهم الأقدمين .

---

(١) أحمد تيمور باشا في رسالته « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » ص ٥٨ (الطبعة الثانية) .

(٢) المجموعة الكبرى ١ - ٣٠٠ .

العبادات

١ ـ الصوم صومان صوم العامة وصوم الخاصة .

صوم العامة يكون ثلاثة أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس من أول شهر كانون أول شرقي وأنه حدد بالكردية سه روز أي ثلاثة أيام لا (سي روز) ثلاثين . وأن الحسنة بعشر أمثالها ٣ × ١٠ = ٣٠ يوم بالأجر أما صوم الخاصة فهو ثمانون يومًا يصوم رجل الدين نصفها من شهر كانون أول والنصف الثاني عشرين يوما من شهر تموز .

٢ ـ الصلاة : صلاتهم التي يتقربون بها إلى الله فهي مايتوجب على كل يزيدي أن يقف متوجها إلى الشمس في الصباح وفي المساء ثم يلثم الأرض ويعفر وجهه بالتراب ويدعو دعاء خاصا بلغة مزيج من العربية والكردية والفارسية تعريبه كما يلي : آمين آمين الله تبارك الدين . الله أحسن الخالقين . بهمه شمس الدين ناصر الدين سجاد الدين الشيخ شمس الدين مؤيد الدين باني المجد القديم السلطان الشيخ عدي رئيس الأولين والآخرين . اعط الخير تنج من الشر . حق الحمد الله رب العالمين مهما كان عدد أعوان يزيد فإن بينهم الضالين والكافرين فإن كان منهم من يقول الصحيح دون زيغ فإن الشيخ شمس يشفع له عند الله .

٣ ـ الحج : كعبة اليزيدية التي يحجون إليها قبر الشيخ عدي بالغرب من قرية عين سفني مركز قضاء الشيخان بالموصل وشبهوا جبل لالش بجبل مكة وعرفة والنبع الذي بقربه سموه زمزم ويبدأ موسم الحج ٢٣ / أيلول وينتهي في الثلاثين منه ويسمون العيد الخاص به عيد الجماعية ولا بد لكل حاج من أن يغتسل غسلا دينيًا أما سائر الأوقات الأخرى فلا غسل ولا نظافة .

٤ ـ الزكاة : يدفع المريد لشيخه عشرة بالمئة من دخله أو غلته وللبير نصف حصة الشيخ وللمربى نصف حصة البير وللفقير نصف حصة المربي وللقوال نصف حصة الفقير . قد أنكر الشيخ حسين البحراني ذلك ، وقال هي كما عند المسلمين .

٥ ـ تناسخ الأرواح : في نهاية الفصل الثاني من كتابهم المقدس الجلوة ما يلي :

(ما أسمح لأحد بأن يسكن هذه الدنيا أكثر من الزمن المحدود مني ـ وإذا شئت أرسلته مرة أخرى ثانيًا وثالثًا إلى هذا العالم أو إلى غيره بتناسخ الأرواح) فإن كانت

نفسًا خيرًا حلت في جسم إنسـان وإن كانت شريرة حلت في جسم حيوان فـإن حلت في نفس شريرة توجه أهله بالقرابين والدعـاء حتى تنتقل نفسـه لآخر وإن كان الابن شريرًا حفظوا أموالهم في مخـابئ تحت الأرض حتى يرجعوا إليهـا بعـد مـوتهم وتقمص روحهم في آخرين .

٦ ـ الزواج عندهم : يتم باتفاق العروسين فإذا عارض أهلهـا هـذا الزواج لا مـانع من أن يحفظها زوجهـا ثم تسوى الأمور فيا بعـد . ولليزيـدي أن ينكح مثنى وثلاث وربـاع بشرط أن توافق الزوجة الأولى وإذا ولدت له الأولى يحرم عليه أن يتزوج عليهـا كما يحرم عليه أن يتزوج أخت زوجته بعد أختها أو زوجة أخيه بعد وفاته ولا زوجة عمه كذلـك تحرم عليه زوجته إذا قـال لهـا أنت شيخي أو أنت بيـدي . وإذا انتقلت البنت إلى بيت زوجها انقطعت صلتها بأهلها ومنع عنها إرثها من والدهـا . ولا يجوز لإنسـان أن يتزوج من غير طبقته .

لا يجوز لليزيـدي أن يتغيب عن بلـدتـه وزوجتـه أكثر من عـام وإلا حرمت عليـه زوجته .

٧ ـ رتبهم الدينية :

أ ـ الأمير من سلالة الشيخ أبي بكر التي خصت بالإمارة على هذه الطـائفـة . والأمير معصوم لحلول جزء إلهي فيه وهو يجمع بين السلطتين القضائية والتنفيذيـة . وهو وكيل الشيخ عدي من خالفه يعرض نفسه للقصاص واستبـاحـة المـال والمقـاطعـة حتى يتوب . والإمرة مدى الحياة لذا كثر التنافس عليها .

ب ـ باب شيخ : عند اليزيدية كالبابـا عنـد النصـارى تنحصر وظيفتـه في القضـايـا الدينية يحتفظ بسجادة الشيخ عـدي وهو المفتي عنـدهم فـإذا مـات اجتمع الشيوخ والأمراء لانتخاب بدليل له .

ج ـ الشيخ : تنحصر المشيخة في ثلاثة أصول عدنانية ـ شمسانية ـ قاتانية ويعتقـدون أنهم من سلالة يزيد وأن جزءًا إلهيا قد حل فيهم .

د ـ البير : فارسية أو كرديـة الأصل ومعنـاهـا شيخ الطريقـة أو رئيسهـا المسن وهو الذي يلي الشيخ ويساعده ويأخذ ٥ ٪ من حاصلات مريديه .

هـ ـ الفقير : هو الزاهد المتعبد الذي رغب بالآخره وزهد بالدنيا وكذا يسمى الصوفيون أنفسهم . له لباس خاص لا يغيره حتى يبلى .

و ـ القوال : هو المنشد الذي يترنم بالقصائد الدينية والأناشيد الروحية وهم الذين صحبوا الشيخ عدي في رحلته إلى الهاكارية .

ز ـ الكوجك : هو الذي يخدم المقامات والقبور ويقوم بتغسيل الموتى ودفنهم والتعرف إلى مصيرهم .

ح ـ المريدون : هم عوام الشعب يخضعون لأوامر ونواهي الرؤساء الروحيون خضوعا مطلقا ولا بد لكل مريد من شيخ أو بير يقدم إليهما النذور والخيرات فإذا مات المريد أو الشيخ لجأ المريد إلى الأمير ليختار له البديل لقاء مبلغ من المال . ومن لا شيخ له خرج عن العقيدة اليزيدية .

كان دينهم يحرم عليهم تلقي العلم إلا أن رئيسهم إسماعيل جول قد ألغى هذا الحكم وأباح لهم دخول المدارس .

الأعياد الدينية

لليزيدية أعياد دينية ذات رونق وطابع قبلي خاص ، بعضها يشترك فيه اليزيديون كافة ، وبعضها يقتصر على علماء دينهم فحسب ، لأن دينهم ليس إلا مجموعة الأعمال التي يمارسونها في هذه الأعياد ، وفي طليعة هذه الأعياد ، عيد رأس السنة ، ويسمونه بلغتهم الكردية « سري صال » وهي كلمة مركبة من « سري » بمعنى رأس و « صال » أي سنة .

١ ـ (عيد رأس السنة)

تبدأ سنة اليزيدية في أول شهر نيسان الشرقي « ١٤ نيسان الغربي » ويقع عيد الـ « سري صال » في يوم الأربعاء الأول من الشهر المذكور . فإذا كان اليوم الأول من شهر نسيان الشرقي يوم الخميس ، فإن العيد عندهم يبدأ يوم الأربعاء الموافق ٧ منه (أي يوم الأربعاء الموافق ٢٠ نيسان الغربي) ويزعم اليزيديون أن « طاووس ملك » هبط في مثل هذا اليوم إلى الأرض ليخلص موسى وصحبه من كيد الفراعنة .

وفي ليلة الـ (سري صال) ترتدي الصبيات والشابات أفخر الثياب ، ويتحلين بأنواع الحلي ، ويبكّرن إلى الحقول والجبال المفترشة بالحلل السندسية البهجة ، والمرصّعة بمختلف الأوراد والأزهار ، فيقطفن النّوّارَ الأحمر (شقائق النعمان) ويركزنه بالطين على أبواب بيوتهن ، أو على جدران الدور الخارجية ، في ثلاث بقع متساوية البعد عن بعضها البعض ، وقد يغالين فيضعنه على مدخل كل حجرة من حجرات الدار ، وبعضهن يركزنه بقشور البيض الملونة أيضًا ، زاعمين أن ذلك يسهل على الملائكة تمييز دورهم عن دور أهل الأديان الأخرى .

وتكثر في هذا العيد المقامرة بالبيض الملوّن ، وبالدراهم أيضًا . فكل زائر قصد يزيديًّا في داره ، لابدَّ أن يقدم إليه صحنًا من البيض المصبوغ بالألوان الزاهية المختلفة ، فيشرع في المقامرة به مع صاحب الدار ، ومع الحاضرين معه ، كما أن الطرقات ، عامة كانت أم خاصة ، تكون ملأى بالمقامرين بهذا البيض ، وبالمتفرجين أيضًا ، وقد اختلط الرجال بالصبيان ، والأطفال بالبنات ، إلا أن المقامرة تقتصر على الذكور دون الإناث . كما يقامر النصارى في هذا العيد بالبيض المسلوق ليجربوا حظهم .

ولا بد لكل بيت يزيدي أن يشتري لحمًا ، أو يذبح ثورًا ، أو خروفًا ، أو دجاجة في

ليلة عيد رأس السنة ، ويطبخ أفخر أنواع الأكل ، ويقسم كل ذلك في اليوم الثاني على الفقراء ، والمساكين ، والمارّة ، وعابري الطرق ، وقد تذهب بعض النسوة بالطعام إلى الجبّانة ليوزعنه عن أنفس الموتى ، والترحّم عليهم فيلحق بهنّ (المنشدون) القوالون حيث ينفخون لهنّ بالناي وهن واقفات باكيات ، فأكل اللحم واجب على كل يزيدي في هذا العيد .

ويعتبر اليزيديون شهر نيسان الشرقي كله عيدًا مقدسًا ، فلا يتزوجون في النصف الأول منه ، ولا يحفرون أرضًا ، ولا يقيمون بناء ، ولا يشيدون نزلاً جديدًا ، ولا يكتبون عقدًا ببيع أو شراء أو نحوهما ، ويجرون طوافات شعبية رائعة في كل جمعه من أيام جمعة ، في المزارات القريبة والبعيدة على نحو ما سنذكر في ختام هذا الفصل ، فيرقصون رقصًا رائعًا يشترك فيه الرجال والنساء على شكل حلقات أو على هيأة هلالات (أهلّة) ويتبادلون المغازلات على أصوات الطبول والزمور ، ويحتسون الخمر بإفراط ، ويولمون الولائم ، ويهبون الهبات ، ويصفون حساباتهم ، ويدفعون « العشور » المستحقة عليهم للصندوق العالي . ويذهب القوالون إلى الجبانة بطبولهم ، ويدورون بين القبور بأناشيدهم لاستنزال شآبيب الرحمة على موتاها ، فينالون أجرًا من آلهم وذويهم . أما الفقراء فيأخذون الشيوخ إلى قبور موتاهم للترحم عليهم بدق الطبول دون الترنم بالغناء المقتصر على القوالين .

ويقولون إن في منتصف رأس السنة (تأتي ملائكة السماء ويجلسون ويسومون على العباد هذه العبادة والخيرات ويسجدون ، والعلماء وأهل الكرة يسجدون عند مجيء هؤلاء الملائكة بتلك الليلة ، حيث وظيفتهم من جنس البشر ، ومخلوقات الله ، لأن الله جالس على الكرسي ويأمرهم أن يجمعوا إليه المعروفين والمقربين ... ويقول لهم أنا أنزل على الأرض بالتسبيح ، ويقومون جميعهم ويفرشون قدّام الله ويلقون قرعة التعشير عليهم ويختم بختم الله عليهم والفاهمين عنده ، ويعطي الله الكبير إلى ملك طاووس ينزل على الأرض ويسلم بيده السلطة أن يصنع كل شيء بإرادته) [1] .

---

(١) إسماعيل جول ، في كتابه « اليزيدية قديمًا وحديثًا » بيروت : المطبعة الأميركانية ١٩٣٤ م ص ٨٢ .

٢ ـ (عيد مربعانية الصيف)

لهذا العيد عدة أسماء عند اليزيدية : منها عيد الشيخ عدي ، والعيد الكبير ، وعيد مربعانية الصيف ، ومدتة خمسة أيام تبتدئ في اليوم الحادي عشر من شهر تموز الشرقي ، وتنتهي في اليوم السادس عشر منه ، وفيه يذهب الكواجك وبعض رجال المذهب اليزيدي ، إلى مرقد الشيخ عادي ، ليصوموا ثلاثة أيام ، ثم يعودوا إلى آلهم وذويهم ليتموا صيام الأربعين يومًا ، لأنهم يعتقدون أن الشيخ عدي كان يصوم أربعين يومًا في الصيف ، وأربعين يومًا في الشتاء [1] ولكنهم قلما يتمون هذه المدة ، لأن الصائم إذا بات بنية الصوم ، وقدّم إليه أحد المعارف شيئًا ما في صباح اليوم التالي ، وطلب إليه أن يأكل على بركة أحد المشائخ ، أو على بركة أحد السناجق ، وجب عليه الإفطار فورًا ، وأصبح في حلّ من هذه الفريضة ، أو من إتمامها . فإذا قاربت هذه المدة الانتهاء ، عاد الصائمون إلى مرقد الشيخ عدي ، فصاموا الأيام الثلاثة الأخيرة من الأربعين يومًا ، وعادوا إلى قراهم ، فرحين مستبشرين . ويتولى أهل قرية بحزاني تنظيف المرقد بعد انصراف الناس .

٣ ـ (عيد القربان)

هذا عيد يجاري فيه اليزيديون مجاوريهم من المسلمين ، مجاراة لا تدينًا ، وهو يقع في أول يوم من حلول عيد الأضحى عند المسلمين ، ولهذا يسمونه عيد الحج ، وعيد القربان ، ويقولون إن الله تعالى أمر إبراهيم الخليل في هذا اليوم ، أن يذبح ولده إسماعيل ، ثم هيأ له كبشًا فداه به ، وإن صورة ذلك الكبش لا تزال محفوظة في « خزينة الرحمان » في قرية « باعذرا » مقر الإمارة اليزيدية في الشيخان .

فقبيل حلول هذا العيد ، يذهب رجال دينهم إلى مرقد الشيخ عدي ، فيضرعون بالدعاء لأن يقبل حجّهم ، ويغفر لهم ذنوبهم ، ثم ينصرفون إلى عاداتهم الموروثة ،

---

(١) الأربعون من الأعداد التي لعبت أدوارًا هامة على مسرح الدين ، وعينت وقائع خطيرة في التاريخ ، فقد هطلت مياه الطوفان أربعين يومًا ، وتاه بنو إسرائيل أربعين سنة في البرية ، وصام موسى وإيليا أربعين يومًا ، وحددت الشريعة الموسوية أربعين ضربة لمعاقبة المجرم . الخ . ولعل زيارة الأربعين عند الشيعة الإمامية من هذا القبيل ، وهي اليوم الذي أعيد فيه رأس الإمام الحسين بن علي عليهما السلام من مدينة دمشق ، حيث كان بعث به إليها وإلى الكوفة عبيد الله بن زياد ، إلى العراق .

فينشدون أناشيدهم الدينية ، ويمرحون مرحهم القبلي ، ويعطون أحدهم (ويسمى الجاويش) طبقًا من الخبز الرقاق ، فيصعد به وإياهم جبلا يشرف على « وادي ليلش » يقال له عندهم « جبل عرفات » ويرتقي الجاويش حجرًا ناتئًا في أعلى قمة الجبل المذكور ، وعلى رأسه طبق الخبز ، فيرميه من شاهق في الفضاء ، فيتهافت عليه هؤلاء . فكل من حصل على قطعة منه ، وخفّ إلى نبع الماء الذي يبعد عن الموضع ، الذي هم فيه ، مسيرة ربع ساعة قبل غيره ، فبلّ فيه القطعة المذكورة ، قبل حجه ، ونال جائزة الأمير المخصصة لهذا الغرض بواسطة البير . ثم يأخذون باللهو والقصف طوال الليلة الأخيرة من أيام الحج ، فإذا كان الصباح أجروا مراسيم العيد بالمصافحة ، وانصرفوا إلى ديارهم . وبما أن عدد الذين يسهمون في السير إلى نبع الماء كبير جدًّا فإن البير يقف عند مدخل العين فمن سبق أقرانه ، خطف ما على رأس البير ليعرف به .

٤ ـ (عيد الجماعية)

ربما كان « عيد الجماعية » من أهم أعياد اليزيدية طرًّا ، ومن أعظمها شأنًا وأكثرها خطورة ، وهم يقولون إن في هذا العيد تغفر الخطايا والذنوب ، وتستنزل شآبيب الرحمة والبركة ، ويستدل على كنه السنة المقبلة ، إن خيرًا وإن شرًّا . وهو عبارة عن سلسلة احتفالات دينية تستمر سبعة أيام ، واجبة على كل يزيدي ويزيدية ، تبتدئ من اليوم الثالث والعشرين من شهر أيلول الشرقي (٦ تشرين الأول الغربي) تنتهي في الثلاثين منه « ١٣ تشرين الأول الغربي » وفيه يهرع اليزيديون من كل صقع وبلد ، وهم بأفخر ثيابهم ، والنساء بأعز حليهنّ ، فيحيون (عيد الجماعية) في مرقد الشيخ عدي في لهو وقصف متواصلين ، ويحجون بقية المزارات المحيطة به ؛ دون أن يسوغ لأحد منهم احتذاء شيء في قدمه ، ودون أن يحمل معه غير كفايته من الخبز والبصل والجريش [١] فإن لكل مزار سادنًا أو مقيمًا ، وعلى كل سادن أو مقيم أن يعدّ واحدة (تسمى سماط) لمريديه ، من غلة أوقاف صاحب ذلك المزار ، ومما به من النذور والصدقات والهبات . إذ المفروض على كل يزيدي يزور كل مرقد من هذه المراقد في هذا العيد ، أن يقدم مقدارًا من الدراهم لسادن ذلك المرقد ، ومن لم يهده شيئًا لا يقبل له حج ، ولا تغفر له

---

(١) وإذا يتجاسر أحدهم وطبخ خفية ، فهذا يحرم ويدعى كافرًا . لأن في هذه الأيام يكون مطبخ الشيخ مفتوحًا وسفرته جاهزة لتغذية العموم .

القس إسحق في مخطوطته ص ٤٠ .

خطيئة [١] وهم إلى ذلك لا يصطادون طيرًا ، ولا يقتلون وحشًا ، ولا يقطعون شجرة ، ولا يؤذون أحدًا مهما كانت العداوة بينهما ، لأن وادي لالش محرّم ، حرمة مكة المكرمة عند المسلمين ، وعلاوة على ذلك يجب أن يتخطوا عتبات المراقد كلها فلا يسمح لأحد أن يطأها بقدمه ، ولا أن يقتربوا نسائهم (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) [٢] إلا أن التقاليد تبيح لهم تهريب النساء والفتيات ، ماداموا في حمى الشيخ عدي ويصعد الكواجك مرتين في كل يوم من أيام هذا العيد السبعة إلى جبل عرفات ليجمعوا الحطب لمضيف الشيخ عدي وينزلون به محمولا على ظهورهم .

وهنالك عدد من المزارات والحجرات على عدد أسماء أوليائهم معدّة للزائرين ، يعطى أمير الشيخان أبوابها بالالتزام إلى شيوخ القبائل اليزيدية ، ويورثها عن طريق المزايدة فيحج إليها مريدو الشيوخ والبيرة ، فإن لكل بير عددًا من المريدين والمريدات ـ كما قدمنا ـ وكثيرًا ما تضيق هذه المزارات والحجرات بساكنيها فيتركها الرجال للنساء والأطفال ، ويقضون أوقاتهم في أفناء المرقد ، أو في شعاب الجبل وكهوفه ، حيث يطربهم القوالون بأنغامهم الشجية آناء الليل وأطراف النهار ، ويتلقون منهم النقود بغير حساب .

ثم يختم اليزيديون عيدهم بزيارة نبع يسمونه زمزم في فجوه جبلية قرب قبر الشيخ عادي ويغتسلون فيه .

ويمنع اليزيديون أي ضيف غير يزيدي من زياره عين النبع التي سموها زمزم بقول (إيمسن) Empson إنه حاول مثل هذه المحاولة ، يوم زار المرقد المذكور سنة ١٩٢٨ م . فأخفق في مسعاه ، وإن G . p . Badger الذي سبقه إلى هذا الموضع قبل تسعين سنة ، كان قد أخفق في هذه المحاولة أيضًا [٣] .

وعلى أي فإن اليزيدية يهتبلون فرصة (عيد الجماعية) فيدخلون إلى الجبل ، وينزلون في ماء زمزم إلى ركبهم ، ويغسلون به أيديهم ووجوههم لتتم مراسيم الحج . وكل

---

(١) ويأخذ أمير الشيخان حصته من هذه الهبات عادة .

والعادة أن يجلس أمين عند كل عتبة لجمع الصدقات من كل عابر .

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

(3) R. H. W. Empson – the cult of the peacock angel, p. 127 .

من صحب شخصًا غير يزيـدي إلى البئر المـذكور حرم ، هو وسكان القريـة التي هو من أهلها ، من إتمام مراسيم الزيارة والاغتسال في زمزم ، وأخرجوا من المرقد بالقوة . أما مـا يزعمه المسيحيون عن إتيان اليزيدية كل منكر في هذه البئر فلا صحة له على مـا تحققنـاه من اليزيديين أنفسهم (١) .

٥ ـ (عيد يزيد)

يعتقد اليزيـديون أن حكم الصيـام ، الـذي جـاء بـه القرآن ، لم يفهمـه المسلمون على حقيقته . فقد نزل باللغة الكردية (سه روز) أي ثلاثة أيـام لا (سي روز) أي ثلاثون يومًا ، وأنهم لهذا السبب يصومون أيام : الثلاثاء والأربعاء والخميس ، التي تسبق أول يوم جمعـة من شهر كانون الأول الشرقي ـ أقصر أيـام السنـة وأبردهـا ـ ويجعلون اليـوم الرابـع (الجمعـة) عيـدًا عـامًـا يسمونـه (عيـد صوم يزيـد) زاعمين أن يزيـد الـذي يسمـونـه ، وينتسبـون إليـه ، ولـد في اليـوم المـذكـور ، فيقيمـون الـولائم والأفراح ، ويشتركـون في الرقص والمغـازلات ، ويتبـادلـون أطيب التهـاني والتبريكات ، ويعملـون خبزًا يسمـونـه (صووك) فيوزعونـه جزافًـا ، ويزورون قبور موتـاهم لاستنزال شـآبيب الرحمـة عليهم ، ويحتسون الخمر بإفراط .

٦ ـ (عيد بلندة)

يقع هـذا العيـد في اليوم الخـامس والعشرين من شهر كانون الأول الشرقي ، أي بعـد عيد يزيد بخمسة وعشرين يومًا ، حيث يستقبلون فيه تساقـط الثلوج ، ويسمونـه عيـد بلنـدة (أو عيـد الميلاد) ويقولون في أصلـه : إن الشيخ عـدي ولـد في اليوم المـذكـور ، فيوقدون النـار في دورهم وإصطبلاتهم مسـاء ، ويتخطـاهـا كل واحـد من أفراد العـائلـة ثلاث مرات ، متبركين بها ، وماسحين جباههم بلهيبها ، ثم يرمون فيهـا القسب والزبيب ويأكلونه مشويًا .

(١) زعم الراهب بهنام الموصلي السرياني ، اليزيدي أصلاً ، الكاثوليكي مـذهبًا . في مجلـة المشرق البيروتيـة ص ٣٨ ـ ٤٦ لسنة ١٩٥٢ .

أن اليزيدية يجتمعون ليلة معينة عندهم في كل سنـة ، عـد مـدخل مغـارة سريـة يحيونهـا في الأكل والشرب واللهو أكرامًا للطاووس ملك ، وهي الليلة المعروفـة عنـدهم بليلـة الخفشـة ، ثم يتختمونهـا بـارتكاب اشنع المنكرات وأقبح المساوئ ... وأن هذا الأمر هو مؤكد لا ريب فيه ولأني أنا حضرت تلك الحملة .

المشرق البيروتية ص ٣٨ لسنة ١٩٥٢ .

٧ ـ (عيد العجوة)

يقع هذا العيد في اليوم السابع كانون الثاني الشرقي (٢٠ كانون الثاني الغربي) أي بعد مرور ١٢ يومًا على عيد الميلاد ، ويعملون فيه رغيفًا كبيرًا من الخبز يضعون فيه نواة أو قسبة أو زبيبة ، ويجعلونه على ظهر أحد أولادهم ، وبعد يوم أو يومين يستدعون أحد أفراد العائلة ، من خارج البيت ، ويكلفونه بتوزيع هذا الرغيف على أهل البيت كافة ، فكل من أصابته القطعة التي فيها النواة أو القسبة أو الزبيبة « ويسمونها عجوة » ، كان صاحب السعد والطالع عندهم في ذلك العام ، ونال جائزة الأمير المعدة لهذا الغرض .

٨ ـ (عيد مربعانية الشتاء)

يقع هذا العيد في العشرين من شهر كانون الثاني الشرقي من كل سنة (٣ شباط الغربي) أي بعد حلول عيد العَجوة بخمسة عشر يومًا ، ويجري فيه ما يجري في عيد (مربعانية الصيف) من صوم ، وإفطار ، وزيارة ... الخ . ويزعم اليزيديون أن في هذا العيد قرّب الشيخ عدي إليه أربعين من رجاله الصادقين فعلمهم أصول الدين اليزيدي وحل الرموز .

٩ ـ (عيد خضر الياس)

يقع هذا العيد في أول يوم خميس من شهر شباط الشرقي ، وقد يصوم البعض من اليزيدية الأيام الثلاثة التي تتقدّمه (أي أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء) وقد يصومون يومًا واحدًا فقط . إلا أنه يتوجّب الصيام ثلاثة أيام على كل من كان يدعى إلياس .

وكأنّ هذا العيد مقتبس من عيد خضر الياس عند النصارى ، حيث يسمونه عيد مار بهنام . فكلا العيدين يقع في وقت واحد . أما الصوم الذي يصومه النصارى في هذا العيد فيسمى عندهم « الباعوثة » ومدته ثلاثة أيام كما هو عند اليزيدية . ومن عادة يزيدية سنجار أنهم يقلون الحبوب في هذا العيد ويعملونها سويقًا ويوزعونه على الآل والمعارف .

١٠ - (عيد المحيي)

من أعيادهم المعروفة ، أو من الليالي المباركة عندهم ، ليلة النصف من شعبان [١] يحيونها حتى الصبح . وقد قلّد اليزيديون مجاوريهم من المسلمين في إحياء ليلة النصف من شعبان ، ويسمونها ليلة القدر ، فترى رجال دينهم وكبار رؤسائهم يهرعون إلى مرقد الشيخ عدي ، يصلون ويتعبدون ، ويتلون آي الذكر العظيم ، متجهين نحو قبلة المسلمين منذ المساء حتى مطلع الشمس . أما العوام فإنهم يحيون هذه الليلة في بيوتهم ، دون أن يشتركوا في الصلاة التي تقام في معبدهم . كما أنهم يعظمون ليلة القدر الإسلامية ويجلونها كثيرًا ، ولكنها عندهم في ليلة ١٥ رمضان من كل عام .

١١ - (الطوافات)

عند اليزيدية طوافات محلية (مفردها الطوافة) هي بمنزلة الأعياد عند سائر أهل المذاهب والأديان . ففي ليلة يوم الجمعة الذي يلي عيد رأس السنة (السري صال) يجتمعون في (قرية بعشيقًا) للتعبد وللطواف حول مرقد الشيخ محمد [٢] مختلطين رجالا ونساءً ، شيوخًا وأطفالا ، من أول الليل حتى مطلع الشمس ، فإذا أصبح الصبح بدت بعشيقا مائجة بالرجال والنساء وتبدأ الدبسكات واحتساء الخمرة حتى العصر .

---

(١) ولد الإمام محمد بن الحسن (ع) الإمام الثاني لدي الشيعة الإمامية ، والمعروف بالغائب والمهدي والمنتظر ، ولد في ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٦ هجـ (٨٦٩ م) .

(٢) باعشيقًا كلمة آرامية أصلها « بيت شحيقي » أي دار المنكوبين ، وهي تبعد عن الشمال الشرقي لمدينة الموصل ٢٦ كليو مترًا ، وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجمة ٢ - ٤١ فقال :

(وهي مدينة من نواحي نينوي في شرقي دجلة . لها نهر جار يسقي بساتينها ، وتدار على عدة أرحاء ، وبها دار إمارة ، ويشق النهر في وسط البلد . والغالب على شجرة بساتينها الزيتون ... وبها قبر الشيخ أبي محمد الراذاني الزاهد) .

هذا ما ذكره ياقوت ، ولكن اليزيديين ينسبون هذا القبر إلى محمد بن الحنفية ، ويقولون إنه صاحب كرامات لا تعد ولا تحصى .

المراجع

١ - الملل والنحل للشهرستاني - الملحق لمحمد سيد كيلاني

٢ - اليزيدية قديمًا وحديثًا لإسماعيل جول .

٣ - اليزيدية ومنشأنحلتهم لأحمد تيمور باشا .

الكتاب الثاني

الباب الأول

١ ـ نشأة علم الكلام

٢ ـ المعتزلة .

٣ ـ الأشاعرة

٤ ـ الزيدية

٥ ـ الإباضية

٦ ـ السلفية

٧ ـ الصوفية

٨ ـ المهدية

٩ ـ التجانية

١٠ ـ البلاليه

الباب الثاني

١ ـ الصائبة

٢ ـ المارونية

٣ ـ الأبودية

٤ ـ المورمونية

٥ ـ الطاوية

٦ ـ السيخية

٧ ـ البوذية

٨ ـ الهندوسية

٩ ـ المهاريشية

١٠ ـ الروحية الحديثة

بسم الله الرحمن الرحيم

نشأة علم الكلام

من كتاب تاريخ الفرق الإسلامية للأستاذ علي مصطفى الغرابي

تمهيد

١ ـ حال العرب وقت بعثة الرسول :

كانت العرب وقت بعثة النبي ﷺ ، أصحاب ملل ونحل مختلفة : فبعضهم كان يهوديًا ، وبعضهم كان نصرانيًا ، وهذا فيهم نادر وقليل . ولكن الغالبية العظمى منهم كانت وثنية تعبد الأصنام [1] ، وكانت عاصمة هذه العبادة هي مكة . وأما أصحاب الدينين الآخرين فكانوا ببلاد اليمن ونجران والمدينة .

٢ ـ مكان البعثة :

ولقد بعث محمد ﷺ في مكة ، وكانت دعوته قائمة في أول أمرها على ثلاثة مبادئ :

المبدأ الأول : أنه رسول الله ، بعثه للناس بشيرًا ونذيرًا .

المبدأ الثاني : إبطال عبادة الأصنام وأنها ليست آلهة وأن الإله هو « الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحدًا » . ولقد أشار إلى هذين المبدأين معًا القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويلٌ للمشركين** ﴾ (فصلت ٦) .

المبدأ الثالث : القول بوجود حياة أخرى بعد هذه الحياة ، وأننا سنبعث بعد موتنا لأجل المحاسبة على أعمالنا وإثابة المطيع ومعاقبة العاصي . ولقد كان العرب يكذبون بالبعث وبالحياة الأخرى ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا أيضًا . قال تعالى : ﴿ **وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** ﴾ (الأنعام ٩) وكانت دعوة النبي عليه السلام في المدة التي أقامها داعيا في مكة ـ وهي ثلاثة عشر عامًا ـ قائمة تقريبًا على هذه

---

(١) يقول مظهر بن طاهر المقدسي في كتابه « البدء » والتاريخ ، عند الكلام على شرائع أهل الجاهلية « كان فيهم من كل ملة ودين ، وكانت الزندقة والتعطيل في قريش ، والمزدقية والمجوسية في تميم ، واليهودية والنصرانية في غسان ، والشرك وعبادة الأوثان في سائرهم » اهـ .

المبادئ الثلاثة التي ذكرناها .

ولقد كافح النبي ﷺ كثيرًا من أجلها ، وحاول أن يقنع مشركي مكة وغيرهم ممن دعاهم إلى هذه المبادئ بصحتها والإيمان بها واعتقادها ، ولكن لم يؤمن بها منهم إلا نفر قليل . وأخيرًا هاجر إلى المدينة فوجد هناك بيئة صالحة لقبول مبادئه الاعتقادية ، فاتجه بعد هذا إلى الإصلاح الاجتماعي وتوثيق الروابط الإنسانية ـ على حسب المبادئ الدينية والتشريع السماوي ـ مع عنايته بتوجيه هذه الدعوة إلى الأمم الأخرى غير العربية ، والقبائل العربية التي لم تكن وجهت لها هذه الدعوة من قبل ، ومحاربة مشركي مكة الذين وقفوا في سبيل نشرها بعد هجرة النبي ﷺ حتى نصره الله عليهم ودخلوا في حوزة دينه والطاعة له بعد هذا الجهاد الطويل بالحسنى تارة وبالسيف تارة أخرى ، ولقد أتم الله سبحانه ما أراد .

٣ ـ نهج القرآن :

في الدعوة إلى معرفة (الله) وإلى معرفة المبادئ التي فرضها على الناس :

وهنا نقول : كيف كان القرآن يدعو الناس إلى معرفة الله سبحانه ومعرفة ما أوجب عليهم أداءه .

قبل الإجابة على هذا السؤال يجب أن نبين مهمة الرسول لمن أرسل إليهم : إن مهمة الرسول هي تعريف جميع من أرسل إليهم بأن لهذا العالم خالقًا وأنه واحد لا شريك له . ويلي هذا المعتقد العمل على إصلاح الروابط الإنسانية بقانون إلهي لا يخضع للأهواء والشهوات ولا للأغراض والمصالح الفردية . فكأن مهمة الرسول هي التبليغ العام لكل من أرسل إليهم ، ولكن هل العقول على درجة واحدة في الإدراك وقوة الفهم ؟ كلا ، لهذا جاء القرآن ـ وهو أحد الكتب السماوية ـ بما يناسب جميع العقول ، ويتفق مع استعداداتها الإدراكية ، وحيث إن بعض العقول عندها القدرة على إدراك « الأمور المجردة » وبعضها يعجز عن هذه المرتبة ويقف عند إدراك المحسوسات فقط ، لهذا نجد القرآن الكريم يعبر تاره عن الإله سبحانه تعبيرًا يدل على بعده عن المحسوسات وعدم مشابهته لها ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ الشورى ١١ ﴿ **لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾ الإخلاص ٣ ـ ٤ ويعبر عنه (سبحانه) تارة أخرى بما يوهم قربة منها كقوله

تعالى ﴿ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ الفرقان ٥٩ ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ﴾ (١) . ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ (٢) . ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ (٣) وبهذا يندفع ما فهمه بعض المستشرقين غلطًا من أن محمدًا « عليه السلام متناقض في وصف إلهه » (٤) .

للمتكلمين خلاف في الصفات التي يوهم ظاهرها مالا يليق بالذات العلية : فالأشاعرة يؤولونها ويصرفونها عن ظاهرها ، زعمًا منهم أن ظاهرها لا يليق بذاته تعالى . وعلماء السلف يثبتونها بظاهرها ثبوتًا يليق بكمال الله ، مع إقرارهم بعدم علمهم بكيفيتها ككل صفات الله الثبوتية مثل العلم والقدرة .

---

(١) س : الفتح الآية ١٠ .

(٢) س : طه الآية ٢٩ .

(٣) س : الرحمن الآية ٢٧ .

(٤) انظر مقال الدكتور « ماكدونلد Macdonald » بعنوان « الله الكائن الأعلى عند المسلمين » في دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثاني ص ٥٥٨ ، إذ قال فيه بعد أن أتى على ذكر الصفات كما ذكرها القرآن « وهذه الصفات تعبر عن حقيقة إله محمد أحسن مما يعبر عنها الصفات التي ذكرها علماء الكلام في القرون الوسطى » ثم قال « وهي تعيننا كثيرًا في فهم وتحديد عبارات محمد المتناقضة » اهـ .
وكذا قول الأستاذ « ديبور » في كتابه « تاريخ الفلسفة في الإسلام » ص ٤٨ عند كلامه على العقائد المسيحية وأثرها في نشأة علم الكلام وهو « وقبل الرعيل الأول من المؤمنين ما في القرآن من اختلاف نعلله نحن بتغلب الظروف التي عاش فيها النبي (ﷺ) وباختلاف أحواله النفسية » اهـ .
ونعلله ـ يا أستاذديبور ـ بما عللناه ـ في الصلب ـ من اختلاف عقول من أرسل إليهم محمد عليه السلام لا من اختلاف أحوال الرسول النفسية .

الفصل الأول

١ ـ حال العقيدة « في عصر الرسول » :

بعد هذا نقول : لماذا لم ينشأ علم الكلام في هذا العصر « عصر الرسول عليه السلام ؟ » ولماذا لم تنشأ هذه المباحث التي أثارها علماء الكلام ؟.

أما في مكة ، فلما رأينا من أن الدعوة كانت موجهة إلى إثبات المبادئ الثلاثة التي ذكرناها سابقًا وإلى الإيمان بها ، وحيث إنها لم يسلم بها ولم يصدق بها أهل مكة فلا يسألون عما بعدها فلا يقولون كيف هذه الصفات ، وهل هي عين الذات أو غيرها ؟ كما قاله المتكلمون بعد .

وأما في المدينة فإنه قد سلم بالمبدأ الأول ـ وهو الإيمان برسالة محمد عليه السلام ـ وإذا سلم هذا المبدأ وصدق به حصل التصديق بالمبدأين الآخرين . وإذن لن يسألوا عما وراء ما بلغهم إياه محمد عليه السلام الذي آمنوا برسالته ، وليفهم كل واحد منهم مما وصف الله سبحانه به نفسه في القرآن الكريم بقدر ما يفتح الله عليه من الفهم ، وبحسب الاستعداد الذي خصه الله به لأن كل ما جاء به القرآن حق وصدق ، لا فرق بين آيات ظاهرها التشبيه وأخرى ظاهرها التنزيه . وليتقبلوا كل ما جاء به القرآن من غير أن يعقدوا مقارنة بين آياته . حيث إنهم أيقنوا وآمنوا أنها من عند الله ، ولينصرفوا إلى إصلاح أنفسهم، والعمل على إصلاح غيرهم بهذا القانون الذي جاءهم به محمد ﷺ من عند الله . ولقد كان إذا عنّ لأحدهم شبهة في شيء فإنه لا يستشير عقله في هذه الشبهة أو يستقل ببحثها، ولكنه يرجع إلى الرسول عليه السلام يسأله عما حدث له ، والرسول بدوره يرشده إلى الحق ، ولهذا كانت نفوسهم راضية مطمئنة . وسنرى أن هذه الحال ستتغير بعد موت الرسول عليه السلام

ولكن هذا التغير سيكون موجهًا أيضًا إلى الإصلاح الاجتماعي والروابط الإنسانية ؛ وكلما اتسعت هذه الروابط جدت حوادث جديدة وهكذا [١] ، لكن يجب أن نقول إن

---

(١) قال المقريزي المتوفي سنة ٨٤٥ = ١٤٤٢ م في كتابه « الخطط » جـ ٤ ص ١٨٠ : اعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب نبيه محمدًا ﷺ رسولاً إلى الناس جميعًا وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز الذي نزل به على قلبه ﷺ الروح الأمين بما أوحي إليه ربه تعالى فلم يسأله ﷺ أحد من العرب بأسرهم قرويهم وبدويهم عن معنى شيء من ذلك كما كانوا يسألونه ﷺ عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك

هذا العصر « عصر الرسول ﷺ » لم يخل مطلقًا عن بعض بذور علم الكلام بل قد وجدت فيه بعض بذوره حيث روى أنه عليه السلام خرج على أصحابه مرة وهم يتناظرون في القدر ورجل يقول : ألم يقل الله كذا ؟ ورجل يقول ألم يقل الله كذا ؟ فغضب رسول الله ﷺ وقال : أبهذا أمرتم ؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضًا لا يكذب ، انظروا ما أمرتم به فافعلوه ، ومانهيتم عنه فاجتنبوه »[1] .

ولقد كان مثل هذا الخلاف مما جعله عليه السلام يتوقع الفرقة بين المسلمين ولقد قال في هذا « لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذو القُذّةِ[2] بالقذة ، والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه »[3] .

هذا ما كان عليه حال العقيدة في عصر الرسول .

٢ ـ حال العقيدة في عصر « الخلفاء الراشدين » :

أما عصر الخلفاء : فإن الصحابة رضوان الله عليهم قد ساروا على ما سار عليه الرسول من الاهتمام بما أمر الله سبحانه وتعالى به ، وترك ما نهى عنه ، أي أن اهتمامهم كان موجهًا إلى الأحكام العملية ، ولم يتعرضوا لشيء من الأمور الاعتقادية ، وإذا جد جديد من الحوادث استشاروا كتاب الله وحديث رسوله ، فإن وجدوا فيهما ما ينقع غلتهم فذاك ، وإلا رجعوا إلى قياس ما حدث على ما وقع في عهد الرسول ، وإذا لم يجدوا ما يقيسون عليه ، فإنهم أحيانًا يرجعون للرأي الشخصي وتارة للمشورة حتى تطمئن قلوبهم إلى رأي فيعملون به ويحضون عليه[4] . هذا ما كان عليه أمر الصحابة الذين تعلموا في

= بما لله فيه سبحانه أمر ونهى ، وكما سألوه ﷺ عن أحوال القيامة والجنة والنار ، إذ لو سأله إنسان منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنقل كما نقلت الأحاديث الواردة عنه ﷺ في أحكام الحلال والحرام والترغيب والترهيب وأحوال القيامة والملاحم والفتن ، ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث معاجمها ومسانيدها وجوامعها اهـ .

(١) الملل والنحل الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ = ١١٥٣ م جـ ١ ص ٢١ .

(٢) القذة : ريشة السهم ، يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

(٣) الملل والنحل جـ ١ ص ٢١ .

(٤) قال المقريزي في كتابه « الخطط » جـ ٤ ص ١٨٠ : ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ، ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنهم سألوا رسول الله ﷺ عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد ﷺ ، بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات . نعم ولا فرق أحد =

مدرسة محمد عليه السلام وتشبعوا بمبادئه ، ولكن ليس كل المسلمين في هذا العصر ـ عصر الخلفاء الراشدين ـ من أصحاب الرسول ، بل منهم أفراد من أمم أجنبية دخلت تحت حوزة الإسلام وحكمه ، ولم يفهموا روح الإسلام وما انطوى عليه ، وفي نفوسهم بقايا من ثقافاتهم ، ولكن أن تطغى هذه الثقافات وتلك الأمم في هذا العصر كما سنرى مما سيكون له أثر في « علم الكلام » عند المسلمين فيما بعد .

(أ) بعض آثار الأمم التي كانت حديثة العهد بالإسلام في ذلك العصر :

(أولا) : ما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أتى بسارق فقال له لم سرقت ؟ فقال قضى الله علي فأمر به فقطعت يده وضربه أسواطًا . فقيل له في ذلك ، فقال القطع للسرقة ، والجلد لما كذب على الله » [1] .

(ثانيًا) : حديث الرجل الذي سأل الإمام عليًا عند منصرفه من صفين : أكان مسيرنا بقضاء الله وقدره ؟ .

« وذلك أنه لما انصرف علي رضي الله عنه من صفين قام إليه شيخ فقال : أخبرنا عن سيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره ؟ فقال علي : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما هبطنا واديًا ، ولا علونا تلعة [2] إلا بقضاء وقدر . فقال الشيخ عند الله أحتسب عنائي مالي من الأجر شيء ! فقال : بل أيها الشيخ عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم سائرون ، وفي منقلبكم وأنتم منقلبون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرون ، فقال الشيخ : وكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا ؟ فقال

= منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل ، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية : من العلم ، والقدرة ، والحياة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والجلال ، والإكرام ، والجود والإنعام ، والعز والعظمة وساقوا الكلام سوقًا واحدًا ، وهكذا أثبتوا رضي الله عنهم ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك ، مع نفي مماثله المخلوقين ، فأثبتوا رضي الله عنهم بلا تشبيه . ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع ذلك إلى تأويل شيء من هذا ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى ، وعلى إثبات نبوة محمد ﷺ سوى كتاب الله ، ولا عرف أحد منهم شيئًا من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة ، فمضى عصر الصحابة رضي الله عنهم على هذا اهـ .

(١) المنية والأمل لابن المرتضى ص ٨ .

(٢) التلعة : مجري الماء من أعلى الوادي ، والجمع تلاع ، مثل كلبة كلاب والتلعة أيضًا ما انهبط من الأرض ، فهي من الأضداد . كما في المصباح .

على رضي الله عنه . لعلك تظن قضاء واجبًا وقدرًا حتما ، لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ، ولما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن ؛ تلك مقالة إخوان الشياطين ، وعبدة الأوثان ، وخصماء الرحمن ، وشهود الزور وأهل العماء عن الصواب في الأمور ، هم قدرية هذه الأمة ومجوسها . إن الله تعالى أمر تخييرًا ونهي تحذيرًا ، ولم يكلف مجبرًا ، ولا بعث الأنبياء عبثًا « ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، فقال الشيخ : وما ذلك القضاء والقدر اللذان ساقانا ؟ فقال : أمر الله وإرادته بذلك ، ثم تلا : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا » فنهض الشيخ مسرورًا بما سمع [1] وإنما سقت ما رفع من عمر رضي الله عنه لهذا السارق الذي اعتذر بالقضاء ، وذكرت هذه المناظرة التي وقعت بين على وذلك الشيخ ، لأبين روح ذلك العصر ، وأنه لم يكن كما كان عليه عصر الرسول عليه السلام ، وبدأنا نرى الكلام في القدر يحصل والتعلل به في إتيان المعاصي يوجد . وسنرى أكثر من هذا في العصر الأموى . وهكذا ينحدر المسلمون شيئا فشيئًا نحو هده الأبحاث الكلامية كلما بعدوا عن عصر الرسول من جهة ، وكلما اشتد اختلاط الأجانب بهم من جهة أخرى . وسنرى في العصر الذي يلي هذا العصر أمورًا جديدة ، كما سنرى بذور الفرق تظهر قليلا قليلا ، حتى يتم تكونها وتصبح مكتملة ناضجة .

(ب) نشأة الفرق :

لم يكد ينتهي عصر الخلفاء الراشدين حتى حصل الخلاف الذي به انصدعت وحدة المسلمين وتفرقت كلمتهم وأصبحوا فرقًا وأحزابا يكفر بعضهم بعضًا ولم يسلم من ذلك التكفير أحد أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى « رضي الله عنهم » .

ذلك الخلاف هو قيام فتنة عثمان أو فتنة المسلمين وإن كانت إضافتها لعثمان باعتباره نقطة البدء وإلا فهي كارثة المسلمين جميعًا ولهذا كان الأولى أن تسمى « فتنة المسلمين وكارثتهم » . وسنرى أن العامل الأكبر في هذه الفتنة من عنصر أجنبي وهو « عبد الله بن سبأ » اليهودي الذي أظهر الإسلام واستبطن الكفر وكاد المسلمين كيدًا لا زالوا يعانون آثاره ويصلون ناره ؛ لأنه هو الذي ألب الثوار على عثمان حتى قتلوه وكان ما كان ، وهو الذي دس كثيرًا من مبادئه الفاسدة بين المسلمين وأضل بها كثيرًا منهم مع خلوص

---

(١) المنية والأمل لابن المرتضى ص ٧ .

طويتهم وحسن نيتهم [١] .

اشتد الخلاف بين المسلمين من ذلك الحين ؛ وانتشر النزاع وامتد إلى جميع البلاد الإسلامية ؛ وانقسموا إلى جيشين متحاربين يعمل كل منهما سلاحه في الآخر . وإنما كان لهذا الخلاف ذلك الأثر العظيم في المسلمين لأنه متعلق بأمر يهمهم دينيًا ؛ وهذا غالب عليهم ، بل هو العامل المسيطر على نواحي حياتهم حيث إن مقام الخليفة عندهم كمقام الرسول عليه السلام : فهو الذي يقوم بجميع أمورهم الداخلية والخارجية والحربية والاقتصادية والتشريعية والقضائية ، تقوى الدولة بقوته وتضعف بضعفه . وعلى كل حال لن نقف عند هذا الخلاف إلا بمقدار ما يمس حاجته منه ، وهو أثره فيما يتعلق بأمر « العقيدة » في هذا العصر لأننا سنرى أن هذا الخلاف سينتهي إلى الحكم على مرتكب الكبيرة ، وهذه المسألة ـ مسألة مرتكب الكبيرة ـ كانت سببًا ـ كما يقول مؤرخو العقيدة ـ في اعتزال واصل بن عطاء لدرس أبي الحسن البصري ، ومن هذه الناحية فقط سنتعرض لها وإلا فلا أهمية لها فيما نحن بصدده .

(ج) أثر قتل عثمان في نشأة الفرق :

قتل عثمان رضي الله عنه : افترق المسلمين بين مطالب بدمه وبين ثائر عليه ، وبويع لعلي بالخلافة في هذا المعترك ، وقام عليه المطالبون بدم عثمان . وكان أول ما وقع من هذا خروج طلحة والزبير والسيدة عائشة ومحاربتهم لعلي في (موقعة الجمل) وانهزامهم

(١) قال المقريزي في كتابه « الخطط » جـ ٤ ص ٨٢ حاكيًا ما أحدثه ابن سبأ هذا في الإسلام وبكتبه بابن السوداء . وأحدث « ابن سبأ » القول بوصية رسول الله ﷺ لعلي بالإمامة من بعد ، فهو وصي رسول الله ﷺ وخليفته علي أمته من بعده بالنص ، وأحدث القول برجعة علي بعد موته إلى الدنيا ، وبرجعة رسول الله ﷺ أيضًا ، وزعم ، أن عليًا لم يقتل ، وأنه حي ، وأن فيه الجزء الألهي ، وأنه هو الذي يجئ في السحاب ، وأن الرعد صوته ، والبرق سوطة ، وأنه لا بد أن ينزل إلى الأرض فيملأها عدلاً كما ملئت جورًا : ومن ابن سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة وصاروا يقولون بالوقف يعنون أن الإمامة موقوفة على أناس معينين ... ثم قال وعنه أيضًا أخذوا القول بغيبة الأمام ورجعته بعد الموت إلى الدنيا كما يعتقده الأمامية إلى اليوم في صاحب السرداب ، وهو صاحب القول بتناسخ الأرواح . وعنه أخذوا أيضًا القول بأن الجزء الإلهي يحل في الأئمة بعد علي بن أبي طالب وأنهم بذلك استحقوا الإمامة بطريق الوجوب كما استحق آدم عليه السلام سجود الملائكة ... ثم قال : وابن سبأ هو الذي أثار فتنة أمير المؤمنين عثمان بن عمان رضي الله عنه حتى قتل .. ثم قال : وكان له عدة أتباع في عامة الأمصار وأصحاب كثيرون في معظم الأقطار فكثرت لذلك الشيعة وصاروا ضد الخوارج وما يزال أمرهم يقوي وعددهم يكثر .اهـ .

أمام علي ثم قتل طلحة والزبير .

ثم بعد هذا حصلت موقعة صفين بين على ومعاوية ، وكادت الدائرة أن تدور على معاوية وجيشه الذي أتى به من الشام لولا أن تقدم عمرو بن العاص بطلب التحكيم وسلم على بهذا عن غير رضى منه نزولا على رغبة جيشه وانتهى التحكيم بالفشل نتيجة تخطيط دعاة الفتنة الذين أوعزوا لأنصارهم البدء بالهجوم وكانت نتيجته ظهور فرقة في المسلمين تسمى « الخوارج » . وكانت هذه الفرقة شديدة الشكية ، سريعة التقلب ، ولهذا تفرقت إلى فرق كثيرة كما حكاه مؤرخو الملل وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله عند ذكرها .

ولكن يجمعها كلها إكفار على وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل وكل من رضي بتحكيم الحكمين ، والإكفار بارتكاب الذنوب ، ووجوب الخروج على الإمام الجائر .

ويقابل هذه الفرقة فرقة « الشيعة » وهم كثيرون أيضًا ، وسنتكلم عليهم في فصل خاص إن شاء الله وهم يجمعون على استحقاق على رضي الله عنه الخلافة بعد الرسول « عليه السلام » وتكفير الخارجين عليه من المسلمين ولقد بالغ بعضهم حتى جعل عليًا إلهًا وكذا بعض الأئمة منهم .

على كل حال سمعنا من بعض فرق المسلمين تكفير بعضهم لبعض ، واشتهرت هذه الآراء بينهم ولذا لما سئل الحسن البصري عن رأيه في مرتكب الكبيرة ، أجاب واصل ـ قبل أن يجيب الحسن ـ بأنه « في منزلة بين المنزلتين » واعتزل واصل درس الحسن كما يقول بعض مؤرخي الملل . أو طرده الحسن كما يقول البغدادي وعلى كل حال نصب واصل من عطاء له درسًا ، وسيكون لهذا الدرس أثره فيما سنراه من الأبحاث ومن هذا الدرس « نشأ علم الكلام » وفي أحضان هذا الدرس نبتت شجرته . والآن نؤخر الكلام على واصل حتى نبحث عن باقي عناصر هذا العلم ، لنرى كيف جمع منها واصل شجرة صغيرة أصبحت فيما بعد دوحة عظيمة . ولنترك الآن عصر الخلفاء ولننتقل إلى عصر آخر ودولة أخرى .

٣ ـ حال العقيدة في عصر « بني أمية » :

سنرى في هذه الدولة نحلا مختلفة وآراء متباينة ، وسنرى نشأة علم الكلام بعد أن رأينا فيما تقدم بذور هذا العلم فحسب . لقد رأينا فيما تقدم نشأة الخوارج والشيعة وبين

هاتين الفرقتين وجدت فرقة ثالثة هي « المرجئة » [١] التي لا تكفر أحدًا بذنب بل تترك أمر هؤلاء وأولئك إلى الإله سبحانه الذي يعلم أسرارهم ويطلع على خفايا صدورهم .

(أ) صيغة هذه الفرق الثلاثة :

إننا إذا نظرنا إلى نشأة هذه الفرق نجد أنها سياسية محضة ، لأن سبب نشأتها هو أمر الخلافة الإسلامية ، وإن كان رأيها في التفكير وعدمه يرجع إلى استدلالات إسلامية ومبادئ دينية . ولكن حالتهم ستتغير وسيصبحون فرقًا دينية محضة ، وسيتأثرون بمبادئ أجنبية متطرفة وخاصة الشيعة منهم وسنترك الآن الحكم على هذه الفرق حتى نتكلم عنها في فصول خاصة .

(ب) نشأة مذهب أهل الجبر :

لقد رأينا حين كنا نتكلم على عصر الخلفاء الراشدين أن بعض الناس كان يتعلل بالقضاء والقدر في فعل المعاصي ، ولكن هذا التعليل لم يذهب أثره تمامًا بل ظهر واضحًا جليًا في هذا العصر على يد رئيس الجبرية وهو « جهم بن صفوان » الذي كان يقول بالجبر ، أي أن الإنسان مجبور في أفعاله وأنه لا اختيار له ولا قدرة ، وأنه كالريشة المعلقة في الهواء إذا تحرك تحركت وإذا سكن سكنت وأن الله سبحانه قدر عليه أعمالا لا بد أن تصدر منه . وقال أيضًا بنفي الصفات عن الله سبحانه ، وأنه لا يجوز أن يوصف بصفة يصح أن يتصف بها أحد من خلقه لأن هذا يوهم التشبيه فلا يقال عالم وقادر ومتكلم إلخ .

---

(١) والإرجاء على معنيين ، أحدهما التأخير يقال إن أرجأت الشيء وأرجيته إذا أخرته « قالوا أرجه وأخاه » أي أمهله وأخره . والثاني أعطاه والرجاء من (أرجى) مزيد (رجاء) وتقول هذه الطائفة إن الإيمان « هو المعرفة بالله تعالى ويرسله » وما سوى المعرفة من الطاعة فليس من الإيمان وأخروا العمل عن الإيمان ، وقالوا لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وقالوا بإرجاء حكم صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار . وكان منهم غلاة وهم طائفتان : أحدهما تقول إن الإيمان قول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عبد الله عز وجل ولى لله من أهل الجنة . وتقول الثانية : إن الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثان أو لزوم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام ، وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل ولي لله من أهل الجنة . وقيل إن أول من قال بالإرجاء الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب . وكان يكتب فيه الكتب إلى الأمصار إلا أنه ما أخر العمل عن الإيمان كما قالت فرق المرجئة لكنه حكم أن صاحب الكبيرة لا يكفر إذ الطاعات وترك المعاصي ليست من أصل الإيمان حتى يزول نزوالها .

وهذا أمر قد جد على المسلمين وما عرفوه من قبل وسيأتي الكلام مفصلا على جهم بن صفوان ومذهبه ونتركه الآن إلى مذهب آخر مخالف لمذهبه وهو مذهب الاختيار .

(جـ) نشأة مذهب الاختيار :

لقد وجد في هذا العصر أيضًا مذهب جديد ، هو مذهب القول « بالاختيار » في مقابلة مذهب القول « بالجبر » وأصله « لغيلان الدمشقي ومعبد الجهني » يقول هذا المذهب بعكس المذهب الأول ، أي أن الإنسان ليس مجبورًا هو مختار حر فيما يأتي ويذر من الأعمال ، له أن يفعل هذا ويترك ذاك ، لا سلطان لأحد على إرادته ، ينتقل متى شاء ، ويمشي متى شاء ، وينام ويستيقظ متى شاء ، وإلا كان كالآلة أو كالجماد ، وحينئذ لا يكون لتكليفه معنى ولا لإثابته وعقابه .

١ - « جهم [١] بن صفوان صاحب مذهب الجبر » :

اسمه جهم بن صفوان ، وكنيته أبو محرز وكان مولى لبني راسب من الأزد ، وينسبه المؤرخون تارة إلى (سمرقند) وأخرى إلى (ترمذ) . ويقول المؤرخون إنه أخذ كلامه عن الجعد بن درهم ، وأنه كان فصيحًا اتخذه الحارث بن سريج التميمى - أيام قيامه بخراسان - كاتبًا له وداعيًا .

(أ) ظهور مذهبه :

وأول ظهور مذهبه كان بترمذ فإنه دعا إليه وحاور فيه وجادل ، ثم أقام ببلخ وكان يحصل بينه هناك وبين (مقاتل) [٢] مناقشات ومجادلات وكان (مقاتل) من المثبتين للصفات و (الجهم) ممن يقولون بضد هذا ، وبالغ كل منهما فيما ذهب إليه حتى روى عن أبي حنيفة أنه قال : « أفرط جهم في نفي التشبيه » حتى قال « إنه تعالى ليس بشيء » وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعل مثل خلقه » [٣] . ولما اشتد الخلاف بين الحارث ونصر بن سيار أرسل سلم بن أحوز لقتاله فانهزم الحارث ووقع الجهم أسيرًا في يد

---

(١) يراجع في هذا الطبري في تاريخه سنة ١٢٨ وهي سنة وفاته والإمام أحمد بن حنبل في كتابه « الرد على الجهمية والمعتزلة » وكتاب « خلق الأفعال » للبخاري ، وكتاب « الفصل » لابن حزم ، وكتاب التاريخ لابن عساكر وابن الأثير وابن حجر في كتابه (الفتح) .

(٢) هو مقاتل بن سليمان المفسر وهو الذي يروي عنه المفسرون وترى النسفي صاحب التفسير يروي عنه كثيرًا .

(٣) تاريخ الجهمية والمعتزلة للشيخ جمال الدين القاسمي ص ٧ .

سلم الأحوز فقتله وكان قتله له سياسيًا لا دينيًا لأنه حين أراد قتله طلب منه الجهم العفو عنه فقال له سلم « والله لو كنت في بطني لشققتها حتى أقتلك ، والله لا يقوم علينا من اليمامة أكثر مما قمت [١] . ثم قتله وكان ذلك سنة ١٢٨ .

(ب) قدرته على الجدل :

روي أن جماعة من « السمنية » [٢] قالوا لجهم : نكلمك ، فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا ، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك . فقالوا له : « ألست تزعم أن لك إلهًا ؟ قال : نعم . فقالوا له : فهل رأيت عين إلهك ؟ قال : لا . قالوا : فهل سمعت كلامه ؟ قال : لا . قالوا : أشممت له رائحة ؟ قال : لا . قالوا : فوجدت له حسًا ؟ قال : لا . قالوا : فوجدت له مجسًا . قال : لا . قالوا : فما يدريك أنه إله ؟ .

فقال لهم جهم : ألستم تزعمون أن فيكم روحًا ؟ قالوا : نعم . فقال لهم : فهل رأيتم روحكم ؟ قالوا : لا . فقال لهم : سمعتم كلامه ؟ قالوا : لا . قال فهل وجدتم له حسًّا أو مجسًّا ؟ قالوا لا . قال : فكذلك الله لا يرى له وجه ، ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار ، ولا يكون في مكان دون مكان [٣] وإن هذا الجدل الذي وقع بين جهم وبين السمنية يدلنا على قوته في الجدل ، لأن الغلبة كانت له حيث احتج عليهم بما يسلمون به ، وهو وجود الروح . فألزمهم بمثل ما احتجوا به عليه في الاعتقاد بوجود إله . وكذلك يدلنا على اختلاط المسلمين بالأمم الأخرى ، وقيام الجدل الديني بين المسلمين وأصحاب هذه الديانات مما كان له الأثر العظيم في نشأة علم الكلام عند المسلمين وأصبح جيشان : جيش يحارب بالسيف والرماح ، وجيش آخر يحارب بالحجج العقلية والأدلة المنطقية . ذلك أن جهمًا بين لهم أن الروح الذي تقرون به لا يدرك بالحس الذي هو طريق المعرفة عندكم ، وإنما يعرف من طريق آخر وهو

(١) الكتاب المتقدم ص ٧ .

(٢) السمنية : هم جماعة من الهند ينسبون إلى جبل هناك يسمى « سومنات » وهم حسيون لا يؤمنون إلا بالأمور المحسوسة . قال صاحب (مطالع الأنظار شرح طوالع الأنوار) المتوفي سنة ٧٤٩ هـ السمنية بضم السين وفتح الميم قوم من عبدة الأصنام يقولون بتناسخ الأرواح اهـ ص ٦١ .

ومن مبادئهم أن النظر الصحيح لا يفيد العلم مطلقًا ، لا في الإلهيات ولا في غيرها كما في طوالع الأنوار للبيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ .

(٣) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة ص ١١ للإمام أحمد بن حنبل .

الإدراك العقلي ، فكذلك الإلـه سبحـانـه يـدرك وجوده بطريق العقل لا بطريق الحس لأنه ليس محسوسًا ، فلا يدرك بالبصر ، ولا بالشم ، ولا بالسمع ، ولا بالذوق أولا باللمس تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

آراء جهم الكلامية :

إن لجهم منهجًا خاصًا بني عليه آراءه الكلاميـة : وهو تـأويلـه آيـات الصفـات كلهـا الوارده في القرآن ، والجنوح إلى التنزيه البحت . وبهذا نفى أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته أولا . وثانيًا أن يكون مرئيًّا في الآخرة . وثـالثًـا أن يتكلم حقيقـة ورابعًـا أثبت أن القرآن مخلوق [١] .

ويقول بعض العلماء : أن جهمًا بنى مذهبه على ثلاث آيات في القرآن من المتشابـه : قـولـه : « ليس كمثلـه شيء » ، وقـولـه . « وهـو الله في السمـوات والأرض » . وقـولـه : « لا تدركه الأبصار » . وأنه تأول القرآن على غير تـأويلـه ، وكـذب بـأحـاديث الرسول ﷺ : وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابـه أو حـدث عنـه رسولـه كان كافرًا من المشبهة ؛ وأن معنى « ليس كمثله شيء » أي ليس كمثله شيء من الأشيـاء ، وهو تحت الأرضين السبع كما هو على العرش ، لا يخلو منـه بمكان ولا يكـون في مكان دون مكان ، ولم يتكلم ، ولا تكلم ، ولا نظر إليـه أحـد في الـدنيـا ولا في الآخرة ، ولا يوصف ، ولا يعرف بصفة ولا بفعل ، ولا له غايـة ولا منتهى ، ولا يـدرك بعقل ، وهووجه كله ، وهو علم كله ، وهو سمع كله ، وهو بصر كله ، وهو نور كلـه ، وهو قـدرة كلـه ، ولا يكون شيئين ، ولا يوصف بوصفين مختلفين ، وليس لـه أعلى ولا أسفـل ، ولا نواح ولا جوانب ، ولا يمين ولا شمال ، ولا هو خفيف ، ولا ثقيل ، ولا لـه لـون ولا لـه جسم ، وليس هو بمفعول ، ولا معقول [٢] . وكل ما خطر على قلبك أنه شيء تعرفـه فهو على خلافه [٣] .

وخلاصة مـذهب جهم الكلامي : أنـه نفى عن الله سبحـانـه الصفـات التي تؤدي إلى

---

(١) تاريخ الجهمية والمعتزلة للشيخ جمال الدين القاسمي ص ١٣ .

(٢) يظهر أن معنى قوله « ولا معقول » أي : لا تدرك ذاته ، وليس المراد بـه عـدم إدراك وجوده وثبوتـه لأن وجوده ثابت بالآيات الدالة عليه المدركة بالحس .

(٣) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة لابن حنبل ص ١٢ .

تشبيهه بمخلوقاته . وأثبت صفتي الفعل والخلق فقط . ولا يصح أن تتصف المخلوقات بهاتين الصفتين . وإذا انتفي عن المخلوقات هاتان الصفتان لا يكونون مختارين بل مجبورين في أفعالهم ، وهذا أساس قوله بالجبر .

ونفى أن يكون الله سبحانه متكلمًا ، لأن الكلام من صفات المخلوقات ، فلا يوصف الله به لهذا ، وأيضًا يلزم من اتصافه بصفة الكلام أن تكون له آلة الكلام ، فيكون مشابهًا للحوادث ، ومحال على الله مشابهته للحوادث . ولما كان القرآن كلامًا وهو مضاف إلى الله سبحانه ، فلا تكون إضافته له إلا على معنى أنه مخلوق له لا كلام له ؛ لأن هذا يؤدي إلى المشابهة المستحيلة عليه وإذن يكون القرآن مخلوقًا لله .

وأيضًا ذهب جهم إلى أن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان ، وأظن أنه ذهب إلى هذا الرأي لأن إثبات البقاء الدائم للنعيم والعذاب الأخرويين فيه مشاركة لله في اتصافة بصفة البقاء ، وبما أن مشاركة شيء من المخلوقات في صفة من صفاته محال فبقاء نعيم الآخرة وعذابها محال .

الحكم على هذه الآراء :

ولقد يظهر من نفي جهم الصفات الثبوتية عن الله تعالى أن أضدادها ثابتة له . فمثلا إذا نفى عنه صفة الكلام ، فربما يفهم من هذا أنه يتصف بضدها وهو (البكم) ، وإذا نفى عنه صفة السمع فربما يتصف بضدها وهو (الصمم) ولكن حاشا أن يتصف الإله بضد صفات الكمال ، لأن هذا نقص والنقص عليه تعالى محال : ولا أحسب أن جهمًا يريد هذا . ولكن يغلب على الظن أنه أراد أن ينفي عنه كل شائبة تؤدي إلى التشبيه بخلقه ، فأداه هذا إلى أن ينفي عنه كل وصف يصح أن يتصف به البشر ولو كان وصف كمال ، فما بالك بوصف يؤدي إلى ضد هذا الكمال . وإذن إذا كان جهم ينفي عن الإله صفة الكلام ، فإنه من باب أولى ينفي عنه صفةِ البكم ؛ وكذاك صفة الصمم التي هي ضد السمع ،

وربما يوهم أيضًا ذهابه إلى القول بالجبر ، أنه يريد التخلص من التكاليف وإسقاط المسئولية عن الإنسان ، ولكني أقول كذلك إنه ما أراد بذهابه إلى هذا إلا إثبات التوحيد المطلق لله عزوجل ، وأنه لا يشترك معه أحد من خلقه في فعل من الأفعال ، فأدت به مبالغته في هذا المبدأ إلى جعله الإنسان كالريشة المعلقة في الهواء ، وأن الفعل يسند إليه

مجازا كقولهم : اخضر الزرع ، وأضاءت الشمس ، وأمطرت السماء .

وأما قوله بخلق القرآن ، فيظهر لى أنه ما أراد به إلا أن يجعل الله سبحانه هو المختص بالقدم ، وأن سواه مهما كانت قداسته ، فهو لا يعلو إلى مرتبة القدم وأن كل شيء محدث .

كما أنه هو المختص بالبقاء الدائم ، ولا يصح أن يعطى غيره صفة البقاء ولو كان نعيم الجنة وعذاب النار في الدار الآخرة .

ومن هذا يظهر أن الرجل كان مخلصًا في آرائه ولم يرد إفساد الدين ، ولا تضليل عقائد المؤمنين كما فهمه عنه مؤرخو الملل والنحل عند المسلمين . وكل ما هنالك أن الرجل وجد في عصر تعوزة الدقة في التعبير ، لأنه قد عرف من تاريخ وفاته أنه وجد في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل الثاني وفي هذا العصر لم تكن الفنون المستحدثة عند المسلمين قد تركزت بعد ، ولا صبغت بالصبغة العلمية الدقيقة . وسنواجه هذه الحقيقة عند الأوائل من المتكلمين . وإذن ليس من الحق في شيء أن تحكم على سلف المتكلمين بشيء يمس ناحية الاعتقاد فيهم ، أو تندفع في الحكم عليهم كما اندفع من أرخ لآرائهم الكلامية ، بل علينا أن نقرأ لهم شاكرين ، ونتجاوز عن زلاتهم معتذرين وندعو لهم مخلصين .

هذا وإن بعض مؤرخي الفرق يرون أن جهمًا تأثر في مذهبه بالجعد بن درهم وأن الجعد أخذ مذهبه عن رجل يهودي . لهذا أردت ـ إيضاحًا لأصول هذا المذهب وأن السبب في مثل هذه الآراء الكلامية أهو مصدر العقيدة الإسلامية وهو الكتاب والسنة ، أو أن هذه الآراء دخيلة على المسلمين وأنها أتت من اختلاطهم بالأمم الأخرى ـ أن أتحدث عن الجعد بن درهم .

٢ ـ الجعد :

لقد قلنا إن الكلام في العقائد قد كثر في هذا العصر « عصر بني أمية » عن العصرين السابقين له ، وهما : عصر الرسول عليه السلام ، وعصر الخلفاء الراشدين » . والسبب في هذا هو ضعف سلطان الدين شيئًا فشيئًا كلما ابتعد بنا الزمن عن هذين العصرين من جهة ، ومن جهة أخرى دخول أمم غير عربية تحت لواء هذا الدين ولذا نجد أن من يثيرون هذه الآراء حول العقائد إنما هم من الموالي ، فلقد رأينا أن جهمًا كان مولى لبني راسب .

(أ) أما الجعد :

فهو ابن درهم ، وكان مولى لبني الحكم وكان يسكن دمشق . فكأنه لم ينشأ في بيئة الرسالة ، وإنما نشأ في بيئة أخرى ، كانت محلا لجدل كلامي ، وكانت موطنًا لأهل دين آخر كانوا مشغولين بمثل هذه الآراء وهم النصارى . وهذا أيضًا عامل آخر من عوامل وجود مثل هذه الآراء التي لم يقم حولها جدل في العصرين السابقين ، وإن كان قد وجد ـ كما رأينا ـ بعض بذورها ، ولكن لم تبق طويلاً ، ولم يوجد لها من يدافع عنها ، ويجادل فيها ، ويتخذها أصلاً يعلمه غيره ، فهذا الجعد قد وكل إليه تربية أمير من أمراء بني أمية أصبح بعد خليفة المسلمين وهو (مروان بن محمد) . فأخذ يلقنه هذه المبادئ ، ويعلمها له حتى اعتقدها وأصبح يلقب (بمروان الجعدي) [١] ولما أظهر آراءه بدمشق ، وطرده بنو أمية منها ، وهرب إلى الكوفة ، لقيه هناك جهم ابن صفوان فتعلم منه هذه الآراء ، وأخذ جهم بدوره ينشرها ويدافع عنها .

(ب) آراؤه :

أما آراء الجعد ، فإنها تكاد تكون آراء جهم . وذلك لأننا عرفنا من تاريخ جهم ، ومن تاريخ الجعد أيضًا أنهما تلاقيا في الكوفة ، وأن جهمًا تعلم منه آراءه وأخذ في نشرها ، فتكون آراء الجعد ـ كما روى مؤرخو النحل ـ هي .

أولا : قوله بخلق القرآن ، وأنه أول من تكلم عن أمة محمد بدمشق [٢] .

ثانيًا : أنه قال بالتعطيل ، وأنه أول من حفظ عنه هذه المقاولة في الإسلام [٣] .

ثالثًا : إنه كان يقول بالقدر ، إذ إن مروان تعلم منه (القول بخلق القرآن والقدر) [٤] .

أما قوله بخلق القرآن فمعناه أن القرآن مخلوق لله ، وإذا كان مخلوقًا فإنه يكون حادثًا ، وأيضًا إذا كان مخلوقًا لا يكون كلام الله . وهذا ما قاله جهم في القرآن وسنرى

---

(١) سرح العيون لابن نباتة ص ٣٨٥ ؛ تاريخ الجهمية والمعتزلة للشيخ جمال الدين القاسمي ص ٢٧ .

(٢) سرح العيون ص ٢٨٥ ، تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٢٧ . التاريخ للحافظ ابن عساكر .

(٣) الرسالة الحموية لابن تيمية .

(٤) تاريخ الجهمية ص ٢٧ .

أن المعتزلة يذهبون إلى هذا الرأي أيضًا في القرآن .

أما قوله بالتعطيل ، فمعناه كما رأينا عند جهم ، أنه لا يصح أن يتصف الله سبحانه بصفات يتصف بها البشر ، كالكلام ، وضد ذلك أيضًا كالبكم ، فلا يقال « الله متكلم » كما لا يقال « الله أبكم » لأن كلا الوصفين يصح أن يتصف بهما البشر . وأظن أن قوله بخلق القرآن نشأ نتيجة لرأيه في إنكار صفة الكلام كما ذهبنا إلى ذلك عند الكلام على جهم . وسيذهب إلى هذا الرأي أيضًا المعتزلة ، وإن كان تعليلهم خلاف هذا التعليل ، حيث يرون أن القرآن حادث ، ولا يصح أن يتصف الله سبحانه بالحوادث ، كما لا يصح أن يكون القرآن قديمًا لأنه لا قديم إلا الله وسنرى هذا عند الكلام على المعتزلة إن شاء الله .

وأما قوله (بالقدر) ، فيظهر من مذهب (جهم) الذي أخذ عنه مذهبه ، أنه كان يقول « بالقدر » أي بالجبر ، كما عرفنا ذلك عند جهم تلميذه ، وأن الإنسان مجبور وأنه كالريشة المعلقة في الهواء ، وأن الأفعال تنسب إليه مجازًا كما ينسب إلى الشمس صدور الضوء عنها . وأظن أن شرحه للقدر بمعنى الجبر يتناسب مع ما رواه عنه المؤرخون من التعطيل ، أي أنه لا يصف الإله سبحانه بشيء من الأوصاف إلا بما وصفه به تلميذه الذي أخذ عنه مذهبه ، وهو وصفه بكونه سبحانه خالقًا وفاعلاً على الحقيقة . وإذن لا يصح نسبة فعل من الأفعال لأحد من مخلوقاته وإلا شاركه في وصفه ، ولا يصح أن يشترك أحد من مخلوقات الله في وصف من أوصافه فتكون نتيجة هذا أن البشر مجبورون على أفعالهم وأن نسبتها إليهم على سبيل المجاز .

(ج) مصدر هذه الآراء :

ولكن من أين لجعد بمثل هذه الآراء ؟ أيمكن أن يكون مصدرها الكتاب والسنة ، اللذين هما المصدران للعقيدة الصحيحة عند المسلمين ؟ .

أظن الجواب لا . وذلك لأننا إذا نظرنا إلى قوله (بالتعطيل) نجد [1] أنه يتعارض مع ما صرح به القرآن ، من وصف الله سبحانه بأوصاف كثيرة .

---

(١) معنى التعطيل هو عدم وصف الله سبحانه بوصف يصح أن يشاركه فيه عباده وأما التعبير عن هذا المعنى « بالتعطيل » فهو تعبير من أرخ من الأشاعرة لأصحاب هذا الرأي كالبغدادي في كتابه « الفرق » والشهرستاني في كتابه « الملل والنحل » .

وإذا نظرنا إلى ما ذهب إليه من القول (بالجبر) ، نرى أن القرآن ما قطع في شيء من هذا ، فلم يقل إن الإنسان (مجبور) ، كما لم يقل (إنه مختار) ، وإنما بعض آياته يدل على الجبر ، وبعضها يدل على الاختيار .

وأما رأيه الذي رآه في القرآن ، وهو أنه مخلوق ، فلم يتعرض الكتاب أو السنة له ، ولم يصفاه بأنه مخلوق ، أو غير مخلوق ، حادث أو قديم .

إذن من أين لجعد وأمثاله هذه الآراء ، وما شابهها ، مما لم يتعرض لها مصدرًا العقيدة بنفي أو إثبات ؟ .

قد نجد الإجابة عن مثل هذا السؤال عند بعض المؤرخين . فهذا ابن نباتة المصرى ، صاحب « سرح العيون » يروي لنا (أن الجعد أخذ ذلك « القول بخلق القرآن » من أبان بن سمعان ، وأخذه أبان من طالوت بن أخت أعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ ، وكان يقول بخلق القرآن وكان طالوت زنديقًا ، وهو أول من صنف لهم في ذلك ، ثم أظهره الجعد بن درهم) .

فإن صحت هذه الرواية ، فإن مصدر هذه الآراء هم أصحاب الديانات الأخرى من الأمم الدخيلة على الإسلام والمسلمين وليس أصلها من المصدرين الأصليين للعقيدة الإسلامية ، ومع أننا عرفنا أن مثل هذه الآراء دخيلة على المسلمين فسنرى عند الكلام على المعتزلة ، أن بعضًا من خلفاء المسلمين اعتقد مثل هذه الآراء التي من بينها (القول بخلق القرآن) حتى إنه فسق من لم يقل بها من المسلمين ولم تقبل شهادته ، وبعضًا آخر عذب في سبيلها كثيرًا من علماء المسلمين .

(د) موقف بني أمية من مثل هذه الآراء :

أما موقف بني أمية فلقرب عهدهم بنور النبوة ، وتمسكهم بالمصدر الصحيح لعقيدة المسلمين ، ولم يكن قد تم اختلاطهم بالأمم الأجنبية ، فإننا نجد أن الحال عند متقدميهم غير الحال عند متأخريهم ، وكذلك غيره عند بعض خلفاء بني العباس .

إذ نجد أن المتأخرين من هذه الدولة قد ضعف تمسكهم بهذا المصدر ، حيث إن عنصرهم لم يكن عربيًا خالصًا . فهذا مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية يروي المؤرخون عنه أن أمه كانت أمة وأنها كانت أختًا لجعد . كما أنهم يروون عنه أنه تعلم مذهبه ولهذا

لقب (بالجعدي) كما تقدم .

أما المتقدمون منهم . والذين هم من عنصر عربي خالص ، والذين لا يرون غير الكتاب والسنة مصدرًا لعقيدة المسلمين ، فإنهم لم يرضوا عن هذه الآراء ولذا نجد هشام ابن عبد الملك ، الذي أظهر الجعد آراءه في أيامه، يقبض عليه ويرسله إلى خالد القسري، والى العراق من قبله ، ويأمره بقتله فيأخذه هذا ويحبسه ، ولا يقتله ، فيعلم بهذا هشام ويكتب إلى خالد يلومه ثم يعجل خالد بقتله في عيد الأضحى ، بعد صلاة العيد ، على أنه ، أضحيته كما قال في آخر خطبته : « انصرفوا وضحوا ، تقبل الله منكم ، فإني أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن درهم فإنه يقول : (ما كلم الله موسى تكليما ، ولا اتخذ إبراهيم خليلا ، فتعالى الله عما يقول الجعد علوًّا كبيرًا) ثم نزل فذبحه »[1]

إذن موقف بني أمية قبل أن تتخلص من العربية إلى العصبيات الأخرى ، كان موقف الإنكار من مثل هذه الآراء . ولكن يلاحظ شيء في هذه الرواية وهو أن الجعد قتل لقوله بخلق القرآن ، لا لقوله بالجبر والتعطيل .

أما التعطيل ؛ فإن الغرض منه أن لا يوصف الإله بوصف يصح أن يشاركه فيه أحد من خلقه ، إلا بصفتي الخلق والفعل ، فقد اختص الإله سبحانه بهما دون خلقه . ولهذا قال الجعد وجهم يجبر الخلق في أفعالهم ، وإلا شاركوه في أخص صفاته ، فكأن القول بالتعطيل يؤدي إلى القول بالجبر .

وأما القول بالجبر : فأمره أقل من القول بخلق القرآن ، بل ربما ينفع خلفاء بني أمية ، الذين هم في نظر الخوارج كفار . لأن الجبر يكون فيه شبه اعتذار عن إتيان الإنسان بعض المعاصي ، حيث إنه يكون مسلوب الاختيار وهذا المبدأ إن لم يسقط المسئولية أصلا فإنه يخفف من شأنها .

نشأة مذهب الاختيار :

سبق أن قلنا إنه نشأ في العصر « عصر بني أمية » مذهبان متقابلان في الرأي في حكمها على أفعال الإنسان : أحدهما يقول « بأن الإنسان لا اختيار له » وهو مذهب الجبر وصحابه (جهم بن صفوان) وثانيهما يقول « بأن الإنسان مختار في أفعاله حر الإرادة ؛

---

(١) تاريخ الجهمية والمعتزلة .

وهو مذهب الاختيـار ، وصاحبـه غيلان الـدمشقي . ولقـد فرغنـا من الكلام على أصل نشأة مذهب الجبر وصاحبه جهم ؛ والآن نريد أن نتحدث عن (نشأة مذهب الاختيـار) وصاحبه « غيلان » .

٣ ـ غيلان الدمشقي :

هـو غيـلان بن مروان [١] ، ومروان هـذا كان مـولى [٢] لعثمـان بن عفـان رضي الله عنه ، وأنه كما يقول ابن المرتضى « واحد دهره في العلم والزهد والـدعـاء إلى الله وتوحيـده وعدله » .

(١) آراؤه :

أما آراؤه الكلامية فإنه كان يقول بالاختيار أي إن العبد قادر على أفعال نفسـه فهو الـذي يأتي الخير بإرادته وقدرته ويترك الشر أو يفعلـه بـاختيـاره أيضًـا وليس للقـدر سلطـان عليه . ولقوله هذا عده ابن المرتضى من الطبقة الرابعة للمعتزلة .

وأما رأيه في الإيمان : فإنـه كان يـذهب فيـه إلى رأي المرجئـة [٣] أي إن الإيمـان هو المعرفـة والإقرار بـالله تعـالى وبرسلـه (عليهم السلام) . وكل مـا لا يجـوز في العقـل أن يفعله ، وما جاز في العقل تركه فليس من الإيمان . وإن مرتبة كل الأعمـال بعـد مرتبـة الإيمان . أي أن العبد إذا حقق الإيمـان بـالقول والمعرفـة ، فلا يكون مطـالبًـا بعـد هـذا بالعمل إلا على سبيل التراخي ، وإن هذا التراخي في العمل لا يضر إيمانـه ، لأنـه تحقق بالقول والمعرفة » .

وأما رأيه في القرآن : فهو كرأي جهم في إن القرآن مخلوق وليس قديمًا .

وأمـا رأيـه في الصفـات : فهو مثل المعتزلـة في الـذهـاب إلى نفي الصفـات الثبـوتيـة

---

(١) المنية والأمل لأحمد بن يحيى المرتضى ص ١٥ ، الملل والنحل للشهرستـاني ج ١ ص ١٤٧ وأمـا ابن نبـاتـة المصري في كتابـه « سرح العيون » ص ١٨٣ فـإنـه يقول : « إن غيلان هو ابن يونس الـدمشقي » وقـال الأستـاذ الكوثري في هامش « التبصير » هو ابن مسلم القبطي .

(٢) سرح العيون ص ١٨٣ . وأما ابن المرتضى فإنه يقول « وهو مولى لعثمـان بن عفـان » أي أن غيلان نفسـه كان مولى لعثمان ، لا أباه ، على رواية ابن المرتضى في كتابه « المنيـة والأمل » وهـذا بعيـد . لأن غيلان كان في أواخر أيـام عمر بن عبد العزيز ، وزمن هشام بن عبد الملك ، إلا أن يكون غرض ابن المرتضى بهذا تشريف غيلان لأنه جعله من المعتزلة .

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٤٧ .

كالعلم ، والقدرة ، والإرادة ، أي أن هذه الصفات عين الذات وليست غيرها ولهذا دعاه الأشاعرة « بالمعطل » ، وأما المعتزلة فإنهم يقولون « إنه كان يقول بتوحيد الله وعدله [١] » ومعنى التعطيل في تعبير الأشاعرة نفي الصفات . وأما معنى التوحيد عند المعتزلة . فهو عدم القول بأن الصفات الثبوتية غير الذات بل هي عينها .

وكان يقول بصحة الإمامة من غير قريش ، وأن كل من كان قائمًا بالكتاب والسنة يصح أن يكون إمامًا للمسلمين ، لكن بشرط إجماعهم على إمامته . وهو في هذا الرأي يذهب إلي ما ذهبت إليه الخوارج ، من صحة الإمامه لغير القرشي إذا قام بأحكام الكتاب والسنة ، وأجمعت الأمة على تنصيبه . إذن تكون آراء غيلان الكلامية هي .

١ ـ القول بالاختيار .

٢ ـ : الإيمان معرفة وقول وأن العمل ليس داخلا فيه .

٣ ـ : القول بخلق القرآن .

٤ ـ : نفي الصفات الثبوتية .

٥ ـ : إن الإمامة تصلح لغير القرشي .

هذه هي آراؤه الكلامية التي يتفق فيها مع بعض أصحاب الكلام ويختلف فيها مع بعضهم الآخر ولهذا يعبر عنه مؤرخو الفرق بتعابير مختلفة :

فتارة يجعلونه من المعتزلة ؛ لتشابه رأيه مع رأيهم في القول بالاختيار ونفي الصفات ويسمونه (غيلان المعتزلى أو القدري) .

وتارة يقولون إنه مرجئ لقوله في الإيمان بالقول والمعرفة دون العمل .

وتاره يقولون إنه خارجي لأن رأيه في الإمامة كرأي الخوارج .

(ب) أصل المذهب الذي نسب إلى غيلان :

لقد كان لغيلان ، كما ذكرنا ، آراء كثيرة ، ولكنه لم يشتهر إلا بقوله في القدر ولهذا يدعوه المؤرخون (غيلان القدري) . وسنرى أن قوله بالقدر كان سببًا في قتله . ولكن

(١) المنية والأمل لابن المرتضى ص ١٥ .

من أين لغيلان مثل هذا الرأي في القدر ؟

هنا نرى أن المؤرخين قد اختلفوا في مصدر هذا القول عنده . فبعضهم يقول « إن غيلان أول من تكلم في القدر [١] ، وبعض آخر يقول : « إن أول من تكلم في القدر معبد بن خالد الجهني [٢] » ويرى بعض آخر هؤلاء وأولئك أن غيلان أخذ القول بالقدر عن الحسن بن محمد بن الحنيفة [٣] .

ولكن بعد هذا وذاك يروي لنا بعض المؤرخين أن أصل القول بالقدر إنما هو لرجل من أهل العراق كان نصرانيًا فأسلم ثم تنصر [٤] ، وذكرت لنا رواية أخرى اسمه بالنص لا بالوصف وهو « إنه أبو يونس سنسويه من الأساورة » [٥] .

إلا أن معبدًا هو الذي أخذ عنه هذا الرأى لا غيلان ، ولكن غيلان هو الذي جادل فيه ودافع عنه ونشره بين المسلمين وقتل من أجله .

بناء على هذا ، يكون مصدر هذا الرأي عند غيلان ، ليس مصدر عقيدة المسلمين ، وهو الكتاب الكريم ، أو الحديث الشريف ، وإنما هو دخيل على المسلمين من الأمم الأخرى ، التي دخلت تحت حوزة الدين الإسلامي وتحت كنفه . ولقد رأينا أيضًا أن أصل القول بخلق القرآن الذي نسب أيضًا إلى جهم بن صفوان ، والجعد بن درهم ، والذي نسب أيضًا إلى غيلان الدمشقي . وصاحبه معبد الجهني [٦] إنما نقله إلى المسلمين رجل يهودي ، وهو أبو سمعان الذي أخذه عن طالوت اليهودي أيضًا .

وأما رواية ابن المرتضى التي ترجعه إلى الحسن بن محمد بن الحنيفة ، فإنما أريد منها فقط تعزيز المعتزلة في قولهم بالقدر وأن أصله يرجع إلى الحسن الذي أخذه عن أبيه محمد

---

(١) سرح العيون لابن نباتة ..

(٢) المقريزي في خططه .

(٣) المنية والأمل لابن المرتضى .

(٤) سرح العيون .

(٥) المقريزي .

(٦) هو معبد بن خالد الجهني ، وكان صاحب عطاء بن يسار وكانا يجلسان معًا إلى مجلس الحسن البصري ويقولان له إن هؤلاء (أي الذين يتعللون في فعل المعاصي بالقدر) يسفكون الدماء ويقولون إنما تجري أعمالنا على قدر « كذب أعداء الله » .

ولقد خرج مع الأشعث على بني أمية ، فقتله الحجاج لهذا صبرا سنة ٨٠ هـ .

بن الحنيفة أخذه عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأن عليًّا أخذه عن النبي ﷺ . إذن يكون مذهبهم مأخوذًا من النبي عليه السلام ، وهذا شأن أصحاب المذاهب الكلامية المتقدمة كل منهم يريد أن يسند مذهبه ، ويرتفع به إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ليستفيد قوة ومكانة وقداسة في نفوس سامعيه ، لأنه كلما ارتبط المذهب بأصل مصدر العقيدة كانت قداسته وإيمان الناس به إيمانًا قويًّا . وقداستهم له أكثر .

(جـ) موقف القرآن من مبدأي الجبر والاختيار :

ولكن لماذا لم يكن موقف القرآن صريحًا فيما يتعلق بالجبر والاختيار ؟ أي لم يصرح لنا القرآن الكريم بأن الإنسان مجبور على أفعاله وأنه لا اختيار له مطلقًا . وأنه كالريشة في مهب الرياح ، كما لم يصرح أيضًا بأن له الاختيار المطلق ؟ وإنما نراه يعبر تارة عن الإنسان بما يفيد أنه مسلوب الاختيار ، ويعبر عنه تارة أخرى بما يفيد أنه مختار ، فمثلا يقول في أول سورة ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر** ﴾ . ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا** ﴾ [1] فهذه الآية تدل بظاهرها على أن الإنسان مختار . ثم يذكر في آخر السورة آية أخرى تدل بظاهرها على أن الإنسان مسلوب الاختيار وهي قوله تعالى : ﴿ **وما تشاؤن إلا أن يشاء الله** ﴾ [2] .

والجواب على هذا أن القرآن لو صرح بأن الإنسان مسلوب الاختيار دائمًا لما كان هناك معنى للمسئولية ، ولو سقطت المسئولية لسقط الجزاء على الأعمال ، فلا يكون هناك فرق بين المحسن والمسيء . ولو صرح بأن له الاختيار المطلق في أفعاله ، حتى أنه يقدر على كل ما يريد ، لكان في هذا ما يشبه أن يكون مشاركة لله في خلقه ، على أن الواقع يكذب الجبر المطلق للإنسان كما أنه يكذب الاختيار المطلق له . لكن ما مدى هذا الجبر ، وما مدى هذا الاختيار ، وإلى أي حد يكون مقدار الجبر عند الإنسان ، وإلى أي حد يكون مقدار الاختيار عنده ؟

إن أمر اختيار الإنسان أو جبره ، من المسائل التي تختلف فيها النفوس ولا تتفق عليها ـ وكل أمر لا يمكن ضبطه وأنه لو فتح باب التقدير فيه للنفوس لذهبت به بعيدًا عن المقصود به . وخاصة إذا كان لا يتعلق به تشريع عملي يراد فرضه ـ فإن القرآن

---

(١) الآية الثالثة من سورة « هل أتى على الإنسان إلخ » .

(٢) الآية الثلاثون منها .

الكريم يعبر عنه تعبيرًا كليًا بحيث لا يخرج به إلى أحد الجانبين ، أو ينص فيه على أحد الطرفين ، فمشكلة الجبر والاختيار مشكلة صعب على الإنسان إدراكها ، وهي دائمًا محل خلاف عند أرباب الديانات وعند الفلاسفة ، ولم يقطع فيها برأى ، فوقف القرآن فيها عند هذا الحد ، وإنما عبر عنها بآيات مختلفة ، تدل في مجموعها على أن للإنسان اختيارًا بمقدار ما يصحح مسئوليته ، لا اختيارًا مطلقًا يجعله يخرج عن حدوده البشرية ، ولا جبرًا مطلقًا يسلب عنه المسئولية . ومن يتدبر آيات القرآن الكريم التي ذكرت في هذين الوصفين لا يجدها تخرج عن هذا المعنى .

وإذن يكون معنى قولنا : إن هذه الآراء دخيلة على المسلمين من الأمم الأخرى ، إن الانحياز إلى أحد الطرفين أي إلى الجبر المطلق أو الاختيار المطلق ، قد أتى إلى المسلمين من هذه الأمم ، ولم يأتهم من مصدر عقيدتهم وهو القرآن ، لأننا عرفنا رأي القرآن في هذا ، وأنه ما قطع في أحد الطرفين بحكم ولا نص على رأي ، دفعًا لما قلنا ، وبعدًا عن الجدل الكلامى ، والنقاش اللفظي الذي وقع فيه المتكلمون مخلصين . ولو تدبر كل منهم ما يريده الآخر لما طال هذا النقاش ولما وقع ذلك الاختلاف .

(د) جدل غيلان في القدر وقتله فيه :

اتفق المؤرخون الذين كتبوا عن غيلان ، على أن هشام بن عبد الملك هو الذي قتله . إلا أنهم اختلفوا في سبب قتل هشام له فيروي ابن المرتضى أن هشامًا قتله ، لأنه قد رآه ينادي على بيع ما في خزائنهم ، أيام ولاه عليها عمر بن عبد العزيز ، وأنه يسب بني أمية ، فأقسم ليقتلنه إذا ولي هذا الأمر ، فلما وليه نفذ ما أقسم عليه وقتله . فبناء على ما رواه ابن المرتضى ، يكون قتل هشام لغيلان سياسيًا لا دينيًا .

وأما باقي المؤرخين . فيروون ما يدل على أن هشامًا قتله لقوله بالقدر ، وأنه أحضر الأوزاعي ، فقطعه هذا بعد أن سأله في ثلاث مسائل . لم يجب [١] غيلان على واحدة

---

(١) قال ابن نباتة : لما بلع هشام بن عبد الملك مقالة غيلان في القدر أرسل إليه وسأله : ياغيلان ، ما هذه المقالة التي بلغتني في القدر ؟ فقال يا أمير المؤمنين هو ما بلغك ، فأحضر من أحببت يحاجني ، فإن غلبني ضربت رقبتي ، فأحضر الأوزاعي فقال له الأوزاعي : ياغيلان ، إن شئت ألقيت سبعًا وإن شئت خمسًا ، وإن شئت ثلاثا . فقال غيلان ألق ثلاثا ، فقال له الأوزاعي « أقضى الله على عبد ما نهى عنه ؟ » قال غيلان : ما أدري ما تقول ! قال الأوزاعي « فأمر الله بأمر حال دونه ؟ » قال غيلان هذه أشد من الأولى قال الأوزاعي « فحرم الله حرامًا ثم أحله ؟ » قال غيلان : ما أدري ما تقول . فأمر به هشام فقطعت يداه ورجلاه فمات .

منها . فأخذه هشام وأمر به فقطعت يداه ورجلاه فمات ، وقيل صلب حيًّا على باب (كيسان) بدمشق .

وأما جدله في هذا ؛ فإنه كتب به إلى عمر بن عبد العزيز ، ثم دعاه عمر إلى سماع رأيه ، فاقتنع به ، وولاه أمر الخزائن [1] . وقيل إن عمر بن عبد العزيز لما دعاه إليه ، ألزم غيلان [2] الحجة ، ونهاه عن الكلام في هذا ، فوعده غيلان ولكن لما مات عمر بن عبد العزيز ، رجع إلى رأيه ، وأخذ يدعو إليه ، فقتله ابن عبد الملك لهذا .

---

(١) قال ابن المرتضى في كتابه « المنية والأمل » : إن غيلان لما كتب إلى عمر بن عبد العزيز كتابًا قال فيه « أبصرت يا عمر وما كدت » ونظرت وما كدت اعلم يا عمر أنك أدركت من الإسلام حلقًا باليا ، ورسمًا عافيًا ، فياميت بين الأموات فهل وجدت يا عمر حكيمًا يعيب ما يصنع ؟ أو يصنع ما يعيب ؟ أو يعذب على ما قضى ؟ أو يقضي ما يعذب عليه ؟ أم هل وجدت رشيدًا يدعو إلى الهدى ثم يضل عنه ؟ أم هل وجدت رحيمًا يكلف العباد فوق الطاقة ؟ أو يعذبهم على الطاعة ؟ أم هل وجدت عدلاً يحمل الناس على الظلم والتظلم ؟ الخ دعاه عمر وقال أعني على ما أنا فيه . فقال غيلان ولني بيع الخزائن ، ورد المظالم ، فولاه ، فكان يبيعها وينادي عليها ، ويقول : « تعالوا إلى متاع الخونة ، تعالوا إلى متاع الظلمة ، تعالوا إلى من خلف الرسول في أمته بغير سنته وسيرته إلخ فسمعه هشام إلخ ما ذكر في الصلب .

(٢) وأما ابن نباته : فإنه يذكر خلاف هذه الرواية . يقول ابن مهاجر بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان وفلانا (يظهر أن فلانا هو صالح صاحبه كما قال ابن المرتضى) نطقا في القدر ، فأرسل إليهما ، وقال : ما الأمر الذي تنطقان به ؟ فقالا هو ما قال الله يا أمير المؤمنين . قال وما قال الله ؟ قال : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا » ثم قال « إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا » ثم سكتا ، فقال عمر : إقرأ حتى بلغنا « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً . وما تشاؤن إلا أن يشاء الله إلى آخر السورة . قال كيف تريان يا ابني الأتانة تأخذان الفروع وتدعان الأصول .

المعتزلة

نشأت هذه الفرقة في العصر الأموي ، ولكنها شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي ردحًا طويلاً من الزمن .

ويختلف العلماء في وقت ظهورها ، فبعضهم يرى أنها ابتدأت في قوم من أصحاب علي رضي الله عنه اعتزلوا السياسة ، وانصرفوا إلى العقائد عندما نزل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ، وفي ذلك يقول أبو الحسين الطرائفي في كتابه أهل الأهواء والبدع : وهم سموا أنفسهم معتزلة ، وذلك عندما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية وسلم الأمر إليه ، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس ، ولزموا منازلهم ومساجدهم ، وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة .

والأكثرون على أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء ، وقد كان ممن يحضرون مجلس الحسن البصري العلمي . فثارت تلك المسألة التي شغلت الأذهان في ذلك العصر ، وهي مسألة مرتكب الكبيرة ، فقال واصل مخالفًا الحسن : أنا أقول إن صاحب الكبيرة ليس بكافر وليس بمؤمن بإطلاق ، بل هو في منزلة بين المنزلين ، ثم اعتزل مجلس الحسن ، واتخذ له مجلسًا أخر في مسجد البصرة ليقرر رأيه فقال الحسن البصري اعتزلنا واصل فسموا المعتزلة.

والمعتزلة في كتبهم يرون أن مذهبهم أقدم في نشأته من واصل فيعدون من رجال مذهبهم أيضًا الحسن البصري ، فقد كان يقول في أفعال الإنسان مقالة القدرية ، وهي مقالتهم كما سنبين ، ويقول كلامًا في مرتكب الكبيرة يقارب كلامهم وليس مناقضًا له ، إذ إنه يقول إنه منافق ، وبذلك لا يتباعد منهم ، إذ إن المنافق مخلد في النار ، ولا يعد من أهل الإيمان .

وقد ذكر طبقاتهم طبقة طبقة « المرتضى » في كتابه المنية والأمل والذي نراه أن المذهب أقدم من « واصل » ولأن كثيرين من آل البيت قد نهجوا مثل منهجه ، كزيد بن علي الذي كان صديقًا لواصل . وأن واصلاً من أبرز الدعاة ، فكان عند الأكثرين رأسه لأنه أبرز من دعا إليه .

ولقد قال بعض المستشرقين أنهم سموا معتزلة لأنهم كانوا رجالا أتقياء متقشفين ضاربي الصفح عن ملاذ هذه الحياة ، وكلمة معتزلة تدل على أن المتصفين بها زاهدون في الدنيا

وفي الحق أنه ليس كل المنتسبين لهذه الفرقة كما نعتهم ، بل كان منهم المتقون ، ومنهم المتهمون بالمعاصي ، منهم الأبرار ، ومنهم الفجار .

وقال المرحوم الدكتور أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام : « ولنا فرض آخر في تسميتهم المعتزلة لفتنا إليه ما قرأناه في خطط المقريزي من أن بين الفرق اليهودية التي كانت منتشرة في ذلك العصر وما قبله طائفة يقال لها « الفروشيم » ، وقال إن معناها المعتزلة ، وذكر بعضهم عن هذه الفرقة أنها كانت تتكلم في القدر ، وتقول ليس الأفعال كلها خلقها ، فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ قد أطلقه على المعتزلة قوم أسلموا من اليهود لما رأوه بين الفرقتين من الشبه [١] .

وأن التشابه كبير بين « معتزلة اليهود » و « معتزلة الإسلام » فمعتزلة اليهود يفسرون التوراة على مقتضى منطق الفلاسفة ، والمعتزلون يتأولون كل ما في القرآن من أوصاف على مقتضي منطق الفلاسفة أيضًا ، وقد قال المقريزي في « الفروشيم » الذين سماهم المعتزلة : « يأخذون بما في التوارة على معنى ما فسره الحكماء من أسلافهم » [٢] .

مذهب المعتزلة :

قال أبو الحسن الخياط ، في كتابه الانتصار ، وليس أحد يستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : « التوحيد والعدل والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإذا جمعت هذه الأصول فهو معتزلي » .

هذه هي الأصول الجامعة لمذهب المعتزلة ، فكل من يتحيف طريقها ، ويسلك غير سبيلها ، فليس منهم ولا يتحملون إثمه ، ولا تلقى عليهم تبعة قوله ، ولنتكلم في كل أصل من هذه الأصول بكلمة موجزة .

التوحيد :

والتوحيد هو لب مذهبهم ، وأس نحلتهم ، وقد صوره الأشعري في كتابه « مقالات الإسلاميين » فقال :

---

(١) أخذ بتصرف من كتاب فجر الإسلام .

(٢) الخطط المقريزية .

« إن الله واحد أحد ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ودم ، ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ، ولابذي لون ولا طعم ، ولا رائحة ولا مجسة ، ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ، ولا طول ولا عرض ولا عمق ، ولا اجتماع ولا افتراق ، ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض ، ولا بذي أبعاض وأجزاء ، ولا جوارح وأعضاء ، وليس بذي جهات ، ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت ولا يحيط به مكان ، ولا يجري عليه زمان ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم ولا يوصف بأنه متناه ، ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات ، وليس بمحدود ولا والد ولا مولود ، ولا تحيط به الأقدار ، ولا تحجبه الأستار ، ولا تدركه الحواس ، ولا يقاس بالناس ، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ، ولا تجري عليه الأوقات ، ولا تحل به العاهات ، وكل ما يخطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه له ، ولم يزل أولاً سابقًا ، متقدمًا للمحدثات ، موجودًا قبل المخلوقات ، ولم يزل عالما قادرًا حيًّا ، ولا يزال كذلك لا تراه العيون ، ولا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأوهام ، ولا يسمع بالأسماع ، شيء لا كالأشياء عالم قادر حي ، لا كالعلماء القادرين الأحياء ، وأنه القديم وحده ، ولا قديم غيره ، ولا إله سواه ولا شريك له في ملكه ولا وزير له في سلطانه ، ولا معين له على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق ، لم يخلق الخلق على مثال سابق ، وليس خلق شيء بأهون عليه من خلق شيء آخر ، ولا بأصعب عليه منه ، ولا يجوز عليه اجترار المنافع ، ولا تلحقه المضار ولا يناله السرور واللذات ولا يصل إليه الأذى والآلام . ليس بذي غاية فيتناهى ، ولا يجوز عليه الفناء ، ولا يلحقه العجز والنقص ، تقدس عن ملامسة النساء ، وعن اتخاذ الصاحبة والأبناء [١] .

وقد بنوا على هذا الأصل إستحالة رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ، لا قتضاء ذلك الجسمية والجهة ، كما بنوا عليه أن الصفات ليست شيئًا غير الذات [٢] ، وإلا تعدد القدماء في نظرهم ، وبنوا على ذلك أيضًا أن القرآن مخلوق لله سبحانه وتعالى ، لمنع تعدد القدماء ، ولنفي كثيرين منهم صفة الكلام عن الله تعالى .

---

(١) مقالات الإسلاميين للاشعري قسم المعتزلة .

(٢) ليس هذا محل إجماعهم إنما هو قول الأكثرين منهم .

العدل :

والعدل قد بيّنه المسعودي على مقتضى نظرهم في كتاب مروج الذهب ، فقال : « هو أن الله تعالى لا يحب الفساد ، ولا يخلق أفعال العباد بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم ، وأنه لا يأمر إلا بما أراد ، ولم ينه إلا عما كره ، وأنه ولي كل حسنة أمر بها ، وبرئ عن كل سيئة نهى عنها [١] ، لم يكلفهم ما لا يطيقون ، ولا أراد لهم ما لا يقدرون عليه ، وأن أحدًا لا يقدر على قبض ولا بسط إلا بقدرة الله تعالى التي أعطاهم إياها ، وهو المالك لها دونهم يفنيها إذا شاء ، ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ، ومنعهم اضطرارًا عن معصيته ، ولكنه لا يفعل ، إذ كان في ذلك رفع للمحنة ، وإزالة للبلوى » ا هـ .

وقد ردوا بهذا الأصل على الجبرية الذين قالوا : إن العبد في أفعاله غير مختار ، فعدوا العقاب على ذلك يكون ظلمًا ، إذ لا معنى لأمر الشخص بأمر هو مضطر إلى مخالفته ، ونهيه عن أمر هو مضطر إلى فعله .

ومع أنهم بنوا على ذلك الأصل أن الإنسان خالق لأفعال نفسه لا حظوا في ذلك تنزيه الله تعالى عن العجز ، فقالوا إن هذا بقدرة أودعها الله تعالى إياه وخلقها ، فهو المعطي ، وله القدرة التامة على سلب ما أعطى وإنما أعطى ما أعطى ليتم التكليف .

الوعد والوعيد :

وهم يعتقدون أن الوعد والوعيد نازلان لا محالة ، فوعده بالثواب واقع ، ووعيده بالعقاب واقع أيضًا ، ووعده بقبول التوبة النصوح واقع أيضًا ، وهكذا فمن أحسن يجازي بالإحسان إحسانًا ومن أساء يجازى بالإساءة عذابًا أليمًا ، فلا عفو عن كبيرة من غير توبة ، كما لا حرمان من ثواب لمن عمل خيرًا ، وأن هذا فيه رد على المرجئة الذين قالوا : لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، إذ لو صح هذا لكان وعيد الله تعالى في مقام اللغو ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا .

---

(١) استدلوا على هذا بقوله تعالى ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ .

المنزلة بين المنزلتين :

والقول بـأن المسلم العـاصي في منزلـة بين المؤمن والكافر قـد بيَّنـه « الشهرستـاني » في « الملل والنحل » بقوله : ووجه تقريره أنه قـال : (أي واصل بن عطـاء) : أن الإيمـان عبارة عن خصال خير ، إذا اجتمعت سمي المرء مؤمنًا وهو اسم مدح ، والفاسق لم يستكمل خصـال الخير ، ولا استحق اسم المـدح ، فلا يسمى مـؤمنًـا ، وليس هـو بكافر أيضًـا لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه ، لا وجـه لإنكارهـا ، لكنـه إذا خرج من الـدنيـا على كبيرة من غير تـوبـة فهـو من أهـل النـار خـالـدًا فيهـا ، إذ ليس في الآخرة إلا الفريقان ، فريق في الجنـة ، وفريق في السعير ولكنـه تخفف النـار عليـه ، والمعتزلـة مع اعتقـادهم أن العـاصي من أهـل القبلـة في منزلـة بين المنزلتين يرون أنـه لا مـانـع من أن يطلق عليه اسم المسلم تمييزًا عن الـذميين ، لا مـدحًـا وتكريمًـا . وأنـه في الـدنيـا يعـامل معاملة المسلمين ، لأن التوبة له مطلوبة ، والهداية مرجوة ، ولقد قال في ذلـك « ابن أبي الحديد » ، وهو مع تشيعـه من شيوخ المعتزلـة : « إنـا وإن كنـا نـذهب إلى أن صـاحب الكبيرة لا يسمى مؤمنًا ولا مسلمًا ، نجيز أن يطلق عليه هذا اللفظ إذا قصد به تمييزه عن أهل الذمة وعابدي الأوثان فيطلق مع قرينة حال أو لفظ يخرجه عن أن يكون مقصودًا له التعظيم والثناء والمدح » .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

هـذا هو الأصـل الخـامس من أصـول المعتزلـة المتفـق عليهـا ، فقـد قرروا ذلـك على المؤمنين أجمعين ، ونشرًا لدعوة الإسلام وهدايـة الضـالين ، ودفعًـا لهجوم الـذين يحـاولون تلبيس الحق بـالبـاطـل ، ليفسـدوا على المسلمين أمر دينهم ، ولـذلـك تصـدوا للـذود عن الحقـائـق أمـام سبيـل الـزنـدقـة التي انـدفعت في أول العصر العبـاسي ، تهـدم الحقـائـق الإسـلاميـة ، وتفكـك عرا الإسـلام عروة عروة ، وجردهم المهـدي لـذلـك كما سنبين ، كما تصدوا أيضًا لمناقشـة أهل الحـديث والفقـه ، وحـاولوا حملهم على اعتنـاق آرائهم بـالحجـة والبرهان ، أو بـالشـدة وقوة السلطـان ، وسنشير إلى ذلـك عنـد الكلام في مسـألـة خلق القرآن . هذه هي الأصول الخمسة التي أجمع عليهـا المعتزلـة ، ولا يستحق اسم الاعتزال من لم يؤمن بها كلها .

طريقتهم في الاستدلال على العقائد :

كانوا يعتمدون ـ في الاستدلال لإثبات العقائد ـ على القضايا العقلية إلا فيا لا يعرف إلا بالعقل ، وكانت ثقتهم بالعقل ، لا يحدها إلا احترامهم لأوامر الشرع . فكل مسألة من مسائلهم يعرضونها على العقل ، فما قبله أقرّوه وما لم يقبله رفضوه ، وقد سرى إليهم ذلك النحو من البحث العقلي :

١ ـ من مقامهم في العراق وفارس ، وقد كانت تتجاوب فيها أصداء لمدنيات وحضارات قديمة .

٢ ـ ومن سلائلهم غير العربية إذ كان أكثرهم من الموالي .

٣ ـ ولسريان كثير من آراء الفلاسفة الأقدمين إليهم لاختلاطهم بكثير من اليهود والنصارى وغيرهم ، ممن كانوا حملة هذه الأفكار ونقلتها إلى العربية .

وكان من آثار اعتادهم المطلق على العقل أنهم كانوا يحكمون بحسن الأشياء وقبحها عقلا ، وكانوا يقولون : « المعارف كلها معقولة بالعقل واجبة بنظر العقل ، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع ، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح » [١] .

ولقد قال الجبائي من شيوخهم : « كل معصية كان يجوز أن يأمر الله سبحانه بها فهي قبيحة للنهي ، وكل معصية لا يجوز أن يبيحها الله سبحانه ، فهي قبيحة لنفسها كالجهل به والاعتقاد بخلافة ، وكذلك كل ما جاز إلا أن يأمر الله سبحانه به فهو حسن للأمر به ، وكل ما لم يجز إلا أن يأمر الله به فهو حسن لنفسه [٢] » .

وقد بنوا على هذا ما قرروه من أن فعل الصلاح والأصلح واجب لله تعالى إذ إنه مادام في الأشياء حسن ذاتي وقبح ذاتي ، فستحيل أن يأمر الله سبحانه وتعالى بفعل ما هو قبيح لذاته ، وينهى عن فعل ما هو حسن لذاته ، وأن الله سبحانه لا يترك الأمر الحسن لذاته ، وأن ذلك ما يسمى فعل الصلاح ، وقد قرر ذلك المبدأ جمهورهم ، فقال إن الله تعالى لا يصدر عنه إلا ما فيه صلاح ، فالصلاح واجب له ، ولا شيء يفعله جلت ، قدرته إلا هو صالح ، ويستحيل عليه سبحانه أن يفعل غير الصالح .

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني .

(٢) مقالات الإسلاميين .

أخذهم عن الفلسفة اليونانية وغيرها :

في آخر العصر الأموي والعصر العباسي تواردت على العقل العربي الفلسفة الهندية والفلسفة اليونانية ، وقد جاءت إلى المسلمين أرسال الفلسفة اليونانية عن طريق الفرس ، لأن الثقافة الفارسية قبيل الإسلام كانت متأثرة بالفلسفة اليونانية ، كما جاءت عن طريق السريان : لأنهم قد ورثوا الفلسفة اليونانية ، وألبسوها لبوسهم الديني ، ومسوحهم اللاهوتية ، وعن طريق اليونانية أنفسهم ، لأن بعض الموالي من المسلمين كان يجيد اليونانية .

وقد تأثر المعتزلة بهذه الفلسفة في آرائهم ، وأخذوا عنها كثيرًا في استدلالهم فظهرت في أدلتهم مقدمات أقيستهم .

وقد دفعهم إلى دراسة هذه الفلسفة أمران .

أحدهما : أنهم وجدوا فيها ما يرضي نهمهم وشغفهم الفكري ، وجعلوا فيها مرانًا عقليًا جعلهم يلحنون بالحجة في قوة .

وثانيهما : أن الفلاسفة وغيرهم لما هاجموا بعض المبادئ الإسلامية ، تصدى هؤلاء للرد عليهم ، واستخدموا بعض طرقهم في النظر والجدل ، وتعلموا كثيرًا منها ليستطيعوا أن ينالوا الفوز عليهم ، فكانوا بحق فلاسفة المسلمين .

دفاعهم عن الإسلام :

دخل الإسلام طوائف من المجوس واليهود والنصارى وغير هؤلاء وأولئك ، ورءوسهم ممتلئة بكل ما في هذه الأديان من تعاليم جرت في نفوسهم مجرى الدم ، ومنهم من كان يظهر الإسلام ويبطن غيره . إما خوفًا ورهبة ! أو رجاء نفع دنيوي ، وإما بقصد الفساد والإفساد ، وتضليل المسلمين ، وقد أخذ ذلك الفريق ينشر بين المسلمين ما يشككهم في عقائدهم ، وظهر ثمار غرسهم في فرق هادمة للإسلام تحمل اسمه ظاهرًا وهي معاول هدمه في الحقيقة ، فظهرت « المجسمة » ، و « الرافضة » التي تقول بحلول الإله في جسم بعض الأئمة ، و « الزنادقة » وقد تصدى للدفاع عن الإسلام أمام هؤلاء فرقة درست المعقول وفهمت المنقول ، فكانت المعتزلة ، تجردوا للدفاع عن الدين ، وما كانت الأصول الخمسة التي تضافروا على تأييدها ، وتآزروا على نصرها إلا وليدة المناقشات

الحادة التي كانت تقوم بينهم وبين مخالفيهم . والتوحيد الـذي اعتقـدوه على الشكل الـذي أسلفنا كان للرد على المشبهة والمجسمة ، والعدل كان للرد على الجهميـة . والوعـد كان للرد على المرجئة والمنزلة بين المنزلتين ردوا به على المرجئة والخوارج .

وفي عهـد المهـدي ظهر « المقنع الخراسـاني » وكان يقـول بتنـاسـخ الأرواح واستغـوى طائفة من النـاس وسـار إلى مـا وراء النهر . فلاقى « المهـدي » عنـاء في التغلب عليـه . ولذلك أغرى بالزندقة والزنـادقـة ، فكان يتعقبهم ليقضي عليهم بسيف السلطـان ، ولكن السيف لا يقتضي على رأي ، ولا يميت مذهبًا ، ولـذلـك شجع المعتزلـة وغيرهم للرد على الزنادقة وأخذهم بالحجة ، وكشف شبهاتهم وفضح ضلالاتهم ، فمضوا في ذلك غير وانين .

مناصرة بني العباس لهم :

١٧١ ـ ظهر المعتزلـة في العصر الأموي كما أسلفنـا فلم يجـدوا من الأمـويين معـارضـة ؛ لأنهم لم يثيروا شغبًا عليهم ولا حربًـا ، إذ إنهم كانـوا فرقـة لا عمـل لهـا إلا الفكر وقرع الحجة ووزن الأمور بمقـاييسهـا الصحيحـة ، ومع أن الأمويين لم يعـارضوهم فهم أيضًـا لم يعاونهم .

ولما جاءت الدولة العباسية وقد طم سيل الإلحاد والزندقة كما أشرنا وجد خلفاؤهـا في المعتزلة سيفًـا مسلولا على الزنـادقـة ، لم يغلوه بل شجعوهم على الاستمرار في نهجهم ، فلمـا جاء المأمون ، (وقد كان يعتبر نفسه من علماء المعتزلة) شـايعهم وقربهم وأدنـاهم ، وجعل منهم حجابه ووزراءه ، وكان يعقد المناظرات بينهم وبين الفقهاء لينتهوا إلى رأي متفق ، واستمر على ذلـك حتى إذا كانت سنـة ٢١٨ هـ وهي السنـة التي تـوفي فيهـا ، انتقـل من المناظرات العلمية إلى التهديد بـالأذى الشـديـد بل إنزالـه بـالفعل ، وذلـك برأي وتـدبير وزيره وكاتبه أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي ، وأنها لسقطة ما كان لمثل المأمون أن يرضى بأن تقع في عهده ، فقد كانت فيه المحاولة بالقوة لحمل الفقهاء والمحـدثين على رأي المعتزلـة ومـا كانت قـوة الحكم لنصر الآراء وحمـل النـاس على غير مـا يعتقـدون ، وإذا كان من المحرم الإكراه في الـدين ، فكيف يجمل حمل النـاس على عقيـدة ليس في مخـالفتهـا انحراف عن الدين ، لقد حاول أن يحمل الفقهاء على القول بـأن القرآن مخلوق ، فـأجـابـه بعضهم إلى رغبته تقية ورهبًا لا إيمانًا واعتقادًا . وتحمّل آخرون العنت والإرهاق والسجن الطويل ، ولم يقولوا غير مـا يعتقـدون . واستمرت تلـك الفتنـة طول مـدة المعتصم والـواثـق وذلـك

لوصية المأمون بذلك ، وزاد الواثق الإكراه على نفي الرؤية كرأي المعتزلة . ولما جاء المتوكل رفع هذه المحنة ، وترك الأمور تأخذ سيرها ؛ والآراء تجري في مجاريها ، بل إنه اضطهد المعتزلة ولم ينظر إليهم نظرة راضية .

منزلة المعتزلة في نظر معاصريهم :

١٧٢ ـ شنّ الفقهاء والمحدثون الغارة على المعتزلة . فكانوا بين عدوين ، كلاهما قوي ، الزنادقة والمشبّهة والمجسمة ومن على شاكلتهم من ناحية ، والفقهاء والمحدثون من ناحية أخرى . وإنك لترى في مجادلات الفقهاء والمحدثين تشنيعًا على المعتزلة كلما لاحت لهم بارقة ، وإذا سمعت الشافعي وابن حنبل يذمان علم الكلام ، ومن يأخذ العلم على طريقة المتكلمين ، فإنما المعتزلة وطريقتهم أرادوا بذمهما .

ولكن ما السر في كراهية الفقهاء والمحدثين حتى قبل المحنة التي أنزلها المأمون تأييدًا لآرائهم ؟ يظهر لي أن عدة أمور تضافرت فأوجدت تلك العداوة ، وهذا بعض منها :

(أ) خالف المعتزلة طريقة السلف في فهم العقائد ، لقد كان القرآن الكريم الورد المورود عند السلف ، يلجأ إليه وإلى السنة كل من يريد معرفة صفات الله تعالى ، وما يجب الإيمان به من عقائد ، لا يصدرون عن غيره ، ولا يطمئنون لسواه ، كانوا يفهمون العقائد من آيات الكتاب ، وهي بينات . وما اشتبه عليهم حاولوا فهمه بأساليب اللغة وهم بها خبراء ، وإن تعذر عليهم توقفوا وفوضوا الأمور لله غير مبتغين فتنة ، ولا راغبين في زيغ .

وقد كان ذلك ملائمًا للعرب لأنهم في أصلهم ليسوا أهل علوم ولا منطق ولا فلسفة ، فلما كثرت العلوم واتسعت علوم الفلسفة جاء المعتزلة وخالفوا ذلك المنهج ، وحكموا العقل في كل شيء ، وجعلوه أساس بحثهم ، وساقهم شره عقولهم إلى محاولة اكتفاء كل أمر .

كان ذلك المنهاج الجديده في دراسة الدين طريقة جديدة للفقهاء والمحدثين لم يألفوها في دراسة الدين ، فجرد عليهم أولئك سيوف نقدهم ، وأشاعوا عنهم قالة السوء .

يلاحظ في آراء المعتزلة ثلاثة أمور واضحة بينة .

أولها : أن هؤلاء يعدون فلاسفة الإسلام حقًّا لأنهم درسوا العقائد الإسلامية دراسة عقلية فسلفية غير متللين من النصوص الشرقية .

ثانيها : أنهم قاموا بحق الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورد كيد الزنادقة والملاحدة والكفار في نحورهم وقد ناوأهم الرشيد زمانًا واعتقل بعضهم ولكنه اضطر لإطلاقهم لما علم أنهم الذين يستطيعون منازلة الوثنيين من السمنية وغيرهم .

ثالثها : أن لهم شذوذًا في الفكر وشذوذًا في العقل وذلك عدت كثيرًا ممن يطلق لعقله العنان ولو في ظلال النصوص .

خلق القرآن

وهذه المسأله أسبق في الوجود من عصر الخلفاء الثلاثة الذين ذكرناهم ، فقد قالها الجعد بن درهم ، وقتله خالد بن عبد الله القسري و الى الكوفة لهذه المقالة . وقال مثل هذه المقالة الجهم بن صفوان فقد نفى صفة الكلام كما ذكرنا عند الكلام في الجبرية ، وكان هذا النفي تنزيها لله سبحانه وتعالى عن مشابهة الحوادث في زعمهم ، وحكم بسبب ذلك بأن القرآن مخلوق له سبحانه وليس بقديم .

ولقد جاء المعتزلة من بعد ذلك ، ونفوا عن اللهِ تعالى صفات المعاني ، وهي القدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام ، وغيرها من الصفات المذكورة في القرآن ، وأولوا ما ذكر في القرآن على أنه أسماء للذات العلية ، وليس وصفًا لها .

وبنفيهم صفة كلام في ضمن ما نفوا أنكروا أن يكون الله تعالى متكلمًا وما ورد في القرآن الكريم من إسناد الكلام إليه سبحانه في مثل قوله تعالى ﴿ **وكلم الله موسى تكليما** ﴾ أولوه بأن الله تعالى خلق الكلام في الشجرة كما يخلق كل شيء .

وعلى هذا بنوا قولهم : أن الكلام مخلوق لله سبحانه وتعالى ، وأن القرآن مخلوق لله سبحانه وتعالى ، وخاضوا في هذه المسألة في العصر العباسي خوضًا شديدًا ، وشاركهم في خوضهم بعض قليل من الفقهاء ، فقد كان بشر بن غياث المريسى على كبر محله في الفقه من المصرين على القول بأن القرآن مخلوق ، وقد نهاه أبو يوسف شيخه وتلميذ أبي حنيفة ، فلم ينته ، فطرده من مجلسه .

وكان ابتداء الخوض الشديد في عهد الرشيد ، ولم يكن ممن يشجعون الخوض في العقائد ، والجدل فيها على ضوء أقوال الفلاسفة ، بل يروي أنه حبس طائفة من المجادلين في العقائد ومنهم المعتزلة ، ولذا لم يشجع الكلام في شأن القرآن : أهو مخلوق أم غير مخلوق ، ولما بلغته مقالة (بشر بن غياث المريسي) في القرآن قال : لئن أظفرني الله به لأقتلنه فظل بشر مختفيًا طوال خلافة الرشيد .

طبقات المعتزلة: قسم الشيخ الغرابي المعتزة إلى ثلاث طبقات .

الطبقة الأولى : أوائل المعتزلة كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد .

الطبقة الثانية : أواسط المعتزلة كأبي الهذيل والنظام أبو إسحق إبراهيم بن سيار .

الطبقة الثالثة : أواخر المعتزلة كأبي علي الجبائي وابنه أبي هاشم .

الأشاعرة

اشتدت حملة المعتزلة على الفقهاء والمحدّثين ، ولم يسلم من حملتهم فقيه معروف أو محدّث مشهور ، فكرههم الناس وصاحب ذكرهم البلاء والمحن وتأرثت العداوة ، حتى نسى الناس خيرهم ، فنسوا دفاعهم عن الإسلام وبلاءهم فيه ، وتصديهم للزنادقة وأهل الأهواء ، نسوا هذا كله ، ولم يذكروا لهم إلا إغراءهم الخلفاء بامتحان كل إمام تقي ، ومحدث مهدي .

ولما جاء المتوكل وأبعدهم عن حظيرته ، وأدنى خصومهم ، وفك قيود العلماء ، تجرد لمنازلتهم جماعة من الفقهاء ـ ومن نهجوا نهج السنة في دراسة العقائد ، فبعض العلماء الذين أجادوا طريقة المعتزلة في المجادلة لم يأخذوا بآرائهم فجادلوهم بلسان عضب ومن ورائهم العامة يؤيدونهم . وبعض الخاصة يرافقونهم والخلفاء يناصرونهم .

وظهر في آخر القرن الثالث رجلان امتازا بصدق البلاء : أحدهما أبو الحسن الأشعري ظهر بالبصرة ، والثاني أبو منصور الماتريدي ظهر بسمرقند ، وقد جمعهما مقاومة المعتزلة على اختلافٍ بينهما في القرب من المعتزلة والبعد عنهم ولنتكلم على أبي الحسن الأشعري ، ثم نثني بكلام على الماتريدي .

ولد الأشعري بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ وتوفي سنة ثلاثين وثلاثمائة ونيف بعد الهجرة ، وتخرّج على المعتزلة في علم الكلام وتتلمذ لشيخهم في عصره أبي علي الجبائي ، وكان لفصاحته ولسنه يتولى الجدل نائبًا عن شيخه .

ولكن الأشعري وجد من نفسه ما يبعده عن المعتزلة في تفكيرهم مع أنه تغذى من موائدهم ، ونال من ثمرات تفكيرهم ثم وجد ميلاً إلى آراء الفقهاء والمحدثين ، مع أنه لم يغش مجالسهم ولم يدرس العقائد على طريقتهم .

مذهب الأشعري ورده على المعتزلة :

عكف الأشعري في بيته مدة وازن فيها بين أدلة الفرقتين وانقدح له رأي بعد الموازنة ، فخرج إلى الناس وناداهم بالاجتماع إليه ، فرقي إليه ، فرقى المنبر يوم الجمعة بالمسجد الجامع بالبصرة ، وقال :

أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرّف بنفسي ، أنا فلان بن فلان ؛ كنت أقول بخلق القرآن وأن الله تعالى لا يرى بالأبصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها ، وأنا تائب مقلع متصد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم . معاشر الناس .. إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ، ولم يترجح عندي شيء على شيء فاستهديت الله تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته كتبي هذه وأنخلعت من جميع ما كنت أعتقد كما أنخلعت من ثوبي هذا » وانخلع من ثوب كان عليه ، ودفع للناس ما كتبه على طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين .

وقد تبيّن مذهبه ومأخذه على المعتزلة إجمالاً في مقدمة كتابه « الإبانة » وقد جاء فيها بعد حمد الله والثناء عليه :

« أما بعد فإن كثيرًا من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى التقليد لرؤسائهم ، ومن مضى من أسلافهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل الله به سلطانًا ، ولا أوضح به برهانًا ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ولا عن السلف المتقدمين ، فخالفوا رواية الصحابة عن نبي الله محمد ﷺ في رؤيته بالأبصار ، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفة ، وتواترت الآثار وتتابعت الأخبار ، وأنكروا شفاعة رسول الله ﷺ ، وردوا الرواية في ذلك عن السلف المتقدمين ، وجحدوا عذاب القبر ، وأن الكفار في قبورهم يعذبون ، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون ، ودانوا بخلق القرآن نظيرًا لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا : « إن هذا إلا قول البشر » فزعموا أن القرآن كقول البشر ، وأثبتوا وأيقنوا أن العباد يخلقون الشر نظيرًا لقول المجوس الذين يثبتون خالقين : أحدهما يخلق الخير والآخر يخلق الشر ، وزعموا أن الله عز وجل يشاء ما لا يكون ، ويكون ما لا يشاء ، خلافًا لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان ، وما لا يشاء لا يكون ، وردًّا لقول الله تعالى : ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ﴾ ، ولقوله تعالى ﴿ **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها** ﴾ ولقوله تعالى : ﴿ **فعال لما يريد** ﴾ ، ولقوله تعالى مخبرًا عن شعيب أنه قال : ﴿ **وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا** ﴾ ولذا سماهم رسول الله ﷺ : « **مجوس** هذه الأمة » لأنهم دانوا بديانات المجوس ، وضاهوا أقوالهم . وزعموا أن للشر والخير خالقين كما زعمت المجوس ، وأنه يكون من الشر ما لا يشاء الله كما قالت المجوس ، وزعموا أنهم يملكون الضر

والنفع لأنفسهم ردًا لقول الله تعالى : ﴿ **قل لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله** ﴾ وانحرافًا عن القرآن وعما أجمع عليه المسلمون . وزعموا أنهم يتفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم ، وأثبتوا لأنفسهم غنى عن الله عز وجل ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله بالقدرة عليه ، كما أثبت المجوس للشيطان من القدرة على الشر ما لم يثبتوه لله عز وجل ، فكانوا مجوس هذه الأمة إذ دانوا بديانة المجوس وتمسكوا بأقوالهم ، ومالوا على أضاليلهم ، وقنطوا الناس من رحمة الله ، وآيسوهم من روحه ، وحكموا على العصاة بالنار والخلود خلافًا لقول الله تعالى : ﴿ **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ وزعموا أن من دخل النار لم يخرج منها ، خلافًا لما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ : « أن الله عز وجل يخرج من النار قومًا بعد ما امتحشوا فيها ، وصاروا حمما » . ودفعوا أن يكون لله عز وجل وجه مع قوله تعالى : ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ وأنكروا أن يكون لله يدان مع قوله تعالى : ﴿ **لما خلقت بيدي** ﴾ وأنكروا أن يكون لله عين مع قوله تعالى : ﴿ **تجري بأعيننا** ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾ ونفوا ما روي عن رسول الله ﷺ : « أن الله ينزل إلى السماء الدنيا » وإني أذكر إن شاء الله تعالى بابًا ، وبه المعونة والتأييد ، ومنه التوفيق والتسديد ...

فإن قال قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة ، والقدرية ، والجهمية ، والحرورية ، والرافضة ، والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذي تقولون وديانتكم التي بها تدينون ، قيل له : قولنا الذي نقول وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته ، وعمن خالف قوله مجانبون ، لأنه الإمام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمه الله تعالى من إمام مقدم ، وكبير مفهم ، ورحمته على جميع أئمة المسلمين .

وبهذا يتبين أنه جاء لإحياء آراء الإمام أحمد في نظره إذ يعتبر منهاجه هو منهاجه ، ولذا يقول في منهاج الإمام أحمد الذي اختاره : (وجملة قولنا أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئًا وأن الله تعالى واحد أحد فرد صمد لا إله غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ،

وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن الجنة والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله استوى على عرشه ، كما قال تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ، وأن له تعالى وجهًا كما قال تعالى : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ ، وأن له يدًا كما قال تعالى : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ ، وأن له عينًا بلا كيف كما قال تعالى : ﴿ تجري بأعيننا ﴾ ، وأن الله علمًا كما قال تعالى : ﴿ أنزله بعلمه ﴾ ونثبت لله قوة كما قال تعالى : ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾ ونثبت لله السمع والبصر ، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية . ونقول إن كلامه غير مخلوق ، ولم يخلق شيئًا إلا وقد قال له كن فيكون ، وإن لا يكون في الأرض شيء ولا خير إلا ما شاء الله ، وإن الأشياء تكون بمشيئة الله ، وإن أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئًا قبل أن يفعله الله ولا نستغنى عن الله ، ولا نقدر على الخروج من علم الله ، وأنه لا خالق إلا الله ، وأن أعمال العباد مخلوقة لله ومقدرة كما قال تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئًا وهم يخلقون ، كما قال تعالى : ﴿ أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ ، هذا في كتاب الله كثير ، وأن الله وفق المؤمنين لطاعته ، ولطف بهم ونظر لهم ، ولو أصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم كانوا مهتدين ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ﴾ وأنا نؤمن بقضائه وقدره وخيره وشره ، حلوه ومره ، ونعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا ، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا . ونقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال بخلق القرآن كان كافرا به ، وندين أن الله تعالى يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يُرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ، كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ ، ونقول إن الكافرين عنه محجوبون ، كما قال الله عز وجل : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ ونرى ألا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنى والسرقة وشرب الخمر ، كما دانت بذلك الخوارج ، وزعموا أنهم بذلك كافرون ، ونقول إن من عمل كبيرة من الكبائر مستحلا لها كان كافرًا إن كان غير معتقد تحريمها . ونقول إن الله يخرج من النار قومًا بعد ما امتحشوا بشفاعة محمد ﷺ ونؤمن بعذاب القبر ، وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، وندين بحب السلف الذين اختارهم لصحبة نبيه ، ونثني عليهم بما أثنى الله به عليهم ونتولاهم ، ونقول إن الإمام بعد

رسول الله ﷺ ، أبو بكر رضي الله عنه وأن الله أعز به الدين ، وظهره على المرتدين ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم عثمان نضر الله وجهه قتله قاتلوه ظلمًا وعدوانًا ، ثم علي بن أبي طالب ، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ ، وخلافتهم خلافة النبوة ، ونشهد للعشرة المبشرين بالجنة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ ، ونتولى سائر أصحاب رسول الله ﷺ ونكف عما شجر بينهم ، وندين الله أن الأئمة الأربعة راشدون مهذبون فضلاء لا يوازيهم في الفضل غيرهم . ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل المعروفون لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة ، وندين بترك الخروج عليهم بالسيف ، وترك القتال في الفتنة ونقر بخروج الدجال ، ونقر بعذاب القبر ومنكر ونكير ، ونصدق بحديث المعراج ، ونصحح كثيرًا من الرؤيا في المنام ، ونرى الصدقة عن موتى المؤمنين والدعاء لهم ، ونؤمن أن الله ينفعهم ، ونقول إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله بآياته ... وقولنا في أطفال المشركين : « إن الله عز وجل يؤجج لها نارًا في الآخرة ثم يقول اقتحموها كما جاءت الرواية بذلك . ونرى مفارقة كل داعية لفتنة ، ومجانبة أهل الأهواء .. وسنحتج لما ذكرناه من قولنا ».

نقلنا هذا الكلام بطوله ، ولأنه بتحريره بين خلاصة دقيقة لمذهبه وما اختاره ، وخلاصة ما تدل عليها :

(أ) أنه يجوز أن تكون للصالحين آية ، وهي التي اصطلح العلماء على تسميتها باسم الكرامة تمييزًا لها عن المعجزة ، وأنه يرى جواز الدعاء للميت والتصدق عليه ، وأنها ينفعانه .

(ب) وأنه يرى أن يؤخذ بكل ما جاءت به السنة من عقائد لا فرق في ذلك بين سنة متواترة وأخبار آحاد ، ويحتج لكل ما اشتملت عليه السنة من عقائد وسائل الاحتجاج ، وقد أعلن اعتقاده لأمور تثبت أحاديث الآحاد .

(جـ) أنه أخذ بظواهر النصوص في الآيات الموهمة للتشبيه من غير أن يقع في التشبيه في نظره ، فهو يعتقد أن لله وجها ، لا كوجه العبيد ، وأن لله يدًا لا تشبه يد المخلوقات .

(د) وأنه يرى أن ما يعتقده هو رأي الإمام أحمد ، ويعتبره الإمام المقدم ، العالم المفهم .

ومع اتفاق المذهب الأشعري ، مع آراء الفقهاء والمحدّثين فيما شجر بينهم وبين المعتزلة من خلاف ، وأخذه بظواهر النصوص أخذًا مطلقًا لا يعتمد فيه إلى أي تأويل - كان بعيدًا عن أهل الأهواء بعدًا مطلقًا ، وفي الحقيقة أن آراءه كانت وسطًا بين المغالين ، بين النفي والإثبات ، والمتجاذبين لأطراف النزاع من المعتزلة والحشوية والجبرية ، وأن الدارس لحياة الأشعري يجد أن الذي يتفق مع اطلاعه هو أن يختار مذهبًا وسطًا بعيدًا عن المغالاة على أي شكل كانت المغالاة ، وكتابه (مقالات الإسلاميين) يدل على اطلاع عزيز على أقوال الفرق الإسلامية كلها ، وهو أدق ناقل لهذه الآراء ، وهو قد اختار ذلك الوسط في الآراء الفلسفية التي لها صلة بالقرآن ، وإن كان يتفق مع بعض الفقهاء في كل أمر ورد فيه أثر أو قرآن ولا يصعب على المتقصي أن يثبت ذلك التوسط في كل فكرة من أفكاره .

فرأيه في الصفات وسط بين المعتزلة ومعهم الجهمية ، وبين الحشوية والمجسمة ، فالأولون نفوا الصفات التي وردت في القرآن ، ولم يثبتوا إلا الوجود والقدم والبقاء والوحدانية ، ونفوا السمع والبصر والكلام وغيرها من الأوصاف الذاتية ، وقالوا : ليست شيئًا غير الذات ، وقالوا إنها في القرآن أسماء لله تعالى كالرحمن والرحيم - والحشوية و « المجسمة » شبهوا ذاته تعالى في أوصافها بصفات الحوادث تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا ، وجاء الأشعري فأثبت الصفات التي وردت كلها في القرآن والسنة ، وقرر أنها صفات تليق بذاته تعالى ، ولا تشبه صفات الحوادث التي تسمى باسمها ، فسمع الله تعالى ليس كسمع الحوادث ، وبصره ليس كبصرهم ، وكلامه ليس ككلامهم .

ورأيه في قدرة الله تعالى وأفعال الإنسان وسط بين الجبرية والمعتزلة ، فالمعتزلة قالوا إن العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه بقوة أودعها الله تعالى إياه ، والجبرية قالوا إن الإنسان لا يستطيع إحداث شيء ولا كسب شيء بل هو كالريشة في مهب الريح ، فقال الأشعري إن الإنسان لا يستطيع إحداث شيء ولكن يقدر على الكسب [1] .

---

(١) تبين كذب المعتزلة فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري .

وبالنسبة لرؤية الله يوم القيامة ، قال المعتزلة : الله سبحانه وتعالى لا يُرى ، وأوّلوا النصوص القرآنية ولم يأخذوا بالأحاديث النبوية لأنها أخبار آحاد ، وقال المشبهة : إن الله يُرى يوم القيامة مكيفًا محدودًا ، وسلك الأشعري مسلكًا وسطًا فقال : يُرى من غير حلول ولا حدود .

وبالنسبة للألفاظ التي وردت موهمة للتشبيه في القرآن والحديث مثل ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ قال المعتزلة : المراد سلطان الله تعالى فوقهم ، وقال الحشوية ، (أي العامة من المنتسبين للعلم) يده يد جارحة ، وقال الأشعري يده يد تليق بذاته الكريمة ، وليست يدًا جارحة كأيدينا ، بل يده يد صفة كالسمع والبصر ، وهذا ما جاء في كتاب الإبانة فإنه قد صرح بالتفويض بأن فرض اليد ، ونفي التشبيه ، ولكن يظهر أنه قد رجع عن هذا الرأي الذي أبداه متحمسًا لمناقضة المعتزلة ، إذ جاء في اللمع أن قرر تأويل اليد بالقدرة كما فعل المعتزلة وغيرهم .

وبالنسبة للقرآن قال المعتزلة : القرآن مخلوق محدث خلقه الله تعالى ، وقال الحشوية الحروف المقطعة والأجسام التي يكتب عليها والألوان التي يكتب بها ، وما بين الدفتين غير مخلوق [1] فسلك الأشعري طريقًا وسطًا ، وقال : القرآن كلام الله غير مغير ولا مخلوق ولا حادث ولا مبتدع ، فأما الحروف المقطعة والألوان والأجسام والأصوات فمخلوقات مخترعات .

وبالنسبة لمرتكب الكبيرة قال المعتزلة : إن صاحب الكبيرة مع إيمانه وطاعته إذا لم يتب عن كبيرته لا يخرج من النار ، وقال المرجئة من غير أهل السنة : من أخلص لله سبحانه وتعالى وآمن به فلا تضره كبيرة مهما تكن ، فسلك الأشعري طريقًا وسطًا ، المؤمن الموحد الفاسق هو في مشيئة الله تعالى إن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة ، وإن شاء عاقبه بفسقه ثم أدخله الجنة .

وبالنسبة للشفاعة قال الإمامية إن للرسول شفاعة وللأئمة مثلها ، وقال المعتزلة : لا شفاعة لأحد من العباد ، فسلك الأشعري مسلكًا وسطًا ، وقال إن للرسول صلوات الله وسلامة عليه شفاعة مقبولة في المؤمنين المستحقين للعقوبة ، يشفع لهم بأمر الله وإذنه ولا

---

(١) الكتاب المذكور ص ١٥٠ .

يشفع إلا لمن ارتضى ، كسائر الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وهكذا نراه قد سلك الطريق الأوسط لكي يبعد عن الانحراف ، وسنبين آراءه موازنة بغيرها عند الكلام على الماتريدية .

وقد سلك الأشعري في الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل ، فهو يثبت ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف من أوصاف الله تعالى ورسله واليوم الآخر والملائكة والحساب والعقاب والثواب ويتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية يستدل بها على صدق ما جاء في القرآن والسنة عقلا بعد أن وجب التصديق بها كما هي نقلا ، فهو لا يتخذ من العقل حاكمًا على النصوص ليؤولها أو يمضي ظاهرها ، بل يتخذ العقل خادمًا لظواهر النصوص يؤيدها .

وقد استعان في سبيل ذلك بقضايا فلسفية ، ومسائل عقلية خاض فيها الفلاسفة وسلكها المناطقة ، والسبب في سلوكه ذلك المسلك العقلي :

(أ) أنه تخرج على المعتزلة ، وتربي على موائدهم الفكرية ، فنال من مشربهم وأخذ من منهلهم ، واختار طريقتهم في الاستدلال لعقائد القرآن ولم يسلك طريقتهم في فهم نصوص القرآن والحديث وقد سلك المعتزلة في طريقتهم في الاستدلال مسلك المناطقة والفلاسفة .

(ب) وأنه قد تصدى للرد على المعتزلة ومهاجمتهم ، فلابد أن يلحن بمثل حجتهم ، وأن يتبع طريقتهم في الاستدلال ليفلج عليهم ويقطع شبهاتهم ويفحمهم بما في أيديهم ويرد حجتهم عليهم .

(جـ) وأنه قد تصدى للرد على الفلاسفة ، والقرامطة ، والباطنية وغيرهم ، وكثير من هؤلاء لا يفحمه إلا الأقيسة المنطقية ، ومنهم فلاسفة لا يقطعهم إلا دليل العقل .

وفي الحق أنه قد ضعف شأن المعتزلة في القرن الثالث والقرن الرابع الهجري ، وقد كانوا متصدين للرد على أهل الأهواء ، وعلى الذين يهاجمون الإسلام ، وأبلوا في ذلك بلاء حسنًا ، فلما ضعف شأنهم كان لابد أن يكون من بين علماء السنة من يتولى ذلك العمل الكبير الخطير ، لأنه تلميذ المعتزلة ، وعرف بلاءهم في هذا الأمر ، لأنه صار إمام السنة المعروف في ذلك العصر ، بعد أن زالت دولة المعتزلة .

وقد نال الأشعري لذلك منزلة عظيمة وصار له أنصار كثيرون ، ولقي من الحكام تأييدًا ونصرة ، فتعقب خصومه من المعتزلة وأهل الأهواء والكفار وبث أنصاره في الأقاليم يحاربون خصوم الجماعة ومخالفيها ولقبه أكثر علماء عصره بإمام أهل السنة والجماعة .

ولكن مع ذلك جاء من بعده علماء يخالفونه : فابن حزم يعده من الجبرية ، لأن رأيه في أفعال الإنسان لا يثبت الاختيار للعبد في نظر « ابن حزم » (١) ويعده من المرجئة لرأيه في مرتكب الكبيرة (٢) .

وقد تعقبه في غير هاتين المسألتين ولكن مع ذلك قد ذاب أكثر مخالفيه في لجة التاريخ الإسلامي ، واشتد ساعد أنصاره جيلاً بعد جيل وقويت كتهم وحذوا حذوه ، وقاموا بما كان يقوم به من محاربة المعتزلة والملحدين ، ومنازلته لهم في كل ميدان من ميادين القول ، وكل باب من أبواب الاعتقاد .

ومع هذا النفوذ الذي استمر في صدر التاريخ كان من كبار رجال الإسلام من يخالفه وإن كانوا قليلا ، وجاء من الحنابلة من يخالفه كما سنبين عند الكلام على الفلسفيين .

الزيدية

الزيدية :

هذه الفرقة هي أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية وأكثر اعتدالا ، وهي لم ترفع الأئمة إلى مرتبة النبوة ، بل لم ترفعهم إلى مرتبة تقاربها بل اعتبروهم كسائر الناس ، ولكنهم أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ .

ولم يكفّروا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ ، وخصوصًا من بايعهم « علي » رضي الله عنه ، واعترف بإمامتهم .

وإمام هذه الفرقة زيد بن علي زين العابدين ، وقد خرج على هشام بن عبد الملك بالكوفة فقتل وصلب ، ويقول المسعودي في سبب خروجه : كان زيد دخل على هشام ، فلما مثل بين يديه لم ير موضعًا يجلس فيه ، فجلس حيث انتهى به المجلس وقال : يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عن تقوى الله ولا يصغر دون تقوى الله ، فقال هشام : اسكت لا أم لك ، أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة ، وأن ابن أمة ، فقال يا أمير المؤمنين إن لك جوابًا إن أحببت أجبتك به ، وإن أحببت أسكت عنه ، فقال هشام : « بل أجب » . قال : إن الأمهات لا يقعدن بالرجل عن الغايات ، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحق ، فلم يمنعه ذلك أن يبعثه الله نبيًا ، وجعله الله سبحانه وتعالى للعرب أبا ، فأخرج من صلبه خير البشر « محمدًا » ﷺ ، فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي ، وقام وهو يقول :

شرده الخوف وأزرى به ... كذلك من يكره حر الجلاد
منخرق الكفين يشكو الجوى ... تنكثه أطراف مرو حداد
فقد كان في الموت له راحة ... والموت حتم في رقاب العباد
إن يحدث الله له دولة ... يترك آثار العدا كالرماد

فمضى إلى الكوفة ، وخرج عنها ومعه القراء والأشراف . فلما قامت الحرب انهزم عنه أصحابه ، وبقي في جماعة يسيرة ، فقاتل بهم أشد القتال وهو يقول متمثلاً :

أذل الحياة وعز الممات ... وكلا أراه طعامًا وبيلا [١]

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ١٨٢ .

فـــإن كان لابـــد من واحـــد فسيري إلى المـــوت سيرًا جميـــلاً

وانتهى الأمر بقتله .

وأنه يستفاد من هذا الخبر أن الإمام زيدًا رضي الله عنه كان ملتزمًا الطاعـة لا يخرج عن الجماعة ولا يخالف ، وهذه هي الحقيقة فقـد كان منصرفًـا إلى العلم ، كانت لـه صلات وثيقة بعلماء عصره فأخذوه فقد اتصل به « واصل بن عطاء » وأخذ عنه واتصل بـه « أبو حنيفة » وأخذ عنـه ، وكان يميل هـذا إليـه ، ويتعصب لـه ، ويقول في خروجـه لقتـال جند الأمويين : ضاهى خروجه خروج رسول الله ﷺ « يوم بدر » .

والإمام زيد إمـام فقيـه ومتكلم ، ألف كتـاب المجموع في الفقـه والمجموع في الحـديث نقلا في كتـاب واحـد أسمـوه المجمـوع الكبير أشهر تـلاميـذه أبـو خـالـد عمرو بن خـالـد الواسطى .

أفكارهم :

١ ـ و« الزيدية » لا يؤمنون بأن الإمام الذي أوصى بـه النبي ﷺ قـد عيَّنـه بـالاسم والشخص ، بل عرّفه بـالوصف ، وأن الأوصـاف التي عرفت تجعل الإمـام عليًّـا رضي الله عنه هو الإمام من بعده ، لأن هذه الأوصاف لم تتحقق في أحد بمقدار تحققها فيه . وهذه الأوصاف توجب أن يكون هاشميًا ورعًا تقيًا عالمًا سخيًّا يخرج داعيـا لنفسـه ، ومن بعـد علي يشترط أن يكون فاطميًا أي من ذرية السيدة « فاطمة » رضي الله تعالى عنهـا سواء من أولاد الحسن أو أولاد الحسين . وعلى هذا فالإمامة عندهم ليست بالنص ولا وراثية بل تقوم على البيعة .

وقد خالفـه في شرط الخروج وأن يـدعو الإمـام لنفسـه كثيرون من شيعتـه ومن آلـه وعلى رأسهم أخوه « محمد الباقر » فيروي أنه قال له : « على قضية مـذهبـك والـدك ليس بإمام ، فإنه لم يخرج قط ، ولا تعرض للخروج » .

٢ ـ وإن الإمام زيدًا يرى جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل التي ذكرها للإمام ليست هي الصفـات الواجب توافرهـا لصحـة الإمـامـة ، بل هي صفـات الإمـام الأمثل الكامل ، وهو أولى بها من غيره ، فإن اختار أهل الحل والعقد في الأمة إمـامًـا لم يستوف بعض هذه الصفات وبايعوه صحت إمامته ولزمت بيعته .

٣ ـ ولا يجوز عندهم أن يكون الإمام مستورًا إذ لا بد من اختياره من قبل أهل الحل والعقد .

٤ ـ وعلى ذلك الأصل أقر الإمام زيد إمامة الشيخين أبي بكر وعمر ولم يكفر أحدًا من الصحابة . وقال في ذلك : « إن علي بن أبي طالب أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت لأبي بكر لمصلحة رأوها ، وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة ، وتطييب قلوب العامة ، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريبًا ، وسيف أمير المؤمنين علي عليه السلام من دماء المشركين لم يجف ، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي ، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ، ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد ، وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن لمن عرفوا باللين والتودد ، والتقدم في السن ، والسبق في الإسلام ، والقرب من رسول الله ﷺ » .

وقد كان هذا المبدأ سببًا في خروج كثيرين من الشيعة مضافًا إلىالسبب الأول ، فقد جاء في كتاب « الفرق بين الفرق » : للبغدادي : لما استحر القتال بين زيد وبين يوسف بن عمرو الثقفي قالوا إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك على بن أبي طالب . فقال : إني لا أقول فيهما إلا خيرًا ، وإنما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار . ففارقوه عند ذلك .

٥ ـ ومن مذهب الزيدية جواز مبايعة إمامين في إقليمين ، بحيث يكون كل واحد منهما إمامًا في الأقليم الذي خرج فيه مادام متحليًا بالأوصاف التي ذكروها ، ومادام الاختيار كان حرًّا من أولي الحل والعقد ، ومن هذا يفهم لا يجوزون قيام إمامين في إقليم واحد ، لأن ذلك يستدعي أن يبايع الناس لإمامين وذلك منهي عنه بصحيح الأثر

٦ ـ والزيديون يعتقدون أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ، ما لم يتب توبة نصوحًا ، وهم قد نهجوا في ذلك منهج المعتزلة ؛ وذلك لأن زيدًا كانت له صلة بواصل بن عطاء رأس المعتزلة ، وقد كانت تلك الصلة سببًا في بغض بعض الشيعة له مضافًا إلى الأسباب السابقة ! إذ إن واصلا كان يردد أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام ماكان على الحق فيها بيقين ، وأن أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه .

ويظهر أن كراهية الشيعة إن كانت فإنما هي لشخص واصل ، لا للمعتزلة كلهم ، فإن رأي الشيعة بشكل عام في العقائد يتفق مع منهاج المعتزلة ولا يتفق مع رأي الأشاعرة والماتريدية . ويرى آخرون أنهم يعتبرون في منزلة بين المنزلتين يعذب في النار حتى يطهر من ذنبه ثم ينقل إلى الجنة (عن الموسوعة الميسرة ٢٥٩) .

- يرفضون التصوف رفضًا قاطعًا .

- يخالفون الشيعة في زواج المتعة ويستنكرونه .

- يتفقون مع الشيعة في زكاة الخمس وفي جواز التقية إذا لزم الأمر .

- هم متفقون مع السنة بشكل كامل في العبادات والفرائض سوى اختلافات قليلة في الفروع من مثل :

● يقولون « حي على خير العمل » في الأذان على الطريقة الشيعية .

● صلاة الجنازة لديهم خمس تكبيرات .

● يرسلون أيديهم في الصلاة .

● صلاة العيد تصح فرادى وجماعة .

● يعدون صلاة التراويح جماعة بدعة .

● يرفضون الصلاة خلف الفاجر .

● فروض الوضوء عشرة بدلا من أربعة عند السنة .

- باب الاجتهاد مفتوح لكل من يريد الاجتهاد ، ومن عجز عن ذلك قلد ، وتقليد أهل البيت أولى من غيرهم .

- يقولون بوجوب الخروج على الإمام الظالم الجائر ولا تجب طاعته .

- لا يقولون بعصمة الأئمة عن الخطأ ، كما لا يغالون في رفع أئمتهم على غرار ما تفعله معظم فرق الشيعة الأخرى .

- لكن بعض المنتسبين للزيدية قرروا العصمة لأربعة فقط من أهل البيت هم على وفاطمة والحسن والحسين .

- لا يوجد عندهم مهدي منتظر .

- يستنكرون « نظرية البداء » التي قال بها المختار الثقفي الذي كان يسجع سجع الكهان فإذا جاء الأمر على عكس ما قال علل ذلك بأن يقول للناس : قد « بدا » لربكم تغيير علمه ، إلا أن الزيدية تقرر بأن علم الله أزلي قديم غير متغير وكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ .

- قالوا بوجوب الإيمان بالقضاء والقدر مع اعتبار الإنسان حرًّا مختارًا في طاعة الله أو عصيانه ، ففصلوا بذلك بين الإرادة وبين المحبة أو الرضا وهو رأي أهل البيت من الأئمة .

وبعد مقتل زيد قام من بعده يحيي فقتل في آخر عهد الأمويين ، ثم قام من بعده محمد الإمام وإبراهيم ابنا عبد الله بن حسن الذي كان أستاذًا لأبي حنيفة رضي الله عنه .

وكان خروج إبراهيم بالعراق ، وخروج محمد بالمدينة ، وبسبب خروجهما أوذي إمامان جليلان هما أبو حنيفة بالعراق ، ومالك بالمدينة ، فإن أبا حنيفة ما كان ينهى عن الخروج لمناصرة إبراهيم الإمام في العراق ، بل كان يحرض عليه أو يوعز به ، أو يزكيه ، وعين أبي جعفر المنصور ترصده حتى إذا انتهت الحركة ، وعادت الأمور إلى ما كانت عليه أحصى عليه أقواله حتى وجد فرصة من بعد ذلك للتنكيل به ، وهي حمله على القضاء ، فإن امتنع أنزل به ما يريد ، وقد كان ما أراد على ما سنبين في المذاهب الفقهية .

وأما مالك فقد أفتى بأنه ليس لمستكره يمين ، وقد زعم الكثيرون من الخارجين مع « محمد النفس الزكية » أن البيعة للمنصور أخذت كرهًا ، فاتخذوا من تلك الفتوى التي هي نص الحديث ذريعة للانتقاض ، وروي أن الإمام مالكًا سئل عن هذا الخروج ، فقال إن كان على مثل عمر بن عبد العزيز فلا يجوز ، وإن لم يكن على مثله ، فدعهم ينتقم الله من ظالم بظالم ، ثم ينتقم الله من كليهما .

ولم تغفل عنه أيضًا عين أبي جعفر المترصدة ، فأنزل به الأذى الشديد وإلى المدينة ، ثم ادعى من بعد ذلك أبو جعفر أنه لم يأمر به ، وسنشير إلى ذلك إشارة أوضح عند الكلام في حياة الإمام مالك رضي الله عنه عندما نتكلم في المذاهب الفقهية .

ومن بعد ذلك ضعف « المذهب الزيدي » و « المذاهب الشيعية » الأخرى قد

غالبته ، أو طوته ، أو لقحته ببعض مبادئها ، ولذلك كان الذين حملوا اسم هذا المذهب من بعده لا يجوزون إمامة المفضول . فأصبحوا يعدّون من الرافضة ، وهم الذين يرفضون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وبذلك ذهب من الزيدية الأولى أبرز خصائصها .

وعلى ذلك نقول الزيدية قسمان : المتقدمون منهم ، وهم لا يعدّون رافضة ويعترفون بإمامة الشيخين أبي بكر وعمر ، والمتأخرون هم يرفضونها ويعّدونها رافضةً .

والمذهب الزيدي الآن قائم باليمن ، وهو أقرب إلى المذهب الزيدي عند المتقدمين .

من أئمة الزيدية

ـ أما أبنه يحي بن زيد فقد خاض المعارك مع والده ، لكنه تمكن من الفرار إلى خراسان حيث لاحقته سيوف الأمويين فقتل هناك سنة ١٢٥ هـ .

ـ فوّض الأمر بعد يحي إلى محمد وإبراهيم .

ـ خرج محمد بالمدينة فقتله عاملها عيسى بن ماهان .

ـ وخرج إبراهيم بالبصرة فكان مقتله فيها بأمر من المنصور .

ـ أحمد بن عيسى بن زيد ـ حفيد مؤسس الزيدية ـ أقام بالعراق ، وأخذ عن تلاميذ أبي حنيفة فكان ممن أثرى هذا المذهب وعمل على تطويره .

ـ من علماء الزيدية القاسم بن إبراهيم المرسي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب (١٧٠ ـ ٢٤٢ هـ) تشكلت له طائفة زيدية عرفت باسم القاسمية .

ـ جاء من بعده حفيده الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم (٢٤٥ ـ ٢٩٨ هـ) الذي عقدت له الإمامة باليمن فكان ممن حارب القرامطة فيها ، كما تشكلت له فرقة زيدية عرفت باسم الهادوية منتشرة في اليمن والحجاز وما والاها .

ـ ظهر للزيدية في بلاد الديلم وجيلان إمام حسيني هو أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن الحسين بن علي رضي الله عنه والملقب بالناصر الكبير (٢٣٠ ـ ٣٠٤ هـ) عرف باسم الأطروش ، فقد هاجر هذا الإمام إلى هناك داعيًا إلى الإسلام على مقتضى المذهب الزيدي فدخل فيه خلق كثير صاروا زيديين ابتداء .

- ومنهم الداعي الآخر صاحب طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي رضي الله عنه والذي تكونت له دولة زيدية جنوب بحر الخزر سنة ٢٥٠ هـ .

- وقد عرف من أئمتهم محمد بن إبراهيم بن طباطبا ، الذي بعث بدعاته إلى الحجاز ومصر واليمن والبصرة . ومن شخصياتهم البارزة كذلك مقاتل بن سليمان ، ومحمد بن نصر . ومنهم أبو الفضل بن العميد والصاحب بن عباد وبعض أمراء بني بويه .

- خرجت عن الزيدية ثلاث فرق طعن بعضها في الشيخين ، كما مال بعضها عن القول بإمامة المفضول ، وهذه الفرق هي : الجارورية والسليمانية ثم الصالحية أو البترية هذه الفرق لم يعد لها مكانة بارزة عند الزيدية المعاصرة التي تقتضي منهج الإمام زيد من حيث الاعتدال .

الإباضِيَّة

المراجع :

الملل والنحل للشهرستاني

الموسوعة الميسره في الأفكار والمذاهب

العقود الفضية في أصول الإباضية سالم بن محمد بن سليمان الحارث .

الإباضية

التعريف : في الملل والنحل ص ١٣٤ / ١ يعتبر الشهرستاني الإباضية فرقة معتدلة من فرق الخوارج إلا أن أصحابها والمنتسبين إليها ينفون عن أنفسهم هذه النسبة إذ يعدون مذهبهم مذهبًا اجتهاديًا فقهيًا سنيًّا يقف جنبًا إلى جنب مع الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية . ومن وافقهم في وجهة نظرهم جولدسيهر حيث لم يصنفهم ضمن فرق الخوارج .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

- مؤسسها الأول عبد الله بن إباض المقاعسي المري الذي يرجع نسبه إلى إباض وهي قرية بالعرض من اليمامة .

- من أبرز شخصياتهم جابر بن زيد (٢١ - ٩٦ هـ) الذي يعد من أوائل المشتغلين بتدوين الحديث آخذًا العلم عن عبد الله بن عباس وعائشة وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وغيرهم من كبار الصحابة .

- أبو عبيدة مسلمة بن أبي كريمة : من أشهر تلاميذ جابر بن زيد ، فقد أصبح مرجع الإباضية بعده مشتهرًا بلقب القفاف .

- الربيع بن حبيب الفراهيدي الذي عاش في منتصف القرن الثاني للهجرة مشتغلا بجميع الأحاديث في مسند خاص به أسماه (مسند الربيع بن حبيب) وهو مطبوع ومتداول .

- من أئمتهم في الشمال الأفريقي أيام الدولة العباسية : الإمام الحارث بن تليد ، ثم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري ، ثم أبو حاتم يعقوب بن حبيب ثم حاتم الملزوزي .

- الأئمة الذين تعاقبوا على الدولة الرستمية في تاهرت بالمغرب : عبد الرحمن ، عبد الوهاب ، أفلح ، أبو بكر ، أبو اليقظان ، أبو حاتم .

- من علمائهم :

- سلمة بن سعد : قام بنشر مذهبهم في أفريقيا في أوائل القرن الثاني .

ـ ابن مقطير الجناوني : تلقى علومه في البصرة وعاد إلى موطنه في جبل نفوسة بليبيا ليسهم في نشر المذهب الإباضي .

ـ عبد الجبار بن قيس المرادي : كان قاضيًا أيام إمامهم الحارث بن تليد .

السمح أبو طالب : من علمائهم في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، كان وزيرًا للإمام عبد الوهاب بن رستم ثم عاملا له على جبل نفوسة ونواحيه بليبيا .

ـ أبو ذر أبان بن وسيم : من علمائهم في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة ، كان عاملاً للإمام أفلح بن عبد الوهاب على حيز طرابلس .

الانتشار ومواقع النفوذ :

ـ كانت لهم صولة وجولة في جنوبي الجزيرة العربية حتى وصلوا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة أما في الشمال الأفريقي فقد كانت لهم دولة عرفت باسم الدولة الرستمية وعاصمتها تاهرت .

ـ لقد حكموا الشمال الأفريقي حكمًا متصلاً مستقلاً زهاء مائة وثلاثين سنة حتى أزالهم الفاطمي .

ـ لقد قامت للإباضية دولة مستقلة في عمان وتعاقب على الحكم فيها إلى العصر الحديث أئمة إباضيون .

ـ من حواضرهم التاريخية جبل نفوسة بليبيا إذ كان معقلاً لهم ينشرون منه المذهب الإباضي ومنه يديرون شئون الفرقة الإباضية . ما يزال لهم وجود إلى وقتنا الحاضر في كل من عمان وحضر موت واليمن وليبيا وتونس والجزائر وفي واحات الصحراء الغربية .

الإباضيّة

ورد في الملل والنحل للشهرستاني ص ١٣٤ ، ١٣٥ الجزء الأول ما يلي :

أصحاب عبد الله بن إباض [١] الذي خرج في أيام مروان بن محمد ، فوجه إليه عبد الله بن محمد بن عطية ، فقاتله بتبالة [٢] وقيل إن عبد الله بن يحيى الإباضي كان رفيقًا له

(١) من بني مرة بن عبيد بن تميم ، خرج في آخر دولة بني أمية .

(٢) تبالة : بلدة بأرض تهامة في الطريق إلى صنعاء .

في جميع أحواله وأقواله . قال : إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكحتهم جائزة ، وموارثتهم حلال . وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال ، وما سواه حرام . وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة ، إلا بعد نصب القتال ، وإقامة الحجة .

وقالوا : إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد ، إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي . وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم ، وقالوا في مرتكبي الكبائر : إنهم موحدون لا مؤمنون .

وحكى الكعبي عنهم : أن الاستطاعة عَرَض من الأعراض ، وهي قبل الفعل ، بها يحصل الفعل ، وأفعال العباد مخلوقة لله تعالى : إحداثًا وإبداعًا ، ومكتسبة للعبد حقيقة ، لا مجازًا ، و لا يسمون إمامهم أمير المؤمنين ، ولا أنفسهم مهاجرين ، قالوا : العالم يفنى كله إذا فني أهل التكليف . قال : وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر ، كفر النعمة ، لا كفر الملة وتوقفوا في أطفال المشركين ، وجوّزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضلا ، وحكى الكعبي عنهم أنهم قالوا بطاعة لا يراد بها الله تعالى ، كما قال أبو الهذيل .

ثم اختلفوا في النفاق : أيسمى شركًا أم لا ؟! قالوا : إن المنافقين في عهد رسول الله ﷺ كانوا موحدين ، إلا أنهم ارتكبوا الكبائر ، فكفروا بالكبيرة لا بالشرك وقالوا : كل شيء أمر الله تعالى به فهو عام ليس بخاص وقد أمر به المؤمن والكافر ، وليس في القرآن خصوص . وقالوا : لا يخلق الله تعالى شيئًا إلا دليلا عَلَى وحدانيته ، ولا بد أن يدل به واحدًا . وقال قوم منهم : يجوز أن يخلق الله تعالى رسولاً بلا دليل ويكلف العباد بما أوحي إليه . ولا يجب عليه إظهار المعجزة ، ولا يجب عَلَى الله تعالى ذلك إلى أن يخلق دليلا ، ويظهر معجزة وهم جماعة متفرقون في مذاهبهم تفرق الثعالبة والعجاردة .

عقائدهم من كتابهم « العقود الفضية في أصول الإباضية »

المؤلفه : سالم بن حمد بن سليمان الحارث

نلخصها بما يلي :

١ ـ فمن ذلك صفات الباري سبحانه وتعالى هل هي هو ؟ أم هي غيره ؟ فمذهب الإباضية أن صفاته الذاتية هي ذاته لا بشيء زائد عليه . ووافقهم على هذا العلامة ابن العربي الأندلسي المالكي ، وقال : لا فرق بين قول القائل : إن صفات الله غيره ، وبين قول اليهود : إن الله فقير إلا تحسين العبارة .

٢ ـ ومن ذلك خلود الفاسق الذي مات غير تائب في النار ، ووافقهم على هذا السعد من المالكية ، قيل : إنه من الشافعية ، ونص كلامه في قوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ لما كانت الآية نازلة في شأن التائب دل سبب النزول على أن المراد بقوله : ﴿ **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ لمن يكون تائبًا من ذنبه فلا يفيد جواز المغفرة بدون التوبة . انتهى .

وهذا هو قول جابر بن زيد في تفسير الآية ، والحجة له من القرآن قوله تعالى : ﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم** ﴾ الآية ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار** ﴾ الآية .

وهذا هو قول المعتزلة أيضًا . وقال الله تعالى : ﴿ **ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جنهم خالدًا فيها** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فأولئك مأواهم جهنم خالدين فيها** ﴾ وقوله تعالى في سورة المؤمنون في وصف المؤمنين بعد أن ذكر الزنا وقتل النفس : ﴿ **ومن يفعل ذلك يلق أثامًا يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا إلا من تاب** ﴾ الآية . وفي صحيح الربيع والبخاري ومسلم أحاديث مؤيدة ومفسرة لمراد الآية كالذي يقتل نفسه بسم أو حديدة فحديدته في يده إلى قوله : « خالدًا مخلدًا فيها .. » الحديث رواه مسلم . وحديث البخاري ومسلم : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة » .

٣ ـ ومن ذلك شفاعة النبي ﷺ لا تكون لمن مات مصرًا غير تائب ، إنما الشفاعة

لمن مات على صغيرة ، أو مات وقد نسي ذنبًا أن يتوب منه ، أو لزيادة درجة في الجنة ، أو لتخفيف الموقف على المؤمنين وإراحتهم منه إلى الجنة لقوله تعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ . وقوله عليه الصلاة والسلام لعشيرته : لا أغني عنكم من الله شيئًا ، يا عباس ! وياصفية ! ويا فاطمة ! الحديث . « لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم » . وقال جابر بن زيد : والله ما لأهل الكبائر شفاعة ، لأن الله أوعد لأهل الكبائر النار في كتابه ، وإن جاء الحديث عن أنس بن مالك « أن الشفاعة لأهل الكبائر فوالله ما عني القتل والزنا والسحر وما أوعد الله عليه النار » . ويلزم من هذه المسألة والتي قبلها أن الإيمان قول بلا عمل وهو باطل ، وبهذا قالت المعتزلة .

٤ - ومن ذلك القول برؤية الباري سبحانه في الدار الآخرة ، فالإباضية يمنعون ذلك ، والمنع قول عائشة من الصحابة وقتادة والزمخشري وغيرهم من المعتزلة والشيعة . والحجة قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ والإدراك يكون بالقليل كما يكون بالكثير فنفى ذلك عن نفسه ، وبقوله لموسى عليه السلام ﴿ لن تراني ﴾ وهي تقتضي التأبيد ، والأحاديث الواردة آحادية وتقبل التأويل لتنطبق مع الآيات ولأنه يلزم بالرؤية إثبات الجهة واللون لله تعالى وهو باطل .

٥ - ومن ذلك قول من قال : إن القرآن غير مخلوق . فعند المحققين من الإباضية إنه مخلوق . إذ لا تخلو الأشياء إما أن تكون خالقًا أو مخلوقًا ، وهذا القرآن الذي بأيدينا نقرؤه مخلوق لا خالق لأنه منزل ومتلو ، وهو قول المعتزلة والعلم غير المعلوم .

٦ - ومن ذلك نفي التشبيه عن الله سبحانه تعالى ، فبهذا يقول الإباضية ، وكل ما ورد مما يوهم التشبيه فهو مؤول بما يليق به ، كقوله تعالى : ﴿ تجري بأعيننا ﴾ فأثبت عيونًا كثيرة . وقال تعالى : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ فدلت هذه الآيات أنها غير مراد ظاهرها . وقوله تعالى : ﴿ على العرش استوى ﴾ والآيات كثيرة ، فهي عندهم مردودة إلى قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وأثبت هذا كثير من العلماء كالبيضاوي وغيره فهم أسلم اعتقادًا وأحوط مخافة الوقوع في الزلل ، قال صاحب الجوهرة من الأشعري .

وكل نصٍّ أوهم التشبيها ... أوّله أو فوّض ورُمْ تنزيها

٧ ـ ومن ذلك قولهم في مرتكب الكبيرة إنه كافر كفر نعمة ، أخذًا من قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ فكل من لم يحكم بما أنزل الله وهو مستطيع فهو كافر ، وكل تارك للحج وهو مستطيع فهو كافر نعمة الله التي أنعم عليه من الاستطاعة ، بمعنى أنه سترها وهو معنى الكفر لغة ومنه قوله ﷺ في صحيح مسلم : لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض ، وقول امرأة ثابت بن قيس في صحيح البخاري : أخاف الكفر في الإسلام والأحاديث الكثيرة في الصحيح .

٨ ـ ومن ذلك قولهم في أصحاب النبي ﷺ أنهم كغيرهم في الأعمال لا في درجات الصحبة والمنزلة الأخروية . فالعاصي منهم كغيره من بعدهم كقوله تعالى : ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم ﴾ وقوله تعالى عند ذكر بيعة الرضوان ﴿ ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾ وقد رجم رسول الله ﷺ الزاني منهم وجلد الشارب وقطع يد السارق منهم وهجر عاصيهم وقال : « لو سرقت فاطمة ـ ابنته ـ لقطعتها » . ووافقهم على هذا المعتزلة وهو رأي الصحابة أنفسهم في بعضهم وهم أسوة

٩ ـ ومن ذلك براءتهم من العاصي وهي هجرانه وبغضه على معصيته ، وهي مأخوذة من فعل النبي ﷺ في الثلاثة الذين خلّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وأحاديث المحبة والبغض للمطيع والعاصي ، وبها تختلف المنازل عند الله وعند الخلق ﴿ وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ وفي أبي داود : من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان ، قال في الجامع الصغير : صحيح .

١٠ ـ ومن ذلك أنهم يؤمنون بالقضاء والقدر أنه من الله ، وأن الخير والشر خلق من الله وكسب من العباد ، وهم يوافقون أهل السنة في هذا ، والحجة قوله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعلمون ﴾ و ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ ﴿ له الخلق والأمر ﴾ ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ ولو ثبت للعباد خلق لزم ثبوت شريك : ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ وفي ترجمة أبي عبيدة مسلم أبحاث مفيدة .

١١ ـ ومن ذلك أنهم لا يرون لزوم الإمامة في قريش وهو قول الأنصار وعمر بن

الخطاب وأبي ذر من الصحابة ، واختاره العلامة الشنقيطي صاحب أضواء البيان وغيره من العلماء .

١٢ ـ ومن ذلك أنهم يوجبون الاستنجاء بالماء بعد البول والغائط ، والخلاف معهم في الاستجمار وهو مأخوذ من قوله تعالى في وصف أهل قباء ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** ﴾ فلما سألهم النبي ﷺ عن صفة طهارتهم قالوا : نتبع الحجارة بالماء ، والمدح من المولى بشيء يوجب العمل به كمدح الموفين بالنذر ومدح النبي إسماعيل عليه السلام ﴿ **وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة** ﴾ الآية وهو من سنن الفطرة ، وثبت من فعل النبي ﷺ كما في البخاري ومسلم .

١٣ ـ ومن ذلك أنهم لا يقولون بالمسح على الخفين ، وأن الصلاة لا تجوز به والمنع مأخوذ من قوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ..** ﴾ إلى قوله ﴿ **وأرجلكم إلى الكعبين** ﴾ وقول النبي ﷺ : ويل للأعقاب ولبطون الأقدام من النار ، والحديث في مسند الربيع والبخاري ووافقهم على ذلك كثير من علماء المذاهب والخلاف مع المالكية . وقول الإباضية موافق لقول عائشة وأنس وابن عباس ، وقالت عائشة : قطع الله رجلي يوم أمسح على الخفين ، وروى القرطبي وغيره من العلماء عن أبي ميسرة : المائدة من آخر ما نزل ليس فيها منسوخ ، وكذا قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : أحلوا حلالها وحرموا حرامها ، وآية الوضوء في سورة المائدة ، فيلزم العمل بها وترك المسح على الخفين .

١٤ ـ ومن ذلك أنهم يبطلون الصلاة بالقنوت فيها ، ومنه قول : آمين مستدلين بقوله تعالى : ﴿ **وقوموا لله قانتين** ﴾ وقول النبي ﷺ : صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين . وهو موافق لقول الإمام أحمد : من قنت في الصلاة فقد أتبع نفسه هواها . وفي الموطأ أن عمر كان لا يقنت ، وروي أنه بدعة ، وقال أبو يعقوب من علماء الإباضية إن من صلّى خلف من يقنت لم تفسد صلاته ولو تعمد الصلاة معه .

١٥ ـ ومن ذلك أنهم لايرون رفع الأيدي مع وبعد تكبيرة الإحرام ولا ضمها إلى الصدر ، إذ لم يثبت معهم هذا من فعل النبي ﷺ وكذلك روى اللخمي والزرقاني عن إمامهم مالك بن أنس وكانوا كذلك في الأندلس حتى توعد بعض ملوك الأندلس وهو مالكي المذهب أن يقطع يد من يرفع يديه في الصلاة ، ذكره في نفح الطيب ويؤيده ما

رواه الحاكم في المدخل من حديث أنس : من رفع يديه في الصلاة فلا صلاة له ، وفي مسلم وأبي داود عن جابر بن سمرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : مالي أراكم رافعي أيديكم في الصلاة كأنها أذناب خيل شمس ، اسكنوا في الصلاة ، وهو شامل لكل رفع والحديث في مسند الربيع .

١٦ ـ ومن ذلك أنهم يوجبون القصر في الصلاة لمن تعدي فرسخين عن وطنه مسافرًا ، والفرسخ ثلاثة أميال ، والميل أربعة آلاف ذراع والذراع ذراع المسافر ، وقيل الأوسط ، والذراع من العظم الذي يكون من خلف متصلاً بالعضد إلى آخر الأصبع الوسطى ، وقيل : أربع وعشرون أصبعًا وقيل : الميل ألف باع ، والباع أربعة أذرع ، وهو قول أبي حنيفة وأطال الاحتجاج له صاحب زاد المعاد ، وأجمعت الأمة أنه من فعل النبي ﷺ إذا سافر ، ومدة إقامته في منى وفي مكة ، بل وجمع بين الصلاتين قصرًا في منى ، وسأل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه النبي ﷺ ما بالنا نقصر الصلاة ونحن آمنون ، والله يقول : (إن خفتم) فقال له : صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته . رواه الجماعة إلا البخاري ، وفي البخاري ومسلم عن أنس : خرجنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة ، وقال مالك وحماد بن سليمان : يعيد الصلاة من أتم في السفر كما هو المذهب .

١٧ ـ ومن ذلك أنهم يفسدون صيام من أصبح جنبًا عملاً بقول النبي ﷺ : من أصبح جنبًا أصبح مفطرًا . والحديث رواه الربيع بن حبيب والبخاري ومسلم ومالك في الموطأ ، وبهذا قال عروة والحسن البصري وإبراهيم النخعي وطاوس وهو أحد قولي الشافعي .

١٨ ـ ومن ذلك قولهم بتحريم نكاح المزني بها لمن زنى بها عملاً بقوله تعالى : ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك، وحرم ذلك على المؤمنين** ﴾ وبأحاديث كثيرة رواها جابر بن زيد وغيره عن النبي ﷺ والصحابة . والقول بالتحريم قال به عدد من الصحابة منهم ابن مسعود وعائشة والبراء بن عازب وأبو هريرة وعلي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله .

١٩ ـ ومن ذلك أن الرضاع قليله وكثيره يحرم التزاوج وهو ظاهر القرآن ولم تصح معهم الأحاديث المروية بتحديده ، وهو مالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك ووكيع

وغيرهم من الصحابة كما قال الترمذي .

٢٠ ـ ومن ذلك أنهم لا يحكمون باليمين والشاهد للمدعي وهو قول أبي حنيفة والثوري والأوزاعي عملا بالآيات ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم** ﴾ ﴿ **وأشهدوا ذوي عدل منكم** ﴾ والأحاديث المروية في ذلك لم تصح معهم ، وما صح فمؤول .

٢١ ـ ومن ذلك أنهم يحرمون حلق اللحية ، وقد أجمع على توفيرها الصحابة ونهى رسول الله ﷺ عن حلقها ، وقال : جزوا الشوارب وأعفوا اللحى وخالفوا المجوس ، وفي رواية : وخالفوا أهل الكتاب ، وفيه تشبه بالنساء ونهى النبي ﷺ عن التشبه بهن ، وفيه : إن توفيرها من الخصال العربية التي أمر رسول الله ﷺ بالمحافظة عليها بقوله : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، واللحية عربية والحلق أعجمي .

٢٢ ـ ومن ذلك تحريمهم شرب الدخان أخذًا من قوله تعالى : ﴿ **ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ وهو من الخبائث التي أمر المبعوث محمد ﷺ بتحريمها ، وقد اتفق الأطباء على أنه مضرة ، وتجنب المضرة واجب شرعًا وعقلاً ، وفيه إضاعة المال ، وقد نهى رسول الله عن إضاعة المال .

عن كتاب العقود الفضية من ص ٢٨٥ إلى ص ٢٩٥

لمؤلفه : سالم بن حمد سليمان الحارثي

* * *

عقيدة السلف أصحاب الحديث

عقيدة أصحاب الحديث

أصحاب الحديث ، حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم ، يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، وللرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقات عنه ، ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ ، ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه ، فيقولون : إنه خلق آدم بيده ، كما نص سبحانه عليه في قوله - عز من قائل - ﴿ يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ (١) ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين ، أو القوتين ، تحريف المعتزلة الجهمية ، أهلكهم الله ، ولا يكيّفونها بكيف أو تشبيههما بأيدي المخلوقين ، تشبيّه المشبهة ، خذلهم الله ، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف ، ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم ، حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه ، وتركوا القول بالتعليل والتشبيه ، واتبعوا قول الله عز وجل : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (٢) .

قولهم في الصفات

وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة ، والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام ، والرضا والسخط والحياة ، واليقظةِ والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين ، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى ، وقاله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه ، ولا تكييف له ولا تشبيه ، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب ، وتضعه عليه بتأويل منكر ، ويُجْرونه على الظاهر ، ويكلون علمه إلى الله تعالى ، ويقرّون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله ، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى : ﴿ والراسخون في العلم يقولون : آمنا به ، كلٌّ من عند ربنا ،

---

(١) سورة ص ٧٥ .

(٢) الشورى : ١١ .

وما يذكّر إلا أولو الألباب ﴾ [١] .

القرآن كلام الله غير مخلوق

ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه ، ووحيه وتنزيله غير مخلوق ، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم ، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي ينزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون ، بشيرًا ونذيرًا ، كما قال عز من قائل : **﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين ﴾** [٢] وهو الذي بلّغه الرسول ﷺ أمته ، كما أمر به في قوله تعالى : **﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك ﴾** [٣] فكان الذي بلّغهم بأمر الله تعالى كلامه عز وجل ، وفيه قال ﷺ : « أتمنعونني أن أبلغ كلام ربي » [٤] وهو الذي تحفظه الصدور ، وتتلوه الألسنة ، ويكتب في المصاحف ، كيف ما تصرف بقراءة قارئ ، ولفظ لافظ ، وحفظ حافظ ، وحيث تُلي ، وفي أي موضع قرىء وكُتب في مصاحف أهل الإسلام ، وألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله جل جلاله ، غير مخلوق فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم .

سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول سمعت أبا الوليد حسان بن محمد يقول سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحق بن خزيمة يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فمن قال : « إن القرآن مخلوق » فهو كافر بالله العظيم ، لا تُقبل شهادته ، ولا يُعاد إن مرض ، ولا يُصلّى عليه إن مات ، ولا يُدفن في مقابر المسلمين ، ويُستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه [٥] .

فأما اللفظ بالقرآن فإن الشيخ أبا بكر الإسماعيلي الجرجاني ذكر في رسالته التي صنفها لأهل جيلان أن من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن .

---

(١) آل عمران : ٧ .

(٢) الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٥ .

(٣) المائدة : ٧٠ .

(٤) صحيح ، رواه الدارمي وأبو داود ، قلت : ولفظه عند الأخير (٤٧٣٤) : « ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي » (المعلق) .

(٥) راجع مسألة التفكير في شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٥ ط المكتب الإسلامي .

وذكر ابن المهدي الطبري في كتابه الاعتقاد الذي صنّفه لأهل هذه البلاد أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بأن القرآن كلام الله سبحانه ، ووحيه وتنزيله ، وأمره ونهيه غير مخلوق ، ومن قال : مخلوق فهو كافر بالله العظيم ، وأن القرآن في صدورنا محفوظ ، وبألسنتنا مقروء ، وفي مصاحفنا مكتوب وهو الكلام الذي تكلم الله عز وجل به ، ومن قال : إن القرآن بلفظي مخلوق ، أو لفظي به مخلوق فهو جاهل ضالّ كافر بالله العظيم . وإنما ذكرت هذا الفصل بعينه من كتاب ابن مهدي لاستحساني ذلك منه ، فإنه اتبع السلف أصحاب الحديث فيما ذكره مع تبحره في الكلام ، وتصانيفه الكثيرة فيه وتقدمه وتبرزه عند أهله أ هـ .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال : قرأت بخط أبي عمرو المستملي سمعت أبا عثمان سعيد بن أشكاب يقول : سألت إسحاق بن إبراهيم [١] عن اللفظ بالقرآن فقال : « لا ينبغي أن يناظر في هذا ، القرآن كلام الله غير مخلوق » .

وذكر محمد بن جرير الطبري رحمه الله في كتابه (الاعتقاد) الذي صنفه في هذه ، وقال : « أما القول في ألفاظ العباد في القرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي ، ولا تابعي إلا عمن في قوله الغنى والشفاء ، وفي أتباعه الرشد والهدى ، ومن يقوم قولهُ مقَام الأئمة الأولى أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله ، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله يقول : « اللفظية جهمية » . قال الله تعالى ﴿ فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ [٢] ممن يسمع ؟

قال : سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه رضي الله عنه أنه كان يقول : من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي : ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع.

قال محمد بن جرير : « ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله إذ لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه ، وفيه الكفاية والمقنع ، وهو الإمام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه » . هذه ألفاظ محمد بن جرير التي نقلتها نفسها إلى ما ها هنا من كتاب

---

(١) هو الإمام الثقة الحافظ المجهد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي أبو محمد المروي ، المشهور بابن راهوية ، قرين الإمام أحمد بن حنبل ، روى له أصحاب الكتب الستة ماعدا ابن ماجه ، ولد سنة ١٦١ ، وقيل : ١٦٦ ، وتوفي سنة ٢٣٨ هـ (المعلق) .

(٢) التوبة : ٦ .

الاعتقاد الذي صنفه .

قلت : وهو ـ أعني محمد بن جرير ـ قد نفى عن نفسه بهذا الفصل الذي ذكره في كتابه كل ما نسب إليه ، وقذف به من عدول عن سبيل السنة ، أو ميل إلى شيء من البدعة ، والذي حكاه عن أحمد رضي الله عنه وأرضاه أن اللفظية جهمية فصحيح عنه ، وإنما قال ذلك لأن جهمًا وأصحابه صرحوا بخلق القرآن ، وخافوا أهل السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن ، فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به أن القرآن بلفظنا مخلوق ، فلذلك سماهم أحمد رحمه الله جهمية . وحكي عنه أيضًا أنه قال : « اللفظية شر من الجهمية » .

وأما ما حكاه محمد بن جرير عن أحمد رحمه الله أن من قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع ، فإنما أراد أن السلف من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ ولم يحوجهم الحال إليه ، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق وذوي الحمق الذين أتوا بالمحدثات ، وبحثوا عما نُهوا عنه من الضلالات وذميم المقالات ، وخاضوا فيما لم يُخضْ فيه السلف من علماء الإسلام ، فقال الإمام أحمد هذا القول في نفسه بدعة ، ومن حق المتديّن أن يدعه ، ولا يتفوّه به ولا بمثله من البدع المبتدعة ، ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتّبعة إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه .

أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الخراجي بمرور ، حدثنا يحي بن سالوكه عن أبيه عبد الكريم السندى قال : قال وهب بن زمعة : أخبرني الباساني قال : سمعت عبد الله بن مبارك يقول : « من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن ، ومن قال : لا أومن بهذا الكلام فقد كفر » .

استواء الله على العرش

ويعتقد أهل الحديث ويشهدون أن الله سبحانه وتعالى فوق سبع سموات على عرشه كا نطق به كتابه في قوله عزوجل : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ﴾ [1] ،

---

(١) سورة يونس : ٣ .

وقوله في سورة الرعد : ﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ﴾ ، ﴿ ثم استوى على العرش الرحمن ، فاسأل به خبيرًا ﴾ وقوله في سورة السجدة : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ ، وقوله في سورة طه : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ يثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى ، ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله في خبره ، ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش ، ويمرونه على ظاهره ويكلون علمه إلى الله ، ويقولون : ﴿ آمنا به ، كلّ من عند ربنا وما يذكّر إلا أولو الألباب ﴾ [1] كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك ، ورضيه منهم ، فأثنى عليهم به .

أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المعلي حدثنى محمد بن داود ابن سليمان الزاهد أخبرني علي بن محمد بن عبيد أبو الحسن الحافظ من أصله العتيق حدثنا أبو يحيى بن بشر الوراق حدثنا محمد بن الأشرس الوراق أبو كنانة حدثنا أبو المغيرة الحنفي حدثنا قرة بن خالد عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة في قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوىٰ ﴾ قالت : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإقرار به إيمان ، والجحود به كفر .

وحدثنا أبو الحسن بن إسحاق المدني حدثنا أحمد بن الخضر أبو الحسن الشافعي حدثنا شاذان حدثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني حدثنا جعفر بن ميمون قال سئل مالك بن وائل مالك بن أنس عن قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى ؟ قال : (الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا ضالا وأمر به أن يخرج من مجلسه) .

أخبرنا أبو محمد المجلدي العدل حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن مسلم الإسفراييني حدثنا أبو الحسين علي بن الحسن حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر بن ميمون الرملي عن جعفر بن عبد الله قال : جاء رجل إلى مالك بن أنس يعنى يسأله عن قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ قال : فما رأيته وجد [2] من شيء كوجْده من مقالته ، وعلاه الرُّحضاء [3] ، وأطرق القوم ، فجعلوا ينتظرون الأمر به فيه ، ثم سُرِّي

---

(١) آل عمران : ٧ .

(٢) أي غضب .

(٣) هو العرق .

عن مـالـك فقـال : الكيف غير معلـوم ، والاستـواء غير مجهـول ، والإيمـان بـه واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وإني لأخاف أن تكون ضالا ثم أمر به فأخرج » .

أخبرنا به جدي أبو حامد أحمد بن إسماعيل عن جـد والـدي الشهيـد ، وأبو عبـد الله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني حدثنا محمد بن أحمد بن أبي عون النسوي حدثنـا سلمـة ابن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر الرملي حـدثنـا جعفر بن عبـد الله قـال : جـاء رجل لمالك بن أنس فقـال : يـا أبـا عبـد الله ؟ (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ قال فما رأيت مالكًا وجد من شيء كَوجْده من مقالته ، وذكر بنحوه .

وسئل أبو علي الحسين بن الفضل البجلي عن الاستـواء ، وقيـل لـه كيف استـوى على عرشه ، فقال : أنا لا أعرف من أنباء الغيب إلا مقدار مـا كشف لنـا ، وقـد أعلمنـا جل ذكره أنه استوى على عرشه ، ولم يخبرنا كيف استوى .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر محمد بن داود الزاهد ، أخبرنـا محمـد بن عبـد الرحمن السامي ، حدثني عبد الله بن أحمـد بن شبويـه المروزي علي بن الحسين بن شقيق يقول : سمعت عبـد الله بن المبـارك يقول : « نعرف ربنـا فوق سبع سمـوات على العرش استوى بائنًا منه خلقه ، ولا نقول كما قالت الجهمية إنه ها هنا » وأشار إلى الأرض .

وسمعت الحاكم أبا عبد الله في كتـابـه (التـاريخ) الـذي جمعـه لأهل نيسـابور ، وفي كتابه (معرفة الحديث) اللذين جمعهما ولم يسبقَ إلى مثلهما يقول : سمعت أبا جعفر محمـد بن صالح بن هانئ يقول : سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمـة يقول : من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه ، فوق سبع سمواته ، فهو كافر بربه ، حلال الدم ، يستتاب فـإن تـاب وإلا ضربت عنقــه ، وألقي على بعض المـزابـل حتى لا يتــأذى المسلمـون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته ، وكان مـالـه فيئًـا لا يرثـه أحـد من المسلمين ، إذ المسلم لا يرث الكافر ، كما قــــال النبي ﷺ : « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » رواه البخاري .

عقيدتهم بنزول الرب سبحانه ومجيئه .

ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الـدنيـا ، من غير تشبيـه لـه بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ولا تكييف بـل يثبتـون مـا أثبتـه رسـول الله

ﷺ ، وينتهون فيه إليه ، ويُمِرّون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ، ويكلون علمه إلى الله (١) .

وكذلك يثبتون ما أنزل الله عز اسمه في كتابه ، من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله عز وجل : ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظللٍ من الغمام والملائكة** ﴾ (٢) وقوله عز اسمه : ﴿ **وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا** ﴾ (٣) . وقرأت في رسالة الشيخ أبي بكر الإسماعيلي إلى أهل جيلان أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا على ما صلح به الخبر عن الرسول ﷺ ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظللٍ من الغمام** ﴾ وقال : ﴿ **وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا** ﴾ ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف ، فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فعل ، فانتهينا إلى ما أحكمه ، وكففنا عن الذي يتشابه إذ كنا قد أمرنا به في قوله عز وجل : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ؛ ابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا وما يذكّر إلا أولو الألباب** ﴾ (٤) .

أخبرنا أبو بكر بن زكريا الشيباني : سمعت أبا حامد بن الشرقي يقول : سمعت أحمد السلمي وأبا داود الخفاجي يقولان : سمعنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي (٥) يقول : قال لي الأمير عبد الله بن طاهر : يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ « ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا » . كيف ينزل ؟ قال ، قلت : أعز الله الأمير ، لا يقال لأمر الرب كيف ؟ إنما ينزل بلا كيف .

حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العدل ، حدثنا محبوب بن عبد الرحمن القاضي ،حدثني أبو بكر بن أحمد بن محبوب ، حدثنا أحمد بن حمويه حدثنا أبو عبد

---

(١) قلت : لقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية كتابًا في شرح حديث النزول وبسط فيه القول بإسهاب فأنصح بمراجعته والنظر إليه . وقد طبعه المكتب الإسلامي بدمشق .

(٢) البقرة : ٢١٠ .

(٣) الفجر : ٢٢ .

(٤) آل عمران : ٧ .

(٥) هو الإمام المعروف بابن راهويه ، ثقة حافظ مجتهد ، وقرين الإمام أحمد بن حنبل ، توفي سنة ٢٣٨ هـ . (المعلق) .

الرحمن العباسي ، حدثنا محمد بن سلام ، سألت عبد الله بن المبارك [١] عن نزول ليلة النصف من شعبان ، فقال عبد الله : يا ضعيف ليلة النصف ! ينزل في كل ليلة ، فقال الرجل يا أبا عبد الله ، كيف ينزل ؟ أليس يخلو ذلك المكان منه ؟ فقال عبد الله : ينزل كيف يشاء . وفي رواية أخرى لهذه الحكاية أن عبد الله بن المبارك قال للرجل : « إذا جاءك الحديث عن رسول الله ﷺ فأصْغ له » .

سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول : سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول : سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول : سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم بن عبد الله الرباطي يقول : حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر إسحاق بن إبراهيم يعني ابن راهويه ، فسئل عن حديث النزول : أصحيح هو ؟ قال : « نعم » فقال له بعض قواد عبد الله يا أبا يعقوب أتزعم أن الله ينزل كل ليلة ؟ قال : « نعم » قال : « كيف ينزل ؟ » فقال له إسحاق : « أثبته فوق » [٢] حتى أصف لك النزول ، فقال الرجل : « أثبته فوق » فقال إسحاق : قال الله عز وجل : ﴿ وجاء ربك والملك صفًا صفًا ﴾ فقال الأمير عبد الله : « يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة » فقال إسحاق : أعز الله الأمير ، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟ .

وخبر نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا خبر متفق على صحته مخرج في الصحيحين ، من طريق مالك بن أنس عن الزهري عن الأغر وأبي سلمة عن أبي هريرة . أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد ، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد ، حدثنا أبو مصعب حدثنا مالك . وحدثنا أبو بكر بن زكريا حدثنا أبو حاتم علي بن عبيدان ، حدثنا محمد بن يحيى قال : ومما قرأت على ابن نافع وحدثني مطرف بن مالك رحمه الله ، وحدثنا أبو بكر بن زكريا ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن إبراهيم بن باكويه ، حدثنا يحيى بن محمد حدثنا يحيى بن يحيى ، قال : قرأت على مالك عن ابن شهاب الزهري ، عن أبي عبد الله الأغر وأبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول : من يدعوني أستجيب له ، ومن يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له » .

---

(١) هو الإمام الثقة الثبت الفقيه العالم الجواد المجاهد ، قد جمعت فيه خصال الخير توفي سنة ١٨١ هـ . (المعلق) .

(٢) أي أعتقد أن الله في السماء سبحانه فوق العرش .

ولهـذا الحـديث طرق إلى أبي هريرة ، رواه الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رحمه الله ، ورواه يزيد بن هارون وغيره من الأئمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، ومـالـك عن الزهري عن الأعرج عن أبي هريرة ، ومـالـك عن الزهري عن سعيـد بن المسيب عن أبي هريرة ، وعبيـد الله بن عمر عن سعيـد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة ، وعبد الأعلى بن أبي المسـاور وبشير بن أبي سلمـان عن أبي حـازم عن أبي هريرة ، ورواه نـافع بن جبير بن مطعم عن أبيـه ، وموسى بن عقبـة عن إسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت ، وعبد الرحمن بن كعب بن مالـك عن جـابر بن عبد الله ، وعبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طـالب ، وشريـك عن أبي إسحـاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود ومحمد بن كعب بن فضالة بن عبيـد عن أبي الـدرداء وأبي الزبير عن جابر وسعيـد بن جبير عن ابن عبـاس وعن أم المؤمنين عـائشـة وأم سلمـة رضي الله عنهم .

وهذه الطرق كلها مخرجة بأسانيدها في كتابنا الكبير المعروف بالانتصار ، وفي روايـة الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمـة عن أبي هريرة رضي الله عنـه ، عن رسـول الله ﷺ : « إذا مضى نصف الليـل أو ثلثـاه ينزل الله إلى السماء الـدنيـا فيقـول هـل من سائل فيعطى ؟ هل من داعٍ فيستجـاب لـه ؟ هل من مستغفر فيغفر لـه ؟ حتى ينفجر الصبح »[1] وفي رواية سعيد بن مرجانة عن أبي هريرة زيادة في آخره وهي « ثم يبسط يديه فيقول : من يقرض غير معدوم ولا ظلوم » وفي رواية أبي حازم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ « أن الله ينزل إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الأخير فينادي هل من سائل فـأعطيـه ؟ هـل من مستغفر فـأغفر لـه ؟ فـلا يبقى شيء فيـه الروح إلا علم بـه ، إلا الثقلان الجن والإنس » ، قال : وذلك حين تصيح الـديكـة وتنهق الحمير وتنبح الكلاب وروى هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن ميمون عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهني حـدّث أن رسـول الله ﷺ قـال : « إذا مضى ثلث الليـل أو شطر الليـل أو ثلثـاه ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول : لا أسأل من عبادي غير من يستغفرني فأغفر لـه ؟ من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني أعطيه ؟ حتى ينفجر الصبح » .

أخبرنا أبو محمد الجلدي أخبرنا أبو العباس السراج ، حدثنا محمد بن يحيى حدثنـا عبيـد

---

(١) رواه مسلم .

الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي مسلم الأغر قال : أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما شهدا على رسول الله ﷺ وأنا أشهد عليهما أنهما سمعا النبي ﷺ يقول : « إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول هبط إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل من مذنب ؟ هل من مستغفر ؟ هل من سائل ؟ هل من داعٍ ؟ حتى تطلع الشمس »[١] .

أخبرنا أبو محمد المجلدي حدثنا أبو عيسى الثقفي ، حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا شبابة بن ثوار عن يونس بن أبي إسحق عن أبي مسلم الأغر ، قال : أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يمهل حتى إذا كان ثلث الليل هبط إلى هذه السماء ، ثم أمر بأبواب السماء ففتحت فقال : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأجيبه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من مضطرٌ أكشف عنه ضره ؟ هل من مستغيث أغيثه ؟ فلا يزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر في كل ليلة من الدنيا »[٢] .

أخبر أبو محمد المجلدي أنبأنا أبو العباس يعني الثقفي ، حدثنا مجاهدين موسى والفضل بن سهل قالا : حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سهل عن أبي إسحاق عن الأغر أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا كان ثلث الليل نزل تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ، فقال : ألا هل من يستغفر يغفر له ؟ هل من سائل يعطي سؤله ؟ ألا هل من تائب يتاب عليه ؟ »[٣] .

حدثنا الأستاذ أبو منصور بن حماد ، حدثنا أبو إسماعيل بن أبي الظما ببغداد حدثنا أبو منصور الرمادي ، حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سهل عن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ينزل الله تعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا ، فيقول : أنا الملك ثلاثًا . من يسألني فأعطيه ؟ من يدعوني فأستجيب له ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر »[٤] .

سمعت الأستاذ أبو منصور على إثر هذا الحديث الذي أملاه علينا يقول سئل أبو

---

(١) رواه مسلم . إلا أنه جاء في مسلم « حتى يطلع الفجر » وليس فيه ذكر الشمس .

(٢) رواه مسلم من طرق .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم .

حنيفة عنه فقال : « ينزل بلا كيف » وقال بعضهم : « ينزل نزولا يليق بالربوبية بلا كيف ، من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق ، بل بالتجلي والتملي ، لأنه جل جلاله منزه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق ، كما كان منزها أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق ، فمجيئه وإتيانه ونزوله على حساب ما يليق بصفاته ، من غير تشبيه وكيف .

وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد الذي صنّفه وسمعته من حامله أبي طاهر رحمه الله تعالى [١] .

« باب ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق في نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة من غير صفة كيفية النزول مع إثبات النزول » .

نشهد شهادة مقر بلسانه ، مصدق بقلبه ، متيقن بما في هذه الأخبار من ذكر النزول من غير أن نصف الكيفية ، لأن نبينا ﷺ لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا ، وأعلمنا أنه ينزل ، والله عز وجل ولّى نبيّه ﷺ بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذلك النزول ، غير متكلفين للنزول بصفة الكيفية ، إذ النبي ﷺ لم يصف كيفية النزول ، ا هـ .

وأخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو محمد الصيدلاني ، حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أحمد بن صالح المصري ، حدثنا بن وهب ، أنبأنا مخرمة بن بكير عن أبيه رحمه الله أخبرنا الحاكم حدثنا محمد بن يعقوب الأصم واللفظ له ، حدثنا إبراهيم بن حنيفة ، حدثنا ابن وهب عن مخرمة بن بكير عن أبيه قال : سمعت محمد بن المنكدر يزعم أنه سمع أم سلمة زوجة النبي ﷺ تقول « نِعم اليوم يوم ينزل الله تعالى فيه إلى السماء الدنيا قالوا وأي يوم ؟ قالت يوم عرفة » .

وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قالت « ينزل الله تعالى في النصف من شعبان إلى السماء الدنيا ليلاً إلى آخر النهار من الغد ، فيعتق من النار بعدد شعر معز بني كلب ، ويكتب الحاج وينزل أرزاق السنة ، ولا يترك أحدًا إلا غفر له إلا مشركًا أو قاطع رحم أو عاقًّا أو مشاحنًا » [٢] .

---

(١) طبع هذا الكتاب في مصر وهو جيد في بابه .

(٢) رواه الترمذي (٧٣٦ ـ نسخة) وإسناده ضعيف ، عن الحجاج بن أرطأة وهو مدلس وقد عنعن ، (وضعفه البخاري بالانقطاع في موضعين ، كما ضعف الألباني في « ضعيف الجامع الصغير ـ ١٧٦١ » .

أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة ، حدثنا جدي الإمام حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا إسماعيل بن علية عن هشام الدستوائي (ح) قال الإمام وحدثنا الزعفراني عبد الله ابن بكر السهمي ، حدثنا هشام الدستوائي (ح) وحدثنا الزعفراني حدثنا يزيد يعني بن هارون الدستوائي (ح) وحدثنا محمد بن عبد الله بن ميمون بالإسكندرية ، حدثنا الوليد ابن الأوزاعي جميعهم عن يحيى بن أبي كثير ، عن عطاء بن يسار ، حدثني رفاعة بن عرابة الجهني (ح) قال الإمام ، وحدثنا أبو هشام بن زياد بن أيوب حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلي عن الأوزاعي ، حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثنى هلال بن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار حدثني رفاعة بن عرابة الجهني قال : صدرنا مع رسول ﷺ من مكة فجعلوا يستأذنون النبي ﷺ ، فجعل يأذن لهم فقال النبي ﷺ : « ما بال شق الشجرة الذي يلي النبي ﷺ أبغض إليكم من الآخر ، فلا يرى من القوم إلا باكيًا قال يقول أبو بكر الصديق إن الذي يستأذنك بعدها لسفيه ، فقام النبي ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه وكان إذا حلف قال : والذي نفسي بيده أشهد عند الله ما منكم من أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ثم يسدّد إلا سلك به في الجنة ، ولقد وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفًا بغير حساب ولا عذاب ، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى يؤمنوا ومن صلح من أزواجهم وذرياتهم يساكنكم في الجنة ، ثم قال ﷺ : إذا مضى شطر الليل أو قال : ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا ، ثم يقول : لا أسأل عن عبادي غيري ، من ذا الذي يسألني فأعطيه ؟ من ذا الذي يدعوني فأجيبه ؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ؟ حتى ينفجر الصبح » هذا لفظ حديث الوليد .

قال شيخ الإسلام : قلت : فلما صح خبر النزول عن الرسول ﷺ أقر به أهل السنة ، وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ ، ولم يعتقدوا تشبيهًا له بنزول خلقه ، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق ، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوًا كبيرًا ، ولعنهم لعنًا كبيرًا .

وقرأت لأبي عبد الله بن أبي حفص البخارى ، وكان شيخ بخاري في عصره بلا مدافعة ، وأبو حفص كان من كبار أصحاب محمد بن الحسن الشيباني ، قال أبو عبد الله :ـ أعني ابن أبي حفص هذا ـ سمعت عبد الله بن عثمان وهو عبدان شيخ مرو يقول : سمعت

محمد بن الحسن الشيباني يقول : قال حماد بن أبي حنيفة : قلنا لهؤلاء : أرأيتم قول الله عز وجل ﴿ وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا ﴾ ؟ قالوا : أما الملائكة فيجيئون صفًا صفًا ، وأما الرب تعالى فإنا لا ندري ما عني بذلك ، ولا ندري كيفية مجيئه ، فقلت لهم : إنا لم نكلفكم أن تعلموا كيف جيئته ، ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه ، أرأيتم من أنكر أن الملك يجيء صفًّا صفًّا ما هو عندكم ؟ قالوا : كافر مكذب . قلت : فكذلك إن أنكر أن الله سبحانه لا يجيء . فهو كافر مكذب .

البعث بعد الموت والشفاعة

ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة ، وبكل ما أخبر الله سبحانه من أهوال ذلك اليوم الحق ، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك ، وفي ذلك اليوم الهائل من أخذ الكتب بالإيمان والشمائل ، والإجابه عن المسائل ، إلى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم ، والمقام الهائل من الصراط والميزان ، ونشر الصحف التي فيهامثاقيل الذر من الخير والشر ، وغيرها ، ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبي أهل التوحيد ، ومرتكبي الكبائر ، كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ ، وأخبرنا أبو سعيد بن حمدون ، أنبأنا أبو حامد ابن الشرقي ، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ قال : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » [١] .

أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد أخبرنا محمد بن المسيب الأغياني ، حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عبد السلام بن حرب الملائي ، عن زياد بن خيثمة عن نعمان بن قراد ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر من أمتي الجنة ، فاخترت الشفاعة ، لأنها أعم وأكفى . أترونها للمؤمنين المتقين ؟ لا ، ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطّائين » [٢] . أخبرنا أبو محمد المجلدي ، أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو

---

(١) صحيح . رواه أحمد وأبو داود والنسائي عن جابر .

(٢) ضعيف . أورده السيوطي رحمه الله في الجامع الصغير وضعفه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في « ضعيف رقم ٩٢٣١ طبع الكتب الإسلامي » .

إلا أنه صحح الشطر الأول منه « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة » .

ابن أبي عمرو ، (ح) . وأخبرنا أبو طاهر بن خزيمة أخبرنا جدي الإمام محمد بن إسحق ابن خزيمة ، حدثنا علي بن حجر بن إسماعيل بن جعفر ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : « لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قبل نفسه » [١] .

الحوض والكوثر

ويؤمنون بالحوض والكوثر ، وإدخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب ، ومحاسبة فريق منهم حسابًا يسيرًا ، وإدخالهم الجنة بغير سوء يمسهم وعذاب يلحقهم ، وإدخال فريق من مذنبيهم النار ثم إعتاقهم أو إخراجهم منها ، وإلحاقهم بإخوانهم الذين سبقوهم إليها ، ولا يخلدون في النار ، فأما الكفار فإنهم يخلدون فيها ولا يخرجون منها أبدًا ، ولا يترك الله فيها من عصاة أهل الإيمان أحدًا .

رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة

ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم ، وينظرون إليه على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ في قوله : « إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » [٢] والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية ، لا للمرئي ، والأخبار الواردة في الرؤية مخرَّجة في كتاب (الأنتصار) بطرقها .

الإيمان بالجنة والنار وأنها مخلوقتان

ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنها باقيتان لا يفنيان أبدًا ، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدًا ، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها ، لا يخرجون أبدًا ، وأن المنادي ينادي يومئذ « ياأهل الجنة خلود ولا موت ، وياأهل النار خلود ولا موت » على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ [٣] .

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الشيخان من حديث ابن عمر . (المعلق) .

الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص

ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق : سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان ، فقال : حدثنا الحسن بن موسى الأشيب حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عن عمر بن حبيب قال : الإيمان يزيد وينقص فقيل : وما زيادته وما نقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله فحمدناه سبحانه فتلك زيادته وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه .

أخبرنا أبو الحسن بن أبي إسحق المزكي ، حدثنا أبي حدثنا أبو عمرو الحيري ، حدثنا محمد بن يحيي الذهلي ، ومحمد بن إدريس المكي ، وأحمد بن شداد الترمذي ، قالوا : حدثنا الحميدي حدثنا يحيي بن سليم : سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان فقالوا : قول وعمل .

وسألت هشام بن حسان فقال : قول وعمل . وسألت ابن جرير فقال قول عمل . وسألت محمد بن مسلم الطائفي فقال : قول وعمل . وسألت سفيان الثوري فقال : قول وعمل . وسألت المثنى بن الصباح فقال : قول وعمل . وسألت فضيل فقال : قول عمل . وسألت نافع بن عمر الجمحي فقال : قول وعمل . وسألت سفيان بن عيينة فقال : قول وعمل .

وأخبرنا أبو عمرو الحيري ، حدثنا محمد بن يحيي ومحمد بن إدريس سمعت الحميدي يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة : ياأبا محمد ينقص ؟ فقال : اسكت ياصبي بل ينقص حتى لا تبقى منه شيء .

وقال الوليد بن مسلم : سمعت الأوزاعي ومالكًا وسعيد بن عبد العزيز ينكرون على من يقول : إقرار بلا عمل . ويقولون لا إيمان إلا بعمل ، فمن كانت طاعته وحسناته أكثته أكثر فإنه أكمل إيمانًا ، ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة فإيمانه ناقص .

وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن باكويه الحلاب يقول : سمعت أبا بكر محمد بن إسحق بن خزيمة يقول : سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول : قال لي عبد الله بن طاهر : يا أحمد إنكم تبغضون هؤلاء القوم جهلا ،

وأنا أبغضهم عن معرفة . أولا : إنهم لا يرون للسلطان طاعة . والثاني : إنه ليس للإيمان عندهم قدر ، والله لا أستجيز أن أقول : إيماني كإيمان يحيى بن يحيى ، ولا كإيمان أحمد بن حنبل ، وهم يقولون : إيماننا كإيمان جبرائيل وميكائيل .

وسمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانىء يقول : سمعت أبا بكر محمد بن شعيب يقول : سمعت إسحق بن إبراهيم الحنظلي يقول : قدم ابن المبارك الري فقام إليه رجل من العباد ، الظن أنه يذهب مذهب الخوارج ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر ؟ قال لا أخرجه من الإيمان ، فقال : يا أبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئًا ؟ فقال : لا تقبلني المرجئة المرجئة تقول : حسناتنا مقبولة ، وسيئاتنا مغفورة ، ولو علمت أني قُبلت مني حسنة لشهدت أني في الجنة ، ثم ذكر عن أبي شوذب عن سلمة بن كهيل ، عن هذيل بن شرحبيل قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح .

سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن محمد زكريا الشيباني يقول : سمعت يحيى بن منصور القاضي يقول : سمعت محمد بن إسحق بن خزيمة يقول : سمعت الحسين بن حرب أخا أحمد بن حرب الزاهد يقول : أشهد أن دين أحمد بن حرب الذي يدين الله به أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .

لا يكفر أحد من المسلمين بكل ذنب

ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبًا كثيرًا صغائر وكبائر فإنه لا يكفر بها ، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ، ومات على التوحيد والإخلاص ، فإن أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه ، وأدخله الجنة يوم القيامة سالمًا غانمًا ، غير مبتلي بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار ، وإن شاء عفا عنه وعذّبه مدة بعذاب النار ، وإذا عذّبه لم يخلده فيها ، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار .

وكان شيخنا سهل بن محمد رحمه الله يقول : المؤمن المذنب وإن عذّب بالنار لا يُلقى فيها إلقاء الكفار ، ولا يبقى فيها بقاء الكفار ، ولا يشقى فيها شقاء الكفار . ومعنى ذلك أن الكافر يسحب على وجهه إلى النار ، ويلقى فيها منكوسًا في السلاسل والأغلال

والأنكال الثقال ، والمؤمن المذنب إذ ابتلي في النار فإنه يدخل النار كما يدخل المجرم في الدنيا السجن على الرجل من غير إلقاء وتنكيس . ومعنى قوله « لا يلقى في النار إلقاء الكفار » أن الكافر يحرق بدنه كله ، كلما نضج جلده بدل جلدًا غيره ، ليذوق العذاب كما بيّنه الله في كتابه في وقوله تعالى ﴿ **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارًا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾ [(١)] : وأما المؤمنون فلا تلفح وجوههم النار ، ولا تحرق أعضاء السجود منهم ، إذ حرم الله على النار أعضاء سجوده . ومعنى قوله : « لا يبقى في النار بقاء الكفار » أن الكافر يخلد فيها ولا يخرج منها أبدًا ، ولا يخلّد الله من مذنبي المؤمنين في النار أحدًا . ومعنى قوله : « لا يشقى بالنار شقاء الكفار » أن الكفار ييأسون فيها من رحمة الله ، ولا يرجون راحةً بحال ، وأما المؤمنون فلا ينقطع طمعهم من رحمه الله في كل حال ، وعقابة المؤمنين كلهم الجنة ، لأنهم خلقوا لها وخلقت لهم فضلاً من الله ومنّة .

حكم تارك الصلاة عمدًا

واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمدًا ، فكفّره بذلك أحمد بن حنبل وجماعة من علماء السلف ، وأخرجوه به من الإسلام ، للخبر الصحيح : « بين العبد والشرك ترك الصلاة ، فمن ترك الصلاة فقد كفر » [(٢)] وذهب الشافعي وأصحابه وجماعة من علماء السلف رحمة الله عليهم أجمعين إلى أنه لا يكفر ما دام معتقدًا لوجوبها ، وإنما يستوجب القتل كما يستوجبه المرتد عن الإسلام ، وتأولوا الخبر من ترك الصلاة جاحدًا كما أخبر سبحانه عن يوسف عليه السلام أنه قال : ﴿ **إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة كافرون** ﴾ [(٣)] ولم يك يتلبس بكفر فارقه ، ولكن تركه جاحدًا له [(٤)] .

---

(١) النساء : ٥٦ .

(٢) رواه مسلم وبلفظ « بين الرجل والشرك والكفر ترك الصلاة » .

(٣) يوسف : ٣٧ .

(٤) بسط القول في حكم تارك الصلاة عمدًا ابن القيم في كتاب الصلاة طبع محب الدين الخطيب وابنه ، وذهب إلى أن أهل الحديث لا يوجوبون عليه قضاءها وإنما يكثر من النوافل ، فراجع لذلك رسالة ابن القيم .

خلق أفعال العباد

ومن قول أهل السنة والجماعة في إكساب العباد أنها مخلوقة لله تعالى ، لا يمترون فيه ، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه ، ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء ، ولا حجة لمن أضله الله عليه ، ولا عذر له لديه : قال الله عز وجل : ﴿ **قل : فللّه الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ [1] وقال : ﴿ **ولو شئنا لآتينا كل نفسٍ هداها ، ولكن حق القول مني** ﴾ [2] الآية وقال : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس** ﴾ [3] الآية سبحانه وتعالى خلق الخلق بلا حاجة إليهم ، فجعلهم فرقتين ، فريقًا للنعيم فضلا ، وفريقًا للجحيم عدلا ، وجعل منهم غويًّا ورشيدًا ، وشقيًّا وسعيدًا ، وقريبًا من رحمته ، وبعيدًا ، ولا يسئل عما يفعل وهم يُسألون .

أخبرنا أبو محمد المجلدي أخبرنا أبو محمد العباس السراج . حدثنا يوسف عن موسى أخبرنا جرير عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إن خلْق أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه ملكًا بأربع كلمات ، رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ، فو الذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يدركه ما سبق له في الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » رواه البخاري .

---

(١) الأنعام : ١٤٩ .

(٢) السجدة : ١٣ .

(٣) الأعراف : ١٧٩ .

الصوفية في ضوء العقيدة الإسلامية

الصوفية في ضوء العقيدة الإسلامية

دلالة التسمية :

لا حظ المستشرق (نيكلسون) في كتابه (في التصوف الإسلامي) أن هناك تعريفات كثيرة للتصوف . وخاصة في مرحلة القرنين الثالث والرابع الهجريين ، أي بعد أن بدأت ظاهرة التصوف في الانتشار ، وأن كل انتساب فيا لاحظ (نيكلسون) إلى (الصوف) يقابله [١] ، اثنا عشر تعريفًا تعتمد على الصفاء الذي حاول الصوفية أن ينتسبوا إليه .

وصاحب (اللمع) يريد هو الآخر أن يسير على نفس الخط فيقول : إن العبد إذا صفا من كدر البشرية يقال له : قد صوفي فهو صوفي [٢] .

ولئن كان هذا الاشتقاق أو هذه التسمية مرفوضة حتى عند (القشيري) في الرسالة القشيرية ، لكون هذا الاشتقاق بعيدًا في اللغة فهناك من مؤرخي وكتّاب الفرق من يحاول أن يشتق لدلالة (التصوف) معاني من (صفّة المسجد) على غرار تلك التي كانت في مؤخرة مسجد النبي ﷺ بالمدينة ، حيث كان ينزلها الفقراء من المسلمين ممن ليس له أهل ولا مكان يأوي إليه : وكان فقراء المسلمين من الذين يأوون إلى الصفة ، أو من أهل الصفة إذ جاز التعبير يكتسبون عند إمكان الاكتساب ، الذي لا يصدهم عما هو أوجب أو أحب إلى الله من الكسب ، وأما إذا أحصروا في سبيل الله عن الكسب ، فكانوا يقدمون ما هو أقرب إلى الله ورسوله ، وكان الرسول ﷺ يبعث إليهم بما يكون عنده [٣] .

ومن الواضح الجلي أن ادعاء المتصوفة ومن ذهب معهم من الكتّاب اشتقاق التسمية (تصوف) من (صفّة المسجد) يستهدف به ارتباط التصوف في نشأته الأولى بعصور تاريخية متقدمة بل يستهدف ارتباطه بعصر النبي ﷺ والزعم في نفس الوقت بأن الرسول ﷺ ، قد أقر منهجهم في الافتقار والاعتزال والتجرد والتواكل المزعوم ، وهذا ما لا يقبله عقل منصف اطلع على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بالإضافة إلى سيرة السلف

---

(١) (في التصوف الإسلامي) ـ (نيكلسون) ترجمة عفيفي أبو العلا طبعة لجنة الترجمة والنشر القاهرة ص ٣٨ .

(٢) « اللمع » أبو نصر السراج ـ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ـ القاهرة عام ١٩٦٠ ص ٤٧ .

(٣) مجموعة الرسائل والوسائل) شيخ الإسلام ابن تيمية ط القاهرة عام ١٩٥٢ .

رضوان الله عليهم .

ومن أجل التدليل على الزعم الذي يذهب إلى اشتقاق نشأة التصوف من صفّة المسجد يقول السهروردي في كتابه (عوارف المعارف) : (قد اجتمعوا بمسجد المدينة ، كما يجتمع الصوفية قديمًا وحديثًا في الزوايا والرّبط لا يرجعون إلى زرعٍ ولا إلى ضرعٍ ولا إلى تجارة وكان - فيما زعم السهروردي بغير حجة ولا سند متصل يؤكد ما يذهب إليه في زعمه رسول الله ﷺ يحث الناس على مواساتهم ويؤاكلهم ويجالسهم .

ويكفي في رفض هذا الزعم ودحض هذا الرأي الذي يربط (التصوف) بصفّة المسجد أن اشتقاقه اللغوي سقيم ومرفوض ، لأن مقاييس اللغة لا تعين عليه فضلا عن سيرة الرسول ﷺ مع أصحابه وعدم وجود نمط من أصحابه يعتبر أساسًا في سلوكه لهذه الدعوى الصوفية .

وفي مجال البحث التاريخي المجرد يجيء (جورجي زيدان) الكاتب النصراني فيعقد صلة بين الكلمة العربية (تصوف) والكلمة اليونانية (سوفيا) فيقول : إنها مشتقة من لفظة يونانية الأصل هي (سوفيا) ومعناها الحكمة فيكون الصوفية عند جورج زيدان قد لقبوا بذلك الاسم الذي عرفوا به نسبة إلى (الحكمة) ، لكن المستشرق (نولدكة) استبعد هذه الصلة لأسباب لغوية يونانية نعتقد أن الكاتب النصراني جورج زيدان كان يجهلها وهي : أن (سيجما) اليوناني حرف يمثل في العصور المتأخرة ، بحرف السين العربي في جميع ما عرّب من كلمات يونانية لا بحرف الصاد [١] .

هذا ومما يجدر ذكره أن هناك نسبة ضعيفة اللفظة (تصوف) لم تجد عند الباحثين استحسانًا مثل النسبة إلى الصفّة ، إذ إن كلمة التصوف عند من ذهب هذا المذهب من المتصوفة تعني - في زعمهم - بالاتصاف بالصفات الحميدة وترك الصفات الذمية [٢] .

وهذه النسبة لم تلق من الاستحسان فضلا عن عدم الاستقامة العلمية ما حصرها في نطاق الرأي الضعيف الذي لم ينظر إليه تاريخيًّا بعناية .

هذا ونسبة (التصوف) إلى الصوف ، أقرب إلى الاشتقاق اللغوي خاصة إذا نظرنا

---

(١) (نشأة التصوف الإسلامي) د . إبراهيم بسيوني ط دار المعارف بمصر عام ١٩٦٩ ص ١٠ .

(٢) (نشأة التصوف الإسلامي) د . إبراهيم بسيوني ط دار المعارف بمصر عام ١٩٦٩ ص ١١ .

إلى الظروف التاريخية التي نشأ فيها بعض الذين انخرطوا في سلك المتعبدين بالقلوب المعطلين لأسباب العبادة والسعي والذين تميزوا في الحياة العامة بارتداء ثوب الصوف ، ثم تطور منهجهم في تناول بعض المسائل الدينية إلى المستوى الذي أصبحوا فيه أبعد ما يكونون عن المنطلقات والبدايات التي كان عليها علماء السلف رضوان الله عليهم ، بل إن التطور في تناول بعض المسائل الدينية عند أولئك الذين تميزوا بارتداء ثوب الصوف قد أصبح أبعد ما يكون عن البدايات المستقيمة نوعًا ما عند بعض الذين نهجوا تعبديًا عرف بالتصوف .

ويبدو أن البداية عند بعض المؤرخين في دارسة سلوك التصوف كان اعتقاد البعض منهم من ذوي القلوب الحية والضمائر النقية أن ارتداءهم للصوف ، إنما هو محاكاة ، واقتداء بالصالحين ، وخاصة فيما اعتقدوا أنه اقتداء بأصحاب رسول الله ﷺ ، مع أننا نستبعد هذا التصور ، لكن المسعودي روى في (مروج الذهب) في الجزء الأول صفحة ٤١٨ ، في أخبار أبي عبيدة بن الجراح أنه حين كان بالشام يظهر على الناس وهو يرتدي الصوف الجافي لامه على ذلك بعض أصحابه وقالوا له : (إنك بالشام وحولنا الأعداء ، فغيّر من زيك وأصلح من شارتك ، فقال : ما كنت بالذي أترك ما كنت عليه في عهد الرسول ﷺ .

ولا نعتقد أنه إن صح هذا الموقف حول أبي عبيدة رضي الله عنه ، أن البدايات الأولى لحركة بعض الزهاد كانت تستهدف سلوكًا تعبديًا واجتماعيًا على غرار القائد الجليل أبي عبيدة ، فقد عرف عن معظم أولئك الذين كانوا البدايات السلوكية لظاهرة الزهد : القعود والتواكل والافتقار إلى الناس .

كما ينسبون إلى الحسن البصري قوله : (أدركت سبعين بدريًا كان لباسهم الصوف) [١] .

ويبدو أن لتأثير الرهبنة المسيحية التي كان فيها الرهبان يلبسون الصوف وهم في أديرتهم كثرة كثيرة من المنقطعين لهذه الممارسة على امتداد الأرض التي حررها الإسلام بالتوحيد أعطى هو الآخر دورًا في التأثر الذي بدا على سلوك الأوائل من رواد حركة

الزهد والانقطاع له كما أعطى تأثيرًا في سلوك العناصر التي رغبت في التقشف والانكماش في هذا النهج المتخفف من جهاد الحياة والكد فيها .

غير أن مسار هذه الجماعات التي انطلقت تحمل مؤثرات غير إسلامية بالمستوى الذي كان عليه السلف من المسلمين فتغرج في عدة اتجاهات حتى كادت أن تنقطع الصلات والروابط التي بينهم وبين الإسلام وحتى إنه ليمكن القول وبغير تجاوز أنه قد ضل على مسار التاريخ الإسلامي الطويل معظم المنخرطين في سلك الجماعات الصوفية وكان من أمرهم ما كان مما سنعرض له في الصفحات التالية .

نظرة تاريخية على ظاهرة التصوف :

على ضوء حقائق التاريخ الإسلامي ، وسيرة الصدر الأول ، بالإضافة إلى السلوك وحياة علماء السلف رضوان الله عليهم فضلاً عن عهد النبي ﷺ ، وطوال مرحلة الخلفاء الأربعة ، لم تكن ظاهرة التصوف وما تمثله من منطلقات ومظاهر تمثل سلوكًا معينًا متميزا تقوم به الجماعة من المسلمين دون غيرهم .

والمحاولات أو الموقف التي كان فيها بعض المسلمين من أصحاب القلوب الرقيقة ، أو ممن كان لهم مواقف متصلبة وآذوا كثيرًا من المسلمين قبل إسلامهم ثم أرادوا التنطع والغلو في تناولهم لتعاليم وتوجيهات الإسلام أو أرادوا التفرغ الكامل والزهد والاعتكاف عن ضروب الجهاد كل إيام عمرهم ، كان رسول الله ﷺ ينهاهم عن ذلك الإقبال أو هذا الانضواء والانطواء ، حين كان ﷺ يقول : (إنما بعثت بالحنيفية السمحة) [1] .

وحين يقول ﷺ : « فإن لجسمك عليك حقًا ، وإن لعينيك عليك حقًا ، وإن لزوجك عليك حقًا » [2] .

وحين يقول ﷺ : « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » [3] .

وحين دخل (بهلول بن ذئيب) على النبي ﷺ باكيًا وقد تغيرت ملامح بهلول ،

---

(١) مسند أحمد ج ٥ ، ص ٢٦٦ .

(٢) مسند أحمد ج ٥ ، ص ٢٦٦ .

(٣) ابن قتيبة (عيون الأخبار) ط دار الكتب المصرية عام ١٣٢٥ هـ . ص ٣٧٥ .

فسأله النبي عن سر بكائه : فقال : (يا رسول الله .. لقد ركبت ذنوبًا إن يأخذني الله ببعضها ... خلدني في جهنم ، ولا أرى إلا أنه سيأخذني) .

بهلول هذا رضي الله عنه كان قد مضى إلى الجبال بعد شعور ركبه ويأس سيطر عليه في أنه لن يشمله عفو الله ورحمته فأغل نفسه بالحديد ، ووقف بالجبل ينادي : يا إلهي وسيدي ومولاي ... هذا بهلول مغلولاً مسلسلاً معترفًا بذنوبه [١] .

وحين علم النبي ﷺ بأمر رجل على شاكلة بهلول بن ذئيب صام النهار ولم يفطر الليل قال له النبي ﷺ : « من أمرك أن تعذب نفسك ؟ ثلاث مرات ... » [٢] .

وحين طوقت (الحولاء بنت نويت) نفسها بحبل حتى لا يغلبها النوم وعلم ﷺ بذلك حين حدثته عائشة رضي الله عنها في شأنها قال : « عليكم من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ، وأحب العمل إليه أدومه وإن قل » [٣] .

هذا ويروي أنس فيقول : دخل الرسول ﷺ المسجد ، فإذا حبل ممدود بين ساريتين ، فقال ما هذا الحبل ؟ قالوا : لزينب ، إذا فترت تعلقت به ، فقال النبي ﷺ : لا ... حلّوه ... ليصل أحدكم نشاطه .. فإذا فتر فليقعد » [٤] .

خلاصة القول من كل هذا ومن هذه النماذج التي عرضنا لها أن عصر صدر الإسلام ، لم يكن في حاجة إلى أن تنشأ فيه هذه الظاهرة ، ولا أن يكون بين أهله من يحاول التميز بسلوك ينفرد هو به دون غيره أو أن يذهب يفسر شططًا بعض أمور العقيدة [٥] على ضوء ما يروق له في ظل ظروفه الخاصة ، أو على ضوء ما بدر منه ، فالمسلمون جميعًا أهل تقوى وزهد وعكوف على الطاعات منقطعين لله تعالى ، إذا ما انتهوا من كدهم وكدحهم في الدنيا على ضوء ما أمر الله ورسوله ولم يكن بينهم من يريد أن يستقل بسلوك أو ينهج في التعبد يخرج به عن نطاق ما في كتاب الله والعمل بسنة رسوله ﷺ .

---

(١) (أسد الغابة) ج ١ ـ ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٢) (مسند أحمد) ج ٥ ـ ص ٣٨ .

(٣) (حلية الأولياء) ج ٢ ـ ص ٦٥ .

(٤) (حلية الأولياء) جـ ٢ ـ ص ٦٥ .

(٥) (شرح منازل السائلين) للأنصاري ، شرح الفركاوي . طبع المعهد العلمي الفرنسي للآثار بالقاهرة عام ١٩٥٣ . ص .

وكان أفضل وأكرم اسم يحبون أن يعرفوا بـه هـو أنهم أصحـاب رسـول الله ﷺ وأنهم مسلمـون ، وحتى الجيـل الثـاني الـذي شهـد أصحـاب رسـول الله ﷺ كان الشرف الـذي يحرصون على أن يحملوه والسمـة التي يحبون أن يعرفوا بهـا ، وأن يعيشوا على هـديهـا هـو أنهم ممن صحب أصحاب رسول الله ﷺ ، خلاصة القول أن القرن الأول كله لم يشهد على كثرة ما حدث فيه من انقسام أمة الإسلام إلى فـرق سياسية وخاصة بعد مقتل علي رضي الله عنـه أقـول لم يشهـد القرن الأول تسميـات للـدلالـة على سلـوك البعض من القبيـل الصوفي ، كدلالة معينة على سلوك البعض واتجاههم نحو الزهد والتقشف والانقطاع الـذي يعتبره المتصوفة أساسًـا تـاريخيًـا عنـدهم بـدأ مبكرًا بل كان أكرم وأشرف مـا يتمنى الورع التقي الذي هو المسلم الملتزم بأحكام كتاب الله وسنة نبية والمجاهـد سـاعيًـا في سبيل دعوة الإسلام والكسب الحلال ، كان أكرم وأشرف مـا يتمنـاه بعـد رضـا الله أن يعرف بـأنـه : صحابي ، أو تابعي ، ولم تكن اصطلاحات وتسميات ، صوفي ، وزاهـد وعـابـد ومنقطـع ، وصاحب مقام كذا وكذا مما لم يعرف في عصر صدر الإسلام قد نشأت بعد .

غير أن بعض المؤرخين يرون أنه لما فشـا الإقبـال على الـدنيـا في أواخر القرن الثـاني الهجري وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة المتاع الدنيوي ، قيل للخواص من المسلمين ممن لهم شدة عناية بأمر الـدين : الزهـاد ، أو العُبّـاد ، ثم لـما اشتـد سـاعـد الفرق السيـاسيـة وانقسمت فيا بينهـا وخرجت متـأولـة بعيـدة عن منهج والتزام أهـل السنـة والجمـاعـة من العلمـاء وجمهـور الأمـة ، ونشب الصراع الفكري بين هـذه الفرق دست كل فرقـة على غيرهـا ، أخبـار مجموعـة من الزهـاد والعبّـاد الـذين أحيطت سيرتهم بهـالـة من التقـديس والتكريم ، دون أن يعرف أحد من الذين انتهت إليهم سيرتهم عنهم شيئًـا أو أن يقفوا لهم على تراث أو رأي ، الأمر الذي أدى إلى أن ينتحي في ظل الصراع جانبًا منه مجموعـة من العباد أطلقوا على أنفسهم أو أطلق عليهم اسم (المتصوفة) بحكم مـا يميز مظهرهم وهو لبس الصوف في أغلب الأحوال ، ومع ذلـك لم يـذع اسم (المتصوفـة) ويشتهر على الألسنـة ، ويتـداول كمنهج في التبتل أو الانقطـاع أو العبـادة يخـالف مـا عليـه جمهور الأمـة قبـل المائتين من الهجرة [١] .

هذا ويقول : عمر رضا كحالة في كتابه (الفلسفة الإسلامية وملحقـاتهـا) المطبوع في

(١) الكندي : (القضاة والولاة) نشرة كست ـ طبع اليسوعيين بيروت عام ١٩٠٨ ص ١٦٢ .

دمشق عام ١٣٩٤ ـ ١٩٧٤ م : ورد لفظ : (الصوفي) لقبًا مفردًا في النصف الثاني للهجرة إذ نعت به جابر بن حيان الكوفي .

وأما صيغة الجمع : (الصوفية) فإنها ظهرت فيا انتهى إليه عمر رضا كحالة عام ١٩٩ هجرية فكانت تدل على قرابة ذلك العهد على مذهب من مذاهب التصوف الإسلامي ، يكاد يكون شيعيًا ، كان (عبدك) في آخر أئمة هذا المذهب ، وهو من القائلين بالتعيين ، وكان لا يأكل اللحم ، توفي ببغداد حوالي ٢١٠ هـ . وإذن فكلمة (صوفي) ودلالتها على نمط من السلوك كانت في أول أمرها وحتى نهاية القرن الثاني الهجري مقصورة على الكوفة ، حيث المؤثرات الفارسية والهندية القديمة كانت تطل في شكل إفرازات فكرية على الساحة الإسلامية .

وقد أطلق : الصوفي والمتصوف ، بادئ الأمر في هذه الحقبة التاريخية بالذات أي بعد انقضاء مائتي عام من الهجرة مرادفًا للزاهد والعابد والفقير ، ولم يكن لهذه الألفاظ معنى يزيد على شدة العناية بأمر الدين ومراعاة أحكام الشريعة ، ولم يكن الفقر والزهد ولبس الصوف يتجاوز نطاق هذه الدلالات إلى ما استحدث بعد ذلك في سلوك المتصوفة وبدعهم ورسومهم ، أي أنه من الممكن القول إنه حتى القرن الثاني للهجرة كانت دلالة الفقر والزهد والتقشف ولبس الصوف المظاهر التي كانت تؤدي إلى نعت بعض الناس بهذه الصفة : صوفي : تختلف في دلالتها عما انتهت إليه نفس المظاهر حين أصبحت تعبيرًا عن دلالات أخرى افتقدت الإخلاص لله وسلامة السلوك ونظافة القلب .

ومن الجدير بالذكر أن أحكام الشريعة كانت حتى ذلك الحين تتلقى في معظمها من صدور الرجال ، لا فرق بين عباداتها ومعاملاتها وعقائدها ، ثم تحدث الناس في الأمور الدينية على ما سمي بالنظام العلمي ، ونشأ التدوين فكان أول ما اتجهت إليه الهمم ، وانصرفت إليه الأفكار هو علم الشريعة ، بمعنى الأحكام العملية ، حتى حسب الناس أن الاشتغال بهذا العلم والعمل به هو غاية الدين .

وفي مواجهة هذه الغاية الشرعية التي اتجهت إليها هم الرجال لتدوين أحكام الشريعة والانشغال بهذا الجانب ، وذلك لتعليم أجيال المسلمين أحكام الإسلام وقواعد الشريعة فضلاً عن إعداد الرجال لحمل دعوة الإسلام ، خرجت من البصرة في العراق .

نهجهم وأحوالهم ، واتخذوا لذلك حلقات وأماكن وخلوات خاصة بهم يجتمعون فيها مع

من يريدون ومن يصطفون ، بطريقة ونهج لم يعرف عن أصحاب رسول الله ﷺ حين كانوا يقومون بأمر ربهم ، أو حين كانوا يمارسون ضروب العبادة المختلفة .

ومن هنا رأينا قومًا يذمونهم وينتقدون شأنهم ، ولا يستريحون إليهم .

وقوم يبجلونهم ويحترمون أمرهم ، حتى انقسم المتصلون بالإسلام وشريعته من أهل الديار التي لم تكن مسلمة وانتسبت بالفتح لأمة الإسلام إلى قسمين رئيسيين .

انقسم بعد ذلك عن القسمين الرئيسيين انقسامات وفرق كثيرة ، كانت في معظمها ، شيعية وباطنية وصوفية .

هذا وقد كان القسم الأول من القسمين الرئيسيين اللذين ترتبا على ظهور ونمو حركة التصوف أن القسم الأول يدعو إلى العمل ، على أن يكون العمل بالأعمال الشرعية الظاهرة التي تجري على الجوارح والأعضاء الجسمية ، وهي العبادات ، كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم ... وأحكام المعاملات كالحدود والزواج والطلاق والعتق والبيوع والفرائض والقصاص ، وسمي هذا العلم على الفقه وهو في جملته وقواعده مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا الذين انشغلوا وركّزوا جل اهتمامهم بالعبادات والمعاملات وذلك لبناء المجتمع الإسلامي متميزًا على غيره من المجتمعات .

والقسم الثاني يدعو أصحابه لما أسموه : العلم بما يدل على الأعمال الباطنة ويدعو إليها من خلال ما أسموه : أعمال القلوب ، وسمي هذا المنزع كما أحب أن يطلق عليه أتباعه والذين ينخرطون في طريقه : بعلم التصوف ، وأحيانًا يسمونه : علم القلوب .

كما أحب المتصوفة في هذا المقام أن يسموا أنفسهم : أرباب الحقائق ، وأهل الباطن ، وسموا من عاداهم أهل الظاهر وأهل الرسوم ، ومن هنا أحدث المتصوفة الفجوة الجوهرية التي بينهم وبين جمهور أمة الإسلام ممثلاً في منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة .

وحتى منذ هذه المرحلة أعني من القرن الثاني الهجري ، والتصوف يمكن أن يقال عنه إنه لم يتجاوز نطاق الحركة داخل أخلاق الإسلام وإن كان بعيدًا عن معاني العبادة الحقة وجوهر الالتزام الصحيح في الإسلام حول كتاب الله وسنة نبيه ، غير أنه حتى هذا التاريخ لا تبدو على المتصوفة دلائل تأثيرات وافدة من خارج البيئة الإسلامية ، ولم يكن لجهد مفكري الصوفية في تأويل المعاني وتخريج دلالات لها لم يكن لهذا الجهد

سلبية متصلة بما يسمى بأعمال القلوب كما وقع الزعم بعد ذلك قويًّا أو واضحًا .

وحتى الألفاظ التي دارت بين الصوفية ، وانفردوا بها عمن سواهم لا نجدها واضحه أو ظاهرة على لسان وأخبار أولئك الذين كانوا قد بدأوا يقطعون صلتهم بالنهج التعليمي الشرعي في مجتمع الإسلام وأخذوا شوطًا باطنيًّا شخصيًّا ، واتجهوا لربهم بما أسموه أعمال القلوب ، ولم يكن خروجهم عن ساحة العقيدة الإسلامية قد قطع شوطًا أو أصبحوا يمثلون دورًا متميزًا في الابتعاد عن أحكام وقواعد الإسلام ، بحيث يتعذر تصور خروج معظم من اشتغل بما أسموه أعمال القلوب عن ملة الإسلام .

لكن بداية الانفتاح ، وبروز ظاهرة التصوف كتاب ديني منحرف في التناول الفكري وممارسة العقيدة داخل المجتمع الإسلامي واعتباره مظهر خروج على نهج وعقيدة السلف كان بعد ذلك أعني بعد مرحلة القرنين الثالث والرابع الهجريين [1] وخاصة حين ازدهر العمل الصوفي في هذه الفترة بأثر من الدس الشعوبي الأمر الذي عاون على إبراز مجموعة ضخمة من المتصوفة على امتداد الديار الإسلامية ، حتى كان من أمر التصوف في البيئة الإسلامية باعتباره نهجًا غريبًا عن الأصول الإسلامية ما كان حين أحدث سلبيات وانحرافات في السلوك أدت لظهور أجيال بعد ذلك في المجتمع الإسلامي ، وهي معزولة تمامًا عن ثقافة دينها ، وعن العمل بأحكام كتاب ربها ومن هنا لم تستطع الصمود أمام غزو الأفكار الوافدة ، وما استتبعها بعد ذلك من غزو لمعظم ديار المسلمين .

تطور ظاهرة التصوف وشيوعها

ما إن أقبل القرن الثالث الهجري ، إلا وكانت السمة التي تميز سلوك مجموعة من العباد الذين استهواهم النهج الصوفي وما سمي بأعمال القلوب ، قد دخلت طورًا أصبحت بغداد فيه عاصمة للظاهرة التي عرفت باسم (التصوف) . وبينما كانت حلقات الدرس والتناظر حول أحكام الشرع الإسلامي ، في مسائل الفقه والتوحيد تتخذ نهجًا هادئ النبرات ، قوي الحجة كان ضجيج شيوخ المدارس الصوفية فيما بينهم ، وبين مريديهم يعلو كل صوت ، وينفذ إلى معظم ديار المسلمين ، متسللا من خلال عباءات الشيوخ وعذب حديثهم للعامة وتساهلهم وتنازلهم عن كثيرٍ مما هو مندوب أو واجب في السنة المطهرة

---

(١) (في التصوف الإسلامي وتاريخه) .. (نيكلسون) ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفي - لجنة الترجمة والنشر مصر - عام ١٩٤٧ - ص ١٢٠ .

الأمر الذي يروق لأولئك الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام ، وذلك لكي يروج النهج الصوفي ويكثر أتباعه في معظم الديار ، بعد أن أحيط بهؤلاء الذين أطلق عليهم أهل الباطن أو أرباب الحقيقة بهالة من التقديس والاحترام المصنوعين ، حتى يشتد إقبال الناس عليهم والانضواء تحت لوائهم .

هذا وقد ذكر الكندي مثلا [١] في محاولة منه غير موضوعية أن يوحي بغير سند أو برهان أن التصوف عرف بمصر منذ سنة ٢٠٠ هجرية ، أي قبل مرحلة تطور ظاهرة التصوف بأكثر من مائة عام وهذا ما لم يقل به أحد من المؤرخين الثقاة .

يقول : (وظهرت بالإسكندرية طائفة يسمون بالصوفية ، يأمرون بالمعروف - فيما زعم - ويعارضون السلطان في أمره ، فترأس عليهم رجل منهم يقال له : أبو عبد الرحمن الصوفي الذي ولي الإسكندرية سنة ٢٠١ هجرية .

وما إن انتهى القرن الثالث الهجري بعد تسرب الصوفية إلى الديار الإسلامية حتى امتلأت الساحة الإسلامية بالمدارس والمذاهب الصوفية التي صنعت للمريد لكي يدخل إلى مقام شيخه أو ينخرط في سلك عضوية طريقه ، نوعًا من الرسوم والطقوس ، أطلقوا عليها اسم الأحوال والمقامات تدرجًا في طريق العشق والوجد والفناء والاتحاد والحلول وغير ذلك [٢] .

ومع أن قلة قليلة من شيوخ المتصوفة . لم يطمس عقلهم التيار الصوفي المتدفق ، من مصادره العديدة التي وفدت من الأفكار الهندية واليونانية والمسيحية وإن كان قد شاب صحة عقيدتهم ، وما شابها مثل :- الجنيد القائل فيما نسبوا إليه : مذهبنا هذا مقيد بالأصول : الكتاب والسنة ، إلا أن السمة العامة لمذاهب التصوف والقاسم المشترك . والنهج المميز للمتصوفة في تناول أمور العبادة وغيرها هو ما يسمونه :- (الذوق) وهذا المعيار أو قل هذا المنهج واسع وسع كل الميول والعواطف والمشارب الإنسانية التي قد تكون في بعض منطلقاتها تمثل تناقضًا فيما بينها ، فضلا عن أن هذا الذوق الذي يخرج عن قيد النص الشرعي ودلالته المباشرة إلى التناول الذوقي بما يفسد المعاني ويؤول

---

(١) (الكندي) . (القضاة والولاة) . نشر كست طبع اليسوعيين - بيروت - عام ١٩٠٨ ص ١٦٣ .
(٢) (نشأة التصوف الإسلامي) د . إبراهيم بسيوني ص ١٧٠ .

الالتزامات ، ولا يستقيم مع قواعد الشرع وفرائضه ، ومن هنا فقد تعذر على القلة القليلة من العناصر النقية والتقية من التي ظنت أن التصوف منهج في العبادة يعبر عن حاجة العبد وافتقاره إلى ربه ، أن يحموا النهج الصوفي من التأثر والاندماج ثم الامتزاج بأفكارٍ ومعتقداتٍ غير إسلامية [١] ، شكّلت في العصور المتأخرة جوهر السلوك الصوفي .

هذا وقد لاحظ مؤرخو الفرق والمذاهب ، أنه كلما مضت مرحلة بعد الأخرى منذ انتهاء القرن الثالث الهجري ، ومعدلات الجهل بالدين وانتشار البدع وسط بيئة التصوف وبين جماعات المتصوفين في ازدياد مستمر .

هذا وقد امتلأت ديار المسلمين منذ حوالي ألف عام بعناصر صوفية ، انضوت تحت مذاهب وطرق بعضها نقيض الآخر . من حيث الممارسة وفن التعبير مما سمي (بالطريق) ، ذلك أن بعضهم لم يجد وسيلة للتعبير عن علاقته بربه ، بعد انطفاء نور العقل عندهم ، وقهرت أحكام الشريعة في حياتهم ، وأصبحوا نماذج إفساد في مجتمعاتهم يمارسون الرقص في حلقات والتصفيق مجموعات ، وذلك هو ما ميز ملامح الطرق الصوفية على طول مراحل التاريخ الأخير سوى الاستسلام للشيطان .

وقد لاحظ كُتّاب الفرق أن المتصوفة في سبيل نجاح ذلك الشكل الرمزي الذي استهووا به العامة وضعوا لأنفسهم شارات وعلامات ورايات ، واتخذوا طبولا ودفوفًا ، ونوتة موسيقية كاملة ، ومن اعتدل منهم ولم يلجأ إلى هذا الشكل المادي الحسي الذي يكاد أن يكون ضربًا من ضروب الوثنية ، والذي يشبه ما كان عليه بعض الجاهلين من اتخاذهم بين أساليب العبادة الوثنية المكاء والتصدية انشغل بما أسموه : الذكر الذي قسمه (السهروردي) في (عوارف المعارف) [٢] إلى أربعة أقسام .

ذكر باللسان ، وذكر بالقلب ، وذكر بالسر ، وذكر بالروح ، فإذا صح فيما زعموا ذكر الروح سكت السر والقلب واللسان عن الذكر ، وذلك عندهم هو ذكر المشاهدة .

وإذا صح ذكر السر سكت القلب واللسان عن الذكر ، وذلك ذكر الهيبة .

وإذا صح ذكر القلب فتر اللسان عن الذكر ، وذلك ذكر الآلاء والنعماء ـ فيما ذكروا ـ .

---

(١) النيسابوري : (عقلاء المجانين) دمشق عام ١٩٥٤ ص ٩٠ .

(٢) (عوارف المعارف) (السهروردي) المكتبة اللامية سنة ١٣٥٨ هـ ص ٥٦ .

وإذا غفل القلب عن الذكر أقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العبادة .

وبهذا الترتيب الذي لم يكن معروفًا ولا متداولاً في عصر صدر الإسلام ، فضلاً عن افتقاد معناه ودلالته وهيئته في السنة رتب المتصوفة منهجهم هذا ، إذ ترفع بعضهم عن الهبوط بمستوى الممارسة الصوفية إلى أساليب التأثيرات المادية والأشكال الرمزية ، والاستعانة بالأدوات الفنية .

هذا ويرى بعض الباحثين أنه قد نجا بعض رجال الصوفية وإن كانوا قلة قليلة من الوقوع في متاهات الطقوس المادية وأشكال الممارسة الرمزية التي تعاون على تقديس وتبجيل الصوفي من قبل أتباعة .

وحول هذا المعنى المزعوم يروي صاحب (الحلية) [(١)] عن منصور بن عمار الذي يقول فيما نسب إليه صاحب الحلية : (... تكلمت في مجلس فيه سفيان بن عيينة والفضيل ، وعبد الله بن المبارك فسالت دموعه ، وأما الفضيل فانتحب فلما قام الفضيل وابن المبارك قلت لسفيان يا أبا محمد : ما منعك أن يجيء منك ما جاء من صاحبك ؟ قال : هذا أكمد للحزن ، فإن الدمعة إذا خرجت استراح القلب) .

هذا وعلى نفس النهج الذي يعبر عنه في الفكر الغربي المعاصر بالمزاج (الميلودرامي) فإن ولع الصوفية في العصور المتأخرة التي غاب فيها عمل إسلامي راشد يقف في موجة انحرافهم قد دخل طور فن المناجاة والإيقاعية مع صخب التأثير الفني للأدوات الموسيقية وذلك للتأثير في الجماعة وإحداث هدير وصخب في حركتها بحيث تشيع العفوية والارتجالية ، بعيدًا عن كل التزام شرعي انطلاقًا من إحساسهم الخاص بما أسموه أهمية (الإشارة) قبل (العبارة) ، ليدفعهم ذلك النهج حين يملأهم الطرب ويستولي عليهم الاندماج في المقام إلى ما يشبه حلقات الرقص الفردي أو الجماعي ، ولا يستطيع المرء ، أن يميز بينهم وبين مجموعات ترقص في حانة للابتذال والفساد .

وفي هذا يقول (يحي بن معاذ المتوفي سنة ٢٥٨ هجرية) :

دققنا الأرض بالرقص على غيب معانيكا ولا عيب على رقص لعبد هائم فيكا

---

(١) (حلية الأولياء) أبو نعيم الأصهاني جـ ٧ ـ ص ٣٠٢ مطبعة السعادة بمصر عام ١٩٣٢ م .

وهذا دقنـا للأرض إذا طفنـا بواديكا[1]

هذا ويخطىء الصوفية تمامًا حين يربطون بين ما يعبرون عنه أثناء ممارستهم لطقوس التصوف بما أسموه : مذاقـات الحب والفنـاء في المحبوب ، وبين قول الرسول ﷺ : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا والإسلام دينًا وبمحمد رسولاً) فإن طعم الإيمـان لا تعبير عنه إلا بالإسلام ممثلاً فيما شرع الله لعباده وفق القواعد التي أرادها الله في كتابه ، وعلمهـا رسولـه ﷺ في سنتـه ، لا وفق الـذوق الصوفي ولا الوجـد الروحي ، حتى لا يجـد المسلم نفسه أمام متاهات النهج الصوفي وقد خرج تمامًا عن روح الشرع الإسلامي ولم يعد يملك منه حين يقوم به إلا أن يقول في سلبية ممجوجة كما يقول ابن العربي .

يارب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

وهذا الخلل الفكري في تناول أمور العقيدة الدينية الذي روج له المتصوفة دفع بعض البـاحثين من القـدامي والمحـدثين إلى الوقـوع في نفس المنزلـق الفكري الـذي يبعـد المسلم الـذي يتورط في الوقوع في هـذه المتـاهـة عن قواعـد الشرع الإسلامي وضـوابطـه ، حتى يصبح الأمر بعـد ذلـك أمـام المتصوفـة ميسرًا لمختلف كل الأذواق ، وسهل التنـاول لجميـع الأمزجة ، طـالمـا هم اطمأنوا إلى خـداع ذلـك المنطق المزعوم ، وهو أن جوهر العلم الـذي يشبه الوثن عند ابن العربي نهج يفوق التدين والالتزام بقواعد الشرع .

وفي هذا الخطأ الصوفي بل في هذا الخلل الفكري وقع بعض الباحثين [2] حين حـاول أن يترجم هذا الفساد السلوكي بأنه ديني بقولـه : (... والواقع أن التصوف يفوق التـدين والتفلسف في تخليص القلب لهذا الحب وتنقيته لا ستقبال تلك العاطفة ، وذلـك لأنـه في التدين التقليدي ، ينبغي أن تظل مجموعة من الأمور خافيـة عن الإنسـان ، بينمـا تحـاول التجربة الصوفية ، أن تميـط اللثـام عن كل شيء ، وأن تـذيب الفواصل التي تغلف هـذه الخافيات ...) .

وهذا النهج الفكري الذي أراده الصوفية في التفريق بين مـا ذهبوا إليـه وبين قواعـد التـدين الشرعي في العبـادات وغيرهـا ، والخروج عن نطـاق الالتزام بعقيـدة السلف هـو

---

(١) (اللمع) أبو نصر سراج الدين ـ القاهرة عام ١٩٦٠ ص ٤٥٢ .

(٢) (دكتور إبراهيم سيوني) : (نشأة التصوف الإسلامي) ـ دار المعارف مصر . عام ١٩٦٩ ص ١٦٧ .

المستهدف أصلاً من غزو الأفكار الغير الإسلامية للساحة الإسلامية ، وذلك لخلق جيل من المسلمين علاقتهم بربهم من خلال التدرج في مقامات الصوفية بدءًا من إرادة المريد حتى مقام الحلول المزعوم ؛ لكي يتم لهم كما يزعم بعض المتصوفة التفوق على التدين التقليدي والذي هو ارتباط بقواعد الشرع وعقيدة أهل السنة والجماعة ، وذلك حتى تحقق الصوفية أهدافها المباشرة والتي كانت بأثر مباشر من نظرية الفيض الغنوصية التي طورت على يد ابن عربي فيما بعد ، بعد أن دستها الثقافة اليونانية على يد الإسماعيلية الباطنية الذين كانوا أدوات نقل جيدة لأفكار الفرس واليهود واليونان والنصارى من بعد ، حتى يمكن عزل جمهور أمة الإسلام عن الاعتصام بحبل الله المتين وسنة نبيه ﷺ والانضواء تحت لواء أهل السنة والجماعة .

وهذا هو الدور الرئيسي الذي قامت به المذاهب الصوفية على امتداد ديار المسلمين حين عملوا على استقطاب أجيال من المسلمين بينهم وبين منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة فجوة نفسية وروحية وعقيدية ، سلطان شيخ الطريق على نفوسهم هو الذي يصنع هذه الفجوة وهو الذي ما بعده سلطان [١] .

رسوم التصوف وشعائره :

يقوم المذهب الصوفي بأشكاله المختلفة في العصر الحديث بعد أن مر بمراحل وتطورات عديدة أفسح فيها المجال دعاته والمؤمنون به والمرجون له للثقافات ، والمفاهيم والممارسات الغير الإسلامية حتى ولا العربية يقوم على جملة من الآراء والنظريات ومناهج التناول تدل على مدى تأثر الفكر الصوفي بالنهج الباطني الشعوبي القديم الذي كانت عليه عقائد الكهنة عند الفرس القدامي وبين يهود السبي إبان مراحل التشريد ، حين اضطروا لوضع قواعد ورسوم تنظم علاقاتهم بالكاهن أو القائم على أسرار الدين ومن هذه الرسوم على سبيل المثال لا الحصر ما يسميه المتصوفة بالطريق .

الطريق الصوفي ودلالاته :

الطريق الصوفي هو على ضوء ما كتب المتصوفة وما عرفه عنهم الراصدون والمؤرخون هو أن يختار جماعة من المريدين شيخًا لهم يسلك بهم رياضة خاصة بهم على

---

(١) (لويس ماسينيون) : (التصوف) ـ دار المعارف الإسلامية الجزء الخامس ص ٢٩٧ .

دعوى وزعم تصفية القلب لغاية الوصول إلى معرفة الله [١] .

بهذا التصور ومن خلال تلك الغاية يفرض الطريق على المرتدين أتباع الشيخ ، الاتباع الأعمى وتبجيله على اعتقاد من المريدين بأن الشيخ الصوفي (شيخ الطريق) قد انكشف له الحجاب وتجلت له الأقدار وعرف الأسرار إلى غير ذلك مما يروج على ألسنة أتباع الطريق [٢] .

وعلى المريد إن كان يريد الاستمرار والتدرج في طريق صعود الطريق المواظبة على ما يردده الشيخ من أدعية وأذكار ، على أن يكون في كل علاقاته بشيخه كما عبر الشيخ القشيري) [٣] : كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء ، لا حركة ولا تدبير ، وعندئذ يكون المريد قد أصبح عضوًا في طريق الله على حد ما يزعمون ، من خلال شيخ صوفي من أهل الطريق ، عرفوه بأنه : الولي الذي يتولى أمر أتباعه في قيادتهم نحو آخر المطاف في الطريق .

والولي عند الصوفية هو الواصل إلى مرتبة العرفان عن الطريق الموصلة إلى أهدافهم المتصورة ، وعلى ضوء حالات ومراحل المعرفة عندهم ، والتي هي فيما يعتقدون مما اصطلحوا هم عليه مرحلة : الكشف أو الإشراق [٤] .

هذا ويعتقد الصوفية جميعًا بغير خلاف ، القدامي منهم والمحدثون أن : العارف هو الذي تنكشف له الحجب ويشهد من علم الله مالا يشهده سواه ، وتظهر على يديه الكرامة التي عندهم أمر خارق للعادة يتكرر كبرهان لهذا الولي الصوفي المزعوم .

وقد ظل هذا النهج والتدرج في مراحل الطريق القائم والمعتمد على شخص بعينه أو من ينيبه عنه في حله وترحاله ، أو من يخلفه بعد مماته هو الشكل المادي ومصدر التوجيه الروحي الذي تلوذ به جماعة المريدين بغير تنظيم طرائقي في مراحل الصوفية المبكرة أي منذ القرن الرابع الهجري ، حتى أخذ العمل الصوفي العصور المتأخرة الشكل الجماعي والأسلوب التنظمي ، وأصبح بشكل أساسي أحد التيارات الاجتماعية المعبرة عن

---

(١) أبو حامد الغزالي (إحياء علوم الدين) جـ ٤ ص ٦٤ طبعة المعرفة .

(٢) (القشيري) (الرسالة القشيرية) تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود الطبعة الأولى ١٩٦٣ م صفحة ٩٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٠ .

(٤) أبو حامد الغزالي (إحياء علوم الدين) جـ ٣ ص ١٧ .

شكل سياسي في البلد الذي يعمل فيه أتباع الطريق في مواجهة شكل آخر .

هذا وقد أنشأ عبد القادر الجيلاني المتوفي سنة ٥٦١ هجرية الطريقة (القادرية) التي نرجح أنها أول طريقة منظمة لأهداف صوفية منذ ذلك التاريخ .

في هذا يقول الدكتور أحمد غلوش في مجلة المقتطف : ليس من خلاف بين الطرق الصوفية من حيث الأسس والمبادىء الأصلية ، وإنما الفرق في نوع الأذكار والأوراد التي يواظب عليها المريد من أتباع كل طريقة منها .

ثم يعقب على ذلك الدكتور أحمد غلوش متأثرًا إلى حد ما بمنهجهم فيقول : قد يفتح الله تعالى على واحد منهم بطريق الإلهام ، ويؤتى حظًّا كبيرًا من الأنوار القدسية فيكاشف بفائدة ذكر اسم معين من أسماء الله الحسنى ، فيكون ذلك سببًا أو أساسًا لإنشاء طريقة جديدة ، مشتقة من طريقته القديمة .. ومن ثم كان تعدد الطرق الصوفية على تقادم العصور [١] .

ولا نعتقد أن ذلك سبب كاف لتعدد وتنوع الطرق الصوفية بل نعتقد أن تعدد الطرق الصوفية إنما هو نهج باطني يستهدف بالتعدد إلقاء المزيد من الغموض والإبهام حول الأهداف والبواعث الحقيقية للحركة الصوفية باعتبارها فكرًا وافدًا على المنهج الإسلامي الصحيح استهدف تحريف العقيدة وتعطيل عقل الأمة في ارتباطه بشرع الله وسنة نبيه ﷺ .

هذا ويعتقد أتباع الطرق الصوفية ، أن سلوك الطريق يبدأ عند المريد باستشعار رغبة ملحة تستولي على القلب أي قلب الصوفي طبعًا فتنبعث بها في باطن المرء داعية قوية نحو تذوق الإيمان بالوجدان ، وعدم الوقوف عند حد التصديق أو اليقين الذي حصل عليه بالتوارث أو بالاستدلالات المنطقية والعقلية .

هذا ويبلغ الغلو الصوفي مداه وهو يكشف عن مدى تبلد عقل المتصوفة في النظر إلى قضايا العمل الشرعي والالتزام به حين يعبرون عن تدرج مراحل السالكين في الطرق الصوفية بقولهم : إن الرغبة في اتباع الطريق تأخذ في القلب ازديادًا وتمكنًا في القلب بمقدار صفاء الروح واستعداد النفس إلى الرقي الروحي ، فيتملكها الحنين والشوق إلى

---

(١) عمر رضا كحالة (الفلسفة الإسلامية وملحقاتها) ط دمشق عام ١٣٩٤ ـ ١٩٧٤ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

معرفة خالقها معرفة ذوقية لا نقلية [١] ولا عقلية ، ويغلب أن تساور الإنسان في هذه الحالة شكوك وظنون وأوهام خفية ، فيا يتعلق بالمعتقدات الدينية دون أن يجد من عقله مرشدًا كافيًا يحل معضلاتها ، فيلجأ عند ذلك أحد المرشدين إلى طريق الحق ، من المشايخ الصوفية المحققين العارفين بالله عند من يعتقد أنه سبق لهم سلوك هذا الطريق بعينه ، وهو مأذون ، من شيخه بالتسليك فيه ، ويطلب إليه أن يدخله في عداد أتباعه الآخذين في السلوك إلى الله على يديه ، ففي هذه الحالة يسمى الطالب مريدًا ، أي يريد السير في الطريق ، وهذه أولى المنازل وتسمى عند أتباع الطرق الصوفية منزلة : الإرادة ، وعندها يتلقاه الشيخ بالفرح والسرور ، ويأخذ عليه العهد بالتوبة من ذنوبه ، والتبري من حوله وقوته ، وإخلاص النية في مقصده ، وغايته القيام بما يفرضه الطريق على السائر فيه ، والأذكار والأوراد المشروعة عندهم ، فضلاً عن القيام بما يوجبه الذين من اتباع أوامره واجتناب نواهيه .

وهذه الفقرة الأخيرة هي اللازمة التقليدية التي تدس فيها مخاطر الطريق يوصي بملازمة التقوى في السر والعلانية ، ومراقبة الله في كل حال ثم يلقنه الذكر ، ويعطيه الأوراد ، ومن ثم يبدأ سلوك المريد ويسمى عند ذلك (سالكًا) ، جاعلاً أكثر همه في الدنيا الاشتغال بالعبادة والزهد والرياضة بحسب ما يرسمه له الشيخ فيقبل على الله بصدق النية وتصوفية القلب عما سوى الله ـ هكذا زعموا ـ حيث ينتقل بذلك إلى مقام يسمى مقام (العبودية) ويظل السالك يجاهد في الطريق نفسه وهواه حتى يتغلب عليهما بالإكثار من الضراعة والتذلل ، والتزلف إلى بارئه ، على أن تكون الضراعة ، بالأوراد والأذكار التي تميز الطريق عن غيره .. وعند هذه المرحلة يعتقد أهل الطرق الصوفية ، أنه بعد مقام (العبودية) يصبح العبد أهلاً لأن تقبل عليه العناية الإلهية بعد أن تقبل مناجاته وضراعاته لترتقي بعد ذلك في القلب لتصير عشقًا لله ، وعند هذه يكون ابن الطريق قد دخل مقام (العشق) [٢] . وعليه أن يظل سالكًا ومواظبًا على أذكاره وأوراده التي يتلقاها من شيخه ، وعلى ضوء توجيه شيخه تحسب الخطوات هنا في

---

(١) لاحظ هنا أن الهدف الصوفي هو أن تكون العلاقة بين الله وخلقه من خلال ذوق العبد وإحساسه لا من خلال كتاب الله وشرعه . فالهدف على ضوء النص الصوفي بين أيدينا ، أن تكون معرفة الله ذوقية لا نقلية وهذا بغير شك يخالف منهج أهل السنة والجماعة مما يتأكد معه خروج النهج الصوفي عن عقيدة السلف .

(٢) الشعراني (الطبقات الكبرى) جـ ١ ص ٦ طبعة مصر ١٣١٥ هـ .

هذا المقام بدقة محسوبة فإن كان السالك أهلاً للمزيد ، فإنه يشغل وقته قارنًا ذلك بالعزلة والخلوة والإقلال ما أمكن من الطعام والشراب والكلام والنوم ، حتى تتملكه فيما يزعم الصوفية حالة علوية شريفة ينتقل بها إلى مقام (الوجد والهيام وهو أسمى من مقام (العشق) [١] .

وعند هذا المقام الذي فيما زعم المتصوفة يستولى على جميع النفس ويعطل على الجوارح غالبًا ويقتل الهمة والإرادة الإنسانية ، بل يميت في نفس المسلم عقيدة الجهاد والعمل على تبليغ الدعوة استغراقًا وتفرغًا لقطع الطريق في متاهات وضروب الخط الصوفي الطويل .

عند هذا المقام المزعوم الذي يستولي على جميع النفس تتوارد على قلب السالك ما أسموه النفحات الربانية [٢] ، والبركات الإلهية تواردًا متصلا ، يعتقد أهل الطريقة من الدراويش أنه بها تزداد معرفة السالك الباطنية لصفات الذات العلية (تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا) . وهنا يصل السالك فيما زعموا إلى الحقيقة المجردة التي استهدفها يوم سلك الطريق ، وتسمى عندهم هذه المرحلة : (بمقام الحقيقة) .

وليت الأمر يقف عند هذا المستوى بالقوم فيما ضلوا به عند هذه الحقيقة المزعومة ، بل يعتقد أهل الطريق فيما زعموا أن وصول السالك إلى هذا المقام المدعي (الحقيقة) يمكنه من أن يظل يرتقي إلى منازل ثلاثة يزعمونها وتسمى عندهم التسمية التي تؤكد بنهاية الشوط الصوفي وقوع الأتباع والرواد في شرك الوثنية الحلولية التي قال بها اليهود والنصارى ومن قبل الفرس واليونان ، هذه المنازل الثلاثة هي : (الفناء ، اللقاء ، البقاء) .

وهذه المراحل الثلاث التي يعنون بها فناء العبد عن حظوظه وعن نفسه في الله ـ تعالى الله ـ على اعتقاد أنه أي العبد من خلالها تتجلى له عظمة الخالق سبحانه على قلب السالك ، فلا يرى أمامه إلا الله ، ولا يجد في الوجود جميعًا إلا واجب الوجود سبحانه ، وتمحى آثار الموجودات من أمام عينيه إلا وجود الله سبحانه . هم في هذا المقام يعتبرون السالك في سكر عن الوجود إلا ربه ، وعندئذ يكون المعنى الذي عناه الحلاج وضل به

(١) عمر رضا كحالة (الفلسفة إسلامية وملحقاتها) ص ٢٦٥ .

(٢) يراجع هذا الترتيب عند الصوفية في كتاب (هذه هي الصوفية) للعالم السلفي حامد الفقي تحقيق الدكتور سيد رزق الطويل صفحات ١٤٠ ـ ١٤٥ القاهرة .

وأضل (ما في الجبة إلا الله) قد أصبح أمام أهل الطريق محدد المعالم واضح القسمات كأنه لا يحمل بين صريحه ودلالته عقيدة كفر حلولية لا يمكن أن تقوم برهانًا أكثر من كونها تعبيرًا عن ردة تنقل صاحبها إلى معتقدات وعقائد الفرس واليونان ولا يمكن أن تكون تعبيرًا عن عقيدة الإيمان بالله في الإسلام .

هذه هي الأصول المشتركة لكل الطرق الصوفية . والنماذج عليها التي أتينا عليها هي بعض الملامح العامة لكل المنطلقات والغايات الصوفية وإن اختلفت الوسائل وتنوع الأداء وتعدد الأسلوب ، فإن الغاية المستهدفة هي خلق أجيال تنتسب إلى الإسلام وليست تعبيرًا عنه في جهاد أو كفاح فضلاً عن عقيدة تضبط وتوجه نهج حياة المسلمين ، بغير خضوع لذوق شيوخ الصوفية ولا تدريج مقامات الطريق [1] .

---

(١) عن كتاب دراسات الفرق للدكتور صابر طعيمة .

المهدية

التعريف :

المهدية واحدة من أبرز حركات الإصلاح التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي ، وهي ذات مضمون ديني سياسي شابته بعض الانحرافات العقائدية والفكرية ، ومايزال أحفاد المهدي وأنصاره يسعون لأن يكون لهم دور في الحياة الدينية والسياسية في السودان .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

أولاً : المؤسس :

ـ محمد أحمد المهدي بن عبد الله (١٢٦٠ ـ ١٣٠٢ هـ) (١٨٤٥ ـ ١٨٨٥ م) ، ولد في جزيرة لبب جنوب مدينة دنقلة ، يقال بأن نسبه ينتهي إلى الأشراف ، حفظ القرآن وهو صغير ونشأ نشأة دينية متتلمذاً على يد الشيخ محمود الشنقيطي ، سالكاً الطريقة السمانية القادرية الصوفية ، متلقيًا عن شيخها محمد شريف نور الدائم .

ـ فارق محمدٌ شيخَه لِما لاحظه عليه من تهاون في بعض الأمور وانتقل إلى الشيخ القرشي وَدْ الزين في الجزيرة وجدد البيعة على يديه ، ويلاحظ بأن شيخيه الأول والثاني من أشهر مشايخ الطرق الصوفية آنذاك .

ـ في عام ١٨٧٠ م استقر في جزيرة (آبا) حيث يقيم أهله والتزم أحد الكهوف مستغرقاً في التأمل والتفكير .

ـ وفي عام ١٩٢٧ هـ / ١٨٨٠ م توفي شيخه القرشي حيث قام المهدي بتشييد ضريحه وتجصيصه وبناء القبة عليه ، وصار خليفته من بعده حيث توافد عليه المبايعون مجددين الولاء للطريقة في شخصه .

ـ في عام ١٨٨١ م أصدر فتواه بإعلان الجهاد ضد (الكفار) والمستعمرين الإنجليز ، وأخذ يعمل على بسط نفوذه في جميع أنحاء غرب السودان .

ـ اعتكف أربعين يومًا في غاره بجزيرة (آبا) وفي غرة شعبان ١٢٩٨ هـ / ٢٩ يونيو

١٨٨١ م أعلن للفقهاء والمشايخ والأعيان أنه المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورًا وظلماً .

ـ قابل قوة الحكومة التي أرسلت لإخماد حركته في ١٦ رمضان ١٢٩٨ هـ / أغسطس ١٨٨١ م وأحرز عليها انتصارًا دعم موقفه ودعواه .

ـ هاجر إلى جبل ماسة ورفع راياته هناك ، وعين له أربعة من الخلفاء هم :

١ ـ عبد الله التعايشي : صاحب الراية الزرقاء ولقبه بأبي بكر .

٢ ـ على وَدْ حلو : صاحب الراية الخضراء ولقبه بعمر بن الخطاب .

٣ ـ محمد المهدي السنوسي : رئيس الطريقة السنوسية ذات النفوذ الكبير في ليبيا فقد عرض عليه المهدي منصب الخليفة عثمان بن عفان ، ولكن السنوسي تجاهله ولم يرد عليه .

٤ ـ محمد شريف : وهو ابن عم المهدي الذي جعل له الراية الحمراء ولقبه بعلي بن أبي طالب .

ـ في عام ١٨٨٢ م قابل الشلالي الذي أراد أن ينفذ إرادة جيجلر نائب الحكمدار عبد القادر حلمي ، وقد لاقى الشلالي حتفه في هذه المعركة .

ـ في ٣ نوفمبر ١٨٨٣ م التقى مع هكس الذي لاقى حتفه أيضًا بعد يومين من بداية المعركة .

ـ التقى جيش المهدي بجيش غوردون في الخرطوم ، وفي ٢٦ يناير ١٨٨٥ م اشتدت المعركة وقُتِل غوردون الذي حُزَّ رأسه وبُعِثَ به إلى المهدي الذي كان يأمل إلقاء القبض عليه حيًّا لتبادل به أحمد عرابي الذي أُجبر على مغادرة مصر إلى المنفى . وكان سقوط الخرطوم بين يدي المهدي آنذاك إيذانا بانتهاء العهد العثماني على السودان .

ـ من يومها لم يبق للمهدي منافس حيث قام بتأسيس دولته مبتدئًا ببناء مسجده الخاص الذي أتم تشييده في ١٧ جمادى الأولى ١٣٠٥ هـ .

ـ قلد القضاء للشيخ محمد أحمد جبارة ولقبه بقاضي الإسلام .

ـ وفي يوم ٩ رمضان ١٣٠٢ هـ / ٢٢ يونيو ١٨٨٥ م توفي المهدي بعد أن أسس أركان دولته الوليدة ، ودفن في المكان الذي قبض فيه . وجدير بالذكر أن هذه الدولة لم تدم طويلا ففي عام ١٨٩٦ م قضى اللورد كتشنر الذي كان سردارًا لمصر على هذه الدولة ونسف قبة المهدي ونبش قبره وبعثر هيكله وبعث بجمجمته إلى المتحف البريطاني انتقاما لمقتل غوردون .

ثانيًا : شخصيات أخرى :

ـ عبد الله التعايشي : ولد في دار التعايشة في دارفور ، وجاء المهدي في الحلاويين بالجزيرة وهو يشيد قبة على شيخه القرشي وبايعه ، وهو الذي قوّى في نفس المهدي ادعاءه المهدية ، وقد احتل عبد الله المكانة الأولى في حياة المهدي إذ كان رجل التطبيق والإدارة والتنفيذ .

ـ بعد موت المهدي صار عبد الله الخليفة الأول وذلك بناء على وصية من المهدي ذاته إذ كان يقول عنه : « هو مني وأنا منه » .

ـ عندما استلم منصب الخلافة تفرغ لبث الدعوة وجعل أخاه الأمير يعقوب مكانه الذي كان يحتله هو من المهدي .

ـ كتب إلى السلطان عبد الحميد وتطلع إلى بسط نفوذ المهدية إلى نجد والحجاز وغربي السودان .

ـ عبد الرحمن النجومي من القادة العسكريين ، وقد سار على رأس جيش كبير في ٣ رمضان ١٣٠٦ هـ / ٣ مايو ١٨٨٩ م متقدمًا نحو الشمال لملاقاة الجيش المصري لكنه رجع دون أن يحقق تقدمًا أو نصرًا .

ـ الشاعر الصوفي الحسين الزهراء (١٨٣٣ ـ ١٨٩٥ م) من رجال المهدية ، حاول أن يربط بين فلسفة ابن سينا الإشراقية وبين العقيدة المهدية .

ـ حمدان أبو عنجة كان قائد جيش المهدي أما هكس الذي التقاه خارج الأبيض .

ثالثًا : أحفاد المهدي :

ـ عبد الرحمن بن محمد أحمد المهدي (١٨٨٥ ـ ١٩٥٦ م) ولد في أم درمان وتلقى

تعليمًا دينيًّا وعندما شبَّ سعى لتنظيم المهدية بعد أن انفرط عقدها ، وصار في عام ١٩١٤ م زعيمًا روحيًّا للأنصار ، وفي عام ١٩١٩ م بعثت به الحكومة لتهنئة ملك بريطانيا بانتصار الحلفاء حيث قام بتقديم سيف والده هدية للملك الذي قبله ثم أعاده إلى عبد الرحمن طالبًا منه أن يحتفظ به لديه نيابة عن الملك وليدافع به عن الإمبراطورية ، وقد شكل هذا اعترافًا ضمنيًّا بالطائفة واعترافًا بزعامته لها . وقد أنشأ عبد الرحمن أيام الاستعمار الانجليزي على السودان (حزب الأمة) وهو حزب المهدية السياسي .

- الصديق بن عبد الرحمن : توفي عام ١٩٦١ م .

- الهادي بن عبد الرحمن : قتل في عام ١٩٧١ م .

- وقد انقسم حزب الأمة إلى ثلاثة أقسام :

أ - قسم برئاسة الصادق بن الصديق بن عبد الرحمن وهو أقوى الأقسام حاليًّا في السودان .

ب - قسم برئاسة أحمد بن عبد الرحمن .

جـ - قسم برئاسة ولي الدين عبد الهادي .

- المؤتمر العالمي لتاريخ المهدية أقيم في بيت المهدي بالخرطوم في الفترة من ٢٩ نوفمبر إلى ٢ ديسمبر ١٩٨١ م ، وقد ألقى أحمد بن عبد الرحمن المهدي كلمة في هذا الحفل .

الأفكار والمعتقدات :

- إن شخصية المهدي القوية ، والمعتقد الديني الذي يدعو إليه ، والسخط العام الذي كان سائدًا ضد الولاة الذين كانوا يفرضون الضرائب الباهظة على الناس ، وتفشي الرشوة والمظالم ، وسيطرة الأتراك والإنجليز ، كان لذلك كله دور مهم في تجمع الناس حول هذه الدعوة بهدف التخلص من الوضع المزري الذي هم فيه إذ وجدوا في المهدي المنقذَ والمخلصَ .

- دعا المهدي إلى ضرورة العودة مباشرة إلى الكتاب والسنة دون غيرهما من الكتب التي يرى أنها تبعد بخلافاتها وشروحها عن فهم المسلم البسيط العادي .

- أوقف العمل بالمذاهب الفقهية المختلفة ، وحرم الاشتغال بعلم الكلام ، وفتح باب

الاجتهاد في الدين ، وأقر كذلك كتاب كشف الغمة للشعراني ، والسيرة الحلبية ، وتفسير روح البيان للبيضاوي ، وجلال السيوطي .

ـ ألغى جميع الفرق الصوفية وأبطل جميع الأوراد داعيًا الجميع إلى نبذ الخلافات والالتفاف حول طريقته المهدية مؤلفًا لهم وردًا يقرؤونه يوميًا .

ـ قال بالقطبية وهي الفكرة التي يزعم أصحابها من المتصوفة أن الكون يرتكز عليها وأنها جوهر الكون ، وعليها يدور ، وأنها أساس السعادة .

ـ لما تحركت الحكومة لضرب المهدية في جزيرة (آبا) كتب المهدي خمس رايات رفع عليها شعار (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وعلى أربعة منها كتب على كل واحدة منها اسم واحد من الأقطاب الأربعة عند المتصوفة وهم : الجيلاني ، والرفاعي والدسوقي ، والبدوي . أما الخامسة فقد كتب عليها (محمد المهدي خليفة رسول الله) وعلى ذلك فهو يزعم أنه الإمام ، والمهدي ، وخليفة رسول الله .

ـ أبرز ما في دعوته إلحاحه الشديد على موضوع الجهاد والقوة والفتوة .

ـ يزعم المهدي بأن (مهديته) قد جاءته بأمر من رسول الله ﷺ إذ يقول : « وقد جاءني في اليقظة ومعه الخلفاء الراشدون والأقطاب والخضر عليه السلام وأمسك بيدي ﷺ وأجلسني على كرسيه وقال لي : أنت المهدي المنتظر ومن شكَّ في مهديتك فقد كفر » منشورات المهدي ص ١١ .

ـ نسب إلى نفسه (العصمة) وذكر بأنه (معصوم) نظرًا لامتداد النور الأعظم فيه من قبل خلق الكون إلى يوم القيامة !! .

ـ كان يلح على ضرورة التواضع وعدم البطر وتشديد النكير على الانغماس في الملاذ والبذخ والنعمة ، ويعمل على التقريب بين طبقات المجتمع ، وقد عاش حياته يلبس الجبة المرقعة هو وأتباعه ، لكن أحفاده من بعده عاشوا في ترف ونعيم .

ـ حَرَّمَ الاحتفال بالأعراس والختان احتفالا يدعو إلى النفقة والإسراف .

ـ يَسَّرَ الزواج بتخفيف المهور وبساطة الولائم وتحريم الرقص والغناء وضرب الدفوف.

ـ منع البكاء على الأموات ، وحرم الاشتغال بالرقى والتمائم ، وحارب شرب الدخان

وزراعته والاتجار به ، وشدد في تحريمه .

ـ أقام حدود الشريعة في أتباعه كالقصاص وحيازة خمس الغنائم ومصادرته للسارقين والخمارين ، وسكّ العملة باسمه ابتداء من فبراير ١٨٨٥ م جمادي الأولى ١٣٠٢ هـ .

ـ أقام في المنطقة التي امتد إليها نفوذه نظامًا إسلاميًّا ، ونظم الشئون المالية وعين الجباة لجمع الزكاة .

ـ في العاشر من ربيع الأول عام ١٣٠٠ هـ تطلع المهدي إلى عالمية الدعوة حيث أعلن أن الرسول ﷺ قد بشره بأنه سيصلي في الأُبَيِّض ثم في بربر ثم في المسجد الحرام بمكة فمسجد المدينة فمسجد القاهرة وبيت المقدس وبغداد والكوفة (منشورات المهدي دار الوثائق المركزية ـ ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ ـ الخرطوم ١٩٦٩) .

بعض الانتقادات الموجهة لاجتهادات المهدي :

١ ـ لقد كفَّر المهدي من خالفه أو شك في مهديته ولم يؤمن به .

٢ ـ سمّى الزمان الذي قبله زمان الجاهلية أو الفترة .

٣ ـ جعل المتهاون في الصلاة كالتارك لها جزاؤه أن يقتل حدًا .

٤ ـ أفتى بأن من يشرب التنباك يؤدب حتى يتوب أو يموت .

٥ ـ جعل المذاهب الفقهية والطرق الصوفية مجرد قنوات تصب في بحره العظيم !!.

٦ ـ منع حيازة الأرض لأنها لا تملك إذ إنها محجوزة لبيت المال .

٧ ـ نهى عن زواج البالغة بلا ولي ولا مهر .

٨ ـ منع النساء من لبس الحلي من الذهب والفضة وهي مباحة شرعًا .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ تأثر المهدي بالشيعة في ادعائه (المهدية) التي ستملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلمًا وجورًا ، وفي التأكيد على أهمية نسبه الممتد إلى الحسن بن علي ، وفي فكرة العصمة والإمام المعصوم .

ـ أخذ عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب قوله بضرورة الأخذ عن الكتاب والسنة مباشرة ، وفتح باب الاجتهاد ، ومحاربته لبناء القبور .

ـ كان للفكر الصوفي دور مهم في رسم شخصية المهدي وطريقته .

ـ أخذ عن جمال الدين الأفغاني وعن الإمام محمد عبده الذي كان على صلة بأفكاره الداعية إلى تحرير البلاد الإسلامية من الاستعمار الأوروبي وتوحيدها وضرورة تطبيق الشريعة في حياة المسلمين .

ـ كان المهدي قريبًا من الأحداث الجارية في مصر وبالذات حركة أحمد عرابي الداعي إلى التحرير والاستقلال عن السيطرة الإنجليزية .

الانتشار ومواقع النفوذ :

ـ ابتدأ المهدي دعوته من جزيرة (آبا) التي ما تزال مركزًا قويًّا للمهدية إلى الآن ، وقد وثق صلته بالقبائل في مختلف أنحاء السودان .

ـ كانت مالية الدولة مكونة مما يجبي من زكاة وجبايات على البضائع والمشروعات والسواقي والغنائم الحربية والمحصولات والأنعام والماشية .

ـ تطلع المهدي وخليفته التعايشي لنقل المهدية إلى خارج السودان لكن هذا الأمل تلاشى بسقوط طوكر عام ١٨٩١ م .

ـ ما يزال للمهدية أنصار كثيرون يجمعهم (حزب الأمة) الذي يسهم في الأحداث السياسية الحالية في السودان ، كما أن لهم تجمعًا وأنصارًا في أمريكا وبريطانيا يعملون على نشر أفكارهم ومعتقداتهم بين أبناء الجاليات الإسلامية بعامة والسودانيين بخاصة .

التجانية

التعريف :

التجانية : فرقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها شيئًا خاصًا بهم كالاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي ﷺ مقابلة مادية واللقاء به لقاءً حسيًا في هذه الدنيا ، وأن النبي عليه الصلاة والسلام قد خصهم بصلاة (الفاتح لما أُغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

ـ المؤسس هو : أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد سالم التجاني ، وقد عاش ما بين (١١٥٠ ـ ١٢٣٠هـ) (١٧٣٧ ـ ١٨١٥ م) وكان مولده في قرية ، (عين ماضي) من قرى الصحراء بالجزائر حالياً .

ـ درس العلوم الشرعية ، وارتحل متنقلاً بين فاس وتلمسان وتونس والقاهرة ومكة والمدينة ووهران .

ـ أنشأ طريقته عام (١١٩٦ هـ) في قرية أبي سمغون ، وصارت (فاس) المركز الأول لهذه الطريقة ، ومنها تخرج الدعوة لتنتشر في أفريقيا بعامة .

ـ أبرز آثاره التي خلفها لمن بعده زاويته التجانية في فاس ، وكتابه (جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني) الذي قام بجمعه تلميذه علي حرازم .

ـ من مشاهيرهم بعد المؤسس :

ـ علي حرازم أبو الحسن بن العربي برادة المغربي الفاسي وقد توفي في المدينة المنورة .

ـ محمد بن المشري الحسني السايحي السباعي (ت ١٢٢٤هـ) صاحب كتاب (الجامع لما افترق من العلوم) وكتاب (نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء) .

ـ أحمد سكيرج العياشي (١٢٩٥ ـ ١٣٦٣ هـ) ولد بفاس ، ودرس في مسجد القرويين ، وعين مدرسًا فيه ، تولى القضاء ، وزار عددًا من مدن المغرب ، وله كتاب (الكوكب الوهاج سنة ١٣١٨ هـ) وكتاب (كشف الحجاب عمن تلاقى مع سيدي أحمد التجاني من الأصحاب) .

- عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي السنغالي : ولد سنة ١٧٩٧ م في قرية « الفار » من بلاد « ديمار » بالسنغال حاليًا ، تلقى علومه في الأزهر ، ولما رجع إلى بلاده أخذ ينشر علومه بين الوثنيين ، وكانت له جهود طيبة في مقاومة الفرنسيين ، وقد كانت وفاته سنة ١٢٨٣ هـ وخلفه من بعده اثنان من أتباعه ، وأهم مؤلفاته (رماح حزب الرحيم على نحور الرجيم) الذي كتبه سنة (١٢٦١هـ / ١٨٤٥م) .

- محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم الشريف الحسني التجاني المصري (١٣١٥ - ١٣٩٨ هـ) وهو رائد التجانية في مصر ، وقد خلف مكتبة موجودة الآن في الزاوية التجانية بالقاهرة وله كتاب (الحق في الحق والخلق) وله (الحد الأوسط بين من أفرط ومن فرط) و(شروط الطريقة التجانية) كما أسس مجلة (طريق الحق) سنة ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠ م .

الأفكار والمعتقدات :

- من حيث الأصل هم مؤمنون بالله سبحانه وتعالى .

- ينطبق عليهم ما ينطبق على الطرق الصوفية بعامة من حيث التمسك بمعتقدات المتصوفة وفكرهم وفلسفتهم ومن ذلك إيمانهم بوحدة الوجود (انظر جواهر المعاني ١ / ٢٥٩) وإيمانهم بالفناء الذي يطلقون عليه اسم (وحدة الشهود) (انظر كذلك جواهر المعاني ١ / ١٩١) .

- يقسمون الغيب إلى قسمين : غيب مطلق استأثر الله لعلمه ، وغيب مقيد وهو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض .

- يزعمون بأن مشائخهم يعلمون الغيب فضلا عن الأنبياء ، فهم يقولون عن شيخهم أحمد التجاني (.. ومن كماله - رضي الله عنه - ونفوذ بصيرته الربانية وفراسته النورانية التي ظهر بمقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب ، وفي غيرها من إظهار المضمرات وإخبار بمغيبات وعلم بعواقب الحاجات وما يترتب عليها من المصالح والآفات وغير ذلك من الأمور الواقعات) انظر الجواهر ١ / ٦٣ .

- يدّعي زعيمهم أحمد التجاني بأنه قد التقى بالنبي ﷺ لقاءً حسيًا ماديًا وأنه قد كلمه مشافهة ، وأنه قد تعلم من النبي عليه الصلاة والسلام صلاة (الفاتح لما أغلق) .

- صيغة هذه الصلاة : « اللهم صلّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، الهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم » ولهم في هذه الصلاة اعتقادات نسوق منها :

- إن الرسول ﷺ قد أخبره بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات .

- إن الرسول ﷺ قد أخبره مرة ثانية بأن المرة الواحدة منها تعدل من كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ، ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه كان من الأذكار (الجواهر ١ / ١٣٦) .

- إن الفضل لا يحصل بها إلا بشرط أن يكون صاحبها مأذونًا بتلاوتها ، وهذا يعني تسلسل نسب الإذن حتى يصل إلى أحمد التجاني الذي تلقاه عن رسول الله - كما يزعم - .

- إن هذه الصلاة هي من كلام الله تعالى بمنزلة الأحاديث القدسية (الدرة الفريدة ٤ / ١٢٨) .

- إن من تلا صلاة الفاتح عشر مرات ، لو عاش العارف بالله ألف ألف سنة ولم يذكرها ، كان أكثر ثوابًا منه .

- من قرأها مرة كفرت بها ذنوبه ، ووزنت له ستة آلاف من كل تسبيح ودعاء وذكر وقع في الكون .. إلخ (انظر كتاب مشتهى الخارف الجاني ٢٩٩ - ٣٠٠) .

- يلاحظ عليهم شدة تهويلهم للأمور الصغيرة ، وتصغيرهم للأمور العظيمة ، على حسب هواهم ، مما أدى إلى أن يفشو التكاسل بينهم والتقاعس عن أداء العبادات والتهاون فيها وذلك لما يشاع بينهم من الأجر والثواب العظيمين على أقل عمل يقوم به الواحد منهم .

- يقولون بأن لهم خصوصيات ترفعهم عن مقام الناس الآخرين يوم القيامة ومن ذلك :

- أن تخفف عنهم سكرات الموت .

- أن يظلهم الله في ظل عرشه .

- أن لهم برزخًا يستظلون به وحدهم .

أنهم يكونون مع الآمنين عند باب الجنة حتى يدخلوها في الزمرة الأولى مع المصطفى ﷺ وأصحابه المقربين .

- يقولون بأن النبي ﷺ قد نهى أحمد التجاني عن التوجه بالأسماء الحسنى ، وأمره بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق (وهذا مخالف لصريح الآية الكريمة ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾) .

- يفترون زاعمين بأن النبي ﷺ قد كتم عن الأمة المسلمة شيئًا مما أوحي إليه به من ربه ، وقد ادخره حتى حان وقت إظهاره حيث باح به لشيخهم أحمد التجاني ، ومن ذلك صلاة الفاتح لما أغلق آنفه الذكر وهذا مخالف لقوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ .

- هم كباقي الطرق الصوفية يجيزون التوسل بذات النبي ﷺ وعباده الصالحين ويستمدون منه ومنهم من الشيخ عبد القادر الجيلاني ومن أحمد التجاني ذاته ، وهذا مما نهى عنه شرع الله الحكيم .

- تتردد في كتبهم كثير من ألقاب الصوفية كالنجباء والنقباء والأبدال والأوتاد ، وتترادف لديهم كلمتا الغوث والقطب (الذي يقولون عنه بأنه ذلك الإنسان الكامل الذي يحفظ الله به نظام الوجود !!) .

- يقولون بأن أحمد التجاني هو خاتم الأولياء مثلما أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء .

- يقول أحمد التجاني (من رآني دخل الجنة) ويزعم بأن من حصل له النظر إليه في يومي الجمعة والاثنين دخل الجنة ، ويؤكد على أتباعه بأن النبي ﷺ ذاته قد ضمن له ولهم الجنة يدخلونها بغير حساب ولا عقاب .

- ينقلون عن أحمد التجاني قوله : « إن كل ما أعطيه كل عارف بالله أعطي لي » .

- وكذلك قوله : إن طائفة من أصحابه لو وزنت أقطاب أمة محمد ما وزنوا شعرة فرد من أفرادهم ، فكيف به هو !! .

- وقوله : إن قَدَمَيَّ هاتين على رقبة كل ولي من لدن خلق الله آدم إلى النفخ في الصور .

ـ لهم ورد يقرأونه صباحًا ومساءً ، ووظيفة تقرأ في اليوم مرة صباحًا أو مساءً ، وذكر ينعقد بعد العصر من يوم الجمعة على أن يكون متصلا بالغروب ، والأخيران الوظيفة والذكر يحتاجان إلى طهارة مائية ، وهناك العديد من الأوراد الأخرى لمناسبات مختلفة .

ـ من أخذ وردًا فقد ألزم نفسه به ولا يجوز له أن يتخلى عنه وإلا هلك وحلت به العقوبة العظمى !! .

ـ نصَّب أحمد التجاني نفسه في مقام النبوة يوم القيامة إذ قال : « يوضع لي منبر من نور يوم القيامة ، وينادي مناد حتى يسمعه كل من في الموقف : يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كنتم به تستمدون منه من غير شعوركم » انظر الإفادة الأحمدية ص ٧٤ .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ مما لا شك فيه بأنه قد استمد معظم آرائه من الفكر الصوفي وزاد عليها شيئًا من أفكاره .

ـ نهل من كتب عبد القادر الجيلاني وابن عربي والحلاج وغيرهم من أعلام المتصوفة .

ـ خلال فترة تشكله قبل تأسيس الطريقة قابل عددًا من مشايخ الصوفية وأخذ إذنًا وأورادًا عنهم وأبرز تلك الطرق القادرية والخلوتية .

ـ استفاد من كتاب (المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا أبي عبد الله أحمد) تأليف أبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسيني والمطبوع بفاس سنة ١٣٥١ هـ .

ـ كان لانتشار الجهل أثر كبير في ذيوع طريقته بين الناس .

الانتشار ومواقع النفوذ :

ـ بدأت هذه الحركة من فاس ومازالت تنتشر حتى صار لها أتباع كثيرون في بلاد المغرب والسودان الغربي (السنغال) ونيجيريا وشمالي أفريقيا ومصر والسودان وغيرها من أفريقيا .

ـ صاحب كتاب (التجانية) علي بن محمد الدخيل الله يقدر في عام ١٤٠١ هـ الموافق ١٩٨١ م عدد التجانيين في نيجيريا وحدها بما يزيد عن عشرة ملايين نسمة .

البلاليون

THE BILALIANS

التعريف :

« أمة الإسلام » ، حركة ظهرت بين السود في أمريكا وقد تبنت الإسلام بمفاهيم خاصة غلبت عليها الروح العنصرية ، عرفت فيما بعد باسم (البلاليين) بعد أن صححت كثيرًا من معتقداتها وأفكارها .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

- مؤسس هذه الحركة والاس د . فارد Wallace D. Fard وهو شخص أسود غامض النسب ، ظهر فجأة في ديترويت عام ١٩٣٠ م داعيًا إلى مذهبه بين السود ، وقد اختفى بصورة غامضة في يونيو ١٩٣٤ م .

- اليجابول Elijah Pool أو اليجا محمد (١٨٩٨ - ١٩٧٥ م) التحق بالحركة وترقى في مناصبها حتى صار رئيسًا لها وخليفة لفارد من بعده ، زار السعودية عام ١٩٥٩ م وتجول في تركيا وأثيوبيا والسودان والباكستان يرافقه ابنه والاس محمد الذي كان يقوم بالترجمة .

- مالكم اكس (مالك شباز) : كان وزيرًا للمعبد رقم (٧) بنيويورك . خطيب ومفكر قام برحلة إلى الشرق العربي وحج عام ١٩٦٣ م ، ولما عاد تنكر لمبادىء الحركة العنصرية وخرج عليها وشكل فرقة عرفت باسم (جماعة أهل السنة) وقد اغتيل في ٢١ فبراير ١٩٦٥ م .

- الوزير لويس فرخان Lwis Farrakhan الذي دخل في الإسلام عام ١٩٥٠ م وخلف مالكم اكس على معبد رقم (٧) وهو أيضًا خطيب وكاتب ومحاضر ، وهو على صلة قوية حاليًا بالعقيد القذافي ، يدعو إلى قيام دولة مستقلة بالسود في أمريكا ما لم يحصلوا على حقوقهم الاجتماعية والسياسية كاملة .

- والاس و . محمد : الذي تسمى باسم (وارث الدين محمد) ولد في ديترويت ٣٠ أكتوبر ١٩٣٣ م وعمل وزيرًا للحركة في معبد فيلادلفيا ١٩٥٨ م - ١٩٦٠ م وأدى فريضة الحج عام ١٩٦٧ م كما تكررت زياراته للمملكة العربية السعودية .

انفصل عن الحركة وتخلى عن مبادئ والده عام ١٩٦٤ م لكنـه عـاد إليهـا قبيل وفـاة والده بخمسة أشهر آملا في إدخال إصلاحات على الحركة من داخلها .

- قام بزيارة للمركز الإسلامي بواشنطن في ديسمبر ١٩٧٥ م .

- حضر المؤتمر الـذي عقـدتـه رابطـة العـالم الإسـلامي في نيـوأرك بـولايـة نيـوجرسي ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

- حضر على رأس وفد المؤتمر الإسلامي المنعقد في كندا عام ١٩٧٧ م وفي كل مرة منها كان يعلن عن صدق توجهه الإسلامي وأنه سيسعى إلى تغيير المفاهيم الخاطئة في جماعته .

- زار المملكـة العربيـة السعوديـة عـام ١٩٧٦ م وتركيـا وعـددًا من بلاد الشرق وكان يقابل كبار الشخصيات في البلاد التي يزورها .

- أعلن في عام ١٩٧٥ م عن الشخصيات التي سيعتمد عليها في رئاسته للجماعة والـذين من أبرزهم :

• مساعد خاص له : كريم عبد العزيز ودكتور نعيم أكبر .

• المتحدث باسم المنظمة : عبد الحليم فرخان .

• مستشارون للنواحي الثقافيـة : د . عبـد العليم شبـاز ، د . فـاطمـة علي ، فهميـة سلطان .

• الأمين العام : جون عبد الحق .

• اليجا محمد الثاني : رئيس القيادة العسكرية .

• ريموند شريف : صار وزيرًا للعدل بعـد أن كان قـائـدًا أعلى لحرس الحركـة المسمى ثمرة الإسلام Fruit of Islam ويرمز إليه بالرمز F.O.I. والذي تأسس منذ عام ١٩٣٧ م .

• أمينة رسول : مسئولة عن جهاز تطوير المرأة M.G.T. .

• د . مكيل رمضان : الممثل لكافة لجان المساجد ورئيس لجنة التوجيه .

• ثيرون مهـدي : الـذي انضم للحركـة عـام ١٩٦٧ م رئيسًا لهيئـة اكتشـاف الفسـاد والآفات الاجتماعية بين أفراد الحركـة والتي تشكلت عـام ١٩٧٦ م تحت اسم Blight Arrest

Pioneer Paitolويرمز إليها بـ .B.A.P.R وهي بديلة عن الـ .F.O.I .

● ـ إبراهيم كمال الدين : المشرف علي هيئة فرقة الأرض الحديثة New Earth Team (.N.E.T) للإشراف على مشروع الإسكان في الناحية الجنوبية من شيكاغو .

● سلطان محمد : أحد أحفاد اليجا محمد : يقال بأنه على فهم جيد للإسلام ، وهو إمام معبد واشنطن .

● محمد علي كلاي : الملاكم العالمي المعروف : يقال بأن مالكم اكس هو الذي اجتذبه إلى الحركة كما أنه كان أحد أعضاء المجلس الذي أنشأه والاس محمد بعد استلامه رئاسة الحركة من أجل التخطيط للأمور المهمة في الجماعة .

الأفكار والمعتقدات :

لابد من ملاحظة أن أفكار هذه الحركة قد تطورت تدريجيًا متأثرة بشخصية الزعيم الذي يدير أمورها ، ولذا فإنه لابد من تقسيم تطور الحركة إلى ثلاث فترات .

أولا : في عهد والاس د . فارد :

ـ عرفت المنظمة منذ تأسيسها باسم « أمة الإسلام » Nation of Islam كما عرفت باسم آخر هو (أمة الإسلام المفقودة المكتشفة) .

ـ التأكيد على الدعوة إلى الحرية والمساواة والعدالة والعمل على الرقي بأحوال الجماعة .

ـ التركيز على تفوق العنصر الأسود وأصالته والتأكيد على انتائهم إلى الأصل الأفريقي والتهجم على البيض ووصفهم بالشياطين .

ـ العمل على تحويل أتباعه من التوراة والإنجيل إلى القرآن .

ـ أنشأ منظمتين واحدة للنساء أطلق عليها اسم (تدريب البنات المسلمات Muslim Girls Trailning) ويرمز لها بالرمز (M.G.T) وأخرى للرجال أسماها (ثمرة الإسلام) بغية إيجاد جيش قوي يحمي الحركة ويدعم مركزها الاجتماعي والسياسي .

ثانيًا : في عهد اليجا محمد :

ـ أعلن اليجا محمد أن الإله ليس شيئًا غيبيًا ، بل يجب أن يكون متجسدًا في شخص ، وهذا الشخص هو فارد الذي حل فيه الإله ، وهو جدير بالدعاء والعبادة .

وقد أدخل بذلك مفاهيم باطنية على فكر جماعته .

- اتخذ لنفسه مقام النبوة Prophet وصار يتصف بلقب رسول الله Messenger of Allah .

- حرم على أتباعه المراهنة وشرب الخمور والتدخين والتخمة في الطعام والزنى ومنع اختلاط المرأة برجل أجنبي عنها ، وحثهم على الزواج داخل أبناء وبنات الحركة ومنعهم من ارتياد أماكن اللهو والمقاهي العامة .

- الإصرار على إعلاء العنصر الأسود واعتباره مصدرًا لكل معاني الخير مع الاستمرار في ازدراء العرق الأبيض ووصفه بالضعة والدونية ، ولا شك بأن الاكتتاب في الحركة مقصور على السود دون البيض بشكل قطعي لا مجال لمناقشته إطلاقًا .

- لا يؤمن اليجا محمد إلا بما يخضع للحس ، وعليه فإنه لا يؤمن بالملائكة ولا يؤمن كذلك بالبعث الجسماني إذ إن البعث لديه ليس أكثر من بعث عقلي للسود الأمريكيين .

- لا يؤمن بختم الرسالة عند محمد ﷺ ويعلن أنه هو خاتم الرسل إذ ما من رسول إلا ويأتي بلسان قومه وهو أي - اليجا محمد - قد جاء نبيًا يوحى إليه من قبل فارد بلسان قومه السود .

- يؤمن بالكتب السماوية ، لكنه يؤمن بأن كتابًا خاصًا سوف ينزل على قومه السود والذي سيكون بذلك الكتاب السماوي الأخير للبشرية .

- الصلاة على عهده عبارة عن قراءة للفاتحة أو آيات أخرى ودعاء مأثور مع التوجه نحو مكة واستحضار صورة فارد في الأذهان ، وهي خمس مرات في اليوم .

- صيام شهر ديسمبر من كل عام عوضًا عن صوم رمضان .

- يدفع كل عضو عُشْرَ دخله للحركة .

- ألف عددًا من الكتب التي تبين أفكاره ، منها :

١ - رسالة إلى الرجل الأسود في أمريكا Message to the black Man .

٢ - منقذنا قد وصل Our saviour has arrived .

٣ ـ كتاب الحكمة العليا Surpeme Wisdom .

٤ ـ سقوط أمريكا The fall of America

٥ ـ كيف تأكل وكيف تعيش How to eat to live .

ـ أنشأ صحيفة تنطق بلسانهم أسماها (محمد يتكلم Muhammad speaks) .

ثالثاً : في عهد وارث الدين محمد :

ـ في ٢٤ نوفمبر ١٩٧٥ م اختار وارث الدين اسمًا جديدًا للمنظمة هو (البلاليون) نسبة لبلال الحبشي مؤذن رسول الله ﷺ .

ـ ألغى وارث الدين في ١٩ يونيو ١٩٧٥ م قانون منع البيض من الانضمام إلى الحركة وفي نوفمبر ١٩٧٦م ظهر في قاعة الاحتفالات عدد من البيض المنضمين إليهم جنبًا إلى جنب مع السود .

ـ العلم الأمريكي صار يوضع إلى جانب علم المنظمة بعد أن كان ذلك العلم يمثل الرجل الأبيض ذا العيون الزرقاء ،الشيطان ، القوقازي .

ـ في ٢٩ أغسطس ١٩٧٥ م صدر قرار بضرورة صوم رمضان والاحتفال بعيد الفطر .

وفي ١٤ نوفمبر ١٩٧٥م تحول اسم الصحيفة من (محمد يتكلم) إلى (بلاليان نيوز) (Bilalian News) .

ـ أعلن أن لقبه هو الإمام الأكبر بدلا من رئيس الوزراء كما أنه غير كلمة وزراء المعابد إلى كلمة إمام وقد حصر اهتمامه بالأمور الدينية بينما وزع الأمور الأخرى على القياديين في الحركة .

ـ تم إعداد المعابد لتكون صالحة لإقامة الصلاة .

ـ أصدر في ٣ أكتوبر ١٩٧٥ م أمراً بأن تكون الصلاة على الهيئة الصحيحة المعروفة لدى المسلمين خمس مرات في اليوم .

ـ التأكيد على الخلق الإسلامي والأدب والذوق وحسن الهندام ولبس الحشمة بالنسبة للمرأة .

ـ يقوم الدعاة في الحركة بزيارة السجون لنشر الدعوة بين المساجين وقد لاحظت سلطات الأمن أن السجين الأسود الذي يعرف عنه التمرد وعدم الطاعة داخل السجن يصبح أكثر استقامة وانضباطًا بمجرد دخوله في الإسلام ، ومن هنا فإن السلطات تسر بقيام الدعاة بدعوتهم هذه بين المساجين .

ـ تصحيح المفاهيم الإسلامية التي اعتنقتها الحركة منذ أيام فارد واليجا محمد بطريقة خاطئةومحاولة تصويبها .

ـ إن الأمور التي ذكرناها سابقًا لا تدل على أن الحركة قد توجهت توجهًا إسلاميًا صحيحًا مائة بالمائة ، لكنها تدل على أن هناك تحسنًا نوعيًا قد طرأ على أفكار ومعتقدات الحركة قياسًا لما كانت عليه في عهد من سبقه ، وهي ماتزال بحاجة إلى إصلاحات عقائدية وتطبيقية حتى تكون على الجادة الإسلامية .

ـ لقد اضطربت الأمور كثيرًا بين قادة الحركة وكان محصلة هذا الاضطراب أن أعلن وارث الدين في ٢٥ مايو ١٩٨٥ م حل الجماعة وترك كل شعبة من شعبها تعمل بشكل منفرد ، وكل يوم هناك الجديد في المصير الذي ستؤول إليه الحركة .

ـ هناك محاولات يقوم بها القذافي ومحاولات تقوم بها إيران بغية احتواء الحركة وتسييرها وفق الأهواء الخاصة بكل منا ، وهناك شخصيات جديدة تظهر وزعامات تختفي وانقسامات تهدد الجميع .

الجذور الفكرية والعقائدية :

قامت هذه الحركة على انقاض حركتين قويتين ظهرتا بين السود هما :

١ ـ الحركة (المورية) التي دعا إليها الزنجي الأمريكي تيموثي نوبل درو علي (Timothy Drew Ali) (١٨٨٦ـ ١٩٢٩ م) والذي أسس حركته سنة ١٩١٣ م وهي دعوة فيها خليط من المبادئ الاجتماعية والعقائدية الدينية الآسيوية المختلفة وهم يعدون أنفسهم مسلمين لكن حركتهم أصيبت بالضعف إثر وفاة زعيمها .

٢ ـ منظمة ماركوس جارفي (Marcus Garvey) (١٨٨٧ ـ ١٩٤٠ م) والذي أسس منظمة سياسية للسود سنة ١٩١٦ م تحت اسم (Universal Negro improvement

Associtation) وتتصف هذه الحركة بأنها نصرانية لكن على أساس جعل المسيح أسود وأمه سوداء وقد أبعد زعيمها عن أمريكا سنة ١٩٢٥ م مما أدى كذلك إلى اندثار هذه الحركة .

ـ « لهذا يمكن أن يقال بأن هذه الحركة تنظر إلى الإسلام على أنه إرث روحي يمكن أن ينقذ السود من سيطرة البيض ويدفع بهم إلى تشكيل أمة خاصة متميزة لها حقوقها ومكاسبها ومكانتها .

الانتشار ومواقع النفوذ :

ـ يبلغ عدد السود في أمريكا أكثر من ٣٥ مليون نسمة منهم حوالي مليون مسلم .

ـ يسمون مساجدهم معابد (Temples) ولهم الآن ثمانون شعبة في مختلف المدن الأمريكية كما أن مدارسهم قد بلغت أكثر من ٦٠ معهدًا في شتى أنحاء أمريكا وتخصص الحصة الأولى كل يوم لتعليم الدين الإسلامي .

ـ يتركز المسلمون السود في ديترويت وشيكاغو وواشنطن ويحلمون بقيام دولة مستقلة ، وهم يناصرون قضايا السود بعامة .

الصائبة المندائيون

التعريف :

الصابئة المندائية هي الطائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم والتي تعتبر « يحي » عليه السلام نبيًّا لها ، يقدّس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها ، ويعتبر الاتجاه نحو نجم القطب الشمالي وكذلك التعميد في المياه الجارية من أهم معالم هذه الديانة التي يجيز أغلب فقهاء المسلمين أخذ الجزية من معتنقيها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

- يدّعي الصابئة المندائيون بأن دينهم يرجع إلى عهد آدم عليه السلام .

- ينتسبون إلى سام بن نوح عليه السلام ، فهم ساميون .

- يزعمون أن يحي عليه السلام هو نبيهم الذي أرسل إليهم .

- كانوا يقيمون في القدس ، وبعد الميلاد طردوا من فسلطين فهاجروا إلى مدينة حران فأثروا هناك بمن حولهم وتأثروا بعبدة الكواكب والنجوم من الصابئة الحرانيين .

- ومن حران هاجروا إلى موطنهم الحالي في جنوبي العراق وإيران وما يزالون فيه ، حيث يعرفون بصابئة البطائح .

- منهم الكنزبرا الشيخ عبد الله بن الشيخ سام الذي كان مقيمًا في بغداد سنة ١٩٦٩ م وهو الرئيس الروحي لهم ، وقد كان في عام ١٩٥٤ م يسكن في دار واقعة بجوار السفارة البريطانية في الكرخ ببغداد .

الأفكار والمعتقدات :

أولا : كتبهم :

لديهم عدد من الكتب المقدسة مكتوبة بلغة سامية قريبة من السريانية وهي :

١ ـ الكنزاربّا : أي الكتاب العظيم ويعتقدون بأنه صحف آدم عليه السلام ، وفيه موضوعات كثيرة عن نظام تكوين العالم وحساب الخليقة وأدعية وقصص ، وتوجد في خزانة المتحف العراقي نسخة كاملة منه . طبع في كوبنهاجن سنة ١٨١٥ م ، وطبع في

لايبزيغ سنة ١٨٦٧ م .

٢ ـ دراشة إديهيا : أي تعاليم يحيى ، وفيه تعاليم وحياة النبي يحيى عليه السلام .

٣ ـ الفلستا : أي كتاب عقد الزواج ، ويتعلق بالاحتفالات والنكاح الشرعي والخطبة.

٤ ـ سدرة إدنشماثا : يدور حول التعميد والدفن والحداد ، وانتقال الروح من الجسد إلى الأرض ومن ثمّ إلى عالم الأنوار ، وفي خزانة المتحف العراقي نسخة حديثة منه مكتوبة باللغة المندائية .

٥ ـ كتاب الديونان : فيه قصص وسير بعض الروحانيين مع صور لهم .

٦ ـ كتاب إسفر ملواشه : أي سفر البروج لمعرفة حوادث السنة المقبلة عن طريق علم الفلك والتنجيم .

٧ ـ كتاب النياني : أي الأناشيد والأذكار الدينية ، وتوجد نسخة منه في المتحف العراقي .

٨ ـ كتاب قماها ذهيقل زيوا : ويتألف من ٢٠٠ سطر وهو عبارة عن حجاب يعتقدون بأن من يحمله لا يؤثر فيه سلاح أو نار .

٩ ـ تفسير بغره : يختص في علم تشريح جسم الإنسان وتركيبه والأطعمة المناسبة لكل طقس مما يجوز لأبناء الطائفة تناوله .

١٠ ـ كتاب ترسسر ألف شياله : أي كتاب الاثني عشر ألف سؤال ، يتناول الأخطاء في الطقوس وطريقة غفرانها ، وكذلك الشعائر الدينية المصاحبة لذلك .

١١ ـ ديوان طقوس التطهير : وهو كتاب يبين طرق التعميد بأنواعه على شكل ديوان .

١٢ ـ كتاب كداواكدفياثا : أي كتاب العوذ .

ثانيًا : طبقات رجال الدين :

يشترط في رجل الدين أن يكون سليم الجسم ، صحيح الحواس ، متزوجًا منجبًا ، غير مختون ، وله كلمة نافذة في شؤون الطائفة كحالات الولادة والتسمية والتعميد

والزواج والصلاة والذبح والجنازة ، ورتبهم على النحو التالي :

١ ـ الحلالي : ويسمى « الشماس » يسير في الجنازات ، ويقيم سنن الذبح للعامة ، ولا يتزوج إلا بكرًا ، فإذا تزوج ثيبا سقطت مرتبته ومنع من وظيفته إلا إذا تعمد هو وزوجته (٣٦٠) مرة في ماء النهر الجاري .

٢ ـ الترميدة : إذا فقه الحلالي الكتابين المقدسين سدره إنشماثا والنياني أي كتابي التعميد والأذكار فإنه يتعمد بالارتماس في الماء الموجود عند « المندي » ويبقى بعدها سبعة أيام مستيقظًا لا تغمض له عين حتى لا يحتلم ، ويترقى بعدها هذا الحلالي إلى ترميدة ، وتنحصر وظيفته في العقد على البنات الأبكار .

٣ ـ الأبيسق : الترميدة الذي يختص في العقد على الأرامل يتحول إلى أبيسق ولا ينتقل من مرتبته هذه .

٤ ـ الكنزبرا : الترميدة الفاضل الذي لم يعقد على الثيبات مطلقًا يمكنه أن ينتقل إلى كنزبرا وذلك إذا حفظ كتاب الكنزاربّا فيصبح حينئذ مفسرًا له ، ويجوز له ما لا يجوز لغيره ، فلو قتل واحدًا من أفراد الطائفة لا يقتص منه لأنه وكيل الرئيس الإلهي عليها .

٥ ـ الـ (ريش أمه) : أي رئيس الأمة ، وصاحب الكلمة النافذة فيها ، ولا يوجد بين صابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة لأنها تحتاج إلى علم وفير وقدرة فائقة .

٦ ـ الربّاني : لم يصل إلى هذه الدرجة إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام كما أنه لا يجوز أن يوجد شخصان من هذه الدرجة في وقت واحد . والرباني يرتفع ليسكن في عالم الأنوار وينزل ليبلغ طائفته تعاليم الدين ثم يرتفع مرة أخرى إلى عالمه الرباني النوراني .

ثالثًا : الإله :

ـ يعتقدون ـ من حيث المبدأ ـ بوجود الإله الخالق الواحد الأزلي الذي لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق .

ـ ولكنهم يجعلون بعد هذا الإله (٣٦٠) شخصًا خلقوا ليفعلوا أفعال الإله ، وهؤلاء

الأشخاص ليسوا بآلهة ولا ملائكة يعملون كل شيء من رعد وبرق ومطر وشمس وليل ونهار ... وهؤلاء يعرفون الغيب ، ولكل منهم مملكته في عالم الأنوار .

- هؤلاء الأشخاص الـ (٣٦٠) ليسوا مخلوقين كبقية الكائنات الحية ، ولكن الله ناداهم بأسمائهم فخلقوا وتزوجوا بنساء من صنفهم ، ويتناسلون بأن يلفظ أحدهم كلمة فتحمل امراته فورًا و وتلد واحدًا منهم .

- يعتقدون بأن الكواكب مسكن للملائكة ، ولذلك يعظمونها ويقدسونها .

رابعًا : المندي :

- هو معبد الصابئة ، وفيه كتبهم المقدسة ، ويجري فيه تعميد رجال الدين ، يقام على الضفاف اليمنى من الأنهر الجارية ، له باب واحد يقابل الجنوب بحيث يستقبل الداخل اليه نَجم القطب الشمالي ، ولا بّد من وجود قناة فيه متصلة بماء النهر ، ولا يجوز دخوله من قبل النساء ، ولا بد من وجود عَلِم يحي فوقه في ساعات العمل .

خامسًا : الصلاة :

- تؤدى ثلاث مرات في اليوم : قبيل الشروق ، وعند الزوال ، وقبيل الغروب ، وتستحبّ أن تكون جماعة في أيام الآحاد والأعياد ، وفيها وقوف وركوع وجلوس على الأرض من غير سجود ، وهي تستغرق ساعة وربع الساعة تقريبًا .

- يتوجه المصلي خلالها إلى الجدي بلباسه الطاهر ، حافي القدمين ، يتلو سبع قراءات يمجد فيها الرب مستمدًا منه العون طالبًا منه تيسير اتصاله بعالم الأنوار .

سادسًا : الصوم :

- صابئة اليوم يحرمون الصوم لأنه من باب تحريم ما أحل الله .

١ - لكنهم يمتنعون عن أكل اللحوم المباحة لهم لمدة (٣٦) يوميًا متفرقة على طول أيام السنة .

٢ - ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ هـ في فهرسته ، وابن العبري المتوفي سنة ٦٨٥ هـ في تاريخ مختصر الدول ينصان على أن الصيام كان مفروضًا عليهم لمدة ثلاثين يومًا من كل سنة .

سابعًا : الطهارة :

ـ الطهارة مفروضة على الذكر والأنثى سواء بلا تمييز .

ـ تكون الطهارة في الماء الحي غير المنقطع عن مجراه الطبيعي .

ـ الجنابة تحتاج إلى الطهارة وذلك بالارتماس في الماء ثلاث دفعات مع استحضار نية الاغتسال من غير قراءة لأنها لا تجوز على جنب .

ـ عقب الارتماس في الماء يجب الوضوء ، وهو واجب لكل صلاة ، حيث يتوضأ الشخص وهو متجه إلى نجم القطب ، فيؤديه على هيئة تشبه وضوء المسلمين مصحوبًا بأدعية خاصة .

ـ مفسدات الوضوء : البول ، الغائط ، الريح ، لمس الحائض والنفساء .

ثامنًا : التعميد وأنواعه :

ـ يعتبر التعميد من أبرز معالم هذه الديانة ولا يكون إلا في الماء الحي ، ولا تتّم الطقوس إلاّ بالارتماس في الماء سواء أكان الوقت صيفًا أم شتاء ، وقد أجاز لهم رجال دينهم مؤخرًا الاغتسال في الحمامات وأجازوا لهم كذلك ماء العيون النابعة لتحقيق الطهارة .

ـ يجب أن يتم التعميد على أيدي رجال الدين .

ـ يكون العماد في حالات الولادة ، والزواج ، وعماد الجماعة ، وعماد الأعياد وهي على النحو التالي :

أ ـ **الولادة** : يعمد المولود بعد ٤٥ يومًا ليصبح طاهرًا من دنس الولادة حيث يُدخل هذا الوليد في الماء الجاري إلى ركبته مع الاتجاه جهة نجم القطب ، ويوضع في يده خاتم أخضر من الآس .

ب ـ **عماد الزواج** : يتّم في يوم الأحد وبحضور ترميدة وكنزبرا ، يتّم بثلاث دفعات في الماء مع قراءة من كتاب الفلستا وبلباس خاص ، ثم يشربان من قنينة ملئت بماء أخذ من النهر يسمى (ممبوهة) ثم يطعمان (البهثة) ويدهن جبينهما بدهن السمسم ، ويكون ذلك لكلا العروسين لكل واحد منهما على حدة ، بعد ذلك لا يُلمسان لمدة سبعة

أيام حيث يكونان نجسين ، وبعد الأيام السبعة من الزواج يعمدان من جديد ، وتعمد معهما كافة القدور والأواني التي أكلا فيها أو شربا منها .

جـ ـ عماد الجماعة : يكون في كل عيد (بنجة) من كل سنة كبيسة لمدة خمسة أيام ويشمل أبناء الطائفة كافة رجالاً ونساءً كبارًا وصغارًا ، وذلك بالارتماس في الماء الجاري ثلاث دفعات قبل تناول الطعام في كل يوم من الأيام الخمسة . والمقصود منه هو التكفير عن الخطايا والذنوب المرتكبة في بحر السنة الماضية ، كما يجوز التعميد في أيام البنجة ليلاً ونهارًا على حين أن التعميد في سائر المواسم لا يجوز إلا نهارًا وفي أيام الآحاد فقط .

د ـ عماد الأعياد : وهي :

● العيد الكبير : عيد ملك الأنوار حيث يعتكفون في بيوتهم (٣٦) ساعة متتالية لا تغمض لهم عين خشية أن يتطرق الشيطان إليهم لأن الاحتلام يفسد فرحتهم ، وبعد الاعتكاف مباشرة يرتمسون ، ومدة العيد أربعة أيام ، تنحر فيه الخراف ويذبح فيه الدجاج ولا يقومون خلاله بأي عمل دنيوي .

● العيد الصغير : يوم واحد شرعًا ، وقد يمتدّ لثلاثة أيام من أجل التزاور ويكون بعد العيد الكبير بمائة وثمانية عشر يومًا .

● عيد البنجة : سبق الحديث عنه ، وهو خمسة أيام تكبس بها السنة ، ويأتي بعد العيد الصغير بأربعة أشهر .

● عيد يحيى : يوم واحد من أقدس الأيام ، يأتي بعد عيد البنجة بستين يومًا وفيه كانت ولادة النبي يحيى عليه السلام الذي يعتبرونه نبيًّا خاصًّا بهم ، والذي جاء ليعيد إلى دين آدم صفاءه بعد أن دخله الانحراف بسبب تقادم الزمان .

هـ ـ تعميد المحتضر ودفنه :

● عندما يحتضر الصابئ يجب أن يؤخذ ـ وقبل زهوق روحه ـ إلى الماء الجاري ليتمّ تعميده .

● من مات من دون عماد نجس ويحرم لمسه .

● أثناء العماد يغسلونه متجهًا إلى نجم القطب الشمالي ، ثم يعيدونه إلى بيته ويجلسونه

في فراشه بحيث يواجه نجم القطب أيضًا حتى يوافيه الأجل .

● بعد ثلاث ساعات من موته يغسل ويكفن ويدفن حيث يموت إذ لا يجوز نقله مطلقًا من بلد إلى بلد آخر .

● من مات غيلة أو فجأة ، فإنه لا يغسل ولا يلمس ، ويقوم الكنزبرا بواجب العماد عنه .

● يدفن الصابئ بحيث يكون مستلقيًا على ظهره ووجهه ورجلاه متجهة نحو الجدي حتى إذا بعث واجه الكوكب الثابت بالذات .

● يضعون في فم الميت قليلاً من تراب أول حفرة تحفر لقبره فيها .

● يحرم على أهل الميت الندب والبكاء والعويل ، والموت عندهم مدعاة للسرور ، ويوم المأتم من أكثر الأيام فرحًا حسب وصية يحيي لزوجته .

● لا يوجد لديهم خلود في الجحيم ، بل عندما يموت الإنسان إما أن ينتقل إلى الجنة أو المطهر حيث يعذب بدرجات متفاوتة حتى يطهر فتنتقل روحه بعدها إلى الملأ الأعلى ، فالروح خالدة والجسد فان .

تاسعًا : أفكار ومعتقدات أخرى :

ـ البكارة : تقوم والدة الكنزبرا أو زوجته بفحص كل فتاة عذراء بعد تعميدها وقبل تسليمها لعريسها وذلك بغية التأكد من سلامة بكارتها .

ـ الخطيئة : إذا وقعت الفتاة أو المرأة في جريمة الزنى فإنها لا تقتل ، بل تهجر ، وبإمكانها أن تكفر عن خطيئتها بالارتماس في الماء الجاري .

ـ الطلاق : لا يعترف دينهم بالطلاق إلا إذا كانت هناك انحرافات خطيرة فيتمّ التفريق عن طريق الكنزبرا .

ـ السنة المندائية : ٣٦٠ يومًا ، في ١٢ شهرًا ، وفي كل شهر ثلاثون يومًا مع خمسة أيام كبيسة يقام فيها عيد البنجة .

ـ يعتقدون بصحة التاريخ الهجري ويستعملونه ، وذلك بسبب اختلاطهم بالمسلمين ،

ولأن ظهور النبي محمد ﷺ كان مذكورًا في الكتب المقدسة الموجودة لديهم .

- يعظمون يوم الأحد كالنصارى ويقدسونه ولا يعملون فيه أي شيء على الإطلاق .

- ينفرون من اللون الأزرق النيلي ولا يلامسونه مطلقًا .

- ليس للرجل غير المتزوج من جنة لا في الدنيا ولا في الأخرة .

- يتنبأون بحوادث المستقبل عن طريق التأمل في السماء والنجوم وبعض الحسابات الفلكية .

- لكل مناسبة دينية ألبسة خاصة بها ، ولكل مرتبة دينية لباس خاص بها يميزها عن غيرها .

- إذا توفي شخص دون أن ينجب أولادًا فإنه يمّر بالمطهر ليعود بعد إقامته في العالم الآخر إلى عالم الأنوار ثم يعود إلى حالته البدنية مرة أخرى حيث تتلبس روحه في جسم روحاني فيتزوج وينجب أطفالاً .

- يؤمنون بالتناسخ ويعتقدون بتطبيقاته في بعض جوانب عقيدتهم .

- للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء على قدر ما تسمح له به ظروفه .

- يرفضون شرب الدواء ، ولا يعترضون على الدهون والحقن الجلدية .

- الشباب والشابات يأتون إلى الكهان ليخبروهم عن اليوم السعيد الذي يمكنهم أن يتزوجوا فيه ، وكذلك يخبرون السائلين عن الوقت المناسب للتجارة أو السفر ، وذلك عن طريق علم النجوم .

- لا تؤكل الذبيحة إلا أن تذبح بيدي رجال الدين وبحضور الشهود ، ويقوم الذابح - بعد أن يتوضأ - بغمسها في الماء الجاري ثلاث مرات ثم يقرأ عليها أذكارًا دينية خاصة ثم يذبحها مستقبلاً الشمال ، ويستنزف دمها حتى آخر قطرة ، ويحرم الذبح بعد غروب الشمس أو قبل شروقها إلا في عيد البنجة .

- تنص عقيدتهم على أن يكون الميراث محصورًا في الابن الأكبر ، لكنهم لمجاورتهم المسلمين فقد أخذوا بقانون المواريث الإسلامي .

الجذور الفكرية والعقائدية : .

- تأثر الصابئة بكثير من الديانات والمعتقدات التي احتكوا بها .

- أشهر فرق الصابئة قديمًا أربعة هي : أصحاب الروحانيات ، وأصحاب الهياكل ، وأصحاب الأشخاص ، والحلولية .

- لقد ورد ذكرهم في القرآن مقترنًا باليهود والنصارى والمجوس والمشركين انظر الآيات ٦٢ / البقرة - ٦٩ / المائدة ، ١٧ / الحجّ ، ولهم أحكام خاصة بهم من حيث جواز أخذ الجزية منهم أو عدمها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى .

- عرف منهم الصابئة الحرانيون الذين انقرضوا والذين تختلف معتقداتهم بعض الشيء عن الصابئة المندائيين الحاليين .

- لم يبق من الصابئة اليوم إلا صابئة البطائح المنتشرون على ضفاف الأنهر الكبيرة في جنوب العراق وإيران .

- تأثروا باليهودية ، وبالمسيحية ، وبالمجوسية لمجاورتهم لهم .

- تأثروا بالحرانيين الذين ساكنوهم في حران عقب طردهم من فلسطين فنقلوا عنهم عبادة الكواكب والنجوم أو على الأقل تقديس هذه الكواكب وتعظيمها وتأثروا بهم في إتقان علم الفلك وحسابات النجوم .

- تأثروا بالأفلاطونية الحديثة التي استقرت فلسفتها في سوريا مثل الاعتقاد بالفيض الروحي على العالم المادي .

- تأثروا بالفلسفة الدينية التي ظهرت أيام إبراهيم الخليل ، فقد كان الناس حينها يعتقدون بقدرة الكواكب والنجوم على التأثير في حياة الناس ، وقد تمثل هذا في قول إبراهيم : « إني لا أحبّ الآفلين » .

- تأثروا بالفلسفة اليونانية التي استقلت عن الدين ، ويلاحظ أثر هذه الفلسفة اليونانية في كتبهم .

- لدى الصابئة قسط وافر من الوثنية القديمة يتجلى في تعظيم الكواكب والنجوم على صورة من الصور .

الانتشار ومواقع النفوذ :

ـ الصابئة المندائيون الحاليون ينتشرون على الضفاف السفلى من نهري دجلة والفرات ، ويسكنون في منطقة الأهوار وشط العرب ، ويكثرون في مدن العمارة والناصرية والبصرة وقلعة صالح والحلفاية والزكية وسوق الشيوخ والقرنة وهي موضع اقتران دجلة بالفرات ، وهم موزعون على عدد من الألوية مثل لواء بغداد ، والحلة ، والديوانية والكوت وكركوك والموصل . كما يوجد أعداد مختلفة منهم في ناصرية المنتفق والشرش ونهر صالح والجبايش والسلمانية .

ـ كذلك ينتشرون في إيران ، وتحديدًا على ضفاف نهر الكارون والدز ويسكنون في مدن إيران الساحلية ، كالمحمرة ، وناصرية الأهواز وششتر ودزبول .

ـ يقدر عددهم بعشرة آلاف شخص تقريبًا ، معظمهم في العراق .

ـ تهدمت معابدهم في العراق ، ولم يبق لهم إلا معبدان في قلعة صالح ، وقد بنوا معبدًا « منديًا » بجوار المصافي في بغداد ، وذلك لكثرة الصابئين النازحين إلى هناك من أجل العمل .

ـ يعمل معظهم في صياغة ميناء الفضة لتزين الحلي والأواني والساعات وتكاد هذه الصناعة تنحصر فيهم لأنهم يحرصون على حفظ أسرارها كما يجيدون صناعة القوارب الخشبية والحدادة وصناعة الخناجر .

ـ مهارتهم في صياغة الميناء دفعتهم إلى الرحيل للعمل في بيروت ودمشق والإسكندرية ووصل بعضهم إلى إيطاليا وفرنسا وأمريكا .

ـ ليس لديهم أي طموح سياسي ، وهم يتقربون إلى أصحاب الديانات الأخرى بنقاط التشابه الموجودة بينهم وبين الآخرين .

المارونية

التعريف :

المارونية ، طائفة من طوائف النصارى الكاثوليك الشرقيين ، قالوا بأن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة ، ينتسبون إلى القديس مارون ويعرفون باسم « الموارنة » متخذين من لبنان مركزًا لهم .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

ـ تنتسب هذه الطائفة إلى القديس الزاهد المتقشف الناسك « مارون » الذي انعزل في الجبال والوديان مما جذب الناس إليه مشكلين طائفة عرفت باسمه ، لقد كانت حياته في أواخر القرن الرابع الميلادي فيما كان موته حوالي سنة ٤١٠ م بين أنطاكية وقورس .

ـ وقع خلاف شديد بين أتباع مارون وبين كنيسة الروم الأرثوذكس مما اضطرهم إلى الرحيل عن أنطاكية إلى قلعة المضيق قرب أفاميا على نهر العاصي مشيدين هناك ديرًا يحمل اسم القديس مارون .

ـ وقع كذلك خلاف آخر في المكان الجديد بينهم وبين اليعاقبة الأرثوذكس من أصحاب الطبيعة الواحدة عام (٥١٧ م) مما أسفر عن تهديم ديرهم فضلاً عن مقتل (٣٥٠) راهبًا من رهبانهم .

ـ خلال فترة الرحيل تلقوا عطف الإمبراطور مرقيانوس الذي وسع لهم الدير عام (٤٥٢ م) . وعطف الإمبراطور يوستغيان الكبير (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م) الذي أعاد بناء ديرهم بعد تهديم اليعاقبة له . وكذلك عطف الإمبراطور هرقل الذي زارهم سنة ٦٢٨ م بعد انتصاره على الفرس .

ـ احتكم الموارنة واليعاقبة عام ٦٥٩ م إلى معاوية بن أبي سفيان لإنهاء الخلاف بينهم ، لكن الخصومة استمرت ، إذ حدثت حروب انتقامية بين الطرفين مما أسفر عن هجرة الموارنة إلى شمالي لبنان ذلك المكان الذي أصبح موطنًا دائمًا لهم .

ـ ظهر في موطنهم الجديد بلبنان القديس يوحنا مارون الذي يعتبر صاحب المارونية الحديثة وباني مجدها ومقنن نظريتها ومعتقدها ، وتتلخص حياته فيما يلي :

ـ ولد في سروم قرب أنطاكية ، وتلقى دراسته في القسطنطينية .

ـ عين أسقفًا على البترون على الساحل الشمالي من لبنان .

ـ أظهر معتقد الموارنة سنة ٦٦٧ م والذي يقول بأن في المسيح طبيعتين ولكن له مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد .

ـ لم تقبل الكنائس المسيحية هذا الرأي ، فدعوا إلى مجمع القسطنطينية الثالث الذي عقد سنة ٦٨٠ م وقد حضره ٢٨٦ أسقفًا وقرروا فيه رفض هذه العقيدة وحرمان أصحابها ولعنهم وطردهم وتكفير كل من يذهب مذهبهم .

ـ يعد يوحنا مارون أول بطريرك لطائفة الموارنة وبه يبدأ عهد البطاركة .

ـ تصدى بجيش من الموارنة لجيش قاده يوستغيان الثاني الذي أراد هدم معابدهم واستئصالهم إلا أن الموارنة هزموه في أميون مما أظهر أمرهم كأمة جبلية ذات شخصية مستقلة .

ـ لقد تحايلت كنيسة روما بعد ذلك عليهم في سبيل تقريبهم منها حيث قام البطريرك الماروني أرميا العمشيتي بزيارة لروما حوالي سنة ١٢١٣ م وعند عودته أدخل بعض التعديلات في خدمة القداس وطقوس العبادة وسيامة الكهنة .

ـ ولقد زاد التقارب بينهما حتى بلغ في عام ١١٨٢ م إعلان طاعتهم للكنيسة البابوية ، أما في عام ١٧٣٦ م فقد بلغ التقارب حد الاتحاد الكامل معها فأصبحت الكنيسة المارونية بذلك من الكنائس الأثيرة لدى باباوات روما .

ـ لقد كان لهم دور بارز في خدمة الصليبيين من خلال تقديمهم أدلاء لإرشاد الحملة الصليبية الأولى إلى الطرق والمعابر ، وكذلك إرسالهم فرقة من النشابة المتطوعة إلى مملكة بيت المقدس .

ـ لقد بلغ رجالهم الصالحون للقتال ٤٠,٠٠٠ على ما ذكر مؤرخو الحروب الصليبية .

ـ كان الموارنة يحتلون في الممالك التي يشيدها الصليبيون المرتبة الأولى بين الطوائف النصرانية متمتعين بالحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الفرنجة كحق ملكية الأرض في مملكة بيت المقدس .

ـ لويس التاسع كان أول صديق فرنسي لهم ، إذ تقدم إليه عندما نزل إلى البر في عكا وفدٌ مؤلف من خمسة عشر ألف ماروني ومعهم المؤن والهدايا ، وقد سلمهم بهذه المناسبة رسالة مؤرخة في ٢١ / ٥ / ١٢٥٠ م فيها تصريح بأن فرنسا تتعهد بحمايتهم فقد جاء فيها : « ونحن مقتنعون بأن هذه الأمة التي تعرف باسم القديس مارون هي جزء من الأمة الفرنسية » .

ـ استمر هذا التعاطف من الغرب مع الموارنة في الأجيال التالية وذلك عندما أرسل نابليون الثالث فرقة فرنسية لتهدئة الجبل عام ١٨٦٠ م وكذلك بعد الحرب العالمية الأولى عندما صار لبنان تحت الانتداب الفرنسي .

ـ تيوفيل (تيوفيلوس) بن توما من شمال سوريا ، ماروني كان يعمل منجمًا في قصر الخليفة العباسي المهدي (٧٧٥ ـ ٧٨٥ م) كما قام بترجمة إلياذة هوميروس .

ـ المؤرخ اسطفانوس الدويهي المشهور ماروني ، توفى سنة ١٧٠٤ م .

ـ البطريرك جرجس عميرة ، ماورني ، ألف أول غراماطيق سرياني واضعًا قواعده باللاتينية تسهيلا على المستشرقين دراسة هذه اللغة .

ـ من مشاهيرهم يوسف حبيش وبولس مسعد ويوحنا الحاج والبطريرك إلياس الحويك .

ـ ومن الأساقفة المطران جرمانوس فرحات ويوسف سمعان السمعاني ويوحنا حبيب ويوسف الدبس .

ـ ومن بيوتاتهم المعروفة آل خازن ودحداح وحبيش والسعد وكرم والظاهر والبستاني والشدياق والنقاش والياز ... .

ـ ومن زعاماتهم المعاصرة : آل جَمَيِّل ، وشمعون ، وفرنجية ، وإده ....

ـ من تنظيماتهم السياسية الحزبية العسكرية حاليًا : حزب الكتائب وحزب الأحرار .

ـ منذ عام ١٩٤٣ م حتى اليوم استقر الأمر بأن يكون رئيس الجمهورية اللبنانية من الطائفة المارونية وذلك بموجب الميثاق الوطني الذي تم فيه الاتفاق شفويا بين المسلمين

والنصارى حول توزيع المناصب الرئيسة للدولة اللبنانية على مختلف الطوائف الدينية فيها .

الأفكار والمعتقدات :

ـ أهم نقطة تميزهم عن بقية الطوائف النصرانية هو معتقدهم بأن للمسيح طبيعتين وله مشيئة واحدة وذلك لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد .

ـ عقيدة المشيئة الواحدة قال بها بطريرك الإمبراطور هرقل أيضًا (٦٣٨ م) ليوفق بين عقيدة أصحاب الطبيعة الواحدة الذين يشكلون الأكثرية من رعاياه النصارى في سوريا وبين أصحاب العقيدة الأرثوذكسية للكنيسة البيزنطية ، إلا أن هذه المحاولة لم تفلح في سد الثغرة بينهما .

ـ يعتقدون بأن خدمة القداس عندهم مأخوذه عن تلك الخدمة التي ينسبونها إلى القديس يعقوب ، كما يعتقدون بأن هذه الخدمة إنما هي أقدم خدمة في الكنيسة المسيحية إذ إن أصولها ترجع إلى العشاء الرباني الأخير .

ـ ما تزال الكنيسة المارونية تحتفظ باللغة السريانية في القداس إلى يومنا هذا .

ـ ومايزال الطابع السرياني ساريًا حتى في الكنائس التي تعترف بسلطة البابا .

ـ منذ أوائل القرن الثالث عشر تم إدخال بعض التعديلات على الطقس الماروني القديم وذلك في عهد البابا انوسنت الثالث ليكون أكثر تلاؤمًا مع الطقس اللاتيني ومن ذلك :

ـ تغطيس المعمود ثلاث مرات في الماء .

ـ تكريس الأحداث على أيدي المطارنة فقط .

ـ طلبة واحدة للثالوث .

ـ لقد صار الكهنة يتبعون الزي اللاتيني في لبس الخواتم والقلنسوة التي تشبه التاج والعكاز .

ـ استعمال الأجراس بدلا من النواقيس الخشبية التي تستعملها سائر الكنائس الشرقية في الدعوة إلى القداس متبعة بذلك التقليد اللاتيني .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ الموارنة فرع عن الكاثوليك الشرقيين الذين هم بدورهم فرع عن النصرانية بشكل عام لذا فإن جذورهم هي نفس الجذور النصرانية .

ـ يمتازون بالمحافظة الشديدة على تراثهم ولغتهم السريانية القديمة ، وقد اقتربوا على مدار الزمن من الكنيسة البابوية بروما بعد إدخال عدد من التعديلات على الطقوس المارونية القديمة .

الانتشار ومواقع النفوذ

ـ البداية في أنطاكية ، ومن بعدها رحلوا إلى قلعة المضيق ، وأخيرًا صاروا إلى جبال لبنان موطنهم الحالي منذ النصف الثاني من القرن السابع الميلادي .

ـ منذ القرن الخامس عشر الميلادي أصبح دير قنُّوبين شمالي لبنان فوق طرابلس المبنى في صخر من صخور وادي قاديشا (أي المقدس) مقرًّا للبطريركية المارونية ، كما أصبحت بكركي المبنية فوق جونية المقر الشتوى حتى يومنا هذا ، إذ لا يزال سيد بكركي يلقب ببطريرك أنطاكية وسائر الشرق ذلك لأنه مستقل عن سائر البطاركة الشرقيين ، كما تخضع لإرادته مطارنة وأبرشيات وجمعيات رهبانية مختلفة .

ـ عندما استولى صلاح الدين الأيوبي على بيت المقدس غادر الملك غوي دي ليزنيان إلى قبرص فتبعه جمهور كبير من الموارنة ، لوقوفهم إلى جانب الصليبيين إبان الاحتلال ، مستوطنين هناك الجبل الذي يقع في شمالي نيقوسيا .

ـ لقد فرَّ كثير من الموارنة من لبنان بسبب الحروب والهجرة فوصلوا إلى تكريت وغيرها من المدن بين دجلة والفرات منذ القرن الثاني والثالث عشر ، كما ذهب بعضهم تجاه سوريا الداخلية مستوطنين دمشق وحلب ، وفريق ذهب إلى القدس وهبط بعضهم الآخر إلى مصر ورودس ومالطة ، وهاجر آخرون إلى أمريكا وأفريقيا وأندونيسيا وما يزال أغلبهم يعيشون في لبنان ولهم أكبر الأثر في توجيه السياسة اللبنانية المعاصرة .

الأبوس دبي

EL OPUS DEI INSTITUTO SECULAR

التعريف :

الأوبوس دبي هيئة (دينية لا رهبانية) نصرانية كاثوليكية معاصرة ، تسعى إلى سيادة التعاليم الإنجيلية والعودة إلى المسيحية الأولى ، وذلك وفق ضوابط تنظيمية دقيقة محكمة مع الاستفادة الكاملة من معطيات العصر الحديث ، وتتلمس طريقها من خلال السيطرة على النواحي السياسية والاقتصادية والتربوية ، واسمها يشمل جمعية الصليب المقدس ومنظمة العمل الإلهي معًا .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

ـ أسس هذه المنظمة القس خوسيه ماريا أسكريفا JOSE MARIA ESCRIVA في أسبانيا وذلك في ٢ أكتوبر ١٩٢٨ م وهو يزعم بأنه قد أختير لهذه المهمة بوحي إلهي وذلك كي يضفي على هذا التأسيس هالة من التقديس .

ـ في عام ١٩٣٠ م تم تأسيس الفرع النسائي للمنظمة على نفس نمط الفرع الرجالي تنظيمًا وانتشارًا .

ـ وجدت أفكار اسكريفا أرضًا خصبة في اسبانيا تحت حكم الجنرال فرانكو وبخاصة عقب الانتهاء من الحرب الأهلية فيها .

ـ للمنظمة وزراء وصلوا إلى الوزارة الإسبانية ومايزالون ، بل ويشكلون ثقلا مهما في الوزارة ومن أولئك الوزراء : وزير الصناعة : لوبيث برافو ، وزير العدل : روميرو ، وزير التربية : تاناجو TANAGO ، وزير الزراعة : امبروار .

ـ من الشخصيات البارزة للمنظمة في إيطاليا وزير التربية فلاكوي FLACUAI ، وزير الداخلية سيلفارو SEALFARO ، ولهم كذلك رئيس مناهج وزارة التربية الإيطالية فازو FAZO ، ورئيس الجامعة الكاثوليكية في ميلاد ادرينو بوسدا ADRIUNO BUSSDA الذي تسلمها منذ عام ١٩٨٥ م .

ـ لهم الآن ثلاثون نائبًا على الأقل في البرلمان الإسباني ينتمون إلى المنظمة ويتحركون بإيحاءاتها .

ـ هناك أساقفة وقساوسة منتمون سرًّا للمنظمة ويعملون بين مختلف الطبقات الاجتماعية الإسبانية وفي صفوف الجيش .

ـ ولهم رئاسة الدراسات اللاهوتية في روما وهو فرع من جامعة نافارا الإسبانية .

الأفكار والمعتقدات :

أولا : أفكار دينية وتنظيمية :

ـ أهداف المنظمة دينية مسيحية صرفة فهي تعمل من أجل إعلاء المسيحية وفق العقائد الكاثوليكية ، عن طريق التربية والسياسة والاقتصاد .

ـ يتضمن نشاط المنظمة رجال الدين ، والمسيحيين من غير رجال الدين ، كما يتضمن الرجال والنساء ، ويعطي عناية خاصة للشباب .

ـ يحرص التنظيم على أن يكون أعضاؤه قدوة حسنة ، كما يحرص على السرية والكتمان.

ـ يهدف التنظيم إلى تربية جادة صارمة لأعضائه ، تقوم علىالجدية ، والعفة وحسن الخلق ، بل والتقشف أيضًا ، فكأنه يريد أن يحيي فيهم روح المسيحيين الأوائل .

ـ يقوم التنظيم على ضوابط دقيقة في الانتساب ، ثم في التعامل بين الأعضاء في مرحلة ما بعد الانتساب ، وحتى في حالات الاستقالة أو الفصل ، ويوزع الأمور توزيعًا موضوعيًّا يعطي المرء حق التظلم والاعتراض .

ـ التنظيم عمل متكامل يهدف إلى المواءمة بين النواحي الروحية الدينية وبين الاستفادة من كل ما تقدمه الحضارة الحديثة من أدوات تنظيمية دقيقة ذات أهداف ومناهج وضوابط وموارد مالية .

ـ لقد نشأت هذه المنظمة في الأصل لتكون لصيقة بنظام الجنرال فرانكو ، وكان لتأييده لها أثر مهم في زيادة نفوذها وانتشارها

ـ يمكن أن توصف المنظمة بأنها (مافيا دينية كاثوليكية) تتحرك بوحي من أهدافها

وحسب مصلحتها للسيطرة السياسية والاقتصادية في إسبانيا بخاصة وفي مختلف دول العالم بعامة ، وقد شكلت المنظمة إمبراطورية اقتصادية صناعية تمثل أرقى وأحدث صور الإمبراطوريات الصناعية الاقتصادية المتعددة الجنسيات الموجودة في العالم .

ـ تحاول المنظمة الوقوف بكل حزم أمام تيار المنظمات اليسارية والليبرالية والماسونية.

ـ إذا أظهر المرشح رغبة للانضمام فإن عليه أن يخضع (لإرادة الرب) ، وإرادة الرب عندهم هي أن يدخل المرء في هذه المنظمة ، وبعد ستة أشهر تقريبًا من العيش داخل المنظمة وروحانيتها يقبل المرشح بشكل رسمي .

ـ بعد ستة أعوام من الانضمام تقام حفلة (الإخلاص والوفاء) لتأكيد عضوية المتقدم بشكل نهائي حيث يعطي خاتماً عليه قطعة من الحجر الكريم يفرض عليه حمله طوال حياته .

ـ كثير من أعضاء المنظمة يجعلون من الحمار شعارًا لهم ويقولون بأن المسيح قد دخل القدس وهو راكب على ظهر حمار ، ومن صلوات اسكريفا قوله مخاطبًا ربه : (أنا حمارك الجربان) .

ـ تتركز النواحي الروحية للحركة فيما يلي :

١ ـ تقبيل الأرض عند الاستيقاظ .

٢ ـ الحمام والحلاقة خلال نصف ساعة على الأكثر .

٣ ـ نصف ساعة للصلاة الفردية ، وبعد ذلك قداس جماعي لمدة عشر دقائق .

٤ ـ بعد الغداء زيارة مكان القربان المقدس ، وبعد ذلك ثلاث ساعات من الصمت الأصغر .

٥ ـ (العصرونية) وهو وقت مخصص للنشاط الجماعي بسبب وجود بعض المدعوين (المرشحين) حيث تختلق مناقشات في موضوع ديني ما أو حادثة دينية معينة .

٦ ـ نصف ساعة للصلاة .

٧ ـ نهاية اليوم وتقرأ فيه الصلوات ثم يجري فحص عام للنشاطات الروحية أو المالية

التي جرت فيه ويبدأ بعده الصمت الأكبر الذي يمنع فيه الكلام خلال كل الوقت الباقي حتى اليوم التالي .

٨ ـ قبل النوم يرسم الأعضاء إشارة الصليب بأيديهم على جسمهم ، ويرشون الماء المقدس على الفراش ثم يقومون بصلاة قصيرة وينامون .

ثانيًا : الهيكل التنظيمي :

ـ المجلس العام : ويتألف من الرئيس والسكرتير العام والنائب العام وشخصيات من أربع عشرة دولة ، وهو الذي يتخذ القرارات الحاسمة باعتباره أعلى سلطة في المنظمة بجميع فروعها في العالم وبأقسامها الثلاثة : القساوسة والمدنيين والفرع النسائي .

ـ القساوسة : وهي أعلى درجة يطمح العضو إليها .

ـ العضو النظامي .

ـ الناذر نفسه (القربان) .

ـ العضو غير النظامي .

ـ المتعاون .

ـ اعترفت الكنيسة الإسبانية بهذا الهيكل التنظيمي للأوبوس دي اعترافًا شبه رسمي مما دعم مكانتها وزاد في انتشارها .

ـ لقى المؤسس اهتمامًا من الفاتيكان مما جعله يقرر الانتقال من إسبانيا إلى روما والإقامة هناك بشكل نهائي جاعلا منها المقر الرئيسي للمنظمة .

ـ ظل اسكريفا رئيساً لهذه المنظمة طيلة حياته ، وقد توفي عام ١٩٧٥ م .

ثالثًا : المؤلفات :

ـ ألف اسكريفا كتيبًا صغيرًا عام ١٩٣٤ م سماه (اعتبارات روحية) لكن الكتاب اختفى فجأة ليحل محله كتاب (الطريق) الذي يعد إنجيل المنظمة .

ـ لاسكريفا أطروحة دكتوراة ، وله كتب صغيرة حول صلاتهم .

- من كتب المنظمة : (القيمة الإلهية للإنسان) تأليف خوسي اورتيغا يتكلم فيه عن الإنسان الكاثوليكي الصليبي . وكتاب (روحانية العلمانيين) تأليف خوان باركيستا توريو .

رابعًا : إمكانيات المنظمة :

- يصل أعضاء المنظمة في العالم اليوم إلى حوالي ٧٢٠٠٠ نسمة من (٧٨) جنسية نصفهم في إسبانيا ، وتملك المنظمة أكثر من ٧٠٠ مدرسة ابتدائية وإعدادية وثانوية ومعهد وبيت للطلبة ومراكز ثقافية من مختلف الأنواع منتشرة في العالم منها ٤٩٧ جامعة ومدرسة عليا.

- يملكون (٥٢) محطة إذاعة ، (١٢) شركة توزيع وإنتاج سينمائي و (٦٩٤) مطبوعة دورية و (٣٨) وكالة أنباء و (١٣) بنكًا وشركات ومصانع وعقارات كثيرة .

- وصلت المنظمة إلى السيطرة شبه الكاملة على المجلس الأعلى للأبحاث العلمية في إسبانيا .

- في إسبانيا وحدها تملك المنظمة (٢١) بيتًا من بيوت الطلبة تديرها بشكل مباشر .

الجذور الفكرية والعقائدية :

- هذه المنظمة نصرانية كاثوليكية تدعو إلى العودة إلى النصرانية الأولى مستفيدة من معطيات العصر الحديث .

- توجهها ديني سياسي اقتصادي تربوي .

- تؤمن المنظمة بكل معطيات النصرانية من تثليث وأب وابن وروح القدس والعذراء والصليب والفداء والقرابين والخطيئة وأكل لحم الخنزير وما إلى ذلك مما يعتقده النصارى بعامة .

الانتشار ومواقع النفوذ :

- لا يوجد في العالم بلد مسيحي إلا وللمنظمة وجود فيه فقد اتسع وجود المنظمة ليشمل أكثر من خمسين دولة في العالم تغلغلت من خلالها في جميع الجوانب الفكرية

والثقافية والسياسية والمالية .

ـ تتركز قوتها في المناطق التالية : إسبانيا وفيها ثقلها الأساسي ، إيطاليا حيث يقوم المركز الرئيسي والدولي في روما بشارع فيرلا برورو Virla Bruro ومهمته الإدارة والتنظيم ، الفلبين في شرق آسيا ، المكسيك وفنزويلا في أمريكا اللاتينية ، وقد دخلت الحياة العامة في كولومبيا والبيرو وتشيلي والأرجنتين أجزاء ولكن بنسب متفاوتة وفي كينيا الأفريقية .

المورمون

THE MORMONS

التعريف :

المورمون طائفة نصرانية جديدة منشقة ، تلبس لباس الدعوة إلى دين المسيح عليه السلام ، وتدعو إلى تطهير هذا الدين بالعودة به إلى الأصل أي إلى كتاب اليهود ، ذلك أن المسيح ـ في نظرهم ـ قد جاء لينقذ اليهود من الاضطهاد وليمكنهم من الأرض ، إنها ـ كما تسمي نفسها ـ طائفة القديسين المعاصرين لكنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة ، نبيها المؤسس هو يوسف سميث وكتابها المقدس هو المورمون .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

ـ ولد يوسف سميث في ٢٣/ ١٢ / ١٨٠٥ م بمدينة شارون بمقاطعة وندسور التابعة لولاية فرمونت . وعندما بلغ العاشرة من عمره رحل مع والده إلى مدينة بالمايرا بمقاطعة أونتاريو التابعة لولاية نيويورك .

ـ في الرابعة عشرة من عمره انتقل مع أهله إلى مانشستر من نفس المقاطعة .

ـ ولما بلغ الخامسة عشرة وجد الناس حوله منقسمين إلى طوائف :

الميثوديست ، والمشيخي ، والمعمداني .. فشعر باضطراب وقلق .

ـ في ربيع عام ١٨٢٠ م ذهب إلى غابة ، وأخذ يصلي منفردًا طالبًا من الله الهداية ، وبينما هو كذلك إذ شاهد ـ كما يزعم ـ نورًا فوق رأسه ، تمثل هذا النور في شخصين سماويين هما (الله ، وابنه عيسى) وقد نهياه عن الانضمام إلى أي من هذه الفرق .

ـ يدعي بأن الوحي قد انقطع عنه ، وأنه خضع لاضطهاد عنيف وسخرية من جراء جهره برؤياه هذه ، وقد تورط خلال ذلك بزلات طائشة إذ يقول عن نفسه : « وكثيرًا ما أدت مخالطتي لشتى البيئات إلى اقتراف زلات طائشة والاتسام بما للشباب من نزق وما للطبيعة البشرية من قصور وقد ورطني ذلك للأسف في ألوان من التجارب والآثام المبغضة إلى الله ولا يتبادر إلى الذهن بسبب هذا الاعتراف أني ارتكبت إثمًا فظيعًا أو

وزرًا منكرًا ، فما كان بي نزوع قط إلى مثل هذه الأوزار أو تلك الآثام » شهادة يوسف ص (٧) .

- كما يدعي أنه في مساء ٢١ سبتمبر ١٨٢٣ م نزل عليه ملاك من السماء اسمه « موروني » وأخبره بأنه قد أعده لمهمة ينبغي عليه إنجازها ، وأخبره عن كتاب نقشت عليه كلمات على صحائف من الذهب تروي أخبار القوم الذين استوطنوا القارة الأمريكية في الأزمنة الغابرة ، وتاريخ السلف الذين انحدروا منهم ، وأنبأه عن حجرين في قوسين من الفضة لترجمة الكتاب ، وغادره هذا الملاك بعد أن نهاه عن إظهار أحد من الناس على هذه الصحف .

- في ٢٨ يناير ١٨٢٧م تزوج من فتاة اسمها إيما هيل ، فكان له من حمية فيما بعد سندًا قويًا أعانه على نشر فكرته ، وذلك لما تتمتع به هذه الأسرة من مكانة طيبة .

- في ٢٢ سبتمبر ١٨٢٧ م استلم الصحف - كما يزعم - متعهدًا بإعادتها بعد نهوضه بالمطلوب .

- رحل عن مقاطعة مانشستر الأمريكية وذهب إلى حيث حموه في مقاطعة سوسكويهانا بولاية بنسلفانيا ، واستوطن مدينة هارموني .

- شرع في الترجمة بمساعدة مارتن هاريس الذي أخذ بعض الحروف وشيئًا من الترجمة وعرض ذلك على الأستاذ تشارلز آنثون ، والدكتور ميتشيل فأقرا بأن ما رأياه إنما هو ترجمة عن اللغة المصرية القديمة وأن الأصل إنما يتألف من حروف مصرية قديمة ، وحروف كلدانية ، وحروف آشورية ، وحروف عربية .

- في ٢٥ مايو ١٨٢٥ م ذهب مع أوليفر كودري للصلاة في الغابة حيث هبط عليهما يوحنا المعمدان (أي سيدنا يحي عليه السلام) وأمرهما بأن يعمد كل منهما الآخر ، وأخبرهما بأنه قد جاء إليهما تنفيذًا لأمر بطرس ويعقوب ، ورسمهما لرعاية الكنيسة المورمونية .

- يدعي كل من أوليفر كودري ، وداود ويتمر ، ومارتن هاريس أنهم قد شاهدوا الصحف وأنهم يشهدون على صحة الترجمة ودقتها وبأن هذا الكتاب إنما هو سجل لقوم نافي ولإخوتهم اللامانيين .

ـ أعلن في عام ١٨٣٠ م وبحضور عدد من الشخصيات عن تأسيس كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة .

ـ رحل يوسف سميث وأتباعه عن نيويورك إلى مدينة كيرتلاند المجاورة لمدينة كليفلاند بولاية أوهايو حيث شيَّد هناك هيكلا عظيمًا ، كما أنه قام بعمل تبشيري واسع النطاق في تلك المنطقة وما جاورها .

ـ بعث بإحدى الإرساليات إلى ولاية ميسوري للتبشير ولاكتساب المؤيدين .

ـ تعرضوا للاضطهاد فتنازلوا عن منازلهم ومزارعهم ورحلوا إلى ولاية الينوي حيث اشتروا المستنقعات الشاسعة المهجورة على شاطيء المسيسيبي وقاموا بإصلاحها وبنوا مدينة (نوفو) أي الجميلة .

ـ سجن يوسف سميث وأخوه (هايرم) في مدينة كارسيج بولاية الينوي لاتهامات ضدهما ، وبينما هما في السجن دخل عليهما مسلحان مقنعان فقتلاهما بإطلاق ناري . وقد حدث ذلك في ٢٧ يونيو ١٨٤٤ م فانتهت بذلك حياة هذا النبي المزعوم .

ـ آلت رئاسة الحركة والنبوة بعده إلى بريجام يونج الذي رحل بالقوم إلى جبال روكي حيث قرر لهم مكان إقامتهم فبنوا مدينة (سالت ليك) وقد خطط الهجرات إلى (أوتاه) إذ كان بينهم آلاف البريطانيين والسكاندينافيين ، كما يعتبر يونج مسئولاً عن هذه الرحلة المأساوية والتي حدثت عام ١٨٥٦ م حيث مات أثناءها أكثر من مئتي شخص من أتباعه .

ـ رؤساء الكنيسة هم الأنبياء ، فقد تتابع هؤلاء الأنبياء وآخرهم سبنسر كيمبل، وقد زاد عدد أعضاء هذه الطائفة إذ بلغوا خمسة ملايين شخص تقريبًا وما يزالون في نمو وازدياد.

ـ هناك أقلية من المورمون لم توافق على سيطرة يونج بعد موت يوسف ، فقد بقي هؤلاء في الينوي مؤسسين ـ بالتعاون مع (إيما سميث) الزوجة الأولى لنبيهم ومع ابن سميث (جوزيف) ـ كنيسة يسوع المسيح للقديسين المعاصرين المعاد تنظيمها ، ومركزها (ميسوري) ، تنفيذًا لوصية النبي المؤسس الذي قال لهم : إن (صهيون) ستكون فيها . وقامت كذلك فئات أخرى منشقة ، كل منها تدعى بأنها قد تلقت صحفًا فيها كتب قديمة مقدسة .

- كان يوسف سميث (١٨٠٥ - ١٨٤٤ م) المؤسس الأول لكنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة عام ١٨٣٠ م . كما يعتبر النبي الأول لها .

- أوليفر كودري ، ومارتن هاريس ، كانا ممن شارك في مرحلة التأسيس وتلقي الوحي المزعوم .

- تتابع أنبياؤهم الذين هم رؤساء الكنيسة على النحو التالي :

١- يوسف سميث .
٢ - بريجام يونج .
٣ - جون تيلور .
٤ - ويلفورد وودروف .
٥ - لورينزو سنو .
٦ - يوسف ف . سميث .
٧ - هيبر جرانت .
٨ - جورج البرت سميث .
٩ - داود مكاي .
١٠ - يوسف فليدنج سميث .
١١ - هارولد لي .
١٣ - وأخيراً سبنسر كيمبل الذي ما يزال نبيًّا ورئيسًا لهم إلى الآن .

- يرد في كتبهم اسم : إلما ، يارد ، لحي ، إنهم أنبياء في كتاب المورمون .

- لهم شخصيات بارزة في مجلس الشيوخ الأمريكي هم :

- جان جاردن جمهوري من ولاية يوتا

- أودين هانس جمهوري من ولاية يوتا

- بولا هو كينز جمهوري من ولاية فلوريدا

- وكذلك لهم شخصيات بارزة في مجلس النواب الأمريكي هم :

- جورج هانس جمهوري من ولاية إيواهو

- جيمس هانس جمهوري من ولاية يوتا

- موريس مودول ديموقراطي من ولاية أريزونا .

الأفكار والمعتقدات :

أولا : الكتب المقدسة لديهم اليوم :

١ ـ الكتاب المقدس : يعتقدون بأنه مجموعة من كتابات مقدسة تحتوي على رؤى الله للإنسان ، إنها مخطوطات تتناول قرونًا كثيرة منذ أيام آدم حتى الوقت الذي عاش فيه المسيح وقد كتبها أنبياء كثيرون عاشوا في أزمنة مختلفة ، وهو ينقسم إلى قسمين :

ـ العهد القديم : فيه كثير من النبوءات التي تنبأت بقدوم المسيح .

ـ العهد الجديد : يروى حياة المسيح وتأسيس الكنيسة في ذلك اليوم .

٢ ـ كتاب مورمون : هو سجل مقدس لبعض الناس الذين عاشوا في قارة أمريكا بين ٢٠٠٠ ق . م إلى ٤٠٠ بعد الميلاد ، وهو يروي قصة زيارة يسوع المسيح لشعب القارة الأمريكية بعد قيامه من الأموات مباشرة (كما يعتقدون) . وهذا الكتاب يعدّ الحجر الأساسي لديهم ، وإن الإنسان المورموني يتقرب إلى الله بطاعة تعاليمه ، وقد قام يوسف سميث بترجمته إلى اللغة الإنجليزية بموهبة الله وقوته ، وقدنزل به ملاك من السماء اسمه (موروني) على يوسف سميث .

٣ ـ كتاب المبادئ والعهود : هو مجموعة من الرؤى الحديثة التي تخصّ كنيسة يسوع المسيح كما أعيدت إلى أصلها في هذه الأيام الأخيرة ، وهو يوضح تنظيم الكنيسة وأعمالها ووظائفها ، وفيه نبوءات عن حوادث ستأتي ، وفيه أجزاء فيها معلومات مفقودة لمئات السنين ، وفيه تعاليم الكتاب المقدس .

٤ ـ الخريدة النفيسة : يحتوي على :

ـ سفر موسى : فيه بعض رؤى موسى وكتاباته كما كشفت ليوسف سميث في عام ١٨٣٠ م .

ـ سفر إبراهيم : ترجمة يوسف سميث من درج بردي مأخوذ من مقابر المصريين القدماء .

ـ كتابات يوسف سميث ذاته : تحتوي على جزء من ترجمة الكتاب المقدس ومختارات من تاريخ الكنيسة المورمونية وبنود الإيمان لديهم ورؤية المملكة السماوية .

- رؤية فداء الأموات ، وهي تروي زيارة يسوع المسيح للعالم الروحي ، وهي رؤية أعطيت للرئيس يوسف ف . سميث في ٣ أكتوبر ١٩١٨ م .

٥ -إضافة إلى الكتب الأربعة السابقة فإن كلمات الوحي والرؤى التي يذكرها أنبياؤهم تصبح كتبًا مقدسة ، وكل النشرات والتعاليم وقرارات المؤتمرات كلها تعتبر كتبًا مقدسة أيضًا .

ثانيًا : بنود الإيمان لديهم : كما وضعها يوسف سميث ذاته :

١ - الإيمان بالله ، الأب الأزلي ، وبابنه يسوع المسيح ، وبالروح القدس .

٢ - الإيمان بأن البشر سيعاقبون من أجل خطاياهم ، وليس بسبب تعدي آدم .

٣- - الإيمان بأن جميع البشر يستطيعون أن يخلصوا عن طريق كفارة المسيح وذلك بإطاعة شرائع الإنجيل ومراسيمه .

٤ - الإيمان بأن المبادئ والمراسم الأربعة للإنجيل هي :

ا - الإيمان بالرب يسوع المسيح .

ب - التوبة .

جـ - العماد بالتغطيس لغفران الخطايا .

د - وضع الأيدي لموهبة الروح القدس .

٥ - الإيمان بأن الإنسان يجب أن يدعى من الله عن طريق النبوة ووضع الأيدي على يد هؤلاء الذين لهم السلطة لكي يبشر بالإنجيل ويقوم بالمراسيم المتعلقة به .

٦ -الإيمان بنفس التنظيم الذي قامت عليه الكنيسة القديمة ، أي : الرسل والأنبياء والرعاة والمعلمين والمبشرين .. إلخ .

٧ -الإيمان بموهبة الألسن والنبوة والرؤيا والأحلام والشفاء وتفسير الألسن .

٨ -الإيمان بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله بقدر ما ترجم صحيحاً ، والإيمان بأن كتاب مورمون هو كلمة الله .

٩ ـ الإيمان بكل ماكشفه الله وبما يكشفه الآن وبأنه سيظل يكشف أمورًا كثيرة عظيمة تتعلق بملكوت الله .

١٠ ـ الإيمان بتجمع إسرائيل الحرفي واستعادة القبائل العشر ، وأن صهيون (أورشليم الجديدة) ستؤسس على القارة الأمريكية وأن المسيح سيملك شخصيًا على الأرض ، وأن الأرض ستتجدد وتتسلم مجدها الفردوسي .

١١ ـ يدعون امتياز عبادتهم لله القوي طبقًا لما يمليه عليهم ضميرهم كما يسمحون لجميع البشر بهذا الامتياز ، فليعبدوا ما يريدون وكيف يريدون وأين يريدون .

١٢ ـ الإيمان بأنه يجب عليهم الخضوع للملوك والرؤساء والحكام وأصحاب السلطة القضائية ، كما يؤمنون بأنه يجب عليهم إطاعة القانون واحترامه وتعضيده .

١٣ ـ الإيمان بأنه يجب عليهم أن يكونوا أمناء وصادقين وأطهارًا ومحسنين وأصحاب فضيلة وأن يعلموا الخير لكل البشر وهم يسعون وراء كل شيء ذي فضيلة ومحبوب ويستحق التقدير أو المدح .

ثالثًا : مراتبهم الدينية والتنظيمية :

ـ ينقسم الكهنوت لديهم إلى قسمين :

١ ـ كهنوت ملكيصادق : وهو أعظم كهنوت إذ يملك التوجيه والتبشير بالإنجيل كما يملك سلطة قيادة الكنيسة .

٢ ـ كهنوت هارون : وهو الكهنوت الذي منح لهارون ولأولاده خلال جميع الأجيال ، وأصحاب هذا الكهنوت يقومون بمراسم الإيمان والتوبة والتعميد .

ـ رئيس الكنيسة هو نبي الرب المختار ، وهو الكاهن العالي .

ـ مراتب كهنوت هارون :

ـ الشماس : كل ولد عمره ثمان سنوات من حقه أن يتعمد وأن يستحق هذا اللقب .

ـ المعلم : إذا بلغ الولد (١٤) سنة يملك هذه المرتبة .

ـ الكاهن : يقوم بالتعميد ومباركة القربان .

ـ الأسقف : رئيس رابطة الكهنة ويعمل في الأحوال الدنيوية مثل المباني وجمع العشور والعطايا وإعداد الميزانية ، وهو يعتبر قاضيًا في إسرائيل .

ـ مراتب كهنوت ملكيصادق :

ـ الشيخ : يقوم بالتدريس والتوضيح والمناشدة والتعميد ومراقبة الكنيسة .

ـ السبعون : عضو السبعين له دعوة خاصة تمكنه من التبشير بالإنجيل .

ـ الكاهن العالي : يؤدي المراسم في الكنيسة لكي يعطي بركات بطريركية خاصة كما يزعمون .

ـ الرسول : يكون عضوًا في الاثنى عشر الذين يلون النبي الحي كحواريي عيسى عليه السلام ، وهو شاهد خاص ليسوع المسيح في كل العالم .

ـ هناك عدد من الروابط :

ـ روابط كهنوت ملكيصادق هي :

١ ـ روابط الشيوخ : تحتوي كل رابطة على ستة وتسعين شيخًا لا أكثر .

٢ ـ روابط السبعين : تحتوي كل رابطة على سبعين شخصًا لا أكثر يرأسها سبعة رؤساء .

٣ ـ روابط الكهنة العالين : تضم البطاركة والأساقفة وكل الكهنة العالين الذين يسكنون في منطقة واحدة تسمى (الوتد) .

ـ روابط كهنوت هارون هي :

١ ـ رابطة الشماسة : تضم (١٢) شماسًا .

٢ ـ رابطة المعلمين : تضم أربعة وعشرين عضوًا .

٣ ـ رابطة الكهنة : تضم مالا يزيد عن ثمانية وأربعين كاهنًا .

رابعا : خلاصة أفكارهم :

ـ يعتقدون بأن (الله) هو على شكل إنسان له لحم وعظام وبداخل جسده الملموس

روح أزلية . كما يؤكد على أن الإله متطور عن الإنسان ، والناس يمكنهم أن يتطوروا إلى آلهة . تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا .

- الرجال والنساء وكل البشر إنما هم - حرفيًّا - أبناء وبنات الله .

- الإنسان - كروح - ولد من والدين سماويين ، وقد بقي هذا الإنسان في منازل الأب الأبدية قبل المجيء إلى الأرض في جسد مادي ، كما أن المسيح هو الروح الأول ، فهو بذلك الابن الأكبر .

- يسوع المسيح هو الذي خلق الأرض وكل ما فيها ، وخلق كذلك عوالم أخرى بتوجيه من أبيه السماوي . ثم خلق بعد ذلك الحيوانات .

- المسيح عليه السلام : أمه مريم العذراء التي كانت مخطوبة لشخص اسمه يوسف ، وقد حلّ عليها الروح القدس وقوة العلي ظللتها ، وولدها ابن الله ، وقد جاء الولد وارثًا لسلطة إلهية من أبيه ، ووارثًا الفناء من أمه .

- قام يوحنا المعمدان بتعميده وهو في الثلاثين من عمره ، وقد صام أربعين يومًا ليحارب الشيطان ، كما أنه قد ظهرت على يديه معجزات .

- إن المسيح قد ضُرِبَ ، وعُذِّبَ ، ومن ثم صُلِبَ ، ليسجل انتصاره على الخطيئة ، وقد استودع روحه بين يدي أبيه ، وقد ظل جسده ثلاثة أيام في القبر ، ثم عادت إليه روحه فقام متغلبًا على الموت .

- بعد قيامه بقليل ظهر في أمريكا ، وأسس كنيسته ، ثم صعد إلى السماء . وقد دخلت الوثنية إلى العقيدة المسيحية كما حارب رجال الدين بعضهم بعضًا مما استوجب نزول المسيح مرة أخرى مع الله وهبوطهما على يوسف سميث بغية إعادتها إلى الأرض مرة أخرى كما كانت في الأصل .

- حواء ابنة مختارة أعطيت لآدم ، وسمح لهما بالأكل من كل الأشجار عدا شجرة معرفة الخير والشر ، وقد أغراهما الشيطان فأكلا منها فأصبحا فانيين يشتغلان وينجبان.

- الروح القدس : عضو في الهيئة الإلهية ، وله جسد من الروح في شكل إنسان ، وهو يوجد في مكان واحد فقط في نفس الوقت إلا أن نفوذه يصل إلى كل مكان .

ـ النبي رجل دعاه الله ليمثله على الأرض ويتكلم بالنيابة عنه ، والنبوة لـديهم مستمرة لا تنقطع .

ـ التعميد : ترمز المعمودية إلى الموت والقيامة وذلك بأن ينزل رجل الـدين إلى المـاء مع الشخص الذي يريد تعميده ، فيغطسه في الماء ثم يخرجه ، وبذا تنتهي الحياة الخاطئة وتبدأ الحياة الجديدة ، وهي تسمى الميلاد الثاني .

ـ القربان : كانت القرابين قبل المسيح تقـدم على شكل ذبـائح من الحيوانـات ، لكن كفـارة المسيـح بقتلـه أنهت هـذا النـوع من القرابين ، وصـارت عبـارة عن خبز ونبيـذ مصحوبة بالصلوات . وخلال رؤية حديثه لقديسي الأيام الأخيرة جعلوها خبزًا وماء .

ـ يقدسون يوم السبت لأن الله استراح فيه بعدانتهائه من خلق الكون ولقدكان قيـام المسيح بعد صلبه في يوم الأحد الذي صار محل تقديس عوضًا عن يوم السبت .

ـ الصوم : هو الامتناع عن الطعـام والشراب مـدة أكلتين متتـابعتين وبـذلـك يصوم الشخص أربعًا وعشرين ساعة . فإذا أكل أحدهم العشاء فلا يجوز له أن يـأكل مرة ثـانيـة حتى العشاء الآخر . كما يقدم الصائم للقائد الكهنوتي إما مالاً أو طعـامًـا مسـاويًـا لطعـام الوجبتين وهذا يسمى بعطاء الصوم .

ـ يحرمـون شرب النبيـذ ، والمسكرات الكحـوليـة والتبـغ والـدخـان بكل أنـواعـه ، ويمتنعون عن شرب القهوة والشاي لما يحتويـان عليـه من عقـاقير مضرة . ويحـذرون من تناول المرطبات وما فيهـا من مشروبـات الصودا والمشروبـات الفوارة والميـاه الغـازيـة ، والكـولا أشـدهـا خطرًا . وينبهـون إلى عـدم الإسراف في أكل اللحم من دون تحريم ، ويبيحون تنـاول الفواكـه والخضر والبقول والغلال مركزين علىالقمح بخـاصـة لاعتقـادهم بأنه نافع لجسم الإنسان ويؤدي إلى المحـافظـة على صحتـه وقوامـه . وجـدير بـالـذكر أن يوسف سميث كان يرقص ويشرب الخمر ويشترك في المصارعـة وقـد كتب يقول : « خلق الإنسان ليتمتع بحياته » .

ـ يبيحون تعدد الزوجـات ويجيزون للرجل أن يتزوج مـا يشـاء من النسـاء لأن في ذلك إعادة لمـا شرعـه الله في الأزمـان الغـابرة . ولا يسمحون بـذلـك إلا لـذوي الأخلاق العالية على أن يثبتوا قـدرة على إعـالـة أكثر من أسرة . وقـد مـارس يوسف سميث هـذا

التعدد . كما استمرت هذه العادة حتى عام ١٨٩٠ م .

ـ تخلوا عن التعدد ـ ظاهريًا ـ في عهد نبيهم ولفورد نتيجة الضغط الشديد الذي قوبلوا به من الطوائف الأخرى وكذلك بغية تمكنهم من الانضمام إلى السلطات الاتحادية . وعلى الرغم من التحريم الرسمي العلني إلا أنهم يمارسون التعدد سرًّا .

يحرمون الزنى تحريمًا مطلقًا ، والذي يخطئ يمكنه التوبة والرجوع عن جميع خطاياه .

ـ يجب على كل فرد أن يدفع عشر النقود التي يكسبها على أن يكون ذلك مصحوباً بالفرح والسرور .

ـ يدفعون عطاء الصوم ، ويدفعون اشتراكات مختلفة وعطايا لغير ما سبب ، فكنيستهم بذلك من الكنائس الغنية الموسرة .

ـ من علامات القيامة :

ـ الشرور والحروب والاضطرابات .

ـ استعادة الإنجيل .

ـ بزوغ كتاب مورمون .

ـ اللامانيون يصبحون شعبًا عظيمًا .

ـ بناء أورشليم الجديدة في ولاية ميسوري .

ـ بيت إسرائيل يصلح شعب الله المختار .

ـ بعد الحساب هناك عدة ممالك :

ـ المملكة السماوية : للذين تسلموا شهادة يسوع وآمنوا باسمه وتعمدوا .

ـ المملكة الأرضية : للذين رفضوا الإنجيل على الأرض ولكنهم استلموه في العالم الروحي.

ـ المملكة السلفية : للذين لم يتسلموا الإنجيل ولا شهادة يسوع سواء على الأرض أو في العالم الروحي ومع هؤلاء يكون الزناة والفجار .

- الظلمة الخارجية : للذين شهدوا ليسوع بالروح القدس وعرفوا قوة الرب لكنهم سمحوا للشيطان بأن يتغلب عليهم فينكروا الحق ويتخذوا قوة الرب .

- يؤمنون بالعهد الألفي السعيد والذي يدوم ألف سنة من تاريخ مجيء المسيح إلى الأرض حيث يقوم كثير من الأموات ، وبعضهم يختطف للقائه عندما ينزل ، وهي القيامة الأولى . أما الأشرار فيهلكون في الأجساد ويبقون كذلك مع الأشرار من الأموات حتى انتهاء الألف سنة حيث تأتي القيامة الآخرة .

- في فترة الألف سنة هذه تسود المحبة والسلام ، ويملك يسوع شخصيًا ، وتجتمع الأرض في مكان واحد ، فلن يكون هناك قارات مختلفة ، وينمو الأطفال بدون خطيئة .

- لن يكون هناك موت : لأن الناس سيتغيرون من حالتهم الفانية إلى حياة الخلود في لحظة .

- في نهاية العهد الألفي سيطلق سراح الشيطان لمدة قصيرة ، وتحدث معركة بين أتباع الأنبياء وأتباع الشيطان . وعندها ينتصر المؤمنون ويطرد الشيطان إلى الأبد مدحورًا .

خامساً : المورمون واليهود :

- مما لاشك فيه أن لليهود دورًا فعالا ونشيطًا في حركة المورمون .

يعتقدون بأن الله أعطى وعهد لإبراهيم ، ومن ثم لابنه يعقوب بأن من ذريته سيكون شعب الله المختار .

- يعقوب الذي اسمه (اسرائيل) رزق باثنى عشر ابنًا يعرفون بالأسباط .

- هؤلاء الأنبياء ارتكبوا الشرور فبددهم الله في الأرض منقسمين إلى مملكتين :

أ) المملكة الشمالية : وتسمى إسرائيل حيث عاش فيها عشرة أسباط .

ب) المملكة الجنوبية : وتسمى مملكة يهوذا حيث عاش فيها سبطان فقط .

- الأسباط الشماليون هزموا في معركة ودفعوا إلى السبي ، وقد هرب بعضهم وتاهوا في البلاد .

ـ بعد مائة عام انهزمت المملكة الجنوبية حوالي عام ٦٠٠ ق . م . عندها ترك لحي وعائلته أورشليم مستقرين في القارة الأمريكية فكان منهم النافيون وكذلك اللامانيون الذين يعتبرون من سلالة لحي . وقد هدمت أورشليم عام ٥٨٦ ق . م .

ـ سبطا إسرائيل اللذان بقيا أُخِذا أسيرين ، كما أعيد بناء أورشليم بعد المسيح ، إلا أن الجنود الرومانيين قد خربوها مرة ثانية .

ـ يصرحون بأنه في هذا الزمان قد وعد الرب بأنه سيجمع بني إسرائيل ليتعلموا الإنجيل ، كما أن موسى النبي قد نزل على يوسف سميث عام ١٨٣٦ م وأعطاه سلطة جمع بيت إسرائيل في هيكل كيرتلاند .

ـ بيت إسرائيل الآن في طريقه إلى الجمع إذ إن آلافًا من الناس ينضمون إلى الكنيسة سنويًا من الإسرائيليين الذين ينتمون إلى عائلة إبراهيم ويعقوب إما بعلاقة الدم أو بعلاقة التبني حسب ادعاءاتهم .

ـ سيجمع سبطا افرايم ومنسي في أرض أمريكا ، وسيعود سبط يهوذا إلى أورشليم كما أن الأسباط العشرة المفقودة ستتسلم البركات التي وعدت بها من سبط افرايم في أمريكا .

ـ الإسرائيليون المشتتون في كل دولة يدعون للتجمع في حظيرة المسيح في أوتاد صهيون .

ـ هذا التجمع الحرفي لإسرائيل لن يتم حتى المجيء الثاني للمخلص كما يزعمون .

ـ ستكون هناك عاصمتان في العالم : الأولى في أورشليم والثانية في أمريكا لأن من صهيون تخرج الشريعة ، ومن أورشليم تخرج كلمة الرب .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ لليهود دور في نشوء هذه الطائفة تعزيزًا للانشقاق داخل الكنائس المسيحية بغية السيطرة عليها .

ـ كتاب (المورمون) يشبه التلمود في كل شيء ويحاكيه وكأنه نسخة طبق الأصل عنه .

ـ إن إسرائيل قد جندت كل إمكاناتها لخدمة هذه الطائفة عاملة على استمرارية العون

والمساندة النصرانية لها .

ـ يعملون على ربط صهيون أو القدس الجديدة بالأرض الأمريكية المقدسة ـ حسب وصايا الرب ـ انتظارًا لعودة المسيح الذي سيعود ليملك الأرض ويملأها جنات خالدات .

ـ يقولون عن فلسطين في كتاب المورمون في الإصحاح العاشر الفقرة ٣١ « فاستيقظي وانتفضي من الثرى يا أورشليم ، نعم .. وألبسي حللك الجميلة يا ابنة صهيون ، ووسعي حدودك إلى الأبد ، لكي لا تعودي مغلوبة ولكي تتحقق عهود الأب الأزلية التي قطعها معك ، يا بيت إسرائيل » .

ـ يقولون في الإصحاح الرابع عشر فقرة (٦) مخاطبين المورمون : « لا تعطوا القدس للكلاب وتطرحوا دوركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت لتمزقكم » .

ـ نلاحظ تعانق الفكر الصليبي مع الفكر الصهيوني في نظرتهم إلى فلسطين ، إنهم يقولون ذلك منذ عام ١٨٢٥ م يوم كانت فلسطين ماتزال جزءًا من أرض الإسلام .

الانتشار ومواقع النفوذ :

ـ آمن بفكرة المورمون كثير من النصارى ، وكان دعاتها من الشباب المتحمس ، وقد بلغ عدد أفرادها أكثر من خمسة ملايين نسمة ، ثمانون بالمئة منهم في الولايات المتحدة الأمريكية ويتمركزون في ولاية (أوتاه) حيث إن ٦٨٪ من سكان هذه الولاية منهم ، و٦٢٪ من سكان مقاطعة البحيرات المالحة مسجلون كأعضاء في هذه الكنيسة ومركزهم الرئيسي في ولاية (يوتا) الأمريكية .

ـ انتشروا في الولايات المتحدة الأمريكية ، وأمريكا الجنوبية ، وكندا ، وأوربا ، كما أن لهم في معظم أنحاء العالم فروعًا ومكاتب ومراكز لنشر أفكارهم ومعتقداتهم .

ـ إنهم يوزعون كتبهم مجانًا ، ودعوتهم تأتي خدمة لمصلحة إسرائيل وتأكيدًا لأهدافها المرسومة . ولهم (١٧٥) إرسالية تنصيرية ، كما أنهم يملكون :

ـ شبكة تليفزيونية ، وإحدى عشرة محطة إذاعية .

ـ ويملكون مجلة شهرية بالإسبانية ، وصحيفة يومية واحدة .

الطاوية

TAOISM

التعريف :

الطاوية إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة التي ما تزال حية إلى اليوم إذ ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد ، تقوم في جوهر فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية والوقوف موقفًا سلبيًا من الحضارة والمدنية . كان لها دور هام في تطوير علم الكيمياء منذ آلاف السنين وذلك من خلال مسيرتها في البحث عن إكسير الحياة ومعرفة سر الخلود .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

ـ يعتقد بأن لوتس Lootse الذي كان ميلاده عام (٥٠٧) ق . م هو الأساس الذي قامت عليه الطاوية والتي يُرجع بعضهم معتقداتها إلى زمن سحيق ، وقد وضع كتابه (طاو ـ تي ـ تشينغ) (Tao – te ching) أي كتاب طريق القوة ، وقد التقى به كونفشيوس فأخذ عنه أشياء وخالفه في أشياء أخرى .

ـ بقيت الطاوية خلال أكثر من ألفي سنة تؤثر في الفكر الصيني وفي التغيرات التاريخية الصينية .

ـ ظهر (شوانغ تسو) الذي يرجع إلى القرن الرابع والثالث قبل الميلاد زاعمًا بأن لوتس كان أحد المعلمين السماويين ، كما قام بشرح كتاب معلمه لوتس مضيفًا إليه شيئًا من فلسفته .

ـ لقد نمت الطاوية المنظمة في منطقة جبال (شي شوان) قبل غيرها .

ـ في عام (١٤٢ م) زعم (شانغ طاولينغ) أنه قد جاءه الوحي من الرب تعالى بأن يتحمل تبعات إصلاح الدين الطاوي ، وأنه قد ارتقى وسمي المعلم السماوي لذلك التنظيم الذي صار لسلالته الذين عرفوا بالمعلمين السماويين .

ـ في القرن الثاني الميلادي انتشرت الطاوية الشعبية بفضل حركة السلم الكبير (Tai – ping) وقد كان للمعلمين السماويين دور كبير في نشرها .

ـ في عام (٢٢٠ م) زالت أسرة هـان مما أدى إلى انقسـام الصينيين إلى ثلاثـة أقسـام الأمر الذي ترك أثره على الاختلافات الدينية الإقليمية فيما بينهم .

ـ عقب سقوط أسرة هـان ، وفي القرنين الثـالث والرابع الميـلادي ظهرت الطـاويـة الجديدة .

ـ في عـام (٤٠٦ ـ ٤٧٧ م) ظهر المصلح (لوهيـو شينـغ) الـذي يرجـع إليـه مفهـوم القانون الكنسي لجميع الكتب المقدسة الطاوية .

ـ مؤسسـو أسرتي تـانـغ (٦١٨ ـ ٩٠٧ م) ومينـغ (١٣٦٨ ـ ١٦٤٤ م) قـد استخـدمـوا التنبؤات الطاوية والسحر لكسب التأييد الشعبي .

ـ تدّعي عائلة شانغ الحالية للمعلمين السماويين بأنها من سلالـة شـانغ طـاو لينغ المعلم السماوي الأول الذي ظهر أيام أسرة هان .

الأفكار والمعتقدات :

أولا : الكتب :

١ ـ كتـاب لوتس المسمى (طـاو ـ تي ـ تشينغ) لم يكن ليكتب لولا رجـاء حـارس الممر (ين شي) الـذي طلب من المعلم الشيخ أن يـدون أفكاره . وهـذا الكتـاب مجموعـة قطع أدبية تحيط بطبيعة (طاو) كما تشمل قواعد عامة وأمثلة للحاكم الـذي يمتلـك زمـام أمر الطاو ، وهو كتاب غامض في كثير من عباراته إذ إن ذلك الغموض مقصود لذاته .

٢ ـ شوانغ تسو : بحث في النظرة الطـاويـة الفلسفيـة ، كما أجرى مقـابلـة بين السماء والبشر ، وبين الطبيعة والمجتمع ، طالبًا من الطـاويين طرح كل الحيل المصطنعـة ، وفيـه قصص عن بشر كاملين يستطيعون الطيران هم (الخالدون) الذين لا يتـأثرون بـالعنـاصر الطبيعية ولا يمسهم حر ولا قر ، أصحاب أرواح تمتاز بحرية في تصرفاتها .

٣ ـ كتـاب (هوانغ ـ تي ـ ني ـ تشينغ) وهـو من القرن الثـالث قبـل الميـلاد ، فيـه تجـارب على بعض المعـادن والنبـاتـات والمواد الحيـوانيـة وذلـك انطـلاقًـا من اهتمامهم في المحافظة على الصحة وإطالة الحياة .

٤ ـ كتاب (با ـ بو ـ تسو) الذي انتهوا من تـأليفـه عـام (٣١٧ م) يبحث في علوم

الكيمياء القديمة وفيه محاولات لتحويل المعادن إلى ذهب وإطالة الحياة بواسطة بعض الأكاسير .

٥ ـ لهم أدب فلسفي وديني سري ، قسم منه يعود إلى القرن الرابع والقرن الثاني قبل الميلاد ويركز على إقناع الحكام ، وقسم يبدأ منذ نهاية القرن الثاني الميلادي وهو يمثل حركات دينية منظمة ينتقل من الشيخ إلى تلاميذه بعد أداء القسم للمحافظة على سريته .

ثانيًا : فكرتهم عن الإله :

ـ الإله ـ لديهم ـ ليس بصوت ، ولا صورة ، أبدي لا يفني ، وجوده سابق وجود غيره وهو أصل الموجودات ، وروحه تجري فيها .

ـ إن (طاو) هو المطلق الكائن ، وهو مراد الكون ، إنه ليس منفصلا عن الكون بل هو داخل فيه دخولا جوهريًا ، انبثقت عنه جميع الموجودات .

ـ إنهم يؤمنون بوحدة الوجود إذ إن الخالق والمخلوق شيء واحد لا تنفصل أجزاؤه وإلا لاقى الفناء .

ـ إن نظرتهم إلى الإله قريبة جدًا من مذهب الحلولية الذي يذهب إلى أن الخالق حالٌ في كل الموجودات ، كما أن الخالق لا يستطيع أن يتصرف أو يعمل إلا بحلوله في الأشياء .

ـ يؤمنون بالقانون السماوي الأعظم الذي هو أصل الحياة والنشاط والحركة لجميع الموجودات في السماء والأرض .

ـ يرى شونغ تسي بأن الإنسان قد جاء إلى الوجود مع الكون ، فهو يحب الله ولكنه يحب المصدر الذي جاء منه الله أكثر من حبه الله ، فهو تصور يدل على أنهم يعتقدون بأن هناك مبدءًا قبل الله .

ثالثًا : الاحتفالات الدينية والطقوس الطاوية :

ـ هناك طقس شيو (Chioo) وهو أقدم الطقوس إذ هو تجديد لعلاقة الجماعة بالآلهة ولا يزال هذا الطقس موجودًا في تايوان إلى اليوم .

- هناك طقوس لتنصيب الكهنة ، وأخرى عند ميلاد الآلهة .

- بعض الكهنة يمارسون طقوسًا معينة في مناسبات الدفن والزواج والولادة .

- من طقوسهم معالجة المريض وذلك بإدخاله إلى غرفة هادئة يقضي فيها بعض الوقت متأملا منشغلا بذنوبه ، كما يقوم بعضهم باستعمال الوسطاء الذين يسترخون في سبات ويزعمون أنهم يقومون بنقل آراء الآلهة أو الأموات أو الأقارب .

- حرق البخور موضوع أساسي لكل عبادة طاوية فضلا عن استعمال الخناجر والماء المسحور والموسيقا والأقنعة والكتب المقدسة .

رابعًا - أفكار طاوية :

- إنهم متصوفة ، إذ إنه يجب على الطاوي أن ينظف نفسه من جميع المشاغل والشوائب ليوجد في داخله فراغًا هو في الحقيقة الامتلاء نفسه وذلك بالوصول إلى الحقائق المجردة ، ويتم ذلك عن طريق التجرد من الماديات ليصبح الإنسان روحًا خالصًا .

- أعلى مراتب التصوف هي مرحلة الوحدة التامة بين الفرد والقانون الأعظم وذلك بحصول اندماج بين المتصوف والذات العليا لتصيران شخصية واحدة .

- إذا ارتقى الإنسان إلى المعرفة الحقة عندها يستطيع أن يصل إلى الحالة الأثيرية حيث لا موت ولا حياة .

- إن الطاوية تتجه اتجاهًا سلبيًا - على عكس الكونفوشيوسية - ذلك لأن الفضيلة لديهم تكمن في عدم العمل والاقتصار على التأمل داعين إلى الحياة على الجبال المقدسة وقرب الجزر النائية .

- إنهم يهاجمون الشرائع والقوانين والعلم وما إلى ذلك من مظاهر المدنية التي عملت على إفساد فطرة الإنسان الذي ولد خيرًا ، إن مثلهم الأعلى في ذلك هو في العودة إلى النظام الطبيعي المتميز بنقاء الفطرة وسلامتها .

- اهتم الطاويون بطول العمر ، ويعتبر التقدم في السن دليلاً على القداسة حتى صار من أهداف التصوف الطاوي السعي لإطالة العمر والخلود ، وقد ذهب بعضهم إلى ادعاء إمكانية إطالة العمر مئات السنين ، وأفضل الخالدين - في نظرهم - هم الذين يصعدون إلى

السماء في وضح النهار ، هذا الخلود الذي من الممكن أن يتم بوساطة تدريبات ورياضات خاصة جسدية وروحية - كما يزعمون - .

- هذا الاهتمام في البحث عن إكسير الحياة كان عاملا مهمًا في تقدم الطب والكيمياء عل أيديهم فضلا عن السحر والشعوذة والدجل مما أدى إلى ثراء الكهنة ثراء فاحشًا .

- إنهم يؤكدون حرصهم على التعاليم الأخلاقية وعلى ضرورة المشاركة في الاحتفالات الجماعية الموسمية .

- ليس لديهم بعث ولا حساب ، إنما يكافأ المحسن بالصحة وبطول العمر فيما يجازي المسيء بالمرض وبالموت المبكر .

الجذور الفكرية والعقائدية :

- المفاهيم الطاوية ترجع إلى زمن سحيق لكنها تبلورت على يد مؤسسها لوتس .

- هناك عوامل تأثر وتأثير بين الطاوية والكنفوشيوسية والبوذية بسبب توطن هذه الديانات في منطقة واحدة متجاورة ، حيث يمكن ملاحظة فكرة التصوف التي يعبر عنها بأساليب مختلفة ولكن في مضمون واحد .

- الطاوية أقرب إلى الكنفوشيوسية منها إلى البوذية .

- أخذ الطاويون عن البوذيين بناء الأديرة وتقرير الرهبنة والعزوبية .

- يذكر دوان في كتابه (خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات الأخرى ص ١٧٢) ، بأن في الطاوية تثليث ، فطاو هو العقل الأزلي الأول ، انبثق من واحد ، ومن هذا انبثق ثالث كان مصدر كل شيء .

الانتشار ومواقع النفوذ :

- في عام ١٩٥٨ م أُعلن بأن ثلاثين ألفًا من الكهنة الطاويين لا يزالون ناشطين في مختلف أنحاء الصين . ومعلوم بأن الثقافة الصينية التقليدية الطاوية ما تزال حية فيها .

- في عام ١٩٤٩ م هرب آخر المعلمين السماويين (شانغ اين بو) إلى تايوان ، وفي عام ١٩٦٠ م انبعثت هذه الديانة من جديد وظهرت المعابد الطاوية الضخمة كمعبد

(شهنان) قرب تاييه والذي يضم تمثال (لو يونغ ين) الذي تقمصته روح إله الطـاو كما يزعمون ، وفي عام ١٩٧٠ م مات هـذا المعلم السماوي ليخلفـه ابنـه (شـانغ يوان هسين) . تعتبر اليابان وتايوان من أهم مراكز الطاوية .

- توجد فئات طاوية في بعض نواحي ماليزيا وبينيانغ وسنغافورة وبانكوك .

السيخية

SIKHISM

التعريف :

السيخ : مجموعة دينية من الهنود الذين ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي داعين إلى دين جديد فيه شيء من الديانتين الإسلامية والهندوسية تحت شعار (ولا هندوس ولا مسلمون) ، وقد عادوا المسلمين خلال تاريخهم ، وبشكل عنيف ، كما عادوا الهندوس بهدف الحصول على وطن خاص بهم ، وذلك مع الاحتفاظ بالولاء الشديد للبريطانيين خلال فترة استعمار الهند .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

ـ المؤسس الأول (ناناك) ويدعي (غورو) أي المعلم ، ولد سنة ١٤٦٩ م في قرية (ري بوي دي تلفندي) والتي تبعد ٤٠ ميلا عن لاهور ، كانت نشأته هندوسية تقليدية .

ـ لما شب عمل محاسبًا لزعيم أفغاني في (سلطانبور) ، وهناك تعرف على عائلة مسلمة (ماردانا) كانت تخدم هذا الزعيم ، وقد أخذ ينظّم حينها الأناشيد الدينية ، كما نظم مقصفًا ليتناول المسلمون والهندوس الطعام فيه .

ـ درس علوم الدين ، وتنقل في البلاد ، كما قام بزيارة مكة والمدينة ، وزار أنحاء العالم المعروفة لديه .

ـ ادعى أنه رأى الرب حيث أمره بدعوة البشر ، ثم اختفى أثناء استحمامه في أحد الجداول ، وغاب لمدة ثلاثة أيام ظهر بعدها معلنًا (لا هندوس ولا مسلمون) .

ـ كان محبًا للإسلام من ناحية ، مشدودًا إلى تربيته وجذوره الهندوسية من ناحية أخرى ، مما دفعه لأن يعمل على التقريب بين الديانتين فكان أن أنشأ دينًا جديدًا في القارة الهندية ، وبعض الدارسين ينظرون إليه على أنه كان مسلمًا في الأصل ثم ابتدع مذهبه هذا .

ـ أنشأ المعبد الأول للسيخ في كارتاربور (بالباكستان حاليًا) وقبل وفاته عام ١٥٣٩ م عين أحد أتباعه خليفة له ، وقد دفن في بلدة (ديره بابانانك) من أعمال

البنجاب الهندية الآن ، ولا يزال له ثوب محفوظ فيه مكتوب عليه سورة الفاتحة وبعض السور القصيرة من القرآن .

- خلفه من بعده عشرة خلفاء (معلمون) آخرهم غوبند سنغ (١٦٧٥ - ١٧٠٨ م) الذي أعلن انتهاء سلسلة المعلمين .

- صار زعماؤهم بعد ذلك يعرفون باسم (المهراجا) ومنهم المهراجا رانجيت سنغ المتوفى سنة ١٨٣٩ م .

الأفكار والمعتقدات :

أولاً : خلفية فكرية :

- بدعون إلى التوحيد ، ويسايرون المسلمين بتحريم عبادة الأصنام .

- يؤكدون على وحدانية الخالق الحي الذي لا يموت ، والذي ليس له شكل ، ويتعدى أفهام البشر ، كما يستعملون عدة أسماء هندوسية وإسلامية للإله منها (واه غورو) و(الجاب) ، وأفضلها عند ناناك « الخالق الحق » وكل ما عداه وَهْمٌ (مايا) .

- يمنعون تمثيل الإله في صور ، ولا يقرون عبادة الشمس والأنهار والأشجار التي يعبدها الهندوس ، كما لا يهتمون بالتطهر والحج إلى نهر الغانج ، وقد انفصلوا تدريجيًّا عن المجتمع الهندوسي حتى صارت لهم شخصية دينية متميزة .

- أباح ناناك الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، وقد حرم لحم البقر مجاراة للهنادكة .

- أصول الدين لديهم خمسة (بانج كهكها) أي الكافات الخمس ذلك أنها تبدأ بحرف الكاف باللغة الكورمكية ، وهي :

١ - ترك الشعر مرسلا بدون قص من المهد إلى اللحد ، وذلك لمنع دخول الغرباء بينهم بقصد التجسس .

٢ - أن يلبس الرجل سوارًا حديديًّا في معصميه بقصد التذلل والاقتداء بالدراويش .

٣ - أن يلبس الرجل (تبانًا) وهو أشبه بلباس السباحة تحت السراويل رمزًا للعفة .

٤ - أن يضع الرجل مشطًا صغيرًا في شعر رأسه ، وذلك لتمشيط الشعر وترجيله وتهذيبه .

٥ ـ أن يتمنطق السيخي بحربة صغيرة أو خنجر على الدوام ، وذلك لإعطائه قوة واعتدادًا ، وليدافع به عن نفسه إذا لزم الأمر .

ـ يُعتقد بأن هذه الأمور ليست من وضع (ناناك) بل هي من وضع الخليفة العاشر (غوبند سنغ) الذي حرم أيضًا التدخين على أتباعه ، ويقصد بهذه الأمور التميز عن جميع الناس .

ـ معلمو السيخ ينكرون المعجزات والقصص الخرافية ذات الأساطير ، إلا أنه على الرغم من ذلك فقد خلَّدَ السيخ معابد لهم (غور دوارا) مبنية على قصص تتحدث عن معجزات وقعت .

ـ للمعلم (غورو) درجة دينية تأتي بعد مرحلة الرب ، فهو الذي يدل ـ في نظرهم ـ على الحق والصدق ، كما أنهم يتعبدون الله بإنشاد الأناشيد الدينية التي نظمها المعلمون .

ـ يعتقدون بأن ترديد أسماء الله (الناما) يطهر المرء من الذنوب ويقضي على مصادر الشر في النفوس ، وإنشاد الأناشيد (كيرتا) والتأمل بتوجيه من معلم (غورو) كل هذا يؤدي إلى الاتصال بالله .

ـ يعتقدون بأن روح كل واحد من المعلمين تنتقل منه إلى المعلم التالي له .

ـ هناك بعض التنبوءات واسمها (ساوساكي) المائة قصة والمنسوبة إلى المعلم غوبند سنغ والتي تدور حول الانقلابات في الحكم القائم ومجيء مخلص ينشر السيخية في جميع أرجاء العالم .

ـ يؤمنون بولادة الإنسان وموته ثم إعادة ولادته (كارما) بحيث تتقرر حياة الإنسان المستقبلية على ضوء حياته السابقة ، ويتوقف خلاصه على هذه المرحلة .

ـ يقدسون العدد خمسة الذي له معنى صوفي في أرض (البنجاب) أي الأنهار الخمسة .

ـ إن توجيه المعلم (غورو) أساس للوصول إلى مرحلة الانعتاق (موكا) .

ـ الخلافات الدينية يحلها مجلس ديني يعقد في (أمر تيسار) وقرارات هذا المجلس لها قوة روحية .

ـ ليس لديهم طبقة دينية مشابهة للبراهمة الهندوس ، إذ إنهم ـ عمومًا ـ يرفضون مبدأ الطبقات الهندوسي كما يعارضون احتكار طبقة البراهمة للتعاليم الدينية .

ـ يقسمون أنفسهم على أساس عرقي .. منهم الجات (قبائل زراعية) وغير الجات ، والمذاهبي ، وهم المنبوذون ، لكن وضعهم أفضل بكثير من وضع المنبوذين لدى الهندوس .

ـ يتزوجون من زوجة واحدة فقط .

ـ أعياد السيخ هي نفس أعياد هندوس الشمال في الهند بالإضافة إلى عيد مولد أول وآخر (غورو) وعيد ذكرى استشهاد الغورو الخامس والتاسع .

ثانيًا : الخالصة (الباختا) :

ـ تعرض السيخ لاضطهاد المغول الذين أعدموا اثنين من معلميهم ، وقد كان أشد المغول عليهم نادر شاه (١٧٣٨ ـ ١٨٣٩ م) الذي هاجمهم مما أضطرهم إلى اللجوء إلى الجبال والشعاب .

ـ قام (غوبند سنغ) وهو المعلم العاشر بإنشاء منظمة (الباختا) أي الخالصة التي سمى رجالها « أسودًا » ونساءها « لبوات » .

ـ هدف شباب السيخ أن يصبحوا مؤهلين لأن يكونوا من رجال الخالصة ويطلعوا على تعاليمها .

ـ إن الخالصة مجموعة من الشباب الذين يرتبطون بنظام سلوكي ديني قاس ، حيث ينصرفون إلى الصلاة والجهاد من أجل الحق والعدل الذي يعتقدون به ممتنعين عن المخدرات والمسكرات والتبغ .

ـ صاروا بعد عام (١٧٦١ م) حكامًا للبنجاب وذلك بعد ضعف المغول ، حيث احتلوا لاهور عام ١٧٩٩ م ، وفي عام ١٨١٩ م امتدت دولتهم إلى بلاد الباتان ، وقد وصلت إلى ممر خيبر في عهد المهراجا رانجيت سنغ (ت ١٨٣٩ م) متغلبين على الأفغان .

ـ عندما وصل الإنجليز حصلت مصادمات بينهم وبين السيخ واضطروهم لأن يتراجعوا ويتوقفوا عند نهر سوتلج واعتبار ذلك حدودًا لدولة السيخ من الناحية الجنوبية الشرقية .

ـ انكسروا بعد ذلك وتراجعوا أكثر ، وأجبرهم البريطانيون على دفع غرامة كبيرة وتسليم جامو وكشمير ، كما عينوا في لاهور مقيمًا بريطانيًّا يدير بقية مملكة السيخ .

ـ صاروا بعد ذلك شديدي الولاء للإنجليز ، بل ساعدوهم على احتلال البنجاب .

ـ تحول السيخ إلى أداة في أيدي الإنجليز يضطهدون بهم حركات التمرد (١٨٥٧ م) .

ـ حصلوا من الإنجليز على امتيازات كثيرة ، منها منحهم أراض زراعية وإيصال الماء إليها عبر قنوات مما جعلهم في رخاء مادي يمتازون به عن جميع المقيمين في المنطقة .

ـ في الحرب العالمية الأولى كانوا يشكلون أكثر من ٢٠ ٪ من الجيش الهندي البريطاني.

ـ انضموا إلى حركة غاندي في طلب الحرية وذلك إثر قيام مشكلات بينهم وبين الإنجليز .

ـ بعد عام ١٩٤٧ م صاروا مقسمين بين دولتين : الهند والباكستان ، ثم اضطر مليونان ونصف المليون منهم لأن يغادروا باكستان إلى الهند إثر صدامات بينهم وبين المسلمين .

ـ ألغت الحكومة الهندية الامتيازات التي حصل عليها السيخ من الإنجليز مما دفعهم إلى المطالبة بولاية البنجاب وطنًا لهم .

ـ على إثر المصادمات المستمرة بين الهندوس والسيخ أمرت إنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند في شهر يونيو ١٩٨٤ م باقتحام المعبد الذهبي في أمر تيسار حيث اشتبك الطرفان وقتل فيه حوالي ١٥٠٠ شخص من السيخ و ٥٠٠ شخص من الجيش الهندي .

ـ وفي يوم ٣١ أكتوبر ١٩٨٤ م أقدم السيخ على قتل رئيسة الوزراء هذه انتقامًا لاقتحام المعبد ، وقد حصلت مصادمات بين الطرفين عقب الاغتيال قتل بسببها عدة آلاف من السيخ يقدرها بعضهم بحوالي خمسة آلاف شخص .

ـ اشتهر السيخ خلال حكمهم بالعسف والظلم والجور والغلظة على المسلمين من مثل منعهم من أداء الفرائض الدينية والأذان وبناء المساجد في القرى التي يكونون فيها أكثرية وذلك فضلاً عن المصادمات المسلحة بينهما والتي يقتل فيها كثير من المسلمين الأبرياء.

ثالثًا : كتبهم :

ـ كتاب (آدي غرانت) وهو مجموعة أناشيد دينية ألفها المعلمون الخمسة الأوائل وتبلغ نحوًا من ٦٠٠٠ نشيد ديني ، كما ضم إليها المعلم الأخير (غوبند سنغ) ١١٥ نشيدًا نظمها أبوه (تيغ بهادور) كما تحتوي على أناشيد نظمها شيوخ من الخالصة (الباختا) وبعض رجال الصوفية المسلمين من مثل ابن الفارض على وجه الخصوص وبعض شعراء بلاط (غورو) ، وهذا الكتاب هو الكتاب المقدس الذي يعتبر أساس السلطة الروحية لديهم .

ـ أقدم مصدر عن حياة (ناناك) كتب بعد وفاته بخمسين إلى ثمانين عامًا ، ومعظم علماء السيخ يرفضون عددًا من القصص الواردة فيه .

ـ هناك كتابات تاريخية سيخية ترجع إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

ـ كتاب (راحت ناما) يحتوي على تقاليد الخالصة وتعاليمهم .

ـ لهم كتاب مقدس مكتوب باللغة الكورمكية يسمونه (كرانته صاحب) .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ ترجع حركتهم في الأصل إلى ظهور حركة (فيسنافا باختي) التي بدأت بالظهور بين الهندوس في منطقة التامل ، ووصلت إلى الشمال على يد رامانوجا (١٠٥٠ ـ ١١٣٧ م) .

ـ وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وبعد الاحتكاك بالمسلمين ، انتشرت هذه الحركة في سهل الغانج .

ـ لذا يقال بأن (ناناك) لم يكن الأول في مذهبه السيخي هذا ، وإنما سبقه إليه شخص آخر صوفي اسمه (كبير) (١٤٤٠ ـ ١٥١٨ م) درس الدين الإسلامي والهندوكي وكان حركة اتصال بين الدينين إذ أراد أن يؤلف بينهما عن طريق التوجيه والتأمل الصوفي .

ـ كان (كبير) هذا يتساهل في قبول كثير من العقائد الهندوكية ويضمها إلى الإسلام شريطة بقاء التوحيد أساسًا ، لكنه لم يفلح إذ انقرض مذهبه بموته مخلفًا مجموعة أشعار باللغة البنجابية تُظهر تمازج العقيدتين المختلفتين الهندوسية والإسلامية مرتبطتين برباط

صوفي يجمع بينهما .

ـ أصل نظريتهم عن الكون مستمدة من النصوص الهندوسية .

ـ إنهم يحرقون موتاهم كالهندوس .

الانتشار ومواقع النفوذ :

ـ لهم بلد مقدس يعقدون فيه اجتماعاتهم المهمة ،.وهي مدينة (أمر تيسار) من أعمال البنجاب وقد دخلت عند التقسيم في أرض الهند .

ـ هناك أربعة عروش تتمتع بالقداسة (عقل تخت) وهي في أمر تيسار ، وأناندبور ، وباتنا ، وباندد .

ـ لهم في مدينة (أمر تيسار) أكبر معبد يحجون إليه ويسمى (دربار صاحب) أي مركز ديوان السيد الملك ، وأما سائر المعابد فتسمى (كرو داوره) أي مركز الأستاذ .

ـ أكثرية السيخ تقطن البنجاب إذ يعيش فيها ٨٥٪ منهم ، فيما تجد الباقي في ولاية هاريانا ، وفي دلهي ، وفي أنحاء متفرقة من الهند ، وقد استقر بعضهم في ماليزيا وسنغافورة وشرق أفريقيا وإنجلترا والولايات المتحدة وكندا ، ورحل بعضهم إلى دول الخليج العربي بقصد العمل .

ـ لهم لجنة تجتمع كل عام سنة ١٩٠٨ م ، تنشئ المدارس وتعمل على إنشاء كراسي في الجامعات لتدريس ديانة السيخ ونشر تاريخها .

ـ انشق قسم من السيخ عن الاتجاه العام متبعين (ابن نانـاك) الأكبر وسموا (أدواسي) إذ يتجه هؤلاء نحو التصوف ، أما الخالصة فلا يؤمنون بانتهاء سلالة الغورو (غوبند سنغ) العاشر ، بل يعتقدون بأن هناك معلمًا حيًّا بين الناس ما يزال موجودًا .

ـ لديهم اعتقاد راسخ بضرورة إيجاد دولة لهم وأن ذلك أحد أركان الإيمان لديهم إذ ينشدون في نهاية كل عبادة نشيدًا يقولون فيه (سيحكم رجال الخالصة) كما يحلمون بأن تكون عاصمتهم في شانديغار .

ـ يقدر عدد السيخ حاليًّا بحوالي ١٥ مليون نسمة داخل الهند وخارجها .

البوذية

التعريف :

هي ديانة ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية في القرن الخامس قبل الميلاد . كانت في بدايتها متوجهة إلى العناية بالإنسان كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير لكنها لم تلبث بعد موت مؤسسها أن تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني ، ولقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألهوه .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

ـ أسسها سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا (٥٦٠ ـ ٤٨٠ ق . م) وبوذا تعني (العالم) ويلقب أيضًا بسكيا موني ومعناه المعتكف . وقد نشأ بوذا في بلدة على حدود نيبال ، وكان أميرًا فشب مترفًا في النعيم وتزوج في التاسعة عشرة من عمره ولما بلغ السادسة والعشرين هجر زوجته منصرفًا إلى الزهد والتقشف والخشونة في المعيشة والتأمل في الكون ورياضة النفس وعزم على أن يعمل على تخليص الإنسان من آلامه التي منبعها الشهوات ثم دعا إلى تبني وجهة نظره حيث تبعه أناس كثيرون .

الأفكار والمعتقدات :

ـ يعتقد البوذيون أن بوذا هو ابن الله ، وهو المخلص للبشرية من مآسيها وآلامها وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم .

ـ يعتقدون أن تجسد بوذا كان بواسطة حلول روح القدس على العذراء « مايا » .

ـ يقولون : قد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه « نجم بوذا » .

ـ يقولون : لما ولد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المحبة للمولود المبارك.

ـ قالوا : لقد عرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته . ولم يمض يوم واحد على ولادته حتى حياهُ الناس ، وقد قال بوذا لأمه وهو طفل إنه أعظم الناس جميعًا .

ـ قالوا : دخل بوذا مرة أحد الهياكل فسجدت له الأصنام . وقد حاول الشيطان إغواءه فلم يفلح .

ـ يعتقدون أن هيئة بوذا قد تغيرت في آخر أيامه وقد نزل عليه نور أحاط برأسه . وأضاء من جسده نور عظيم فقال الذين رأوه : ما هذا بشرًا إن هو إلا إله عظيم .

ـ يصلي البوذيون لبوذا ويعتقدون أنه سيدخلهم الجنة . والصلاة عندهم تؤدى في اجتماعات يحضرها عدد كبير من الأتباع .

ـ لما مات بوذا قال أتباعه : صعد إلى السماء بجسده بعد أن أكمل مهمته على الأرض .

ـ يؤمنون برجعة بوذا ثانية إلى الأرض ليعيد السلام والبركة إليها .

ـ يعتقدون أن بوذا هو الكائن العظيم الواحد الأزلي وهو عندهم ذات من نور غير طبيعية ، وأنه سيحاسب الأموات على أعمالهم .

ـ يعتقدون أن بوذا ترك فرائض ملزمة للبشر إلى يوم القيامة . ويقولون إن بوذا أسس مملكة دينية على الأرض .

ـ قال بعض الباحثين إن بوذا أنكر الألوهية والنفس الإنسانية وأنه كان يقول بالتناسخ.

ـ في تعاليم بوذا دعوة إلى المحبة والتسامح والتعامل بالحسنى والتصدق على الفقراء وترك الغنى والترف وحمل النفس على التقشف والخشونة وفيها تحذير من النساء والمال وترغيب في البعد عن الزواج .

ـ يجب على البوذي التقيد بثمانية أمور حتى يتمكن من الانتصار على نفسه وشهواته :

١ ـ الاتجاه الصحيح المستقيم الخالي من سلطان الشهوة واللذة وذلك عند الإقدام على أي عمل .

٢ ـ التفكير الصحيح المستقيم الذي لا يتأثر بالأهواء .

٣ ـ الإشراق الصحيح المستقيم .

٤ ـ الاعتقاد المستقيم الذي يصحبه ارتياح واطمئنان إلى ما يقوم به .

٥ ـ مطابقة اللسان لما في القلب .

٦ ـ مطابقة السلوك للقلب واللسان .

٧ ـ الحياة الصحيحة التي يكون قوامها هجر اللذات .

٨ ـ الجهد الصحيح المتجه نحو استقامة الحياة على العلم والحق وترك الملاذ .

ـ في تعاليم بوذا أن الرذائل ترجع إلى أصول ثلاثة :

١ ـ الاستسلام للملاذ والشهوات .

٢ ـ سوء النية في طلب الأشياء .

٣ ـ الغباء وعدم إدراك الأمور على وجهها الصحيح .

ـ من وصايا بوذا :

١ ـ لا تقضِ على حياة حي .

٢ ـ لا تسرق ولا تغتصب .

٣ ـ لا تكذب .

٤ ـ لا تتناول مسكرًا .

٥ ـ لا تزن .

٦ ـ لا تأكل طعامًا نضج في غير أوانه .

٧ ـ لا ترقص ولا تحضر مرقصًا ولا حفل غناء .

٨ ـ لا تتخذ طيبًا .

٩ ـ لا تقتن فراشًا وثيرًا .

١٠ ـ لا تأخذ ذهبًا ولا فضة .

ـ ينقسم البوذيون إلى قسمين :

أ ـ البوذيون المتدينون : وهؤلاء يأخذون بكل تعاليم بوذا وتوصياته .

ب ـ البوذيون المدنيون : هؤلاء يقتصرون على بعض التعاليم والوصايا فقط .

ـ الناس في نظر بوذا سواسية لا فضل لأحد إلا بالمعرفة والسيطرة على الشهوات .

ـ للبوذية مذهبان كبيران :

١ ـ المذهب الشمالي : وقد غالى أهله في بوذا حتى ألهوه . وكتبه المقدسة مدونة باللغة السنسكريتية وهو سائد في الصين واليابان والتبت ونيبال وسومطرة .

٢ ـ المذهب الجنوبي : وهؤلاء معتقداتهم أقل غلوًّا في بوذا وكتبه مدونة بلغة الباليه وهو سائد في بورما وسيلان وسيام .

ـ علاقتهم بالمسلمين الآن لا تحمل طابع العداء العنيف ويمكن أن يكونوا مجالا خصبًا للدّعوة الإسلامية .

ـ كتب البوذية : كتبهم ليست منزلة ولا هم يدَّعون ذلك بل هي عبارة منسوبة إلى بوذا أو حكاية لأفعاله سجلها بعض أتباعه ، ونصوص تلك الكتب تختلف بسبب انقسام البوذيين ، فبوذيو الشمال اشتملت كتبهم على أوهام كثيرة تتعلق ببوذا أما كتب الجنوب فهي أبعد قليلا عن الخرافات .

ـ تنقسم كتبهم إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ مجموعة قوانين البوذية ومسالكها .

٢ ـ مجموعة الخطب التي ألقاها بوذا .

٣ ـ الكتاب الذي يحوي أصل المذهب والفكرة التي نبع منها .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ليس هناك ما يثبت أن للبوذية جذورًا فكرية أو عقائدية إلا أن الناظر في الديانات الوضعية التي سبقتها أو عاصرتها يجد بينها وبين البوذية شبهًا من بعض الجوانب مثل :

١ ـ الهندوسية : في القول بالتناسخ والاتجاه نحو التصوف .

٢ ـ الكنفوشيوسية : في الاتجاه إلى الاعتناء بالإنسان وتخليصه من آلامه .

٣ ـ ينبغي أن يلاحظ التشابه الكبير بينها وبين النصرانية وبخاصة فيما يتعلق بظروف ولادة المسيح وحياته والظروف التي مرّ بها بوذا مما يؤكد تأثر النصرانية بها في كثير من معتقدات هذه الأخيرة .

الهندوسية

التعريف :

الهندوسية ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند ، وقد تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر . إنها ديانة تضم القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها فلكل منطقة إله ، ولكل عمل أو ظاهرة إله .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

ـ لا يوجد للديانة الهندوسية مؤسس معين ، ولا يعرف لمعظم كتبها مؤلفون معينون ، فقد تمّ تشكُّل الديانة وكذلك الكتب عبر مراحل طويلة من الزمن .

ـ الآريون الغزاة الذين قدموا إلى الهند في القرن الخامس عشر قبل الميلاد هم المؤسسون الأوائل للديانة الهندوسية .

ـ ديانة الفاتحين الجديدة لم تمح الديانة القديمة للهنود ، بل مازجتها وتأثرت كل منهما بالأخرى .

ـ في القرن الثامن قبل الميلاد تطورت الهندوسية على أيدي الكهنة البراهمة الذين يزعمون بأن في طبائعهم عنصرًا إلهيًّا .

ـ ثم تطورت مرة أخرى في القرن الثالث قبل الميلاد عن طريق قوانين (منوشاستر) .

الأفكار والمعتقدات :

ـ نستطيع فهم الهندوسية من خلال كتبها ، ونظرتها إلى الإله ، ومعتقداتها وطبقاتها إلى جانب بعض القضايا الفكرية والعقائدية الأخرى .

أولاً ـ كتبها :

ـ للهندوسية عدد هائل من الكتب عسيرة الفهم غريبة اللغة وقد أُلفت كتب كثيرة لشرحها وأخرى لاختصار تلك الشروح ، وكلها مقدسة وأهمها :

١ ـ الويدا : ترى فيه حياة الآريين ، وترى فيه مدارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي ، وفيه أدعية تنتهي بالشك والارتياب كما أن فيه تأليهًا يرتقي إلى وحدة الوجود ، وهو يتألف من أربعة كتب هي :

ـ الريج ويدا : يرجع إلى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وفيه ذكر لإله الآلهة (إندرا) ثم لإله النار (أغني) ثم الإله (فارونا) ثم الإله سوْرية (إله الشمس) .

ـ يساجور ويدا : يتلوه الرهبان عند تقديم القرابين .

ـ ساما ويدا : ينشدون أناشيده أثناء إقامة الصلوات والأدعية .

ـ آثار ويدا : عبارة عن مقالات من الرقي والتمائم لدفع السحر والتوهم والخرافة والأساطير والشياطين .

ـ وكل واحد من هذه الويدات يشتمل على أربعة أجزاء هي :

ـ سَمْهِتا : تمثل مذهب الفطرة ، وأدعيته كان يقدمها سكان الهند الأقدمون لآلهتهم قبل زحف الآريين .

ـ البراهمن : يقدمها البراهمة للمقيمين في بلادهم مبينة أنواع القرابين .

ـ آرانياك : الغابيات ، وهي الصلوات والأدعية التي يتقدم بها الشيوخ أثناء إقامتهم في الكهوف والمغاور وبين الأحراش والغابات .

ـ آبا نيشادات : وهي الأسرار والمشاهدات النفسية للعرفاء من الصوفية .

٢ ـ قوانين (منو) : وضعت في القرن الثالث قبل الميلاد في العصر الويدي الثاني ، عصر انتصار الهندوسية على الإلحاد الذي تمثل في (الجينية والبوذية) . وهذه القوانين عبارة عن شرح للويدات يبين معالم الهندوسية ومبادئها وأسسها .

٣ ـ كتب أخرى :

ـ مها بهارتا : ملحمة هندية تشبه الإلياذة والأوديسه عند اليونان ومؤلفها (وياس) ابن العارف (بوسرا) الذي وضعها سنة ٩٥٠ ق . م وهي تصف حربًا بين أمراء من الأسر المالكة ، وقد اشتركت الآلهة في هذه الحرب .

ـ كيتا : تصف حربًا بين أمراء من أسرة ملكية واحدة ، وينسب إلى كرشنا فيها نظرات فلسفية واجتماعية .

ـ يوجا واستها : تحتوي على أربعة وستين ألف بيت ، ألفت ابتداءً من القرن السادس عبر مرحلة طويلة على أيدي مجموعة من الناس ، فيها أمور فلسفية ولاهوتية .

ـ رامايانا: يعتني هذا الكتاب بالأفكار السياسية والدستورية وفيه خطب الملك اسمه (راما).

ثانيًا : نظرة الهندوسية إلى الآلهة :

ـ التوحيد : لا يوجد توحيد بالمعنى الدقيق ، لكنهم إذا أقبلوا على إله من الآلهة أقبلوا عليه بكل جوارحهم حتى تختفي عن أعينهم كل الآلهة الأخرى ، وعندها يخاطبونه برب الأرباب أو إله الآلهة .

ـ التعدد : يقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهًا يُعبد : كالماء والهواء والأنهار والجبال .. وهي آلهة كثيرة يتقربون إليها بالعبادة والقرابين .

ـ التثليث : في القرن التاسع قبل الميلاد جمع الكهنة الآلهة في إله واحد أخرج العالم من ذاته وهو الذي أسموه :

ـ براهما : من حيث هو موجد .

ـ فشنو : من حيث هو حافظ .

ـ سيفا : من حيث هو مهلك .

فمن يعبد أحد الآلهة الثلاثة فقد عبدها جميعًا أو عبد الواحد الأعلى ولا يوجد أي فارق بينها . وهم بذلك فتحوا الباب أمام النصارى للقول بالتثليث .

ـ يلتقي الهندوس على تقديس البقرة .

ـ يعتقد الهندوس بأن آلهتهم قد حلت كذلك في إنسان اسمه كرشنا وقد التقى فيه الإله بالإنسان أو حل اللاهوت في الناسوت . وهم يتحدثون عن كرشنا كما يتحدث النصارى عن المسيح ، وقد عقد الشيخ محمد أبو زهرة مقارنة بينهما مظهرًا التشابه العجيب ، بل التطابق ، وتساءل في آخر المقارنة قائلاً : « وعلى المسيحيين أن يبحثوا

عن أصل دينهم » .

ـ يقول أحدهم : « أعظم الآلهة لدى المنبوذين كومة من الآجر تمثل أم القرية أو شيطانها الذي يرعاها » .

ثالثًا : الطبقات في المجتمع الهندوسي :

ـ منذ أن وصل الآريون إلى الهند شكلوا طبقات ما تزال قائمة إلى الآن ولا طريق لإزالتها لأنها تقسيمات أبدية من خلقة الله ـ كما يعتقدون ـ .

ـ وردت الطبقات في قوانين منو على النحو التالي :

١ ـ البراهمة : وهم الذين خلقهم الإله براهما من فمه : منهم المعلم والكاهن والقاضي ، وهم ملجأ الجميع في حالات الزواج والوفاة ولا يجوز تقديم القرابين إلا في حضرتهم.

٢ ـ الكاشتر : وهم الذين خلقهم الإله من ذراعيه : يتعلمون ويقدمون القرابين ويحملون السلاح للدفاع .

٣ ـ الويش : وهم الذين خلقهم الإله من فخذه : يزرعون ويتاجرون ويجمعون المال ، وينفقون على المعاهد الدينية .

٤ ـ الشودر : وهم الذين خلقهم الإله من رجليه ، وهم مع الزنوج الأصليين يشكلون طبقة المنبوذين ، وعملهم مقصور على خدمة الطوائف الثلاث السابقة الشريفة ويمتهنون المهن الحقيرة والقذرة .

ـ يلتقي الجميع على الخضوع لهذا النظام الطبقي بدافع ديني .

ـ لا يجوز لرجل أن يتزوج امرأة من طبقة أعلى من طبقته .

ـ يجوز للرجل أن يتزوج من طبقة أدنى من طبقته على أن لا تكون من طبقة الشودر الرابعة.

ـ البراهمة هم صفوة الخلق ، وقد ألحقوا بالآلهة ، ولهم أن يأخذوا من أموال عبيدهم شوْدر ما يشاؤون .

ـ البرهمي الذي يكتب الكتاب المقدس هو رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه.

ـ لا يجوز للملك ـ مهما اشتدت الظروف ـ أن يأخذ جباية أو إتاوة من البرهمي .

ـ إن استحق البرهمي القتل لم يجز للحاكم إلا أن يحلق رأسه ، أما غيره فيقتل .

ـ البرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق الشودري الذي ناهز المائة كما يفوق الوالد ولده .

ـ لا يصح لبرهمي أن يموت جوعًا في بلاده .

ـ المنبوذون أحط من البهائم وأذل من الكلاب (بحسب قانون منو) .

ـ من سعادة المنبوذين أن يخدموا البراهمة وليس لهم أجر أو ثواب .

ـ إذا مدّ أحد المنبوذين إلى برهمي يدًا أو عصًا ليبطش به قطعت يده ، وإذا رفسه فُدِعَتْ رجله .

ـ إذا همّ أحد من المنبوذين بمجالسة برهمي فعلى الملك أن يكون استه وينفيه من البلاد.

ـ إذا ادّعى أحد المنبوذين أنه يعلم برهميًا فإنه يسقي زيتًا مغليًا .

ـ كفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء .

ـ ظهر مؤخرًا بعض التحسن البسيط في أحوال المنبوذين خوفًا من استغلال أوضاعهم ودخولهم في أديان أخرى لا سيا النصرانية التي تغزوهم أو الشيوعية التي تدعوهم من خلال فكرة صراع الطبقات .

رابعًا : معتقداتهم :

تظهر معتقداتهم في الكارما ، وتناسخ الأرواح ، والانطلاق ، ووحدة الوجود :

١ ـ الكارما : « قانون الجزاء » أي أن نظام الكون إلّهي قائم على العدل المحض ، هذا العدل الذي سيقع لا محالة إما في الحياة الحاضرة أو في الحياة القادمة ، وجزاء حياةٍ يكون في حياة أخرى ، والأرض هي دار الابتلاء كما أنها دار الجزاء والثواب .

٢ ـ تناسخ الأرواح : إذا ما مات الإنسان يفنى منه الجسد وتنطلق منه الروح لتتقمص وتحل في جسد آخر بحسب ما قدم من عمل في حياته الأولى ، وتبدأ الروح في ذلك دورة جديدة .

٣ ـ الانطلاق : صالح الأعمال وفاسدها ينتج عنه حياة جديدة متكررة لتثاب فيها الروح أو لتعاقب على حسب ما قدمت في الدورة السابقة .

ـ من لم يرغب في شيء ولن يرغب في شيء وتحرر من رقّ الأهواء واطمأنت نفسه فإنه لا يعاد إلى حواسه بل تنطلق روحه لتتحد بالبراهما .

ـ يؤخذ على هذا المبدأ أن جعل التصوف والسلبية أفضل من صالح الأعمال لأن ذلك طريق للاتحاد بالبراهما .

٤ ـ وحدة الوجود : التجريد الفلسفي ارتقى بالمنادكة إلى أن الإنسان يستطيع خلق الأفكار والأنظمة والمؤسسات كما يستطيع المحافظة عليها أو تدميرها ، وبهذا يتحد الإنسان مع الآلهة وتصير النفس هي عين القوة الخالقة .

ـ الروح كالآلهة أزلية سرمدية ، مستمرة ، غير مخلوقة .

ـ العلاقة بين الإنسان وبين الآلهة كالعلاقة بين شرارة النار والنار ذاتها ، وكالعلاقة بين البذرة وبين الشجرة .

ـ هذا الكون كله ليس إلا ظهورًا للوجود الحقيقي ، والروح الإنسانية جزء من الروح العليا .

خامسًا : أفكار ومعتقدات أخرى :

ـ الأجساد تحرق بعد الموت لأن ذلك يسمح بأن تتجه الروح إلى أعلى وبشكل عمودي لتصل إلى الملكوت الأعلى في أقرب زمن ، كما أن الاحتراق هو تخليص للروح من غلاف الجسم تخليصًا تامًّا .

ـ عندما تتخلص الروح وتصعد ، يكون أمامها ثلاثة عوالم :

ـ إما العالم الأعلى : عالم الملائكة .

ـ وإما عالم الناس : مقر الآدميين بالحلول .

ـ وإما عالم جهنم : وهذا لمرتكبي الخطايا والذنوب

ـ ليس هناك جهنم واحدة ، بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم .

- البعث في العالم الآخر إنما هو للأرواح لا للأجساد .

- يترقى البرهمي في أربع درجات :

- التلميذ وهو صغير .

- رب الأسرة .

- النسك والعبادة في الغابات لمتقدمي السن .

- الفقير : الذي يخرج من حكم الجسد وتتحكم فيه الروح ويقترب من الآلهة .

- المرأة التي يموت عنها زوجها لا تتزوج بعده ، بل تعيش في شقاء دائم ، وتكون موضعًا للإهانات والتجريح ، وتكون في مرتبة أقل من مرتبة الخادم .

- قد تحرق المرأة نفسها إثر وفاة زوجها تفاديًا للعذاب المتوقع الذي ستعيش فيه ، وقد حرم القانون هذا الإجراء في الهند الحديثة .

- الديانة الهندية تجيز عقد القرآن للأطفال وهم يَحْبُون ، ويحدث أن يموت الولد فتشب البنت أرملة ابتداء ، ولكن القانون الهندي الحديث حرم ذلك ومنع عقد القران إلا في سن الشباب .

- ليس للفرد أهمية إلا إذا كان عضوًا في جماعة ، وتكون هذه الجماعة عضوًا في جماعة أكبر ، ذلك لأن العناية للجماعة لا للفرد .

- يلاحظ هبوط المستوى الاقتصادي لمعتنقي الهندوسية لأن بعض الطبقات لا تعمل ذلك لأن العمل لا يليق بمكانتها السامية كطبقة البراهمة مثلا .

- نظام الطبقات يعطل مبدأ تكافؤ الفرص .

- رفضت الهندوسية حركة الإصلاح الداخلي المتمثلة في (البوذية والجينية) ورفضت كذلك حركة الإصلاح الخارجي المتمثلة في الإسلام وقاومتها محتفظة بتعليماتها ومعتقداتها .

- حاول الزعيم الهندي (غاندي) تقليص الحدة بين الطبقات وبين المنبوذين ولكن محاولاته ذهبت أدراج الرياح ، بل كان هو ذاته ضحية لهذه المحاولة .

ـ حاولت جماعة (السيخ) إنشاء دين موحد من الهندوسية والإسلام لكنهم فشلوا إذ سرعان ما انغلقوا على أنفسهم وصاروا طبقة متميزة يرفضون التزاوج مع غيرهم .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ في القرن الخامس عشر قبل الميلاد كان هناك سكان الهند من الزنوج الأصليين الذين كانت لهم أفكار ومعتقدات بدائية .

ـ جاء الغزاة الآريون مارين في طريقهم بالإيرانيين فتأثرت معتقداتهم بالبلاد التي مروا بها ، ولما استقروا في الهند حصل تمازج بين المعتقدات تولدت عنه الهندوسية كدين فيه أفكار بدائية عن عبادة الطبيعة والأجداد والبقر بشكل خاص .

ـ في القرن الثامن قبل الميلاد ارتقت الهندوسية عندما وضع مذهب البرهمية وقالوا بعبادة براهما .

ـ عصفت بالديانة الهندية حركتان قويتان هما الجينية والبوذية .

ـ ظهرت قوانين (منو) فأعادت إليها القوة وذلك في القرن الثاني والثالث قبل الميلاد .

ـ فكرة التثليث انتقلت من الفكر الهندي إلى الفكر النصراني .

ـ انتقلت فكرة التناسخ والحلول ووحدة الوجود إلى بعض المسلمين الذي ضلوا فظهرت هذه العقائد عند بعض المتصوفة ، وكذلك ظهرت عند الإسماعيلية وعند الفرق الضالة كالأحمدية .

الانتشار ومواقع النفوذ :

ـ كانت الديانة الهندوسية تحكم شبه القارة الهندية وتنتشر فيها على اختلاف في التركيز ، ولكن البون الشاسع بين المسلمين والهندوس في نظرتيهما إلى الكون والحياة وإلى البقرة التي يعبدها الهندوس ويذبحها المسلمون ويأكلون لحمها كان ذلك سببًا في حدوث التقسيم حيث أُعلن عن قيام دولة الباكستان بجزأيها الشرقي والغربي والذي معظمه من المسلمين ، وبقاء دولة هندية معظم سكانها هندوس ، والمسلمون فيها أقلية كبيرة .

المهاريشية

MAHARISHISM

التعريف :

المهاريشية نحلة هندوسية انتقلت إلى أمريكا وأوروبا متخذة ثوبًا عصريًا من الأفكار التي لم تخف حقيقتها الأصلية هي تدعو إلى طقوس كهنوتية من التأمل التصاعدي (التجاوزي) بغية تحصيل السعادة الروحية ، وهناك دلائل تشير إلى صلتها بالماسونية والصهيونية التي تسعى إلى تحطيم القيم والمثل الدينية وإشاعة الفوضى الفكرية والعقائدية والأخلاقية بين الناس .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

- مؤسسها فقير هندوسي لمع نجمه في الستينات واسمه (مهاريشي - ماهيش - يوجي) انتقل من الهند ليعيش في أمريكا ناشرًا أفكاره بين الشباب الضائع الذي يبحث عن المتعة الروحية بعد أن أنهكته الحياة المادية الصاخبة .

- بقي في أمريكا مدة (١٣) سنة حيث التحق بركب نحلته الكثيرون ، ومن ثم رحل لينشر فكرته في أوروبا وفي مختلف بلدان العالم .

- في عام (١٩٨١ م) انتسب إلى هذه الفرقة ابن روكفلر عمدة نيويورك السابق وخصص لها جزءًا من أمواله يدفعها سنويًا لهذه الحركة ، ومعروف انتماء هذه الأسرة اليهودية إلى الحركة الصهيونية والمؤسسات الماسونية .

الأفكار والمعتقدات :

- لا يؤمن أفراد هذه النحلة بالله سبحانه وتعالى ، ولا يعرفون إلا (المهريشي) آلهًا وسيدًا للعالم .

- لا يؤمنون بدين من الأديان السماوية ، ويكفرون بجميع العقائد والمذاهب ، ولا يعرفون التزامًا بعقيدة إلا بالمهاريشية التي تمنحهم الطاقة الروحية - على حد زعمهم - وهم يرددون : لا رب .. لا دين .

- لا يؤمنون بشيء اسمه الآخرة أو الجنة أو النار أو الحساب .. ولا يهمهم أن يعرفوا مصيرهم بعد الموت لأنهم يقفون عند حدود متع الحياة الدنيا لا غير .

- حقيقتهم الإلحاد ، لكنهم يظهرون للناس أهدافًا براقة لتكون ستارًا يخفون بها تلك الحقيقة فمن ذلك أنهم يدعون إلى التحالف من أجل (المعرفة) أو (علم الذكاء الخلاق) ويفسرون ذلك على النحو التالي :

- علم : من حيث دعوتهم إلى البحث المنهجي التجريبي .
- الذكاء : من حيث الصفة الأساسية للوجود متمثلا في هدف ونظام للتغير .
- الخلاق : من حيث الوسائل القوية القادرة على إحداث التغيرات في كل زمان ومكان .

- وهم يصلون إلى ذلك عن طريق (التأمل التجاوزي) الذي يأخذ بأيديهم - كما يعتقدون - إلى إدراك غير محدود .

- (التأملات التجاوزية) تتحقق عن طريق الاسترخاء ، وإطلاق عنان الفكر والضمير والوجدان حتى يشعر الإنسان منهم براحة عميقة تنساب داخله ، ويستمر في حالته الصامتة تلك حتى يجد حلا لجميع العقبات والمشكلات التي تعترض طريقه ، وليحقق بذلك السعادة المنشودة .

- يخضع المنتسب للتدريب على هذه التأملات التصاعدية خلال أربع جلسات موزعة على أربعة أيام ، وكل جلسة مدتها نصف ساعة .

- ينطلق الشخص بعد ذلك ليمارس تأملاته بمفرده على أن لا تقل كل جلسة عن عشرين دقيقة صباحًا ومثلها مساءً كل يوم وبانتظام .

- من الممكن أن يقوموا بذلك بشكل جماعي ، ومن الممكن أن يقوم به عمال في مصنع مما يعينهم على تجاوز إرهاقات العمل ويساعدهم على زيادة الانتاج .

- يحيطون تأملاتهم بجو من الطقوس الكهنوتية مما يجعلها جذابة للشباب الغربي الغارق في المادة والذي يبحث عما يلبي له أشواقه الروحية .

- ينطلقون في الشوارع يقرعون الطبول ، وينشدون ، دون إحساس بشيء اسمه

الخجل أو العيب أو القيم ، ويرسلون شعورهم ولحاهم ، ولعل بعضهم يكون حليق الرأس على نحو شاذ ، وهيئتهم رثة وسخة ، كل ذلك جذبًا للأنظار ، وتعبيرًا عن تحللهم من كل القيود .

ـ استعاض المهاريشي عن النبوة والوحي بتأملاته الذاتية ، واستعاض عن الله بالراحة النفسية التي يجدها ، وبذلك أسقطوا من اعتبارهم مدلولات النبوة والوحي والألوهية .

ـ يطلقون العنان لشبابهم وشاباتهم لممارسة كل أنواع الميول الجنسية الشاذة والمنحرفة إذ إن ذلك ـ كما يعتقدون ـ يحقق لهم أعلى مستوى من السعادة . وقد وجد بينهم ما يسمى بالبانكرز وما يسمى بالجنس الثالث .

ـ يدعون شبابهم إلى عدم العمل ، وإلى ترك الدراسة ، وإلى التخلي عن الارتباط بأرض أو وطن ، فلا يوجد لديهم إلا عقيدة المهاريشي ، فهي العمل وهي الدراسة وهي الأرض وهي الوطن .

ـ عدم إلزام النفس بأي قيد يحول بينها وبين ممارسة نوازعها الحيوانية الطبيعية .

ـ يحثون شبابهم على استخدام المخدرات كالماريجوانا والأفيون حتى تنطلق نفوسهم من عقالها سابحة في بحر من السعادة الموهومة .

ـ يلزمون أتباعهم بالطاعة العمياء للمهاريشي وعدم الخضوع إلا له إذ إنه هو الوحيد الذي يمكنه أن يفعل أي شيء .

ـ يلخصون أهدافهم ومجالات عملهم بسبع نقاط براقة تضفي على حركتهم جوًّا من الروح العلمية الإنسانية العالمية .

١ ـ تطوير كل إمكانات الفرد .

٢ ـ تحسين الإنجازات الحكومية .

٣ ـ تحقيق أعلى مستوى تعليمي .

٤ ـ التخلص من كل المشكلات القديمة للجريمة والشر ، ومن كل سلوك يؤدي إلى تعاسة الإنسانية .

٥ ـ زيادة الاستغلال الذكي للبيئة .

٦ ـ تحقيق الطموحات الاقتصادية للفرد والمجتمع .

٧ ـ إحراز هدف روحي للإنسانية .

ـ أما وسائلهم المعتمدة لتحقيق هذه الأفكار فهي :

١ ـ افتتاح الجامعات في الأرياف والمدن .

٢ ـ نشر دراسات عن (علم الذكاء الخلاق) والدعوة إلى تطبيقها على المستوى الفردي والحكومي والتعليمي والاجتماعي وفي مختلف البيئات .

٣ ـ إيجاد تلفزيون ملون عالمي لبث التعاليم من عدة مراكز في العالم .

الجذور الفكرية والعقائدية :

ـ إنها ديانة هندوسية مصبوغة بصبغة عصرية جديدة من الحرية والانطلاق .

ـ إنها مزيج من اليوغا ومن الرياضات المعروفة عند الهندوس .

ـ خالطت معتقداتها طقوس صوفية بوذية هندية .

ـ تأثر مذهبهم بنظرية أفلوطين الإسكندري في الفلسفة الإشراقية .

ـ إن استشراف الحق عن طريق التأمل الذاتي نظرية قديمة في الفلسفة اليونانية وقد بعثت هذه النظرية من جديد على يد ماكس ميلر ، وهربرت سبنسر ، وبرجسون ، وديكارت ، وجيفونس ، وأوجست ، وغيرهم .

ـ كان لفلسفة فرويد ونظريته في التحليل النفسي ولآرائه في الكبت وطرق التخلص منه النصيب الوافر في معتقدات هذه النحلة التي راحت تبحث عن سعادتها عن طريق الإرواء الجنسي بشتى صوره .

الانتشار ومواقع النفوذ :

ـ مؤسسها هندوسي لم يجد له مكانًا في الهند لمضايقة الهندوس له لخوفهم من استقطابه الأتباع بسبب اتباعه سياسة الانفتاح الجنسي .

ـ انتقل إلى أمريكا وأنشأ جامعة في كاليفورنيا ، من ثم انتقل إلى أوروبا وصار له أتباع فيها ، ورحل بحركته إلى أفريقيا ليقيم لها أرضية في ساليسبورغ ، ووصلت دعوته إلى الخليج العربي ومصر يزرع الأتباع هنا وهناك ويتحرك فوق ثروة مالية هائلة .

ـ وهم يملكون إمكانيات مادية رهيبة تدعو إلى التساؤل والاستغراب ، وتشير إلى الأيدي الصهيونية والماسونية التي تقف وراءها مستفيدة من تدميرها لأخلاق وقيم الأمم .

ـ في عام ١٩٧١ م أنشأ زعيمهم جامعة كبيرة في كالفورنيا سماها (جامعة المهاريش العالمية) ويقول بأنه فعل ذلك بعد أن أحس بتقبل مذهبه في أكثر من (٦٠٠) كلية وجامعة في أنحاء العالم .

ـ وفي عام ١٩٧٤ م أعلن عن قيام الحكومة العالمية لعصر الانبثاق برئاسة (مهاريشي ماهيشي ـ يوجي) ومقرها (سويسرا) كما أن لهذه الدولة دستورًا ووزراء وأتباعها وثروة طائلة واستثمارات في مختلف أنحاء العالم .

ـ في كانون الأول ١٩٧٨ م ادعوا بأن حكومتهم المهاريشية قد أرسلت إلى إسرائيل بعثة من (٤٠٠) محافظ ليقيموا دورة هناك لثلاثمائة رجل حتى تجعل الشعب أكثر اجتماعية وأقل حدة وتوترًا .

ـ يعتبر عام ١٩٧٨م عام السلام لديهم حيث إنهم قد أعلنوا أنه لن تقهر أمة في العالم بعد ذلك . وقد دعوا في ذلك العام إلى عقد مؤتمر في ساليسبورغ لتكوين نظام عدم القهر لأية أمة ، كما أسس فيه المجلس النيابي لعصر الانبثاق .

ـ كتبهم ومطبوعاتهم تكتب بماء الذهب ، وهم يمتلكون أكبر المصانع والعقارات في أوروبا ، وقد اشتروا قصر (برج مونتمور) في بريطانيا لتأسيس عاصمتهم الجديدة هناك .

يحرصون دائمًا على اعتبار مؤسستهم مؤسسة خيرية معفاة من الضرائب على الرغم من غناهم الفاحش .

ـ يخدم مع المهاريشي سبعة آلاف خبير ، ويشتري هذا المهاريشي ، الفقير أصلا ، عشرات القصور الفارهة فمن أين له ذلك ؟ .

ـ إن اليهودية قد وجدت فيها خير وسيلة لنشر الانحلال والفوضى بين البشر فتبنتها ووقفت وراءها مسخرة لها الأموال والصحافة وعقدت لها المناقشات لطرح نظريتها والدعوة إليها .

ـ وصل بعضهم إلى (دبي) وعقدوا اجتماعًا في فندق (حياة ريجنسي) يدعون فيها علانية لمذهبهم وقد ألقي القبض على هؤلاء الأشخاص الأربعة الذين قدموا إليها بتأشيرة سياحية ثم أُبعدوا عن البلاد .

ـ وصل بعضهم إلى الكويت وتقدموا بطلب للحصول على ترخيص لهم باعتبارهم مؤسسة خيرية غير تجارية ، وقد نشروا في الصحافة الكويتية أكثر من مقال وبث لهم التلفزيون الكويتي بعض المقابلات قبل أن تتضح أهدافهم الحقيقية .

ـ نظموا دورة لموظفي وزارة المواصلات في الكويت في فندق هيلتون وقد دعوا الموظفين أثناء الدورة إلى مراجعة مواريثهم العقائدية والفكرية .

ـ طُرد المهاريشي من المانيا بعد أن ظهر أثره السيئ على الشباب .

ـ نشرت رابطة العالم الإسلامي في مكة بيانًا أوضحت فيه خطر هذا المذهب على الإسلام والمسلمين مؤكدة ارتباطه بالدوائر الماسونية والصهيونية .

الروحية الحديثة

التعريف :

الروحية الحديثة دعوة هدامة وحركة مغرضة مبنية على الشعوذة . تدّعي استحضار أرواح الموتى بأساليب عملية وتهدف إلى التشكيك في الأديان والعقائد وتبشر بدين جديد وتلبس لكل حالة لباسها . ظهرت في بداية هذا القرن في أمريكا ومن ورائها اليهود ثم انتشرت في العالمين العربي والإسلامي .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

ـ لم يعرف لها مؤسس في أوروبا وأمريكا ولكن الدعوة إليها قد نشطت في بداية هذا القرن الميلادي من قبل عدة شخصيات منها :

- جان آرثر فندلاي وكتابه المشهور : (على حافة العالم الأثيري) .
- أدين فردريك باورز وكتابه المشهور : (ظواهر حجرة تحضير الأرواح) .
- آثر كونان دويل في كتابه : (حافة المجهول) .
- اليهودي المعروف : دافيد وجيد .
- السيدة وود سمز .

ـ كما ظهرت لها فى تلك البلاد عدة مؤسسات مثل : (المعهد الدولي للبحث الروحي) بأمريكا و(جمعية مارلبورن الروحية) بإنجلترا .

ـ أما في العالم الإسلامي فقد تحمس لها عدة أشخاص وحملوا رايتها منهم :

- الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير أمين عام (الجمعية المصرية للبحوث الروحية) وقد أصدر (مجلة عالم الروح) وهي الناطقة باسم هذه الدعوة الهدامة ، وقد بدأ نشاطه منذ سنة ١٩٣٧ م وقام بترجمة كتابي فندلاي وباورز سابقي الذكر .
- الأستاذ وهيب دوس المحامي (ت ١٩٥٨ م) وهو رئيس الجمعية المذكورة .
- د . علي عبد الجليل راضي رئيس (جمعية الأهرام الروحية) له كتاب بعنوان

(مشاهداتي في جمعية لندن الروحية) .

● حسن عبد الوهاب سكرتير الجمعية .

● الشاعر اللبناني حليم دموس الذي كان يقدس دجالا مشعوذًا اسمه (داهش) ويرفعه إلى مقام النبوة وله مقالات في (مجلة عالم الروح) بعنوان : الرسالة الدهشية .

الأفكار والمعتقدات :

- يقولون بأنهم يحضرون الأرواح ويستدعون الموتى لاستفتائهم في مشكلات الغيب ومعضلاته والاستعانة بهم في علاج مرضى الأبدان والنفوس والإرشاد على المجرمين والكشف عن الغيب والتنبؤ بالمستقبل .

- يزعمون أن الروح يمكن إدراكها وأنها تتجسد وتُلمس كما يدعون بأن بعض الأرواح تظن أن أصحابها لا يزالون أحياء .

- الأرواح عندهم بمثابة الخدم تستجيب لأي إشارة منهم .

- يعتقدون أن هذه الأرواح التي يستحضرونها مرسلة من عند الله إلى البشر كما أرسل المرسلون من قبل وأن تعاليمهم أرقى من تعاليم الرسل .

- يزعمون أن هذه الأرواح تساعدهم في كشف الجرائم والدلالة على الآثار القديمة كما يدعون أنهم يعالجون مرضى النفوس من هذه الأرواح كذلك .

- يدعون أنهم يستطيعون التقاط صور لهذه الأرواح في الأشعة تحت الحمراء .

- يحاولون إضفاء الجانب العلمي على عملهم وهو في الواقع لا يخرج عن كونه شعوذة وخداعًا وتأثيرًا مغناطيسيًّا على الحاضرين ، واتصالاً بالجن .

- لا تتوفر في عملهم الشروط الواضحة ولا يمكن إعادته من كل شخص بخلاف التجارب العلمية .

- يقومون بهذا التحضير في حجرات خاصة شبه مظلمة وفي ضوء أحمر خافت وكل ما يدّعونه من التجسد للأرواح ومخاطبتها لا يراه الحاضرون وإنما ينقله إليهم الوسيط وهو أهم شخص في العملية .

- « الوسيط » عندهم يرى غير المنظور ويسمع غير المسموع ويتلقى الكتابة التلقائية وله قدرة على التواصل عن بعد (التلباثي) .

- لا يثبتون للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إلا هذه الوساطة فقط .

- يتحكمون في حضور جلسة التحضير من حيث الكم والنوع وإذا وجد نساء يكون الجلوس : رجل ، امرأة ،.. كما يعزفون الموسيقا أحيانًا وكل هذا لصرف أذهان الحضور عن حقيقة ما يجري ، ويزعمون أن لكل جلسة روحًا حارسًا يحرسها .

- يعتقدون أن معجزات الأنبياء هي ظواهر روحية كالتي تجري في غرفة تحضير الأرواح ويقولون إن بأمكانهم إعادة معجزات الأنبياء .

- يعرضون أفكارهم لكل شخص وفق ما يناسبه ولذلك نجدهم أحيانًا يدعّمون تلك الدعاوى بنصوص من الكتب السماوية بعد أن يلووا أعناقهم كما يريدون .

- يرفضون الوحي ويقولون إنه ليس في الأديان ما يصح الركون إليه ويسخرون من المتدينين .

- يقولون بأن إلههم أظهر من إله الرسل وأقل صفات بشرية وأكثر صفات إلهية .

- يلوحون بشعارات براقة كالإنسانية والإخاء والحرية والمساواة للتمويه على السذج والبساء .

- كل عملهم منصب على زعزعة العقائد الدينية والمعايير الخلقية وكلامهم صريح في أن الروحية دين جديد يدعو إلى العالمية ونبذ كل الأديان ، وطقوسه وفرائضه تنحصر في تدريب الناس على تركيز القوة الروحية ، وأنها جاءت بطريقة جديدة للحياة وفكرة جديدة عن الله .

- يدّعون أن الأرواح التي تخاطبهم تعيش في هناء وسعادة رغم أنها كافرة ليهدموا بذلك عقيدة البعث والجزاء ويقولون إن باب التوبة مفتوح بعد الموت كذلك ، وإن الجنة والنار حالة عقلية يجسمها الفكر ويصنعها الخيال .

- عندهم نصوص كثيرة تمجد الشيوعيين والوثنيين والفراعنة والهنود الحمر ويقولون إنهم أقوى الأرواح .

- يبررون الجرائم بأن أصحابها مجبورون عليها وبالتالي لا يعاقبون .

- يسعون لضمان سيطرة اليهودية على العالم لتقوم دولتهم على أنقاض الخراب الشامل .

- أعلنت مجلة (سينتفك أمريكان) عن جائزة مالية ضخمة لمن يقيم الحجة على صدق الظواهر الروحية ولكنها لا تزال تنتظر من يفوز بها وكذلك الحال بالنسبة للجائزة التي وضعها الساحر الأمريكي (دنجر) لنفس الغرض ... وهذا من أكبر الأدلة على بطلانها .

الجذور الفكرية والعقائدية :

- ثبتت لها اتصالات شخصية وفكرية بالماسونية وشهود يهوه . وإن نوادي الروتاري تشجع هذه الظاهرة وتمد لها يد المساعدة وتتولى ترويجها ، كما أنها تأثرت باليهودية في كثير من معتقداتها .

الانتشار ومواقع النفوذ :

لها نفوذ غريب وخاصة في أمريكا وأوروبا إذ لا تكاد تخلو مدينة من فرع لهذه الدعوة وهناك كثير من الصحف والمجلات التي تتكلم باسمها . وفي أمريكا يوجد المركز العالمي للبحوث الروحية ، وكذلك في العالم العربي والإسلامي فإن سرعة انتشارها تدعو إلى العجب وخاصة في مصر حيث توجد لها عدة جميعات وهناك عدة مجلات وصحف أخرى تروج لها مثل : مجلة صباح الخير ، آخر ساعة ، المصور ، المقتطف وصحيفة الأهرام فضلا عن مجلة (عالم الروح) الخاصة بها .

فهرس

الموضوع — الصفحة

الكتاب الثاني

رقم الايداع بدار الكتب القطرية
٦٩ لسنة ١٩٩١ م

الناشر
دار الحقيقة - بيروت

طبع بمطابع مؤسسة العهد
الدوحة - قطر